

# لمحات من عراق القرن العشرين

العراق في العهد الجمهوري

الكتاب العاشر

١٠ - ١١

استبداد وحروب والغزو والموت والسقوط

الجزء الثالث:

بداية النهاية لحكم حزب البعث في العراق

١٩٩١ / ١٩٩٠ - ٢٠٠٣



الدكتور كاظم حبيب

لمحات من

# عراق القرن العشرين

العراق في العهد الجمهوري

الكتاب العاشر

١٠ - ١١

استبداد وحروب والغزو والموت والسقوط

الجزء الثالث:

بداية النهاية لحكم حزب البعث في العراق

١٩٩١ / ١٩٩٠ - ٢٠٠٣



دار اراس للطباعة والنشر

أربيل - إقليم كردستان العراق

جميع الحقوق محفوظة ©  
دار اراس للطباعة والنشر  
شارع گولان - اربيل  
اقليم كردستان العراق  
البريد الإلكتروني aras@araspess.com  
الموقع على الانترنت www.araspublishers.com  
تأسست دار اراس في (٢٨) تشرين (٢) ١٩٩٨

الدكتور كاظم حبيب  
لمحات من عراق القرن العشرين - الكتاب العاشر  
منشورات اراس رقم: ١٣٦٨  
الطبعة الأولى ٢٠١٣  
كمية الطبع: ٦٠٠ نسخة  
مطبعة اراس - اربيل  
رقم الايداع في المديرية العامة للمكتبات العامة ٥٧/ ٢٠١٣  
الاجراء الداخلي والغلاف: آراس أكرم

## المحتويات

٧	الفصل الأول
٧	سياسة النظام العراقي بين نهاية الحرب العراقية - الإيرانية وغزو الكويت.
٧	المدخل
٣٨	المبحث الثاني
٣٨	القوى العراقية المناهضة للنظام
٤٦	المبحث الثالث
٤٦	موقف الدول العربية ولإقليمية والدولية من النظام العراقي
٥٢	الفصل الثاني
٥٢	النظام العراقي عشية غزو الكويت
٥٢	المبحث الأول
٥٢	التحضير السياسي والعسكري للغزو
٨٦	المبحث الثاني
٨٦	غزو العراق للكويت
١٠٤	المبحث الثالث
١٠٤	سياسة النظام العراقي في الكويت بعد احتلالها
١١٤	النظام يرفض الانسحاب والتحالف الدولي يهيئ لحرب تحرير الكويت
١١٦	أولاً: صدام حسين يقود العراق نحو الكارثة
١٣١	ثانياً: جورج بوش الأب يقود التعبئة لخوض حرب تحرير الكويت
١٣٦	أولاً: الجبهة السياسية والإعلامية
١٤١	ثانياً: الجبهة الاقتصادية
١٤٢	ثالثاً: الجبهة العسكرية
١٥٣	اندلاع حرب الخليج الثانية وعوامل اندحار القوات العراقية
١٨٣	انتفاضة ١٩٩١ الشعبية في العراق
١٩٤	عوامل فشل الانتفاضة
٢٠٤	نظرة من داخل قوى المعارضة العراقية ومؤتمر بيروت ١٩٩١
٢١٥	مؤتمر بيروت للمعارضة العراقية ١٩٩١

٢١٩	هل كانت حرب الخليج الثانية قدراً لا بد منه؟
٢٣٦	الفصل الثالث
٢٣٦	الواقع الاقتصادي والاجتماعي في العراق
٢٣٦	في الفترة بين غزو الكويت وسقوط النظام
٢٣٦	المبحث الأول: الواقع الاقتصادي في ظل الدكتاتورية
٣١٠	الملاحق
٣١٠	الملحق رقم ١
٣١٠	نص مذكرة طارق عزيز إلى الشاذلي القليبي أمين الجامعة العربية في ١٥-٧-١٩٩٠
٣١٤	الملحق رقم ٢
٣١٤	نص مذكرة طارق عزيز نائب رئيس الوزراء
٣١٥	الملحق رقم ٣
٣١٥	نص رد وزير الخارجية العراقي طارق عزيز على مذكرة الكويت
٣٢٢	الملحق رقم ٤
٣٢٢	وثائق الغزل متبادل مبكر بين صدام ولندن و واشنطن
٣٤٢	الملحق رقم ٥
٣٤٢	رسالة الرئيس القائد صدام حسين إلى أبناء الشعب في الكويت /٧/١٢/٢٠٠٢
٣٤٩	الملحق رقم ٦
٣٤٩	جزء من الحوار بين بيكر وطارق عزيز
٣٥٤	الملحق رقم ٨: الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة
٣٥٩	المصادر
٣٥٩	المصادر العربية
٣٦١	التقارير
٣٦١	مجلات و جرائد
٣٦٢	المدى، جريدة. المراباتي، توفيق د. الحرب وآثارها على تدهور الاقتصاد العراقي
٣٦٢	مواقع إلكترونية
١٧٤٥	الحوار المتمدن. عبود، سلام. جيش الوشاة.. شعراء السيد القائد.. شعراء السيد العريف. العدد
٣٦٣	بتاريخ ٢٥/١١/٢٠٠٦.
٣٦٤	مصادر باللغة الألمانية

## الفصل الأول

### سياسة النظام العراقي بين نهاية

### الحرب العراقية - الإيرانية وغزو الكويت

#### المدخل

عاش المجتمع العراقي مرحلة جديدة حين توقفت الحرب بين العراق وإيران، مرحلة لم يكن يتمنى الإنسان العراقي أن تبدأ ولم يتوقع أنها ستستمر ثمانية أعوام، كما لم يتيقن بأنها ستنتهي دفعة واحدة، رغم أن المنطق السليم كان يستبعد وقوعها أصلاً واستمرارها هذا الزمن الطويل. إلا أن أي حرب عندما تبدأ لا يمكن لأحد أن يتنبأ بنتائجها وعواقبها أو بالفترة التي سوف تستغرقها أو كيف ستنتهي. كان المجتمع في هذه المرحلة الحرجة من حياته يتحرك في جو يتراوح بين الارتياح من إيقاف القتال والاندحاش من عواقبه الوخيمة التي حلت بالاقتصاد والدولة والمجتمع، وبين القلق من قادم الأيام، إذ لم يكن الإنسان العراقي قادراً على تقدير أو توقع ما يمكن أن يقوم به الدكتاتور الطائش من مفاجئات جديدة يمكن أن تقود المجتمع إلى مزيد من الموت والخراب والدمار والضياع. لم تكن صورة واقع الحال واضحة ولا رؤية المستقبل، بل كانت الخشية عامة تشمل الجميع. لقد كان النظام حائراً يخشى المفاجئات التي يمكن أن تنطلق من رحم المجتمع الذي تراكمت فيه وعليه المصائب والكوارث والتي يمكن أن تنفجر دفعة واحدة، ولم يجد طريقاً لمواجهة تلك الاحتمالات سوى المزيد من أجهزة الأمن، والمزيد من الجواسيس والعيون، والمزيد من الاعتقالات والتعذيب والقتل، والمزيد من البذخ على قصوره الرئاسية وأعياد ميلاده، والمزيد من البؤس والفاقة والبطالة والحرمان للعائلات الفقيرة والمحرومة. وكان المجتمع قد ترك لوحده مع نظام عدواني بغويض. فالأحزاب السياسية، التي غُيب الكثير من قادتها

وكوادرها وأعضائها في السجون أو المنافي، لا تمتلك القدرة على التحرك بما يساعدها على لململة الصفوف وتنشيط النضال الشعبي ضد النظام، وبالتالي أصبحت فريسة سهلة لتلك القوى الغيبية المنومة لعقله والمنشطة في داخله أشياء أخرى غير الوعي الاجتماعي والوطني بما يفترض أن يمارسه الإنسان، بل كانت تنشط فيه وعياً دينياً سلفياً متخلفاً ووعياً طائفياً مشوهاً يثير ويعمق روح الوحشة في نفوس الإنسان وروح التمييز والثأر والانتقام وليس روح العدل والمساواة والأخوة بين البشر.

واجه الإنسان العراقي في هذه المرحلة ظروفًا جديدة بدت له في جوانب معينة منها أكثر تعقيداً من فترة الحرب. فإذ لم تعد هناك صواريخ وقنابل تتساقط على رؤوس الناس وتراجعت الخشية من الموت عبر الحرب، فإن الشعب كان يعاني من سياسات النظام وسلوكه اليومي وتفاقم الرقابة على تحركات كل فرد والسعي من أجل تحويل أفراد المجتمع إلى عيون يراقب بعضها البعض الآخر، إلى عيون للنظام على الأخ والأخت والأب والأم والابن والجار والقريب والبعيد وزميل العمل والدراسة والمزرعة والحرفة. لقد أصبحت الحياة جحيماً لا يطاق في ظل دولة الأمن والمخابرات التي هيمنت على كل شيء وضيقت على أنفاس الناس ومنعتهم حتى من الحلم والأمل. لقد بدأت مرحلة جديدة في العراق، ولكنها مرحلة عاصفة ومليئة بالأحداث والكوارث والحروب. وإذا كان الفرد والمجتمع لا يقرآن الغيب، فهما ونتيجة معرفتهما الجيدة بطبيعة النظام ونهجه وسلوكياته، قدرا بأن ما هو آت أكثر إيلاماً واشد غيلة عليهم وعلى أحفادهم القادمين مما وقع لهم في الفترات السابقة. فهل كان أبناء وبنات شعب الحضارات والذين خبروا الدكتاتوريات بشتى أشكالها على حق في ما توقعوا؟ هذا ما يسعى إليه الكاتب ويحاول الكشف عن بعض أحداث هذه الفترة من حياة المجتمع العراقي والدولة العراقية ونظام الحكم فيها، وعن مدى صحة توقعات الناس. هذه هي مهمة الجزء العاشر من هذا الكتاب الذي أضعه بين أيدي القارئ والقراء.



## المبحث الأول

### واقع وموقف المجتمع العراقي من النظام في أعقاب حرب الخليج الأولى

اتخذ المجتمع الدولي، وخاصة الأعضاء الدائمون في مجلس الأمن الدولي، إضافة إلى دول الاتحاد الأوروبي ودول المعسكر الاشتراكي، موقفاً غريباً وغير معهود أو مفهوم من جانب شعوب العالم من الحرب العراقية - الإيرانية. إن لم يتسم هذا الموقف بالمسؤولية الدولية والنزاهة والحرص على مصائر الشعوب والأمن في منطقة الشرق الأوسط، وإزاء العواقب الوخيمة التي ترتبت عنها على الشعبين الإيراني والعراقي في آن واحد. فقد أنزلت تلك الحرب، باعتبارها أطول حرب شهدتها القرن العشرون، بالشعبين والبلدين أكبر الخسائر البشرية وأفدح وأعلى الخسائر بالاقتصاد الوطني والبنية التحتية والموارد الاقتصادية والمالية وبعملية التنمية. والسؤال الذي يستوجب الإجابة الواضحة هو بالتحديد: ما هي العوامل الحقيقية وراء هذا الموقف الدولي إزاء الحرب العراقية - الإيرانية، رغم بروز وتوفير إمكانيات فعلية وفرص حقيقية لإيقاف تلك الحرب المجنونة بفترة طويلة قبل توقفها الفعلي في آب/أغسطس من العام ١٩٨٨؟

إن معايشة فترة الحرب العراقية - الإيرانية وتتبع مجرياتها يوماً بيوم، وتتبع المواقف الدولية والنقاشات في مجلس الأمن الدولي والصحافة العالمية ومحاولة التعرف على ما كان يجري خلف الكواليس وبين الدول المؤثرة فعلياً على مجرى تلك الحرب، يمكنها أن تساعد في تحديد عدد من العوامل الأساسية التي كانت وراء ذلك الموقف غير العقلاني وغير الإنساني لتلك الدول التي كان في مقدورها إيقاف تلك الحرب، سواء أكانت جزءاً من دول المعسكر الغربي أم المعسكر الشرقي حينذاك. فيما يلي محاولة لبلورة أبرز تلك العوامل، والتي يمكن لكل قارئة أو قارئ أن يضيف إليها ما خفي عن الكاتب في هذا الصدد، فالباب يبقى مفتوحاً لا أمام الاجتهاد حسب، بل وأمام ظهور حقائق لم يكن الوقت كافياً للكشف

عنها من جانب الدول التي تعرف بها والتي تعتبر أسراراً لمدى يصل في غالب الأحيان إلى ٢٥ عاماً:

١. لقد كان موقف المجتمع الدولي واضحاً لا يقبل الخطأ في الموقف من نشوب الحرب العراقية - الإيرانية واستمرارها طيلة ثمانية أعوام عجاف. وانقسم إلى موقفين: كانت الدول الاشتراكية ضد نشوب الحرب ولم تكن تعرف بنوايا العراق الفعلية حتى ذلك الحين، ولكن هذا لا يعني أنها لم تكن تتوقع مثل هذه السياسة. لهذا قرر الاتحاد السوفييتي في حينها إيقاف تزويد العراق بالأسلحة لأنه لم يشاوره بشأن الحرب التي أكدت عليها معاهدة الصداقة العراقية - السوفييتية من جهة، واتفاقية بيع الأسلحة للعراق في أن لا تستخدم للأغراض الهجومية من جهة أخرى. في حين كانت الدول الرأسمالية، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية على علم مسبق بذلك وشجعت ودفعت النظام على القيام بها ابتداءً.

٢. وحين بدأت الحرب أصبحت مهمة استنزاف طاقة البلدين العسكرية وقدراتهما المالية وإضعافهما معاً من خلال السماح لهما باستيراد الأسلحة والعتاد بكميات كبيرة ومن مختلف المصادر في العالم، سواء أكان الشراء بصورة رسمية أم من السوق الموازية (السوداء)، هي المهمة المباشرة، وليست مهمة إيقاف القتال.

يمكن للجدول التالي أن يوضح حقيقة المشاركة في تزييد العراق بالأسلحة:

"بلغت نسبة مبيعات العراق من الأسلحة منذ ١٩٧٠ إلى ١٩٩٠ إلى ما يقارب ١٠٪ من نسبة

صفقات الأسلحة في العالم وكانت النسب كالتالي:

الاتحاد السوفييتي ٦١٪ ما قيمته ١٩,٢ مليار دولار أمريكي.

فرنسا ١٨٪ ما قيمته ٥,٥ مليار دولار أمريكي.

الصين ٥٪ ما قيمته ١,٧ مليار دولار أمريكي.

البرازيل ٤٪ ما قيمته ١,١ مليار دولار أمريكي.

مصر ٤٪ ما قيمته ١,١ مليار دولار أمريكي

دول أخرى ٦٪ ما قيمته ٢,٩ مليار دولار أمريكي.<sup>١</sup>

وتؤكد معلومات كثيرة ومدققة إلى أن إيران، رغم ما تدعيه من عداء لإسرائيل، فإنها قد تزودت منها بالسلح، إضافة إلى ما عرفناه من فضيحة بيع الولايات المتحدة السلح لإيران بحجة تزويد نيكارغوا بالمساعدات المالية لدعم المعارضة هناك وإسقاط كورتيغا.

٣. وأصبح عدم السماح بانتصار أحد البلدين على الآخر في هذه الحرب، بل السعي للحفاظ على توازن عسكري معقول بما يؤدي إلى استمرار القتال طويلاً، ثم خروجهما معاً، حين تتوقف الحرب، على وفق قاعدة "لا غالب ولا مغلوب"، هو الهدف المشترك لدول المعسكرين الغربي والشرقي. إذ كل الدلائل كانت تشير إلى أن الدول الكبرى الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن الدولي تمارس هذا التكتيك بإصرار، رغم بروز أكثر من فرصة كانت تسمح إما بإيقاف القتال وإما بانتصار إحدى الدولتين على الأخرى. لقد كانت الولايات المتحدة بشكل خاص حريصة كل الحرص على منع تحقيق مثل ذلك الانتصار أو الانكسار والسماح باستمرارها فترة إضافية. ولكن هذه الغربة سيطرت على تصرف الاتحاد السوفييتي أيضاً.

٤. لقد كانت القناعة لدى الكثير من دول العالم بأن انتصار أحدهما يشجع على التماذي في الحرب ويهدد المنطقة بأسرها، إضافة إلى تهديد مباشر لإسرائيل. في حين لا يجوز السماح لأي دولة إقليمية أن تهدد وجود إسرائيل أو أن تتفوق عليها بالسلح والإمكانات العسكرية الأخرى، فهي الحليف الاستراتيجي الثابت للولايات المتحدة والدول الغربية في المنطقة.

٥. الحفاظ على استمرار تدفق النفط الخام من دول منطقة الخليج طيلة فترة الحرب دون عوائق جدية. وحين اشتعلت حرب البواخر منذ العام ١٩٨٤ تقريباً، تدخلت الولايات

---

١ الموقع الإلكتروني ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. حرب الخليج الأولى. المقال خال من ذكر الكاتب. أخ ١  
المو ١ الموقع الإلكتروني ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. حرب الخليج الأولى. المقال خال من ذكر  
الكاتب. أخذ المقتطف في ١/١٠/٢٠٠٧.

المتحدة لحماية البواخر القادمة إلى الكويت أو المغادرة لها من خلال رفع العلم الأمريكي على سارياتها، وبالتالي منعت إلى حدود بعيدة إعاقة حركة الملاحة في منطقة الخليج ومضيق هرمز الذي هو بيد الإيرانيين، كما منعت احتمال توسع حرب السفن.

٦. إن استمرار تدفق النفط من البلدين المتحاربين بنسب أقل مما تستوعبه وتحتاجه السوق الدولية قد سمح للمملكة العربية السعودية والكويت أن ترفعا من مستوى إنتاجيهما لتحقيقا أرباحاً إضافية مع الشركات الأمريكية والدولية التي تتعامل معها، وخاصة (أرامكو). والأرقام المتوفرة لدينا تكشف حقيقة ذلك.

٧. لقد حققت الدول المنتجة والمصدرة للسلاح في العالم أرباحاً طائلة ليس من بيع السلاح وحده، بل ومن بقية التجهيزات العسكرية، كما أن توقف الكثير من القدرات الإنتاجية للبلدين دفع بهما إلى زيادة استيرادهما السلعي من الدول المصدرة للسلع المصنعة، وهي في الغالب الأعم، الدول الصناعية، الغربية منها والشرقية.

٨. لقد خرج العراق من الحرب بدين خارجي بلغ حوالي ١٠٠ مليار دولار أمريكي توزع على عدد قليل من الدول العربية وعدد أكبر من الدول الكبرى والمؤسسات الدولية، في حين كان في مقدور إيران أن تتجنب الاقتراض الخارجي من خلال استمرار استخراج وتصدير النفط الخام بسبب تعدد موانئها البحرية واستمرار تدفق الأموال النفطية لخزينة الدولة. لقد انتهت الحرب العراقية - الإيرانية بخسائر فادحة للبلدين، إذ لم يخرج منها أي طرف بانتصار حاسم. فلا العراق استطاع الوصول إلى أهدافه في الحرب، ومنها الخلاص من النظام الجديد في إيران، ولا النظام الإيراني استطاع كنس النظام العراقي عبر الحرب والإصرار على القتال ورفض إيقافها رغم النداءات الدولية والإقليمية بضرورة إيقافها. ولكن الخميني أجبر في شهر آب/أغسطس ١٩٨٨ على القبول بإيقاف القتال بين البلدين بناء على القرار الصادر عن مجلس الأمن الدولي تحت رقم ٥٩٨ لعام ١٩٨٧، والإنهاك الذي ظهر على الشعب الإيراني وبداية تفاقم الأزمة الاقتصادية التي كانت قد بدأت واضحة في الاقتصاد والمجتمع الإيراني. وقال الخميني في حينها عبارته الشهيرة: "إنه كان يفضل شرب السم على قبول وقف إطلاق النار مع صدام حسين". كما وافق النظام العراقي، الذي

كان ينادي منذ النصف الثاني من العام ١٩٨١ بإيقافها وكان صدام حسين يذرف دموع التماسيح أمام شاشات التلفزة العراقية بحجة عجزه عن إيقافها، على إيقاف القتال.

ما أن انتهت الحرب العراقية – الإيرانية حتى وجد صدام حسين نفسه أمام جملة من المشكلات الجديدة الأكثر تعقيداً مما كانت عليه في فترة الحرب العصبية مع إيران، إذ كان في مقدوره حينذاك الادعاء أمام الناس بأن الحرب هي التي كانت تمنعه من تحقيق ما يفترض أن يقوم به النظام في الحقول السياسية والاقتصادية والاجتماعية والخدمات العامة التي تعرضت في فترة الحرب إلى التدمير وشهدت السوق المحلية أزمات حادة واختناقات في التمويل وبطالة واسعة وتراجع في مستوى معيشة السكان. في حين لم تعد له مثل هذه الحجة بعد إيقاف القتال. يشير السيد الدكتور منذر الفضل بالمحنة التي واجهها صدام حسين في فترة الحرب بذكر الواقعة التالية:

" في مساء إحدى الأمسيات البغدادية التي خيم عليها الظلام الدامس بسبب متطلبات الحرب ضد إيران ووجوب التعقيم وعدم فتح الإنارة لكي لا تكون هدفا للطائرات المغيرة فوجئ الشعب العراقي بظهور صدام وهو يبكي من على شاشات التلفزيون في العراق - قبل نهاية الحرب العراقية / الإيرانية بشهور - ويزرف دموع التماسيح بسبب استمرار الحرب مع إيران وللخسائر البليغة في الجيش العراقي والأرواح والأموال والطاقت ويدعو إلى الصبر والدعاء إلى الله لإنهاء الحرب الضروس التي أشعل فتيلها. ولاشك أن هذه حالة غير مسبوقة إذ لم يسبق لرئيس دولة أو ملك أو حاكم أن يظهر بالصورة التي كان عليها. وليست هذه هي المرة الأولى التي ظهر فيها صدام وهو يبكي بهذا الشكل فقد سبق أن ذرف الدموع مع البعض من رفاقه في قاعة الخلد ببغداد عام ١٩٧٩ إبان ادعائه في اكتشاف المؤامرة عليه من رفاقه في البعث و الذين أعدمهم فيما بعد بمحاكمات صورية بعيدة عن أي ضمانات قانونية لينفرد بعدها في السلطة ويهدر الدار ويعلن الحرب على الشعب العراقي وعلى دول المنطقة والعالم مدعياً انه باني العراق والبطل القومي المخلص والمنقذ للأمة

والناشر للفكر الإنساني<sup>٢١</sup>. ولا شك في أن البعض من البشر، وخاصة أعوانه ومريديه في العراق والعالم العربي، كان يعتقد بما يقوله صدام حسين وكانت تنساب منه الدموع أيضاً وتنطلي عليه كذبة من اعتاد على الكذب، إذ كان الدكتاتور بحكمة هتلر المعروفة<sup>٢٢</sup> "افتروا ثم افتروا ثم افتروا، لعل بعض افتراءاتكم تعلق بأذهان الناس"<sup>٢٣</sup>.

كما أن توقف القتال فعلاً وضع الإنسان العراقي أمام حالة جديدة. فما أن انتهت الحرب العراقية – الإيرانية حتى أحس الناس بعمق وسعة وشمولية الكارثة التي حلت بهم والتي عاشوا تحت وطأتها سنوات عجاف قاسية ومريرة، وأدركوا الفجوة الكبيرة بين فترة ما قبل نشوب الحرب وما بعدها في مجال توفر فرص العمل ومتوسط حصة الفرد الواحد من الدخل القومي في السنة. فبالرغم من السياسات الاقتصادية والاجتماعية غير العقلانية والعفوية والمضرة التي مارسها النظام من عدة جوانب، رغم الجهود التي كان المختصون الجيدون في التنمية الاقتصادية يبذلونها لإعداد خطط فيها الكثير من العقلانية والتي كانت تهمل في الغالب الأعم ويتم تنفيذ ما يقرره صدام حسين، كان هناك قبل الحرب تشغيل واسع للأيدي العاملة العراقية واستيراد الكثير من الأيدي العاملة من مصر وبقية الدول العربية وغيرها، خاصة وأن جزءاً مهماً وكبيراً من قوة العمل العراقية قد التحقت بمختلف أصناف القوات المسلحة العراقية، كما أن متوسط حصة الفرد الواحد من الناتج المحلي الإجمالي بلغ في العام ١٩٨٠ أكثر من ١١٧٦,٥ ديناراً عراقياً، أو ما يعادل ٣٧٦٥ دولاراً أمريكياً، في حين انخفض هذا المؤشر بشكل حاد جداً أثناء وفي أعقاب الحرب ليصل إلى ٧٦٥,٩ ديناراً عراقياً، أو ما يعادل ٢٤٥٥ دولاراً أمريكياً \$ في العام ١٩٩٠، أي بعد أن تمت زيادة استخراج وتصدير النفط الخام في عامي ١٩٨٩ و١٩٩٠ وقبل بدء غزو الكويت<sup>٢٤</sup>.

---

٢ الفضل، منذر د. أحد عشر سنة على خيمة صفوان.. والتنازل عن السيادة الوطنية – غدر بالجار وهدم للديار - . على الموقع الإلكتروني:

iraq4all.dk/Book/Fa'9el/11year.htm أخذ المقتطف بتاريخ ١٠/٩/٢٠٠٧.

٣ هتلر، أدولف. كفاحي. (دون ذكر مكان الطبع) بيسان. ترجمة لويس الحاج. ط ٢. ١٩٩٥.

٤ زيني، محمد علي د. الاقتصاد العراقي. لندن. مؤسسة الرافد. ط ٢. ٢٠٠٣. ص ٣٢٢.

كما ازدادت البطالة وتحولت إلى مشكلة كبيرة ترهق المجتمع وتثقل كاهل العائلات الفقيرة والكادحة وتضغط على النظام ألصدامي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وتدفع بأزمة البلاد إلى مستويات حادة جديدة.

لقد شهد المجتمع العراقي والدولة العراقية انقساماً شديداً في الرأي إزاء الحرب وعواقبها والموقف من الأوضاع الجديدة الناشئة، انقسما إلى موقفين متضادين، موقف الشعب بأغلب مكوناته وقواه السياسية المعارضة للنظام من جهة، وموقف صدام حسين ومجلس قيادة الثورة وقيادة حزب البعث الحاكم أو النخبة الحاكمة من جهة أخرى، وكان هذان الموقفان متباينين ومتعارضين، أو كانا على طرفي نقيض وفي صراع متفاقم. لم يكن الخلاف يتعلق في تقدير الشعب بأن نتيجة الحرب كانت خسارة كبيرة للعراق، في حين كان النظام ينظر إليها على أنها انتصاراً كبيراً له، حسب، بل كان الاختلاف يتبلور حول الكثير من النقاط المهمة وحول مستقبل البلاد. ومن هنا يفترض أن نجيب عن السؤال التالي:

### كيف كان المجتمع العراقي ينظر إلى حالة العراق في أعقاب الحرب؟

يمكن تكثيف الإجابة عن هذا السؤال بعدد من النتائج التي تمخضت عنها الحرب العراقية – الإيرانية واتجاهات تفكير الناس بشأنها:

١. لقد انتهت الحرب والنظام العراقي لم يحقق ما وعد به الشعب العراقي والشعوب العربية من انتصارات مهمة، ومنها: إلغاء اتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥، واستعادة الحقوق العراقية التي فرط بها في شط العرب وفي مناطق حدودية أخرى من العراق لصالح إيران.

٢. ولم يستطع تحرير الجزر العربية الثلاث المحتلة من قبل شاه إيران قبل ذاك في منطقة الخليج العربي، جزر طمب الكبرى وطمب الصغرى وأبو موسى، التي كان يتحدث بشأن تحريرها بصوت مرتفع ويزايد على دولة الإمارات العربية المتحدة التي تعود لها تلك الجزر الثلاث.

٣. كما لم يستطع إسقاط النظام الإيراني الذي اعتقد بأن نظامه المؤهل لإسقاطه، بل أشارت كل الدلائل المتوفرة لدينا إلى النظام الإيراني بقيادة الخميني قد ازداد قوة

بفعل روح وحمية الدفاع عن الوطن التي تأججت مشاعرها في صفوف الإيرانيين نتيجة تعرض أراضيهم إلى الاجتياح والاحتلال من جانب القوات العراقية، بالرغم من طبيعة النظام الإيراني الاستبدادية. ولكن إيران لم تكن البادئة بالحرب، بل العراق. وبالتالي كانت الحرب عدوانية من جانب النظام العراق، ودفاعاً عن الوطن من جانب الشعب الإيراني. وبالتالي لم ينفخ الشعار التهريجي الذي طرح صدام حسين لتبرير الحرب، شعار " الدفاع عن البوابة الشرقية للأمة العربية والوطن العربي"، بل أصبح هذا الشعار نقمة عليه حقاً.

٤. وفي حينها دخل الكثير من الناس في العراق بعملية تفكير هادئة نسبياً حول الحرب التي عاشوا تحت وطأتها لحظة بلحظة ويوماً بيوم وسنة بعد أخرى طيلة ثمانية أعوام وعانوا من مرارتها وجحيم أسلحتها الحديثة والفتاكة وعواقبها المدمرة، سواء أكان ذلك ما يمس فداحة الخسائر البشرية من قتلى وجرحى ومعوقين ومشردين ومهجرين ومهاجرين قسراً، أم فداحة الخسائر المالية والتنموية والحضارية وتدمير المشاريع الاقتصادية والبنية التحتية، وخاصة الخدمات الأساسية وخراب واسع في المدن العراقية وبضمنها المدارس والمعاهد ودور العبادة، إضافة إلى اتساع ظاهرة البطالة بين السكان القادرين على العمل والراغبين فيه، والمساحات الواسعة من الأراضي الزراعية التي أبعدت عن العملية الإنتاجية بسبب الحرب وكثرة الألغام التي زرعت في المناطق الحدودية، وتقلص مساحات رعي الماشية. لقد كانت الخسائر البشرية فادحة لدى الطرفين، كما تحمل العراق خسائر فادحة في الكثير مما بناه وأقامه طيلة العقود المنصرمة منذ تأسيس الدولية العراقية. وقدرت الخسائر الإجمالية للبلدين على النحو التالي:

حوالي (٥٠٠) مليار دولار أمريكي، منها (٢٨٠) مليار دولار أمريكي خسائر إيران، و(٢٢٠) مليار دولار خسائر العراق، إضافة إلى أكثر من (٤٥٠٠٠٠) قتيل، كما وخلفت الحرب أكثر من (٧٥٠٠٠٠) جريح ومعوق. وتقدر الخسائر في المنشآت النفطية والاقتصادية ب (٥٠٠) مليار دولار أمريكي بالنسبة للبلدين<sup>٥</sup>، أي أن التكلفة الإجمالية

---

٥ عاشور، مصطفى. الحرب العراقية الإيرانية.. شعوبية بشكل جديد (في ذكرى نشوبها: ١٣ ذي القعدة ١٤٠٠هـ). على الموقع الإلكتروني: إسلام أون لاين.



للحرب العراقية - الإيرانية تقدر بأكثر من (١٠٠٠) مليار دولار أمريكي. وهناك تقدير آخر يشير إلى مقتل زهاء مليون إنسان، وخسائر مالية تقدر بـ ١,١٩ ترليون دولار أمريكي.<sup>٦</sup> ومع انتهاء الحرب برزت إلى سطح الأحداث حقيقة المديونية المالية العراقية العالية جداً، سواء أكانت للدول الخليجية، السعودية والكويت، التي قدرت بأكثر من ٢٢ مليار دولار أمريكي، أم للدول الاشتراكية والرأسمالية والمؤسسات الدولية التي تراوحت بين ٧٥ - ٨٠ مليار دولار أمريكي. وقد قدرت المديونية الإجمالية الخارجية التي بذمة العراق بحدود مئة مليون دولار أمريكي قابلة للزيادة بسبب الفوائد، أو ما يسمى بخدمة الدين، التي تترتب عليها سنوياً.

٥. كان العراق خلال فترة الحرب العراقية - الإيرانية يعيش تحت طائلة الأحكام العرفية التي تسمى أيضاً بالأحكام "الطارئة أو الاستثنائية"، ولكنها لم تكن يوماً في ظل النظم العراقية العسكرية طارئة، بل كانت دائمية منذ أن وصل البعث بعد الانقلاب الدموي الذي وقع في شباط/فبراير ١٩٦٣ وتواصلت في فترة حكم القوميون العرب العراقيين، ثم استمرت طيلة حكم البعث الثانية التي بدأت بانقلاب القصر والاستخبارات العسكرية العراقية في العام ١٩٦٨ واستمرت طيلة سنوات حكم البعث في السبعينات والثمانينات، أي في فترة الحرب العراقية - الإيرانية وما بعدها. ومثل هذه الأحكام لا تحرم الشعب وبشكل مطلق من أي حماية من أجهزة القمع الصدامية، سواء أكانت أجهزة الأمن العديدة، أم جهاز المخابرات العسكرية، حسب، بل وتسلمه بأيدي هذه الأجهزة لتتصرف بالإنسان كما تشاء دون رقيب أو حسيب ودون عقاب. فقد منح صدام حسين الأجهزة القمعية الصلاحيات الكافية لممارسة الاعتقال والتعذيب والقتل دون أن تتعرض لأية مساءلة أو محاسبة قانونية ولا يمكن مقاضاتها أمام المحاكم العراقية. فالشك بولاء أي إنسان في العراق لرأس النظام يمكن أن يرسل رأسه إلى المقصلة أو أن يقبع في سجون النظام طيلة وجود النظام قائماً. لقد كانت المحاكم الخاصة ومحكمة الثورة تشكل بقرار من صدام حسين حتى دون اجتماع لمجلس قيادة

---

٦ الفهداوي. مصطفى. الحرب العراقية الإيرانية. على الموقع الإلكتروني: ساحات الطيران العربية.

الثورة ليرسل المتهمون بقضايا التآمر، أو عدم الولاء للحزب والثورة، أو الإساءة للقيادة أو لشخص صدام حسين، إليها لتصدر بحقه حكمها القاسي الذي يتراوح بين عشر سنوات والمؤبد أو حتى الموت. لم تتوقف طواحين الموت الصدامية طيلة وجوده في السلطة، سواء أكان نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة أم كان رئيساً لهذا المجلس. ولم ينج من هذه المحاكم حتى الصبية الصغار، كما لاحظنا ذلك في محكمة الدجيل التي أعدم فيها ١٤٨ مواطناً من مختلف الأعمار في مدينة الدجيل بسبب محاولة جرت لاغتياله هناك من مجموعة لا يزيد عدد أفرادها عن عدد أصابع اليد الواحدة، وكان بينهم الذين أعدموا دون أن يشاركوا في تلك العملية صبية لم تتجاوز أعمارهم سن الرشد.

٦. وكانت أساليب الإرهاب الحكومية وعمليات القتل الانتقامي لقوى المعارضة ومطاردة الجنود الهاربين وقتل الكثير منهم قد تفاقمت بشكل غير مسبوق في سنوات الحرب المريرة، إلا أن الفترة التي أعقبت إيقاف القتال شهدت هي الأخرى عمليات تصفية واسعة من جانب الدكتاتور ضد جمهرة واسعة من ضباط الجيش العراقي لمجرد الشك في ولائهم المطلق لصدام حسين أو لأي سبب آخر، بما في ذلك الاختلاف في الرأي حول مسألة ما. كما شن في الوقت نفسه حملة هجوم شرسة ضد قوى المعارضة حيثما أحس بوجود شخص أو مجموعة معارضة له. وقد أشاع هذا الجو الخائف المزد من الخوف لدى الناس من بطش النظام وأجهزته الأمنية القمعية التي كانت تدافع بشراسة عن النظام وعن سيدها المستبد بأمره ولديها صلاحيات بقتل من تشك فيه. لقد لف الحزن والسواد العراق كله، إذ لم تبق عائلة في العراق لم تفقد أحد أو أكثر من أبنائها وبناتها، بل شمل الموت حتى الأطفال والصبية أيضاً. ولقد أجهزت الحرب من جهة، وأجهزة النظام من جهة أخرى، على الناس الأبرياء لتنزل بالمزيد منهم الموت والبؤس وخراب الروح، إضافة إلى ما تعرض له المناضلون السياسيون من مختلف القوى السياسية من قمع واضطهاد وقتل، كما شملت تلك العمليات الكثير من البعثيين. لقد غيب الدكتاتور جمهرة كبيرة جداً من الناس في المقابر الجماعية التي انتشرت في مناطق كثيرة من أرض العراق.

٧. وفي هذه الفترة ساهمت كل من الحرب والأحكام العرفية في اختطاف حياة أولف العراقيين والعراقيات، سواء أكان ذلك في معارك جبهات القتال، أم عبر القصف الجوي والصاروخي والمدفعي للمناطق السكنية والمستشفيات والمدار ورياض الأطفال ودور العبادة أم فرم أجسام الضحايا بواسطة الماكينات العملاقة لفرم اللحوم التي استخدمت خصيصاً لقتل المعارضين السياسيين على أيدي الأجهزة القمعية. كما تم قتل الكثير من الضحايا بربط متفجرات على أجسام الضحايا ثم تفجيرها بطلق ناروي يصوب إلى تلك الأحزمة المتفجرة. لقد استيقظ الناس، وكأنهم كانوا في سبات دام ثمانية أعوام فوجدوا أنفسهم حالة يرثى لها ويصعب تصورها.. غياب الأهل والأصدقاء والمعارف والأقارب والجيران.. إما أن اختطفتهم الحرب أو قضى عليهم جلاوزة النظام ألصدامي، وإما أجبروا على الهجرة أو هجروا قسراً أو غيبوا ولا يعرف مصيرهم، وإما دفنوا في مقابر جماعية التي اكتشفت بأعداد كبيرة بعد سقوط النظام.

٨. وشكلت الحرب الداخلية التي مارسها ضد الشعب الكردي من جهة، وضد الكرد الفيلية الشيعية، هذه المجموعة البشرية الكردية التي أغلب أفرادها كانوا يعيشون في بغداد العاصمة ولهم الكثير من العوائل في وسط وجنوب العراق من جهة ثانية، ثم حربه الطائفية ضد عرب الجنوب والوسط من الشيعة باتهامهم الوقح بالتبعية الإيرانية وخشية ولائهم لإيران من جهة ثالثة، ثم عدوانه على كل الأحزاب السياسية العراقية غير البعثية وعلى كل الاتجاهات الفكرية والسياسية من جهة رابعة، كما لم يسلم من اضطهاد النظام أتباع القوميات الأخرى كالتركمان والآشوريين والكلدان من جهة خامسة، قد وسعت كلها من قاعدة المعارضة لهذا النظام والعمل ضده والسعي لإسقاطة والتوسل بكل السبل والوسائل المتوفرة لتحقيق هذا الهدف.

٩. إن بروز ظاهرة المستبد أو الدكتاتور ليست جديدة على المجتمع البشري فقد عرفها العالم العربي والإسلامي أيضاً، كما عرفتها الكثير من شعوب ودول العالم. وقد شهد القرن العشرين هذه الظاهرة دون انقطاع وفي فترة واحدة أو فترات متباعدة، من تلك الظاهر مثلاً بروز دور الراهب الروسي راسبوتين أو وزير داخلية في الدولة القيصيرية

الروسية ستولويين، أو ظاهرة ستالين في الاتحاد السوفييتي، وهتلر في ألمانيا النازية، وموسوليني في إيطاليا الفاشية، وفرانكو في أسبانيا الفاشية، وسالازار في البرتغال، وسوموزا في نيكاراغوا، و باتيستا في كوبا، و القذافي في ليبيا، والأسد في سوريا وعبد الناصر في مصر، وعمر البشير في السودان، والخميني في إيران، والبكر و صدام حسين في العراق .. وغيرهم، فهم جميعاً ينتسبون إلى ذهنية شمولية واحدة، وأن اختلفت بعض مكوناتها ومسمياتها، أو تباينت أسماؤهم وقومياتهم وبلدانهم، أو اختلفت فترة ظهورهم أو فترات حكمهم أو الواجهات التي تستروا خلفها. ولا تختلف ظاهرة صدام حسين عن تلك الظواهر المماثلة. فقد ترك صدام حسين في العراق جراحاً عميقة في بنية وتفكير المجتمع، وسيحتاج المجتمع العراقي إلى سنوات كثيرة وعمل دعوب مع الإنسان ذاته ليستعيد المجتمع والفرد عافيتما وطبيعتهما الاعتيادية وعلاقتها الإنسانية والسلام مع نفسيهما ومع الشعوب الأخرى من جراء تلك الجراح وما نشأ عنها من كوارث ومأس لا تزال عواقبها مستمرة حتى كتابة هذه السطور.

١٠. وخلال فترة الحرب نشأ وضع نفسي بالغ التعقيد والتوتر العصبي لدى نسبة عالية من السكان، خاصة في صفوف الشبيبة والأطفال، بسبب الحرب وبسبب القصف والصواريخ والقنابل التي كانت تتساقط على رؤوس الناس في كل مكان من العراق، إضافة إلى الوضع النفس الأكثر تعقيداً للشعب الكردي لا بسبب الحرب الخارجية وحدها، بل وبسبب حرب النظام ضد الشعب الكردي في كردستان العراق. فتلك الأسلحة لم تقتل الناس أو تصيبهم بجراح أو تعوقهم وتقعدهم البيت حسب، بل كانت ترعب الأحياء منهم وتدفع بهم إلى الانطواء الذاتي، والمعاناة الشديدة من كوابيس مقلقة ومرهقة للنفس، والغوص في الغيبات وأعمال السحر والشعوذة طلباً للنجاة وهرباً من الإحباط، وكذلك تلوث البيئة وظهور أمراض جديدة وتخريب المزيد من المناطق الطبيعية في العراق أو جريمة تجفيف الأهوار في جنوب العراق وتشريد سكانها إما إلى مناطق أخرى أو الهروب إلى مناطق الأهوار المماثلة في إيران طلباً للنجاة أو إشعال الحرائق في غابات كردستان عبر القصف الجوي.

١١. وانتشرت في العراق خلال فترة الحرب وما بعدها عصابات الجريمة المنظمة والمتاجرة بالنساء أو العهر النسوي والذكوري لأسباب ترتبط بالوضع المالي البائس للكثير من العائلات الفقيرة والمعمدة. ولم تكن بعض أجهزة السلطة المهمة، من الأمن وشرطة النجدة ومن بعض أبناء المسؤولين بعيدين عن المشاركة في تلك الجرائم، بل كان بعضهم على رأسها، وخاصة تلك التي كانت تقوم بتهديد وابتزاز العوائل الغنية والتجار وتسطو على بيوتهم أو تنهب محلاتهم ودر السكن. كما نشطت تجارة بيع وشراء أعضاء من جسم الإنسان أو من خلال اختطاف الأطفال والصبية أو غيرهم وانتزاع ما يحتاجون له من أعضاء ثم قتلهم ورميهم على قارعة الطريق أو دفنهم.

١٢. واختفت خلال فترة الحرب وما بعدها الفئة الاجتماعية الوسطى، إذ أصبح المجتمع منقسماً في الغالب الأعم بين غني متخم يرتبط بالنخبة الحاكمة ومؤسساتها المختلفة، وبين فقير معدم يعاني من تدهور مستوى معيشته وظروف حياته، حتى اضطرت كثرة من الأدباء والفنانين، وعموم المثقفين على بيع مكتباتهم وحاجياتهم المنزلية ليطعموا أنفسهم وأفراد عائلاتهم.

١٣. ومع وجود تشخيص سابق عن ازدواجية الشخصية لدى الفرد العراقي بشكل عام، والتي شخصها وبلور أبرز جوانبها والعوامل الكامنة وراء بروزها الأستاذ الراحل الدكتور علي الوردي في مؤلفه المعروف "لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث"، فإن الفترة التي أعقبت وصول البعث إلى السلطة وفترة الحرب العراقية - الإيرانية قد ساهمتا في تعميق وتشديد وازدهار وانتشار هذه الظاهرة وأفرزت ذهنية انتهازية والصراع والتزاحم أو التدافع الشديد بالمناكب بين أفراد المجتمع ركضاً وراء المصالح الذاتية وتفاقم الاستعداد لاستخدام العنف في البلاد، إضافة إلى اشتداده بشكل مريع يصعب تصويره لدى أجهزة القمع الحكومية. لقد خلقت الحرب أجواءً مناسبة لنمو ذهنية ممارسة العنف والقوة والرغبة في الحصول على ما يعتبر حقاً له بالقوة دون أي اعتبار للقوانين والمؤسسات القضائية المسؤولة عن إعادة الحق إلى أصحابه.

١٤. كما تفاقم بشكل غير معهود موقف التمييز الذكوري ضد المرأة وحقوقها المشروعة التي اكتسبتها بنضالها الطويل في العهود السابقة وبالتعاون مع الكثير من الديمقراطيين والمتنورين والمثقفين من الرجال، وأصدر النظام أصدامي العديد من القوانين والتعليمات التي تحد من دور المرأة في الحياة العامة وتضعف إلى أبعد الحدود من مكانتها ومن قيم المساواة بين المرأة والرجل. وقد تم تدريجاً اغتصاب حتى تلك الحقوق البسيطة والمهمة التي كرسها لها قانون الأحوال المدنية الذي صدر في أعقاب قيام ثورة تموز العام ١٩٥٨ وتأسيس الجمهورية العراقية الأولى.

١٥. إلا أن أبرز ما تكرر في المجتمع من جديد، بعد أن كان قد اختفى في أعقاب ثورة تموز نسبياً، هو الشعور الطاغي بالانتماء للعشيرة والارتباط القبلي وتنامي دور شيوخ العشائر والتقاليد والأعراف العشائرية وتقديم الشيوخ الحماية لأفراد العشيرة مقابل الخضوع التام لشيوخ العشيرة ولقراراته وإرادته ورغباته.

١٦. كما برز في ذات الفترة، وبشكل صارخ، نزوع ديني غير اعتيادي وغير معروف في العراق لدى الناس الذين خاضوا الحرب المدمرة وواجهوا الموت وكانت أرواحهم على كف عفريت مهددة بالموت في كل لحظة ولأسباب كثيرة. ومن هنا تناما بوضوح دور شيوخ الدين وأئمة المساجد والجوامع والحسينيات حيث كان الناس، الذين فقدوا الحماية السياسية والفكرية، يلجأون إلى شيوخ الدين والمؤسسات الدينية والمساجد أو الحسينيات طلباً للحماية من الله عبر هؤلاء الناس الذين اعتبروا أنفسهم "وكلاء على الأرض!".

١٧. ولا بد من ذكر حقيقة أساسية يفترض أن لا تغيب عن بال وأنظار الباحث العلمي، وأعني بها، سياسة النظام العراقي أصدامي، التي كانت تعج بذكر "القومية العربية" والدفاع عن "البوابة الشرقية للوطن العربي" في فترة الحرب ضد إيران. وكان يركز هجومه على الشعب الكردي باعتبار حركته المسلحة تشكل أحد "جيوب العمالة!" في العراق لصالح إيران. وقد شن حرباً عدوانية ضد الشعب الكردي حتى قبل أن تبدأ الحرب ضد إيران. وأدت تلك الحرب إلى سقوط عدد هائل من القتلى والجرحى

والمعوقين على امتداد سنوات العقدين الثامن والتاسع من القرن العشرين. وقد تركت هذه الحرب جراحاً عميقة في جسد الشعب الكردي لا تذهب آثارها بسهولة. وكانت كلها تمارس وتبرر باسم الدفاع عن القومية العربية وضد الانفصال. وعلينا في هذا الصدد أن نتذكر بأن الشعوب العربية وحكوماتها وغالبية أحزابها السياسية وغالبية مثقفيها ومنظمات المجتمع المدني في الدول العربية لم ترفع صوت الإدانة والاحتجاج على الجرائم والمجازر الدموية البشعة التي نفذها صدام حسين ورهطه ضد الشعب الكردي، أو ضد أشكال من الاعتداءات الأخرى التي تعرضت لها القوميات الأخرى أو الكرد الفيلية والعرب الشيعة الذين هجروا قسراً بدعوى التبعية لإيران أو الولاء لها دون الولاء للعراق. إن هذه الجراح التي تسبب بها نظام البعث في العراق ستبقى تنزف لفترة غير قصيرة قادمة ما لم تمارس سياسات عقلانية إزاء جميع القوميات والأديان والمذاهب في العراق وبعيداً عن السياسات الشوفينية والطائفية المقيتة التي مارسها نظام البعث، نظام صدام حسين.

١٨. وكانت خطابات صدام حسين وكافة أجهزة إعلامه قد أصبح مملوءاً بالفكر الشوفيني والعنصر المعادي للقومية الفارسية، وكأن المشكلة قائمة بين القومية العربية والقومية الفارسية، وليس بين نظامين سياسيين مستبدين أحدهما يحمل راية الإسلام، والآخر يحمل راية القومية، بأمل خدع الناس بما يطرحانه من أفكار وذهنية مسمومة. وقد تجنب الفرس الإساءة للقومية العربية بالارتباط مع القرآن الذي وضع باللغة العربية، وبالتالي فاللغة العربية بالنسبة لهم تحتل مكانة مرموقة بين اللغات الأجنبية في صفوف الإيرانيين، إلا أن هجومهم تركز على الجانب العلماني المشوه في نظام البعث وعلى فكر حزب البعث باعتباره فكراً وحباً كافرين! وكانت هذه الدعاية العنصرية والدينية المشوهة من الجانبين تعمق الخلافات وتثير الأحقاد، إضافة على مواكب القتل التي كانت تصل من جبهات القتال للطرفين.

إن كل هذه الوقائع وغيرها، التي كانت جائمة وصارخة على أرض الواقع العراقي وعلى رؤوس الناس، كانت كلها تشير إلى أن رأس النظام الدكتاتوري قد واجه في أعقاب الحرب

العراقية - الإيرانية أوضاعاً محلية صعبة جداً ومعقدة تماماً ومتشابكة في ما بينها، ولكن لم يرد في تفكير هذا المستبد بأمره تغيير سياساته العدوانية والإرهابية وإجراءاته بما يقود إلى معالجة الوضع القائم الرديء جدياً ووفق ما تفرضه طبيعة تلك المشكلات من جهة، كما لم يعد في مقدوره تسريع عملية إعادة إعمار ما خربته أو ما دمرته الحرب الطويلة الأمد كلية من جهة ثانية. ولم تتوفر لديه الأموال الكافية لتنشيط عملية التنمية الاقتصادية بعد توقف طويل لها. ثم واجه صدام حسين عجزاً شديداً في قدرته على الصرف المالي البذخي، كما كان يفعل في السابق، على القوات المسلحة العراقية ليأمن جانبها ويطمئن إليها ويحافظ على وفائها له ودفاعها عنه، خاصة وأن تعداد الجيش وحده بلغ المليون نسمة، أو لتجديد وتحديث أسلحتها ومواصلة تدريبها والحفاظ على جاهزيتها القتالية. وفي هذا الوقت، حيث كان النظام يعاني من شحة الموارد المالية، بدأت الكويت والسعودية تطالبان باستعادة ديونهما التي بذمتها العراق. وكانت الأخبار ترد إلى الدول العربية الدائنة بأن العراق لا يزال يواجه أموالاً طائلة على المجالات التالية:

١. الاستمرار بصرف مبالغ طائلة على القوات المسلحة العراقية، إذ "وصلت ميزانية الدفاع السنوية ١٢,٩ مليار دولار عام ١٩٩٠م، وأصبح متوسط ما ينفقه العراق على التسلح ٧٢٠ دولاراً للفرد الواحد في القوة المسلحة"<sup>٧</sup>. وقد خلق هذا التوجه خشية واضحة لدى الدول الأخرى، إذ كانت الأجهزة الأمنية في الدول الكبرى وغيرها تعرف تماماً بهذا النشاط التسليحي المتنامي لنظام صدام حسين، في وقت يعربد طالبا الحصول على قروض جديدة و منح مالية وإعفاء من الديون التي بذمتها النظام من دول الخليج العربي. وبسبب هذا التوجه العسكري والإنفاق الكبير على القوات المسلحة " أن وصل حجم القوة المسلحة العراقية بعد تعويض خسائر ثماني سنوات من الحرب مع إيران إلى الآتي:

- قوات برية ٩٥٥ ألف مقاتل منهم ٤٨٠ ألف من الاحتياط.

---

٧ حسين، زكريا لواء أ.ح. د. الملف العراقي. "إلغاء القوات المسلحة العراقية وتصاعد المقاومة ضد سلطة الاحتلال الأنجلو/أمريكي". موقع البيان الإلكتروني على الإنترنت. أخذ المقتطف بتاريخ



- نظمت هذه القوات من خلال ٧ - ٨ فيالق بها حوالي ٦٠ إلى ٦٦ فرقة " منها: ٧ فرق مدرعة ميكانيكية، ٨ فرق حرس جمهوري، ٤٠ فرقة مشاة، ٢٠ لواء قوات خاصة وصاعقة.
- تمتلك حوالي ٦٧٠٠ دبابة من أنواع متعددة.
- من ٣٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ قطعة مدفعية، ٥٠٠ قطعة مدفعية ذاتية الحركة.
- ٢٠٠ قاذف صاروخي متعدد الأدلة.
- ١٨٠ صاروخ مختلف الأنواع.
- ١٥٠٠٠ قطعة صواريخ مضادة للطائرات.
- حوالي ٧٠٠ - ٧٧٠ مقاتلة وقاذفة، ١٠٠٠ طائرة نقل وهليكوبتر وإنذار مبكر<sup>٨</sup>.

٢. الاستمرار في التصنيع العسكري وتوجيه المزيد من الاستثمارات المالية لهذا القطاع بعد أن تم دمج وزارة التصنيع العسكري بوزارة الصناعة وأطلق عليها وزارة الصناعة والتصنيع العسكري، أي توجه العمل بالأساس صوب التصنيع العسكري وتطوير إنتاج الأسلحة والعتاد العسكري. يشير الدكتور توفيق المراتي، وهو أستاذ وباحث في جامعة البصرة حول هذا الموضوع، وبالرغم من مصاعب الحكومة المالية، إلى ما يلي: " وبالرغم من انتهاء الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨٨، فإن النظام العراقي السابق لم يغير أو يخفف من إصراره على الاستمرار في الاستثمارات العسكرية، كما إن شحة الموارد المالية لم تقنع الحكومة بالإبطاء في مثل هذه الاستثمارات. فدمجت مؤسسة التصنيع العسكري بوزارة الصناعة تحت كيان واحد أطلقت عليه (وزارة الصناعة والتصنيع العسكري)، مما يؤكد على الأهمية التي علقتها الحكومة السابقة عليه في فترة ما بعد الحرب لتكامل كافة المشروعات الصناعية تحت إدارة موحدة"<sup>٩</sup>. ثم يواصل ذلك فيكتب: " فبينما تمكنت الحكومة من عقد اتفاقيات جدولة الديون الخارجية مع بعض الحكومات أو مجهزي

٨ المصدر السابق نفسه. الملف العراقي.

٩ المراتي، توفيق د. الحرب وآثارها على تدهور الاقتصاد العراقي (الجريمة الاقتصادية الثانية) ١ - ٤.

جريدة المدى البغدادية العدد ١٩٣. في ٤/٩/٢٠٠٤. ص ١١.

القروض، أو نجاحها بالحصول على قروض جديدة، إلا إنها لم تبدأ بتلمس أزمة الاقتصاد العراقي، أو إن تحاول تركيز اهتمامها على المشكلات الاقتصادية القائمة. فخلال الحرب مع إيران نجح النظام السابق في بناء صناعة عسكرية، كما أصبح بعد انتهائها، ثاني أكبر بلد عربي يمتلك معدات تصنيع عسكرية بعد مصر. فتوجيه الموارد المالية بالعملة الأجنبية الصعبة للصناعات العسكرية بعد انتهاء حربٍ مدمرة وباقتصاد يطوق بالأزمات، علاوة على الإهمال الحكومي للاقتصاد المدني، التنمية، سوء الإدارة الاقتصادية، فقد سادت البلاد ظواهر الفساد والرشوة، المعاملات غير القانونية التي مورست من قبل مستويات الأجهزة الحكومية العليا.<sup>١٠</sup>

١. الاستمرار ببناء القصور الرئاسية في مختلف مناطق العراق، وكذلك المزيد من القصور الجديدة لأفراد عائلته وحاشيته، والتي كانت تصمم وتنجز وفق مواصفات بذخية عالية الجودة وبتكاليف عالية جداً وباهظة ومنهكة لخزينة الدولة.

٢. ممارسة طقوس الاحتفال السنوية بعيد ميلاده بصورة بذخية وتوزيع الهدايا والعطايا التي كانت تصرف أثمانها أو تدفع من خزينة الدولة، كما كان يستقبل الهدايا من أجهزة الدولة العراقية التي تصرف من خزينة الدولة أيضاً.

٣. الاحتفاظ بالأجهزة الأمنية والشرطة وشرطة الحدود والجيش تماماً كما كانت عليه في فترة الحرب العراقية - الإيرانية والتي كانت تكلف خزينة الدولة مبالغ طائلة لا تتناسب وقدرات العراق المالية الفعلية في فترة ما بعد الحرب، إضافة إلى الاستمرار في الاحتفاظ بجمهرة كبيرة من العملاء والجواسيس والعيون العاملة في العراق وفي الخارج لصالح النظام. وقد كانت سفارات النظام ومكاتب الخطوط الجوية العراقية وقيادات جمعيات المغتربين أو كاراتٍ لنشاط النظام التجسسي في الخارج لا على العراقيات والعراقيين حسب، بل وعلى الدول الأخرى أيضاً، ومحاولة كسب العملاء في الأجهزة الأمنية لصالح أجهزة الأمن العراقية.

---

١٠ المصدر السابق نفسه.

٤. الصرف المالي البذخي على أجهزة الإعلام المحلية والعربية والدولية التي كان طوال فترة الحرب يمولها بالمال لتواصل عملها في دعم نظامه وسياساته وحرية العدوانية والدعاية للقائد الضرورة، إضافة إلى تقديم التبرعات المستمرة للكثير من الدول والأحزاب والمنظمات السياسية والجمعيات المهنية والنقابات والشخصيات السياسية والأدبية والفنية والعامّة التي كشف النقاب عنها في أعقاب سقوط النظام والتي وجدت أحد أشكالها في منح كوبونات النفط الخام العراقي إلى هؤلاء الناس على حساب خزينة الدولة والناس الفقراء من أبناء الشعب العراقي.

٥. إن بروز ظاهرة المستبد أو الدكتاتور ليست جديدة على العراق والعالم العربي أو عموم الشرق الأوسط، فقد عرفها العالم العربي والإسلامي، كما عرفتھا الكثير من شعوب ودول العالم. وقد شهد عالم القرن العشرين هذه الظاهرة دون انقطاع وفي فترة واحدة أو فترات متباعدة، منها مثلاً راسبوتين وستولوبين وستالين في روسيا والاتحاد السوفييتي، وهتلر في ألمانيا النازية، وموسوليني في إيطاليا الفاشية، وفرانكو في إسبانيا الفاشية، وسالازار في البرتغال، وسوموزا في نيكاراغوا، و باتيستا في كوبا، و ألقذافي في ليبيا، وبينوشيت في تشيلي، وحافظ الأسد في سوريا وعبد الناصر في مصر، وعمر البشير في السودان، والخميني في إيران، والبكر و صدام حسين في العراق. والملوك في المملكة العربية السعودية وغيرهم، فهم جميعاً ينتسبون إلى ذهنية شمولية واحدة، وأن اختلفت بعض مكوناتها ومسمياتها، أو تباينت أسماءهم وقومياتهم وبلدانهم، أو اختلفت فترة ظهورهم أو فترات حكمهم أو الواجهات التي تستروا خلفها أو حجم الأفعال المشينة التي قاموا بها إزاء شعوبهم وحقوق الإنسان. ولا شك في أن هناك الكثير من مثل هذه الشخصيات التي تترأس أحزاباً سياسية يمكن أن تصبح مماثلة لها لو وصلت إلى سدة الحكم وتربعت على كرسي الحكم واحتلت عرش الدولة وارتدت التاج الملكي أو الجمهوري أو "الجملوكي" <sup>١١</sup>، كما هو حال بعض رؤساء الجمهوريات

---

١١ الجملوكي كلمة أو مصطلح جديد يربط بين النظام الجمهوري وبين نظام الوراثة الملكية، حيث ظهرت هذه الحالة لأول مرة في سوريا، حين "انتخب" بشار الأسد خليفة لوالده حافظ الأسد بعد وفاته

الذي ورثوا عرش الجمهورية لأبنائهم، كما هو حال سوريا، أو محاولات بعض الحكام الآخرين ولوج نفس الدرب الأعوج. لا تختلف ظاهرة صدام حسين عن تلك الظواهر المماثلة، إلا بكونها أكثر عنفاً ونرجسية مرضية وسادية متهيجة أبداً. فقد ترك صدام حسين وراءه في العراق جراحاً عميقة في بنية وتفكير المجتمع، وسيحتاج المجتمع العراقي إلى سنوات كثيرة وعمل دعوب مع الإنسان ذاته ليستعيد المجتمع والفرد عافيتهما وطبيعتهما الاعتيادية وعلاقاتهما الإنسانية واستعادة السلام مع نفسيهما ومع الشعوب الأخرى من جراء تلك الجراح والأنياب الفاشية التي غرست في جسد المجتمع، وما نشأ عنها من كوارث ومأس لا تزال عواقبها مستمرة حتى كتابة هذه السطور وستبقى فترة طويلة لاحقة.

ومنذ النصف الثاني من العقد الثامن وخلال فترة الحرب مع إيران وتلك التي سبقت غزو الكويت وما بعدها، ورغم الهموم الكبيرة التي كان الناس في العراق يئنون تحت وطأتها، لم يبق في قاموس المدح العربي كلمة لم تستخدم في مدح "القائد الضرورة والتاريخي والعملاق!" و"البطل المغوار!"، حتى وصل الأمر ببعض المداحين له أن وضعوا له أسماء تفوق عدد "أسماء الله الحسنى"، التي ترد في الميثولوجيا الإسلامية، إذ ركبت له أسماء جديدة لم يعرفها العرب من قبل. وقد بدأ بها جميل شلش حين كتب في فترة تسميته بالنائب قصيدة جاء فيها:<sup>١٢</sup>

وأجلّ ملحمة العقيدة والفدا

-إني أملك أن أكون معاتباً-

---

وبالطريقة المعروفة في انتخابات الدول العربية، أو ما يجري الحديث عنه في ليبيا بشأن احتمال أخذ ابن القذافي سيف الإسلام رئاسة الدولة بعد وفاة والده معمر القذافي الذي تبرع على عرش الجمهورية الليبية منذ ثورة الفاتح من أيلول/سبتمبر من عام ١٩٦٩ حيث أسقط النظام الملكي والملك إدريس السنوسي أو في مصر وفق ما يجري الحديث عنه هناك... الخ. ك. حبيب

١٢ الحجري، محمد. شعراء صدام والبعث. موقع اتجاهات ثقافية. نقلت أبيات الشعر من الموقع في

٢٠٠٧/٩/٢٩.

واجلّ ما تكنى به وأحبه

إني اسمّيك الحبيب النائبا.

ثم كانت قصيدة الشاعر شفيق الكمالي التي جاء فيها تعظيماً استثنائياً لصدّام حسين

وإنزاله منزلة الإله، إذ قال فيه في السبعينات شعراً: <sup>١٣</sup>

تبارك وجهك الوضاء فينا كوجه الله ينضح بالجلال

كان الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد أكثر الشعراء العرب والعراقيين تهافتاً على مدح

الدكتاتور صدام حسين وحرب القادسية، إذ قال فيهما في قصيدة "أي الخيارين":

"بلى يا لهيب القادسيات كلها

ويا سحبا للمجد جل انهماها

ويا جند من حتى المقادير جنده

ففي يده اقبالها وانحسارها

فإن قلت يا صدام... ناديت امه

لان المنادي زهوها وفخارها. <sup>١٤</sup>

وفي قصيدة أخرى من شعر عبد الرزاق عبد الواحد يقول فيها هذا الشاعر البأس بحق

الدكتاتور صدام حسين: <sup>١٥</sup>

سلاماً يا فتى الفتیان يا علماً بواديها

ويا صدام محنتها

ويا أزهى فوارسها

سلاماً كل اضلعنا تضمك في محانيها

١٣ أبو مطر، أحمد. محنة الفلسطينيين في العراق... إلى متى؟ في موقع ليبيا المستقبل.

١٤ الحجيري، محمد. شعراء صدام والبعث. موقع أدب وفن. وجريدة

An-nahar paper. أخذ المقطع الشعري من الموقع بتاريخ ١٦/١/٢٠٠٨.

١٥ عبود، سلام ثقافة العنف في العراق. كولون. منشورات الجمل. ٢٠٠٢. ص ٢١٦.

مهابة كل أهلها	لقد جمعت لك الدنيا
قاصيها ودانيها	وحفت ركبك الأمجاد
ونم زهواً لآتيها	فدم زهواً لحاضرنا

أما سهام الناصر فقد كتبت الكثير من القصائد بحق قائدها "المغوار" صدام حسين فيما يلي هذه بعض عناوينها كما جاءت لدى الكاتب السيد سلام عبود:

ذا عصر صدام يا أبهى العصور"، "بأعياد نصرك أعيادنا كلها تستعاد"، "وتبقى تعيش في أعماقنا"، "والعيد انك باق في العلا قمراً"، "الفارس الحلم"، "المجد مجدك يا صدام"، "يا مطلق نصرنا موكب من شمس"، "وردة القلوب"، "فضاء القلوب"، "والنصر باسمك يا صدام منتصر"، "أمير القلوب"، "بلى كفؤها صدام"، "قائد الإبداع". أما كمال الحديثي فيرسم لنا الصورة التالية: "يا سيد الدنيا"، "صدام مجد للسماء"، "تبارك مخلوق وجل خالق"، "وحببنا بالعزم منتطق تبارك من نطاق"، "سما بيرق الرحمن"، "ولأنت كل المجد"، "أنت العراق"، "ومن كصدام"، "ومن مثل صدام"، "فمن مثل صدام نغنيه حبنا؟"، "ووجه صدام وجه أمتنا"، "صدام والمجد عنوان لأمتنا"، "وحب صدام حب أمتنا"، "وموقظ أمتي صدام"، "قدر لنا حبك صدام"، "يا سلم الله أبا عدي"، "يا واهبا للعراق سؤده"، "صدام لولاك ما سما شرف"، "يا واحدا في سجاياه"، "صدام والبعث جاء على قدر"، "متوج تاج عزه عجب".<sup>١٦</sup>

أسحر هؤلاء الشعراء القائد الفلته بأوصافهم له وأسكروه فعلاً وعمقوا في داخله النرجسية المرضية التي كان يعاني منها إلى جانب ساديته المرعبة. فعمد منذ النصف الثاني من العقد الثامن من القرن العشرين إلى تسخير جمهرة كبيرة من الكتاب والشعراء وكتاب القصة والرواية والإعلاميين العراقيين والعرب والأجانب، إضافة إلى الرسامين والنحاتين وقراء الكف والسحرة والمشعوذين وجمهرة كبيرة من أصناف أخرى من

---

١٦ عبود، سلام ثقافة العنف في العراق. عبود، جيش الوشاة، شعراء السيد القائد، شعراء السيد العريف، من يصنع الديكتاتور؟ في موقع "الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب" الإلكتروني على الإنترنت. أخذ المقتطف بتاريخ ٢٠٠٨/١/١٦.

المرتزقة، لممارسة هذا النهج الرخيص المجاني للواقع في مدح وتعظيم وتبجيل صدام حسين. وخير مثال على ذلك الكتاب الذي أعده الكاتب المصري الدكتور أمير اسكندر تحت عنوان "صدام حسين مناظلاً ومفكراً وإنساناً" وصدر عن دار هاشيت في العام ١٩٨٠ باللغة الفرنسية والعربية ولغات أخرى<sup>١٧</sup>. وإذا كان أمير اسكندر قد منح مليون دولار عن

---

١٧ اسكندر، أمير د. صدام حسين مناظلاً ومفكراً وإنساناً. باريس. هاشيت. ١٩٨٠.

ملاحظة: كتب الصحفي المصري المعروف سعد هجرس على إثر وفاة أمير إسكندر مقالاً بعنوان: "تراجيديا ثلاثية المثقف والسلطة والمال كاتب كبير.. مات ثلاث مرات!" نشر على موقع الحوار المتمدن العدد ٦٦٦ بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/٨ جاء فيه: وبعد أن يرصد أمير اسكندر المشهد الفكري العربي يستنتج أننا "نحتاج إلى تأمل عميق.. إلى تأمل حر أساساً، قادر على جراءة القطع مع المعطيات الفكرية الجامدة، حتى نستوعب المتغيرات الجديدة، فيوطننا العربي، وفي العالم الكبير الواسع أيضاً.

ويطالبنا بأن "نرفع عن عيوننا الغشاوات القديمة وأن نكف عن الدوران فيالسواقي التقليدية الناضبة المياه، وأن ننظف تلافيف أذهاننا من عناكب الصيغ والمقولات التي امتصت رحيق شبابنا، وأعقمت قدرتنا على الخلق والابتكار، وأن نتذكر دائماً أنه ما من أحد يمتلك الحقيقة المطلقة وأن الكلمة الأخيرة هي تلك التي لم تقل بعد، وأن ربيع الفكر والحياة يتجدد على الدوام، بتجدد الفصول". ثم يتابع السيد هجرس فكتب تحت عنوان فرعي "صدمة صدام" ما يلي: "لكن الدكتور أمير اسكندر يفاجئنا بعد هذه المقدمة الرائعة بوضع رهاناته الفكرية والسياسية كلها على الرئيس العراقي صدام حسين (كان ذلك في ٢٦ يناير ١٩٨٠ عندما أصدر كتابه الصدمة "صدام حسين مناظلاً ومفكراً وإنساناً" عن دار النشر الفرنسية الشهيرة هاشيت). وهو كتاب صدمة بالنسبة لكل محبي وزملاء وأصدقاء أمير اسكندر لأنه مثل - فيراًينا فيذلك الحين - انقلاباً على جذوره ومنطلقاته الفكرية والسياسية وخيانة للمنهج العلمي والعقلاني الذي كان أمير اسكندر نفسه فيطليعة المدافعين عنه. فإذا به يتخلى عن هذا المنهج العلمي والعقلاني ويردد مقولات من قبيل "نجم يشرق من بيوت الطين" وأن "صدام حسين هو الذي يقود قطار الثورة فيالعراق، ويعرف بعمق طرقها ومسالكها.. وهو الذي اختاره ركاب القطار ليجلس فيقمة القيادة لعلمه ونضالته وإخلاصه، ولعلمهم انه لن يتوقف بهم فيمنتصف الطريق او يحجزهم فيأحدى محطاته" وأنه "يستطيع بجدارة أن يتصدى لكل مخاطر السبيل الوعر الذي نجتازه، ويتوجه بالمسيرة إلى آفاق الحلم الذي نريده". والخطر أن هذا الكلام - الذي يمكن للبعض أن يختلف معه وللبعض الآخر أن يتفق معه - جاء فيالوقت الذي انقلب

كتابه المشار إليه فأُن قصيدة الشاعر شفيق الكمالي لم تنقذه فيما بعد من اعتقاله واعتقال ابنه، ثم قتل الأب على أيدي جلاوزة صدام حسين بسقيه مادة الثاليوم بصورة تدريجية عبر دسها في طعامه اليومي في السجن. ولم يشفع له كونه كان من بين اقدم البعثيين ف في العراق، وكونه كان عضواً في القيادة القومية والقيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي منذ العام ١٩٦٨<sup>١٨</sup>. والحقيقة الجلية لكل من عرف صدام حسين عن قرب هي أن صدام حسين كان يفتقد كلية كل تلك السمات الثلاث التي لصقها به أمير اسكندر ظلماً وبهتاناً<sup>١٩</sup>، علماً بأن أمير إسكندر كان محسوباً على اليسار المصري قبل ذلك، ولكن الحقيقة التي يفترض أن تقال بأن عدداً كبيراً من عناصر قوى اليسار المصري قد تناغمت إلى حدود بعيدة مع صدام حسين، ولم يكن هذا التأييد له دون ثمن دفعه صدام حسين بكل ارتياح.<sup>٢٠</sup> وكان كتابه أول مبادرة على طريق إصدار المزيد من الكتب الخائبة عن صدام حسين، وقيل أن أمير إسكندر كان قد تسلم مبلغاً قدره مليون دولار

---

فيه صدام حسين على شركائه في "الجبهة" الوطنية والتنكيل بهم! ولأنه لم يكن هناك احتلال أمريكي أو غير أمريكي للعراق في ذلك الزمان فان صدور هذا الكتاب في ذلك الوقت كان من وجهة نظر الكثير منا - نحن أصدقاء وزملاء أمير اسكندر - وفاته الأولى".

١٨ قدوري، فخري د. هكذا عرفت البكر وصدام رحلة ٣٥ عاماً في حزب البعث. لندن. دار الحكمة. ط ١. ٢٠٠٦.

ملاحظة: اعتقل شفيق الكمالي في العام ١٩٧٩ ثم أطلق سراحه بعد أن تم تسميمه بالثاليوم من قبل أجهزة الأمن القمعية ببغداد فمات في العام ١٩٨٤ مسموماً في بغداد.  
راجع: سعد البزاز. الهوية والتأثر.. وقرار تأخر ستة عشر عاماً، بلاد بلا نشيد.. موقع سعد البزاز. ٢٠٠٧/٩/٢٩.

١٩ الزبيدي، إبراهيم. دولة الإذاعة. سيرة ومشاهدات عراقية. عمان. منشورات دار نارة. الطبعة الثانية.  
٢٠ قبل أق من عام واحد على رحيل الشخصية السياسية والاقتصادية اليسارية البارزة الصديق الدكتور فؤاد مرسي زرتة في شفته الواقعة في محلة العجوزة بالقاهرة. وجرى الحديث لساعات عن مشاريعه الفكرية والسياسية وعن البرنامج الذي كان قد أعدده لحزب التجمع المصر واعتبره أنه آخر وصية يتركها



أمريكي كأجر مباشر عن كتابه، إضافة إلى عطايا كثيرة أخرى ومركز متميز في بغداد. وعلينا بهذه المناسبة أن نتذكر أمراً واحداً يتعارض مع السمات التي لصقها به أمير إسكندر، هو أن صدام حسين كان قد خرج لتوه من تنفيذ مجزرة دموية بحق رفاقه في حزب البعث العربي الاشتراكي حين أعدم ٢٣ قيادياً من حزبه ومجلس قيادة الثورة والحكومة، إضافة إلى الشك الكبير الذي يلف وفاة رئيس الجمهورية السابق أحمد حسن البكر<sup>٦</sup> وشريك صدام حسين في كل الجرائم التي ارتكبت بحق الشعب العراقي بكل مكوناته حتى يوم وفاته، إذ كثيراً ما يشار إلى تصفيته من خلال دس السم له عبر المشرفين على معالجته من مرض السكر الذي كان يعاني منه، كما كان صدام حسين قد أشعل لتوه الحرب ضد إيران. كما كان صدام حسين قد أعدم قبل ذلك، أي في ربيع العام ١٩٧٨، ٣٤ مواطناً ديمقراطياً يسارياً وشيوعياً في بغداد بتهمة العمل في القوات المسلحة العراقية، وما كانوا كذلك.

وبعد صدور هذا الكتاب وكتب أخرى عن صدام حسين، قرر صدام حسين تكليف الكاتب العراقي الراحل عزيز السيد جاسم بإعداد كتاب يربط بين صدام حسين وصلح الدين الأيوبي، بعد أن كان عزيز السيد جاسم قد أصدر كتاباً تحت عنوان "علي بن أبي طالب - سلطة الحق" (مؤسسة الانتشار العربي بتاريخ ١٩٩٧. وحين رفض ذلك بطريقته الخاص، قاده ذلك في المحصلة النهائية إلى الموت في أقبية أجهزة الأمن العراقية.<sup>٢١</sup>

---

٢١ نشر الكاتب العراقي خضير اللامي مقالاً في جريدة الصباح البغدادية بتاريخ ٢٩ تموز/يوليو تحت عنوان "عزيز السيد جاسم يرفض أمراً رئاسياً بالكتابة عن صدام" جاء فيه ما يلي:  
"في احد الأيام من عام ١٩٨٩ استدعاني المدير العام الأسبق الدكتور محسن الموسوي (شقيق عزيز السيد جاسم) إلى مكتبه.. وسلمني في تلك المقابلة كتاباً صادراً عن ما يسمى بـ"ديوان الرئاسة" واخبرني بوصفي مديراً للتأليف والنشر: أرجوك أن تأخذ هذا الكتاب إلى عزيز السيد جاسم "لأنك كما تعرف علاقتي غير حسنة معه..". ورجاني أن أخذ هذا الكتاب إلى الراحل عزيز السيد جاسم وأطلعته للاستجابة إلى مضمونه الذي يتلخص بأمر رئاسي موقع من الطاغية.. إلى عزيز السيد جاسم لتأليف كتاب بعنوان "صدام حسين وصلح الدين الأيوبي" كما هو مذكور في كتاب ديوان الرئاسة. تسمرت في مكاني وشعرت بإحراج كبير عندما أوكل الدكتور محسن الموسوي لي مثل هذه المهمة التي من

الصعب تنفيذها.. لمعرفتي العميقة بطباع عزيز السيد جاسم وعناده. كما أنني اعرف مواقفه الأخيرة من السلطة التي أصبح في طلاق معها ومع مؤسساتها الثقافية الرسمية في تلك الأيام. كما أن الاعتذار أو رفض أمر رئاسي بتوقيع صدام كان غير وارد ولا يمكن التفكير فيه مطلقاً. ومما زاد حيرتي وحراجة موافقي تأكيد الموسوي بأن الرئاسة تريد جواباً والتباطؤ في ذلك يعرضنا جميعاً للمساءلة. وفي اليوم التالي لهذه المقابلة قمت بزيارة الراحل في مكتبه وكان آنذاك في عمارة فاطمة في الباب الشرقي.. استقبلني "أبو خولة" بابتسامته المعهودة وكان في حالة مرحة غير اعتيادية.. وطلب لي فنجاناً من القهوة وتحدثنا حديث المجاملة وأحاديث أخرى في الأدب والسياسة ويبدو انه شعر بإحراجي قبل أن أتحدث بالأمر الذي حضرت من اجله وتراجع إلى منضدة مكتبه قليلاً وناولني نسخة من كتاب ديوان الرئاسة وقال لي: - لهذا جئتنى هذا الصباح؟ قلت له: من أخبرك بالموضوع؟ قال - :جاءني ضابط من المخابرات وسلمني هذا الكتاب قبل أن يأمرك شقيقي بالتدخل في هذه القضية. وقال لي: - إنني أعرفك وأقدر الإحراج الذي وضعتك فيه.. فقلت له: - إذن كيف ستتصرف.. وكيف تتدبر أمر هذه القضية المحرجة لكم؟ ابتمس وأجابني: - كتبت رداً على الكتاب وطلبت فيه شروطاً تعجيزية لا اعتقد أنهم سينفذونها.. وأخبرتهم بأن تأليفي للكتاب مرهون بتنفيذ هذه الطلبات والشروط. سألته: ما هذه الطلبات؟ أجابني: - أولاً سفري لخارج العراق وإلى باريس تحديداً للتفرغ لكتابة الكتاب. - ثانياً: الذهاب إلى مكتبة الإسكندرية للتزود بالمصادر المطلوبة. - ثالثاً: توفير شروط الإقامة المريحة والسفر. - رابعاً: تغطية مالية لي ولأسرتي كما فعلوا مع الكاتب المصري أمير اسكندر الذي كتب "صدام إنساناً ومفكراً". قلت له: - وماذا إذا وافقت الرئاسة على هذه الشروط؟

أجابني مباشرة: - عندها ستكون لي الفرصة مناسبة للجوء إلى أي بلد وعدم العودة إلى العراق. انتهى اللقاء.. وأنا متوجس لما يحصل بعد ما أخبرني بشروطه التعجيزية التي أرفقها بكتاب ديوان الرئاسة..

وبعد ذلك غادرت العراق. وسمعت وأنا هناك بأن جلاوزة صدام اعتقلوا "أبو خولة" من جديد عقب الانتفاضة الشعبانية المباركة في ١٩٩١ وكان هذا هو الاعتقال الأخير.. تحدث البعض عن قيادته لإحدى المظاهرات الجماهيرية! بأن اندلاع الانتفاضة في الناصرية "مدينته الأولى" وشاهده البعض وهو يهتف بشعارات لسقوط النظام. وتحدث البعض عن تصريحات علنية بضرورة مشاركة المثقف العراقي واصطفاه مع شعبه في محنته مع الدكتاتورية.. وكان هذا الحديث في جمع من المثقفين

وتفاقت هذه الوجهة في المدح في أعقاب الحرب مع إيران بشكل خاص. وكان أبرز شعراء المدح لقادسية صدام حسين وما بعدها كل من الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد والشاعر البعثي كمال الحديثي والشاعرة سهام الناصر والشاعرين حميد سعيد وسامي مهدي وساجدة الموسوي. أورد الكاتب سلام عبود، صاحب كتاب "ثقافة العنف في العراق" ٢٢، في مقال له عن أولئك الذين يساهموا بصنع الدكتاتور بكتاباتهم وشعرهم وعن الأسماء والألقاب والصفات التي منحوها له ما يلي:

"سيد الدنيا! ولغرض تأمل ظاهرة صناعة الدكتاتور ثقافيا، بشكل حسي وعياني، سنقوم باقتطاف أجزاء صغيرة جدا، من نتاجات بعض الشعراء من أجيال مختلفة، وسنتوقف أولا عند شاعرين عراقيين خصصا بعضا من وقتهما لهذه المهمة، السامية في نظرهما. وما نعرضه هنا لا يعدو أن يكون (نتفا)، هي في الغالب مطالع أو عناوين لقصائد. والشاعران هما سهام الناصر وكمال الحديثي. لتأمل كيف ترسم سهام صورة رئيسها، أو "مستبدها البهي"، إذا أردنا أن نستخدم ثنائيات الخراب، التي شاعت في تلك الحقبة الحالية: "ذا عصر صدام يا أبهى العصور"، "بأعياد نصرنا أعيادنا كلها تستعاد"، "وتبقى تعيش في أعماقنا"، "والعيد انك باق في العلا قمرا"، "الفارس الحلم"، "المجد مجدك يا صدام"، "يا مطلق نصرنا موكب من شمس"، "وردة القلوب"، "فضاء القلوب"، "والنصر باسمك يا صدام منتصر"، "أمير القلوب"، "بلى كفؤها صدام"، "قائد الإبداع". أما كمال الحديثي فيرسم لنا الصورة التالية: "يا سيد الدنيا"، "صدام مجد للسماء"، "تبارك مخلوق وجل خالق"، "وحبيبنا بالعزم منتطق تبارك من نطاق"،

---

والأدباء من رواد شارع المتنبي في بغداد. ومهما يكن من هذه الاحتمالات فإن القطيعة بين الراحل عزيز السيد جاسم وبين السلطة البعثية المقبورة وصلت حدا من التدهور والتأزم.. بحيث أخذت تضع له الذرائع والحجج لإلقاء القبض عليه.. ومن ثم تغييبه نهائيا.. معتقدين أنهم بذلك سيوقفون هذا النهر الهادر بالأفكار والرؤى والطروحات الذي قال عنه يوما ما الدكتور غالي شكري في أطروحته "النهضة والسقوط في الفكر العربي الحديث". راجع موقع جريدة الصباح على الإنترنت بتاريخ ٢٠٠٧/٩/١٢.

٢٢ عبود، سلام. ثقافة العنف في العراق. كولون - ألمانيا. منشورات الجمل. ٢٠٠٢.

"سما يبرق الرحمن"، "وأنت كل المجد"، "أنت العراق"، "ومن كصدام"، "ومن مثل صدام"، "فمن مثل صدام نغنيه حبنا؟"، "ووجه صدام وجه أمتنا"، "صدام والمجد عنوان لأمتنا"، "وحب صدام حب أمتنا"، "وموقف أمتي صدام"، "قدر لنا حبك صدام"، "يا سلم الله أبا عدي"، "يا واهبا للعراق سؤدده"، "صدام لولاك ما سما شرف"، "يا واحدا في سجاياه"،

صدام والبعث جاء على قدر"، "متوج تاج عزه عجب"... وهذا غييض من فييض "٢٣..

أما الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد فقد كان شاعر تسويق قادسية صدام حسين وعسكرة البلاد والتبعيث وتمجيد الحرب والقائد. فقد كتب هذا الشاعر في قصيدته (أي الخيارين)

يقول: ٢٤

بلى يا لهيب القادسيات كلها  
ويا سحبا للمجد جل انهمارها  
ويا جند من حتى المقادير جنده  
ففي يده إقبالها وانحسارها  
فإن قلت يا صدام... ناديت أمه  
لان المنادي زهوها وفخارها

٦. وكان الكثير من هذه المعلومات وسلوكيات صدام حسين معروفة لغالبية الناس في العراق، وكانت تستشيط غضباً وكراهية لصدام حسين ونظامه، ويزداد الدكتاتور عزلة عنها وابتعاداً عن نبض الشارع وحاجات الناس اليومية. ورغم ذلك فالقوانين الاقتصادية والاجتماعية الموضوعية كانت تفعل فعلها بمعزل عن إرادة الناس، وسواء

---

٢٣ عبود، سلام. جيش الوشاة.. شعراء السيد القائد.. شعراء السيد العريف. الحوار المتمدن. العدد

١٧٤٥ بتاريخ ٢٥/١١/٢٠٠٦.

٢٤ الحجري، محمد. شعراء صدام والبعث. موقع اتجاهات ثقافية. نقلت أبيات الشعر من الموقع في

٢٩/٩/٢٠٠٧.

أدرك النظام ذلك أم لم يدركها. وكانت تجليات فعل القوانين تبرز بصورة غير مباشرة عبر زيادة تخبط النظام بسياسات وإجراءات سيئة لمعالجة الوضع القائم بطرق وأساليب لا تتوافق مع طبيعة فعل تلك القوانين، بل تتناقض معها وتتسبب في اختلالات أكثر حدة، مما كانت تنتج نقيض ما كان يفترض أن يكون من جهة، وتؤدي بالضرورة إلى حصول تراكمات في الأضرار التي تلحق بالناس وخاص الفقراء والمعوزين والكادحين منهم من جهة أخرى، وبالنظام الدكتاتوري التعسفي ذاته من جهة ثالثة.

٧. ومن هنا يمكن القول بأن النظام الاستبدادي لم يكن مرفوضاً من الشعب لتلك الأسباب وغيرها حسب، بل كان مكروهاً وفاقداً لكل مصداقية حتى بين الكثير من أتباعه، خاصة وأن ظروف حياة الناس ومستوى معيشتهم قد تراجع إلى ابعاد الحدود وانتشرت البطالة وسادت الروح الانتهازية وتعمقت الازدواجية في الشخصية العراقية وانتشر الخوف من انتقام النظام، كما تفاقمت الروح العدوانية لدى العاملين في أجهزة الأمن والسلطة بشكل عام، ولكن هذه الروح الانتقامية والعدوانية ظهرت لدى أوساط غير قليلة من الناس أيضاً، ولدى أولئك الذين عادوا من الحرب وعانوا من مراراتها وشاهدوا مظاهر الموت والحقد والكراهية وتعودوا على رؤية الدم يومياً أمام أنظارهم، سواء بين زملائهم، أم في صفوف الطرف الآخر. ولم يكن أمام المقاتل في جبهات القتال سوى أحد أمرين: إما أن يُقتلَ الآخر أو أن يُقتلَ منه. أي إما أن يكون قاتلاً أو مقتولاً! لقد أنتج النظام البعثي بقيادة صدام حسين عوامل كثيرة لا حصر لها شكلت أسباباً واقعية وحقيقية وراء اتساع قاعدة الكراهية له والحقد عليه والرغبة الجامحة والعادلة في الخلاص السريع من النظام ومن رأسه الموجه، أياً كان الثمن الذي يمكن أن يدفعه نتيجة ذلك، فالحياة أصبحت في حينها جحيماً لا يطاق في ظل النظام ولا يمكن أن يأتي ما هو أسوأ من نظام صدام حسين.

## المبحث الثاني

### القوى العراقية المناهضة للنظام

إن السياسات العدوانية التي مارسها صدام حسين في داخل العراق وإزاء مختلف القوميات وأتباع الأديان والمذاهب المختلفة حفزت المزيد من القوى السياسية والناس المستقلين على رفض النظام ودفعتهم إلى العمل ضده. فخلال الفترة موضوع البحث وجه النظام العراقي ضربات قاسية ومنتالية ودون انقطاع ضد قوى المعارضة السياسية التي كانت تعمل في السر أو تلك التي تحالفت معه لفترة ثم انتقلت إلى المعارضة السرية، وسواء أكانت في داخل العراق أم خارجه، إذ حتى القوى السياسية العراقية في الخارج لم تنج من ملاحقة النظام لها، إذ نظم عبر أجهزته عمليات اغتيال كثيرة ناجحة شملت شيوعيين وإسلاميين وكُرد وبعثيين ومن أتباع النظام السابق. وقد سقط لهذه القوى الكثير من المناضلين الشهداء على امتداد تلك السنوات، إضافة إلى وجود عدد كبير منهم في السجون أو أُجبروا على مغادرة العراق والعيش في المهجر أو وجودهم في مناطق مختلفة من جبال وريف كُردستان.

سنحاول في الصفحات التالية المرور المكثف على قوى المعارضة العراقية المناهضة لنظام صدام حسين، سواء أكانت في داخل العراق أم خارجه.

أ. داخل العراق:

رغم ما تعرضت له الأحزاب والقوى السياسية العراقية، فأنها حاولت أن تحافظ قدر الإمكان على بعض النواتق التنظيمية في مختلف مدن العراق وريفه. وكانت تعمل بأساليب غاية في السرية وتعتمد العلاقات الخيطية في ما بين أعضاء تلك التنظيمات. ولم تقتصر هذه التنظيمات على بغداد أو البصرة، بل في كل مدن العراق تقريباً رغم التباين في حجم الوجود أو طبيعة تلك التنظيمات أو القوى التي تمثلها. فإلى جانب التنظيمات العلمانية القليلة، ومنها الحزب الشيوعي والحزب الديمقراطي الكُردستاني والاتحاد الوطني الكُردستاني والحزب الاشتراكي الكُردستاني وتنظيمات كُردستانية أخرى وحزب البعث

(قيادة قطر العراق) المرتبط بالقيادة القومية في سوريا وقوى أخرى كردية وعربية وغيرها مستقلة، إضافة إلى بروز التنظيمات الإسلامية التي اقتصر في البداية على حزب الدعوة الإسلامية، ثم تأسس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية بقيادة الراحل السيد محمد باقر الحكيم في العراق في أوائل الثمانينات في إيران بعد أن ترك العمل في قيادة حزب الدعوة الإسلامية، وكذلك بعض العناصر القومية العربية التي كانت تتحرك على هامش من التأييد للنظام أو السكوت عن جرائمه. وكانت هناك شخصيات مستقلة مناهضة للنظام ولكنها كانت لا تتحرك سياسياً بما يمكن أن يكشف معارضتها للنظام، إذ كان الموت يتربصها في كل لحظة، تماماً كما كان يتربص للآخرين من القوى السياسية المعارضة. وكانت المساجد الشيعية والحسينيات على نحو خاص مراكز للمعارضة العراقية التي تمارسها الجماعات المرتبطة بالحوزة الدينية في النجف بشكل غير مباشر والأحزاب الإسلامية السياسية وشيوخ الدين. وقد تحملت العائلات الدينية المعروفة خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات، ومنها عائلة الراحل السيد محسن الحكيم وعائلة السيد محمد باقر الصدر على سبيل المثال لا الحصر.

#### ب. كُردستان العراق

نشأت إلى جانب التنظيمات الحزبية الموزعة في المدن، قوات البيشمركة الكردية المسلحة التي واصلت النضال من جديد بعد المؤامرة الدولية ضد الشعب الكردي في العام ١٩٧٥، ثم وجود الأنصار الشيوعيين. كانت هذه القوى تعمل تحت قيادة أحزابها السياسية في مناطق كُردستان العراق الريفية والجبلية التي يصعب على النظام الوصول إليها بسهولة أو الدخول معها بمعارك يمكن أن تحمل خسائر فادحة، وكانت تتحمل هي الأخرى بعض الخسائر، ولكنها في إطار عمليات الكر والفر التي تتميز بها جميع حورب الأنصار في العالم. وكانت هذه القوات المسلحة تابعة لأحزابها السياسية مثل الحزب الديمقراطي الكُردستاني والاتحاد الوطني الكُردستاني والحزب الشيوعي العراقي والحزب الاشتراكي الكُردستاني أو جماعات كُردستانية أخرى وقوات تابعة إلى تنظيم ديمقراطي آشوري. ثم تشكلت في منتصف الثمانينات قوات تابعة إلى المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق أطلق عليها

اسم "قوات بدر" ٢٥١ تيمناً بمعركة بدر في بداية نشوء الإسلام. وقد حصلت على دعم مالي وتدريب، إضافة إلى السلاح والعتاد والأرزاق من الحكومة الإيرانية أو بتعبير آخر من الحرس الثوري الإيراني. كما جاءت بعض العناصر البعثية التي ارتبطت بالقيادة القطرية لحزب البعث ذات العلاقة المباشرة بسوريا وأقامت فترة قصيرة في كردستان وحضر معها اللواء المتقاعد حسن النقيب، ثم عادت أدرجها معه إلى سوريا ٢٦.

#### ت. أهوار الجنوب

وكانت هناك بعض الفصائل المسلحة في منطقة الأهوار في جنوب العراق والتي كانت تمارس عمليات مناهضة للنظام العراقي، وهي التي توجه ضدها النظام بأساليب دموية شرسة، ثم قام أخيراً بتجفيف الأهوار بقطع المياه عنها وتغيير مسارها وتشريد سكانها الذين يعودون في الأصل إلى سكان العراق القدامى من السومريين والذين غالباً ما يعملون في تربية الجاموس ومنتجات الحليب وفي صيد الأسماك النهرية.

وتجدر هنا الإشارة إلى الحزب الشيوعي العراقي قد شكل مجموعات قيادية حزبية تعمل في مواقع الحركة الأنصارية، ولكنها مختصة بشئون التنظيم الحزبي في مختلف المدن العراقية، إذ كانت هناك لجان خاصة بالفرات الأوسط وأخرى بالجنوب وثالثة ببغداد أو الموصل، في حين أن القيادات الخاصة بمدن كردستان كانت موجودة داخل تلك المدن

---

٢٥ جاء في المنجد عن معركة بدر ما يلي: "قرية إلى الجنوب الغربي من المدينة، حدثت فيها الموقعة بين المسلمين، من المهاجرين والأنصار، وبين المشركين من قريش. انتصر فيها المسلمون وتوطد سلطان النبي والإسلام". راجع: المنجد في الإعلام. عاريا. لبنان. المطبعة الكاثوليكية. ط ٢٦. حزيران ١٩٨٢. ص ١٢٠.

٢٦ في أحد أيام أوائل الثمانينات طلب اللواء المتقاعد حسن النقيب من السيد مسعود البارزاني، رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني وقائد البيشمركة أن يمنحه لقب فريق باعتباره في حركة الأنصار، فاعتذر السيد مسعود البارزاني مشيراً إلى أنه لا يحمل صفة رسمية أو عسكرية بحيث يمنحه مثل هذه المرتبة العسكرية. ولكن السيد حسن النقيب لم يرتح للإجابة واعتقد بأنها محاولة تهرب من منحه تلك الرتبة. وقد أثارَت هذه الحادثة متعة كبيرة لدى الأنصار والبيشمركة وأصبحت نكتة الموسم يتناقلها المقاتلون وانتشرت كالنار في الهشيم في صفوف الحركة المسلحة. ك. حبيب



وتتعاون مع الرفاق القياديين المسؤولين عن لجنة إقليم كردستان الموجودة في مواقع حركة الأنصار في المناطق الجبلية. ورغم أن هذه التنظيمات قدمت بعض الخدمات للداخل، إلا أن وجودها في كردستان وفي المناطق الأنصارية كان يعرضها على عدة مشكلات جدية، وهي: ٢٧

١. صعوبة القيادة الميدانية للتنظيمات الحزبية في الداخل من مناطق بعيدة تحوم حولها المخاطر وتعرضها الكثير من الصعوبات.
٢. إمكانية التغلغل إلى داخل حركة الأنصار من جانب النظام العراقي ثم الوصول من خلالها إلى التنظيمات الحزبية في الجبل ومنها إلى الداخل التي يتم من خلالها تتبع واقتناص الشيوعيين.

---

٢٧ من المؤلم أن نشير هنا إلى أن الحزب الشيوعي العراقي قد تحمل خسائر كثيرة وكبيرة جراء نشاطه من خلال المواقع الأنصارية مع التنظيمات الباقية في الداخل لسببين أساسيين، وهما اعتقال بعض العناصر أثناء انتقالهم من كردستان على بغداد أو الموصل وبالتالي إسقاط بعضهم سياسياً أو قتلهم، ومن خلال المنهاريين تحت سيطر الجلادين كانت تصل إلى معرفة بعض تنظيمات الحزب التي كانت لا تضرب مباشرة بل يجري تتبع أفرادها للوصول إلى أوسع شبكة ممكنة من التنظيمات الشيوعية. والشكل الثاني كان يتم عبر دس عملاء لهم في تنظيمات الحزب أو اعتقال البعض منهم في الداخل وتحويلهم إلى جواسيس وعملاء لهم. وكان البعض يعود إلى كردستان ليواصل عمله في التجسس لصالح البعث. لم تبرهن قيادة تنظيم الداخل في كردستان على وعي وحذر جيدين وكافيين، كما لم تبرهن على امتلاكها الخبرة الضرورية في مراوغة العدو وارتكبت أخطاءً كثيرة غير رغبتها الصادقة في إرسال المزيد من المناضلين إلى الداخل لتعزيز التنظيمات وتقويتها، مما فسح في المجال إلى تحمل الحزب خسارة عدد كبير من الكوادر الشيوعية المتقدمة، سواء أكانوا من النسوة أو الرجال. لم يكن المسؤول عن التنظيمات شخصاً واحداً، بل كانت هيئة تحت إشراف باقر إبراهيم (أبو خولة) فترة، وفي فترة أخرى تحت إشراف عمر علي الشيخ (أبو فاروق) وفي فترة ثالثة تحت إشراف أبو فاروق وحמיד محيد موسى (أبو داود). وبدا الأخير عمله في هذا الصدد، كما كانت كل منطقة من المناطق تحت قيادة هيئة صغيرة يقودها أحد رفاق اللجنة المركزية وترتبط بالهيئة التي يشرف عليها أبو فاروق ويقودها أبو داود منذ العام ١٩٨٥. ك. حبيب

٣. إمكانية إلقاء القبض على الشيوعيين العابرين من مناطق كردستان إلى الداخل في مواقع السيطرة العسكرية والأمنية، وبالتالي تعريضهم للتعذيب وانتزاع المعلومات منهم أو استشهادهم تحت التعذيب، أو عدم التعرض لهم وتتبع خطاهم إلى حين الوصول إلى مواقع الاتصال وتتبع تلك الخيوط لإلقاء القبض على أكبر عدد ممكن من الشيوعيين.

٤. والعمل في المناطق الآمنة من كردستان غالباً ما يضعف اليقظة والحذر لدى العاملين أو المشرفين على تنظيمات الداخل، مما يسمح بوقوع معلومات أو وثائق في أيدي الجواسيس التي ينقلونها إلى العدو ليستفيد منها في تعقبه للشيوعيين وضربه للتنظيمات الحزبية واعتقال المزيد منهم.

ث. خارج العراق

بسبب شراسة سياسات النظام الإرهابية والقمعية ضد قوى المعارضة وضد المتحالفين معه، أجبرت جمهرة كبيرة جداً من قيادات وكواد وأعضاء ومؤيدي وأصدقاء تلك الأحزاب على مغادرة العراق والعيش في المنفى. كما أن قسماً منهم قد ترك الوسط والجنوب وبغداد أو الموصل وتوجه صوب كردستان العراق حيث نشط في حركة الأنصار والبيشمركة أو توجه منها نحو الخارج. وقد تراوح عدد المهجرين قسراً والمهاجرين لأسباب تفاقم القهر والاضطهاد والظلم السياسي والفكري والقومي والطائفي، وفيما بعد لأسباب اقتصادية واجتماعية وثقافية، بين ٣-٥ مليون إنسان من النساء والرجال والأطفال. وفي الوقت الذي أفقرت هذه الحالة قوى النضال في الداخل من الكثير من العناصر القادرة على المساهمة في النضال وذات الخبرة النضالية والمعارف الجيدة، وفرت في الوقت نفسه أمام القوى والأحزاب السياسية العراقية في الخارج إمكانية جيدة للعمل في صفوف الجالية الكبيرة التي توزعت على بلدان كثيرة في العالم، وخاصة في إيران وسوريا والأردن والدول الأوروبية وخاصة بريطانيا وفرنسا والسويد وألمانيا والنمسا وهولندا وبعض الدول الاشتراكية، ومنها الاتحاد السوفييتي وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا وهنغاريا، وكذلك في

الولايات المتحدة وكندا وأستراليا. كما أصبح الخارج معيناً جيداً، رغم تواضعه، للحصول على تبرعات من الجالية العراقية لمساندة نضال الداخل. لقد عملت القوى والأحزاب السياسية وشخصيات مستقلة دوراً مهماً في الخارج باتجاهات ثلاثة مهمة لمساندة نضال الشعب العراقي في الداخل، وهي:

\* تشديد الحملة الإعلامية السياسية لفضح طبيعة النظام العراقي وسياساته الداخلية والخارجية العدوانية والمآسي التي تسبب بها للشعب العراقي ولإيران ولكل منطقة الشرق الأوسط<sup>٢٨</sup>، وكذلك تنظيم حملة من الاتصالات السياسية العربية والإقليمية

---

٢٨ ملاحظة: حين كنت عضواً في هيئة ومجلس تحرير مجلة قضايا السلم والاشتراكية (الوقت) في براغ ممثلاً عن الحزب الشيوعي العراقي، بذلت الكثير من الجهد الضائع لنشر مقالات كتبتها أنا، باعتباري عضواً في هيئة التحرير وممثلاً للحزب الشيوعي العراقي، أو كتبها أعضاء في قيادة الحزب الشيوعي العراقي تبحث في الوضع في العراق وتدين سياساته القمعية والعسكرية. وغالباً ما كانت ترفض أو يطلب تغيير مضامينها، مما خلقت لي احتكاكاً مستمراً مع هيئة تحرير المجلة، إذ أن جميع المقالات كانت ترسل إلى موسكو وترجم إلى الروسية ثم يناقش النص الروسي وتعديلاته. لم تكن تتمتع هيئة التحرير بأي استقلالية أو حق فعلي في النشر، بل كان المشرف الفعلي ليست هيئة ومجلس التحرير بل كانت هناك هيئة رقابة مركزية خاصة مقرها في موسكو هي التي تشرف على قبول ونشر المقالات أو رفضها أو إجراء تعديلات جديّة عليها. وقد أدى هذا بي الحديث الصريح والنقد المباشر لهيئة التحرير ثم رويت لهم حكاية الصيادين اللذين خرجا للصيد فاصطادا غنيمتين، غزال وأرنب. كان الصيادان مختلفين في الحجم من حيث الطول والعرض والقوة. قال الأكثر قوة والأكثر طولاً إلى صاحبه الصياد الصغير والضعيف بنبذة قوية وبنظرة فوقية متعالية: "أسمع أخي، تريد أرنباً.. خذ أرنباً، تريد غزالاً.. خذ أرنباً، فصنتك هي الأرنب لا غير!"، رغم أن الصغير هو الذي اصطاد الغزالة والكبير اصطاد الأرنب. وهكذا كانت حصّة ممثلي الأحزاب الشيوعية في الدول النامية في هيئة التحرير الأرنب أبداً، وليس غير ذلك! ومع ذلك نجحت في حينها على نشر ثلاث أو أربع مقالات لي ومقال واحد لعزير محمد طيلة وجودي في المجلة وكانت بحدود ثلاث سنوات. وفي حينها طلب مني أحد أعضاء قيادة الحزب الشيوعي العراقي أن أخفف من نقدي لهيئة ومجلس تحرير مجلة الوقت وأن لا أشدد معهم، إذ أن ذلك ليس في مصلحتي أو مصلحة الحزب، ولكن للحقيقة لم أصغ له. وفي حادث مضحك مبكي معاً حصل مع الرفيق نعيم الأشهب، ممثل الحزب الشيوعي الفلسطيني حينذاك، حين أرسل له مقالاً ليقول رأيه فيه، فقال أن المقال لا بأس به. فقيل له إن هذا هو مقال الذي كتبتّه لنا

والدولية لنفس الغرض. وقد كانت فترة الحرب العراقية - الإيرانية صعبة للغاية في الوصول إلى الرأي العام العالمي والإعلام بسبب وقوف غالبية الدول الأوروبية والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية الأخرى<sup>٢٩</sup>، إما إلى جانب العراق في حربه

---

قبل ستة شهور، فقال لهم لا يمكن أن يكون هذا مقالي، فمقالي كان شيئاً آخر. لقد ترجم المترجمون في المجلة المقال إلى الروسية أولاً وأرسل بعدها إلى موسكو وأجريت عليه التعديلات لينسجم مع السياسة السوفييتية إزاء قضية فلسطين وإسرائيل، فلم يعد يشبه المقال الأصلي الذي كتبه نعيم الأشهب بأي حال، ونشر المقال كما جاء من موسكو وتحت اسم نعيم الأشهب دون أن يستطيع تغيير الأمر. ك. حبيب

٢٩ ملاحظة: في ربيع العام ١٩٨٧ كنت مع "الرفيقيين عزيز محمد وكريم أحمد الداود" في زيارة رسمية إلى عدد من البلدان الاشتراكية لبحث أوضاع العراق والحرب العراقية الإيرانية وأوضاع المعارضة العراقية وسبل الدعم السياسي الضرورية لقوى المعارضة المناهضة للحرب والدكتاتورية في العراق. وضمن برنامج السفارة كانت فقرة زيارة معمل أرنست تيلمان في ميونيخ ماغديبورغ بألمانيا الديمقراطية. نظمت الهيئة الحزبية واللجنة النقابية وإدارة المعمل لقاءً لنا للاستماع إلى منجزات المعمل... بعدها طلبت الكلام وسألت عن مدى معرفتهم بما يجري في العراق؟ فأجاب المسئول الحزبي بما يلي: إن حزبنا وبلادنا تقيم أحسن العلاقات مع العراق ومع الرئيس العراقي المحبوب من شعبه ومنا صدام حسين. ونحن نمتلك علاقات طيبة ومنتطورة مع الدولة والحكومة العراقية. وأراد الإفاضة حول التعاون الاقتصادي والسياسي مع العراق، فقاطعته وسألته: هل النظام العراقي يمارس سياسة قمعية ضد المجتمع وأن هناك كثرة من الناس من مختلف الاتجاهات الفكرية والسياسية في المعتقل وأن القتل يجري على قدم وساق، إضافة إلى الحرب التي أشعلها النظام ضد إيران؟ فأجاب مستغرباً، بأنه لا يعرف بذلك وان حزبه لم يتحدث أو ينشر معلومات بهذا الصدد. شرحنا لهم بعض الشيء ما يجري في العراق. بعدها التقينا بعضو المكتب السياسي للحزب الاشتراكي الألماني الموحد والمسئول الحزبي لمدينة ماغديبورغ، فيرنر أيبلاين، ووجهت له وللمنظمة الحزبية نقداً لهذه السياسة، فأشار بوضوح إلى أن هذه القضية ترتبط بقيادة الحزب. وفي لقاء تم في اليوم الثاني في برلين مع عضو المكتب السياسي مسئول العلاقات الخارجية في الحزب، هيرمان أكسن، وبحضور عدد من العاملين في أقسام الخاص المسئول عن العلاقة مع الأحزاب الشيوعية في الشرق الأوسط، ومنها الدول العربية والعراق، منهم الدكتور بيتر رابنهورست والدكتور بيتر باتكه والدكتور فرتس بالكه، وطرحت عليه ما جرى في معمل أرنست تيلمان في ماغديبورغ وسألته: من المسئول عن مثل هذا

ضد إيران. وإما اتخاذها موقف الحياد إزاء الحرب بين الدولتين. إلا أن هذا الموقف قد تخلخل نسبياً بعد إيقاف القتال وتعرض النظام العراقي إلى نكسة متفاقمة في علاقاته مع الدول الغربية، ولم تتحسن كثيراً مع دول المعسكر الاشتراكي.

\* لقد كان لوجود عدد كبير من المثقفات والمثقفين العراقيين في الخارج دوره البارز في تنشيط الحملة الفكرية والفنية، من شعر ورسم وقصة ورواية ومسرحية وأغنية ولحن ونشاط علمي لفضح النظام وأساليبه والعواقب الوخيمة لاستمراره في السلطة.

\* تعزيز علاقات قوى المعارضة العراقية بالجاليات العراقية، رغم واقع أن استمرار وجود النظام في السلطة وعدم وجود نجاحات ملموسة لقوى المعارضة العراقية قد ولد إحباطاً ملموساً وتراجعاً غير قليل في استعداد الناس المهجرين والمهاجرين على العمل السياسي أو حتى المشاركة بجملة من الفعاليات. إلا أن هذا لم يكن شاملاً بل أمكن تحريك بعض الأوساط للمشاركة في مختلف النشاطات الاحتجاجية ضد النظام. ولا شك في أن خشية جمهرة من العراقيات والعراقيين على عائلاتهم في الداخل من عمليات انتقام النظام منهم، كانت تحد من مشاركة البعض الكثير في تلك الفعاليات. وتمكنت بعض القوى السياسية الناشطة في الخارج أن تكسب إلى جانبها جمهرة كبيرة من المناضلات والمناضلين الذين ابداوا استعدادهم للنضال في حركة الأنصار المسلحة، سواء أكانوا أعضاء وأصدقاء الحزب الشيوعي أم الأحزاب الكردية. وكان أغلب الشيوعيين الأنصار هم من المثقفين أو من حملة الشهادات العالية القادمين من دول شرقية وغربية كثيرة درسوا فيها وتخرجوا من جامعاتها أو أقاموا فيها كلاجئين

---

التثقيف الخاطيء لمسؤولين حزبيين ونقابيين في المعمل وفي مناطق أخرى من ألمانيا؟ فبدا عليه عدم الارتياح من السؤال، ولكنه قال بأنهم يصدرون نشرات خاصة داخلية حول الوضع في العراق والتي لا يقرأها سوى هم أنفسهم ليظهرها عند الحاجة ويقولوا نحن نتضامن معكم ! عزيز محمد وكريم أحمد والألمان شهود على ذلك وهم أحياء يرزقون، أرجو للأحياء منهم جميعاً طول العمر، أما السيد هيرمان أكسن والسيد فيرنر ابيلين، فقد توفيا منذ سنوات بعد انهيار ألمانيا الديمقراطية وتحقيق الوحدة مع ألمانيا الاتحادية. ك. حبيب

سياسيين. كما كان بينهم جمهرة غير قليلة من المناضلات الشيوعيات اللواتي تحملن بصبر وحيوية ونكران ذات مشقات وتعقيدات النضال المسلح وفي مناطق ريفية في كردستان. ولم تسع الأحزاب الكردية في كردستان العراق إلى كسب النساء للحركة الأنصارية كما فعل الحزب الشيوعي، وبالتالي فقد تفرد في هذا العمل، وكان له تأثيره الإيجابي على المرأة ذاتها وعلى مكانتها ودورها في الحركة السياسية العراقية. وسقط عدد غير قليل منهن في المعارك ضد النظام أم في المعارك السياسية البينية، أي بين أطراف الحركة المسلحة العراقية، وخاصة بين الحزب الشيوعي والحزب الديمقراطي الكردستاني من جهة، والاتحاد الوطني الكردستاني من جهة أخرى في العام ١٩٨٣ وفي معارك بشت أشان الأولى والثانية.

### المبحث الثالث

#### موقف الدول العربية والإقليمية والدولية من النظام العراقي

في أعقاب توقف القتال بين النظام العراقي والنظام الإيراني تبلورت على الصعيد العربية والإقليمية والدولية حساسية متنامية من سياسات النظام العراقي على جميع المستويات وبالنسبة إلى مختلف القضايا. وبدأ المجتمع الدولي، الذي سكت على، بل وساند، النظام العراقي في حربه ضد إيران، يتحرك باتجاه التعرف على نهج صدام حسين واتجاه تطور سياساته الداخلية والخارجية. فالعالم لم يكن بعيداً عن ممارسات صدام حسين السياسية الداخلية والعربية والإقليمية، وكذلك العسكرية على نحو خاص. فقد برزت أمام العالم الحقائق التالية:

١. وجود عدد غفير من القوات المسلحة العراقية التي خرجت لتوها من حرب دامية ومدمرة، وهي لا تزال تحمل السلاح ومدربة تدريباً جيداً ولها تجربة كبيرة، إذ خاضت حرباً دامت قرابة ثمانية أعوام، وهي لا تزال تمتلك ترسانة كبيرة من الأسلحة والعتاد الحديث، كما تنفق الدولة المزيد من الأموال على اقتناء الجديد منها وزيادة إنتاج مصانعها العسكرية من السلاح محلياً. وقد أصبح الجيش العراقي يعد واحداً من أكبر

جيوش ومن أكثرها تسليحاً واستعداداً لخوض الحروب المنطقة (خامس جيش في العالم من حيث التعداد). فالمعلومات المتوفرة تشير حتى العام ١٩٩٠ إلى الحقائق التالية:

"وصلت ميزانية الدفاع السنوية ١٢,٩ مليار دولار أمريكي عام ١٩٩٠م، وأصبح متوسط ما ينفقه العراق على التسليح ٧٢٠ دولار أمريكي لكل فرد في القوة المسلحة من إجمالي نصيب الفرد من الناتج القومي الذي وصل متوسطه إلى ١٩٤٠ دولاراً للفرد الواحد سنوياً.

أدى هذا الإنفاق إلى أن وصل حجم القوة المسلحة العراقية بعد تعويض خسائر ثماني سنوات من الحرب مع إيران إلى الآتي:

- قوات برية ٩٥٥ ألف مقاتل، منهم ٤٨٠ ألف من الاحتياط.
- نظمت هذه القوات من خلال ٧ - ٨ فيالق بها حوالي ٦٠ إلى ٦٦ فرقة " منها: ٧ فرق مدرعة ميكانيكية، ٨ فرق حرس جمهوري، ٤٠ فرقة مشاة، ٢٠ لواء قوات خاصة وصاعقة.

تمتلك:

- حوالي ٦٧٠٠ دبابة من أنواع متعددة.
- من ٣٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ قطعة مدفعية.
- ٥٠٠ قطعة مدفعية ذاتية الحركة.
- ٢٠٠ قاذف صاروخي متعدد الأدلة.
- ١٨٠ صاروخ مختلف الأنواع.
- ١٥٠٠٠ قطعة صواريخ مضادة للطائرات.
- حوالي ٧٠٠ - ٧٧٠ مقاتلة وقاذفة، ١٠٠٠ طائرة نقل وهليكوبتر وإنذار مبكر.

التصنيع الحربي العراقي: نجح العراق في إقامة صناعات حربية متطورة قبل غزوه لدولة الكويت امتدت لصناعة الصواريخ بالأنواع والمنظومات المتعددة وذلك من خلال الاعتماد على الكثير من الخبرات الأجنبية المدربة على تشغيل خطوط الإنتاج

لهذه الصناعة، إضافة إلى خط إنتاج للمقذوفات المضادة للدبابات الفردية وذلك منذ عام ١٩٧٥م، كما ركز العراق على إنتاج الصواريخ بعيدة المدى مثل الصاروخ الحسين ومداه (٦٥٠) كيلومتراً والصاروخ العباس ومداه (٩٠٠) كيلومتراً<sup>٣٠</sup>.

أما الجيش الشعبي الذي فقد قدر عدد أفرادهِ بحدود نصف مليون إنسان. وقد وُلدَ هذا الجيش الجرار خوفاً لدى الجيران من جانب، ولكنه وُلدَ من جانب آخر غروراً لدى قائد هذا الجيش ورغبة جامحة قاتلة في الاستفادة منه والحصول على منافع من خلاله، إضافة إلى صعوبة الاحتفاظ به هادئاً ودون مهمات مباشرة، إذ يمكن أن تتولد في صفوفه رغبات الخلاص من رأس النظام من قبل بعض الضباط الذين يجدون في أنفسهم ما هو أفضل من صدام حسين لقيادة البلاد من جانب ثالث. ولم يكن هذا الهاجس بعيداً عن الواقع، إذ غالباً ما برزت محاولات جادة لدى حزبيين بعثيين في الجيش وفي التنظيم الحزبي أو من خارجه، للانقضاض على النظام. وقد كان الكشف عنها تقود إلى تصفية مباشرة وسريعة ودون رحمة للمشتبه بهم أيّاً كانت نسبة صحة أو دقة تلك المعلومات المنقولة أو الشبهات المثارة.

٢. برزت خشية كبيرة لدى دول الجوار العراقي العربية، وخاصة دول الخليج، من احتمال استمرار وتفاقم النزعة العسكرية والعدوانية لدى صدام حسين إزاء بلدانهم، إذ كانت الصحافة العراقية وتلك الصحافة المؤيدة للنظام العراقي في الدول العربية تتحدث كثيراً عن تضحيات النظام العراقي الكبيرة خلال الأعوام الثمانية المنصرمة في سبيل "الدفاع عن مصالح الأمة العربية وعن بوابتها الشرقية" ضد العدو الفارسي الذي يهدد الدول العربية والأمة العربية كلها وجاء يطرق أبوابها ويسعى إلى تصدير "الثورة الإسلامية الخمينية" إليها، وأن على حكام الدول العربية والأمة العربية أن تقابل هذه التضحيات الجسيمة بما يستحقه النظام العراقي وما يستحقه "قائد الأمة العربية

---

٣٠ حسين، زكريا. لواء أ. ح. د. "إلغاء القوات المسلحة العراقية وتساعد المقاومة ضد سلطة الاحتلال الأنجلو/أمريكي" المدير الأسبق لأكاديمية ناصر العسكرية العليا، مستشار رئيس الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا. موقع البيان الإلكتروني.



التاريخي" و"القائد الضرورة" صدام حسين من تكريم وتبجيل واعتراف بدوره وبقيادته للأمة وبيانتصاره على "الفرس المجوس"! ". ولم يكن هذا الإعلام عفويًا أو تلقائيًا، بل كان منظماً وموجهاً من صدام حسين ذاته، إذ كان "القائد المغوار" يعقد اجتماعات أسبوعية ثابتة لمسؤولي الإعلام، حيث يقدم لهم فيها توجيهاته بما يفترض أن يكون عليه النشر خلال الأسبوع، وما هي القضايا التي يستوجب التركيز عليها في الإعلام. وقد احتلت صورته وتصريحاته وزياراته وخطبه النسبة الأكبر من أوقات البث الإذاعي والتلفزيوني ومن نشرات الأخبار ومن صفحات الصحف، حتى أصبح صدام حسين مؤرخاً ومؤلفاً وكاتب روايات... الخ! لقد كانت الأموال و"عطايا" الرئيس وتبرعاته، رغم ظروف العراق المالية الصعبة، تتدفق بلا حساب على الشعراء والأدباء والكتاب والصحفيين العراقيين والعرب والأجانب المرتزقة والموالين للنظام لكي يواصلوا دعايتهم لشخصه وقيادته ونظامه وعهده وحروبه في آن.<sup>٣١</sup>

٣. وخلال فترة حكم البعث في العراق حتى بدء غزو الكويت كان العراق يمارس سياسة التدخل في شؤون الدول الأعضاء في الجامعة العربية من خلال تنظيمات حزب البعث على المستوى القومي وسفاراته في تلك الدول، ومنها دول مثل موريتانيا والصومال والجزائر ودول المشرق العربي، والتي هددت في بعض الأحيان احتمال وقوع انقلابات

---

٣١ تداول الناس في العراق في فترة الحرب مع إيران وما بعدها نكتة شهيرة تتحدث عن حجم ظهور صدام حسين على شاشة التلفزيون العراقي وتقول: ذهب رجل يحمل جهاز التلفزيون إلى محل لتصليح أجهزة التلفزة. وسأله متى يأتي لأخذه. قال له الرجل بعد نصف ساعة. عاد الرجل لتسلم جهازه. جلب صاحب المحل جهاز التلفزيون وقال له أتممت التصليح، وطلب منه ديناراً واحداً. استغرب الرجل من قلة المبلغ. عندما أدار صاحب المحل شاشة جهاز التلفزيون صوب الزبون، وجد الزبون أن صورة ورقية لصدام حسين قد لصقت على الشاشة. فقال لصاحب محل التصليح: ما هذا؟ فأجابه صاحب المحل: أنت وعائلتك ترون هذه الصورة يومياً، في الصباح وفي المساء، ولا أظن أنك تحتاجون أن تتعبوا أنفسكم بالتفتيش عن برامج أخرى فلن تجدوا غير صورة "القائد الضرورة"! ك.

عسكرية لصالح حزب البعث أو بتشجيع مباشر منه. وبالتالي اعتبر هذا تهديداً لتك  
الدول ونظمها السياسية ومصالحها.

٤. خشية إسرائيل من عدوانية نظام صدام حسين، خاصة وأن إعلامه قد توجه لتشديد  
الكراهية ضد إسرائيل ورفع من حساسية وأمل الكثير من الفئات الاجتماعية في  
المجتمعات العربية ومن تصوراتها وأوهامها بقدرة النظام العراقي على مواجهة وتدمير  
إسرائيل وتحرير فلسطين كلية ورمي إسرائيل في البحر. وقد عملت القوى القومية  
الشوفينية وبعض قوى الإسلام السياسي العربية على تعميق هذه الرؤية والوجهة في  
إعلامها ودعايتها اليومية لصالح النظام العراقي ولصالح تشجيع تسلحه وتطوير جيشه  
ورفع قدراته القتالية، إذ تم اعتبار ذلك من مناقب النظام وناجئة عن حرصه على  
القومية العربية وعلى منعها وقوتها وتعظيم قدراتها!

٥. أما على الصعيد الدولي فقد أثار هذا الواقع مشاعر إضافية مناهضة للنظام العراقي  
على الصعيد الدولي وخشيتها منه باتجاهات ثلاثة:

أ. تفاقم الخشية على إسرائيل من جانب الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى  
وفرنسا والكثير من دول الاتحاد الأوروبي الأخرى، إذ كانت تهديدات النظام شرسة  
ومتواصلة وبعنجهية غير معهودة وبعيدة عن الواقعية، ولكنها كانت تذكر العالم  
بالطبيعة العدوانية والعنصرية للنظام من جهة، ومحاولاته استدرج عواطف البسطاء  
والسذج من الناس في الادعاء بالعداء للإمبريالية والصهيونية.

ب. الخشية من قيام النظام العراقي بالاعتداء على دول الخليج العربي والسعودية وما  
يرتبط بذلك من عواقب وخيمة على مصالح تلك الدول في المنطقة بأسرها.

ج. الخشية من نشوء تعقيدات في المنطقة تساهم في إعاقة تدفق النفط الخام عبر الخليج  
العربي إلى العالم.

ولا شك في أن الحكومة الإسرائيلية كانت تقدم للنظام العراقي، بسياساتها العدوانية ضد  
الشعب الفلسطيني واستمرار احتلالها للأراضي العربية في مرتفعات الجولان السورية ومزارع  
شعبا للبنانية، إضافة إلى غزة والضفة الغربية والقدس الشرقية، الزاد المناسب والكافي

لذلك الإعلام أصدامي. وقد أثارت سياسات وإعلام النظام المزيد من المشاعر المناهضة للنظام العراقي لدى الأوساط الدولية وخشيتها منه على الصعيدين الإقليمي والدولي، وبشكل خاص لدى تلك الدول التي وقفت باستمرار إلى جانب إسرائيل، وفي مقدمتها الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا وبقية دول الاتحاد الأوروبي حينذاك.

إن الاحتفاظ بجيش جرار وتأمين التزود المتواصل بالأسلحة من السوق السوداء الدولية أو السوق الرسمية للدول المختلفة من جهة، والواقع الاقتصادي المتردي والمعقد في أعقاب الحرب، وتزايد الحاجة إلى إشباع السوق المحلية بالسلع الضرورية للاستهلاك المحلي بسبب تدهور شديد في الإنتاج المحلي الزراعي والصناعي من جهة ثانية، وضرورات إعادة إعمار ما دمرته الحرب وتوفير فرص العمل للعدد الكبير من الأيدي العاطلة عن العمل من جهة ثالثة، ومواجهة التعقيدات الأمنية الجديدة التي وفرت التربة الخصبة لتحقيق التشابك بين عصابات الجريمة المنظمة مع قوى الشرطة (النجدة) وبعض أجهزة الأمن وبعض مواقع الحكم من جهة رابعة، وحقيقة عجز الموارد المالية المتوفرة والمتأتية من تصدير النفط الخام عن تأمين مستلزمات استمرار صدام حسين في السلطة من جهة خامسة، إضافة إلى العزلة العربية والإقليمية والدولية الخانقة التي كانت تحيط به، كل هذه العوامل وغيرها قد دفعت برأس النظام إلى التحري عن سبل للخروج من الأزمة المستفحلة وفك العزلة عن نظامه. وإذا كان النظام العراقي في هذه الفترة يفكر في سبل الخروج من أزمته وحماية نظامه، فإن قوى أخرى عربية وإقليمية ودولية كانت تفكر في الوقت نفسه في كيفية الخلاص من سياسات صدام حسين، ولكن ليس بالضرورة من نظام صدام حسين أو من شخص الدكتاتور، رغم أن هذه الوجهة في التفكير كانت غير موحدة بين الدول وغير منسقة أو ناشئة عن تعاون مشترك في ما بينها. أما قوى المعارضة العراقية فكانت تعمل من أجل الخلاص من صدام حسين، وأن اختلفت في ما تريد إقامته من نظام على أنقاض النظام أصدامي.

## الفصل الثاني النظام العراقي عشية غزو الكويت

### المبحث الأول

#### التحضير السياسي والعسكري للغزو

عند دراسة جريمة غزو الكويت من جانب النظام العراقي بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي وأمينه العام، صدام حسين، وحين نتحدث عن الوضع في ظل هذا النظام الدكتاتوري، لا بد لنا من الإشارة إلى عدد من الأمور المهمة التي تشير مدلولاتها، إضافة إلى ما ذكر سابقاً، إلى الأسباب الفعلية وراء وقوع هذا الغزو الذي يعود إلى زمن الجاهلية الأولى، أو في فترات الاعتداء على مناطق وشعوب أخرى تحت ذريعة الفتح الإسلامي أو الاجتياحات الاستعمارية في القرنين التاسع عشر والعشرين وكذلك الحرب الفاشية الحديثة التي عرفها العالم في الربع الثاني من القرن العشرين، ومنها بشكل خاص الحرب الأهلية في أسبانيا والحرب الألمانية الهتلرية<sup>٣٢</sup>.

---

٣٢ وجهت للسيد سعدي بيبة، عضو المكتب السياسي للاتحاد الوطني الكردستاني، بعض الأسئلة حول أسباب حرب النظام العراقي ضد الكويت فكتب يقول: " سعدي بيبة: عندما توقفت الحرب العراقية الإيرانية، خرج النظام ألد صدامي بجيش جرار من القوة العسكرية المسنودة بقوة قتالية عالية وبأليات مدرعة ودبابات وطائرات، جيش امتلك من أسباب القوة لم تكن لدول المنطقة نظير له، لكن هذا الجيش مع توقف الحرب وبروز النتائج المدمرة للحرب على الواقع العراقي أصبح عبئاً كبيراً على الدولة وعلى اقتصادها المستنزف بالحرب طيلة ثمانية سنوات من حالة تدمير شبه شاملة لمفاصل الإنتاج الاقتصادي وتحول الإنتاج إلى معامل عسكرية لضخ الجيش بأسباب القوة والعتاد، وأبرز قول يمكن الاستدلال إليها لظهور القوة العسكرية العراقية كقوة مؤثرة، هو قول الإمام الخميني بأنه تجرع كأس السم عندما وافق على وقف الحرب، لان صدام كان مسنوداً من قوى دولية وقوى إقليمية، وهذا

اعتمدت قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي على الدوام منذ تأسيس الحزب في سوريا في العام ١٩٤٧ التثقيف الفكري والسياسي بقضية مركزية أساسية هي الوحدة العربية

الخروج القوي لصدام بشكل منتصر، ودخول النظام في أعباء المشاكل والأزمات الاقتصادية الشديدة لمرحلة ما بعد الحرب، جعل من صدام أن يفكر بطريقة عدوانية متسمة بالغرور المفرط والتباهي بالقوة، وأن تسيطر عليه الخصلة العدوانية من جديد، ففكر في غزو الكويت هروبا من أزماته واعتقادا منه بمكافئته لخوضه حربا ضروسا نيابة عن بعض الدول الإقليمية، ولكن كل هذه الحسابات كانت خاطئة، لأنه ارتكب عملية ابتلاع فريدة من نوعها لدولة عربية شقيقة مجاورة للعراق، وهو ما حصل من غزو وعدوان على دولة الكويت في الثاني من آب سنة ١٩٩٠، وهو بذلك وجه صفعه قوية للبنيان الأخلاقي للعرب وسجل بادرة عدوانية فريدة في المنطقة ساعدت على حدوث المزيد من الشروخ والتفرقة والانشقاق في الصف العربي.

هل كانت هناك أسباب خفية لفكرة غزو دولة وشعب له وجود واعتراف دولي؟

سعدى بيرة: لا شك أن أسبابا دولية غير مباشرة متعلقة بنتائج الحرب الإيرانية، وأسباب متعلقة بدور إيران في المنطقة ومحاولتها في تصدير الثورة إلى المنطقة وإلى الخليج، وأسباب اقتصادية دولية متعلقة بتأمين الأسواق للدول الصناعية الكبرى وتأمين المصادر الحيوية من النفط لإدامة اقتصادياتها، وحجم التبادلات التجارية بين أمريكا والدول الأوروبية والمنطقة، ومسألة التنظيم التجارة العالمية وتشكيل القوى الاقتصادية الإقليمية، والمحاولات الخفية لبعض الدول من أصحاب المصالح الدولية بعدم تحول منطقة الخليج إلى قوة اقتصادية كبيرة وإحداث تنمية هائلة في بنيتها الزراعية والصناعية نتيجة لامتلاكها لثروة نفطية وموارد مالية هائلة، ودخول الرأسمال الخليجي إلى مشاريع وصناعات والمؤسسات المالية والتجارية للدول الأوروبية، وظهور صناعات عملاقة في الخليج وإيران في مجال البتروكيماويات والصناعات الثقيلة، ومخاوف الاقتصاد الأوربي من ظهور أزمات ومشاكل متعلقة بفرص العمل والبطالة والخوف من عدم تكرار أزمة تغيير النسيج الاجتماعي للحرب العالمية الثانية بفعل البطالة، ومحاوله استنزاف الموارد المالية لمنطقة الخليج من قبل جهات دولية مخفية، وخروج صدام من الحرب بفعل المساندة الدولية الشرقية والغربية بقوة عسكرية هائلة، وحالة تجمع قوى هاتين القطبين لمساندة دولة واحدة في حرب طويلة الأمد نادرة، وتصور صدام بأن هذه المساندة الدولية دائمية، وقدرة وسيطرة صدام على شارع الرأي العربي خاصة الفلسطيني وتبنيها لشعارات غير واقعية معادية للغرب، كل هذه الأسباب تقف وراء العقلية العدوانية لصدام حسين للاعتداء على شعب مسالم محب للسلام ومحو دولته من الوجود خلال أيام قليلة لم تتعدى الأسبوع . (راجع: موقع الحكومة الكردية في إقليم كردستان في ٢٢/٢٠٠٦م).

واستخدام جميع الأساليب والأدوات والطرق المشروعة وغير المشروعة لتحقيق هذا الهدف، معتبرة أن فكر حزب البعث القومي يشكل الـراية الوحيدة التي كتب عليها "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة" والتي يفترض أن يلتزم بهذا الفكر كل فرد في العالم العربي و بغض النظر عن رأي الإنسان العربي بذلك الفكر، كما أنه الخيمة الفكرية القومية الوحيدة التي تجتمع الناس فيها وتصطف تحت شعاراتها (شعب واحد، وطن واحد، جيش واحد)، والتي يفترض أن تسود العالم العربي و بغض النظر عن رأي الناس بذلك، "فكلهم بعثيون وأن لم ينتموا!"، كما عبر عن ذلك صدام حسين صراحة في السبعينات من القرن العشرين. وأكد تثقيف القيادة البعثية بأن تحقيق مثل هذا الهدف الكبير يستوجب امتلاك حزب البعث قاعدة انطلاق قوية ذات قدرة مالية وسكانية عالية يمكنها توفير مستلزمات تحقيق هذا الهدف، إضافة إلى ضرورة وجود "الحزب القائد والشخصية القائدة والرائدة والتاريخية" التي ترقى إلى مستوى الضرورة والتي يكون في مقدورها تحقيق حلم وأمل الأمة العربية في الوحدة!

لم تكن قيادة حزب البعث جاهلةً للصعوبات التي تعترض طريق الوحدة، ولم تكن بالضرورة مقتنعةً بضرورة تحقيقها أو قدرتها على تحقيق الوحدة العربية، ولكنها كانت ترى فيها شعاراً تعبويّاً للناس يمتلك زخماً عاطفياً لدى العرب الذي يعانون من التخلف والأمية والجهل والبطالة والفقر وهم يعيشون في منطقة مليئة بالخيرات. فشعار الوحدة كان محركاً ومعيباً سياسياً قبل أن يكون شعاراً واقعياً للتحقيق في ظروف الدول العربية. وينطبق هذا الأمر أيضاً على الموقف من الاشتراكية التي لا يمكن تصور تحقيقها في ظروف الدول العربية السابقة أو الراهنة، بل هو شعار تعبوي للجماهير الكادحة والفقيرة والمستغلة والمحرومة من خيرات البلاد. ومن هنا أيضاً لم ترفع القيادة البعثية المؤسسة شعار الوحدة وحده، بل ربطته بشعارين آخرين هما الحرية والاشتراكية، وبالتالي منحت نفسها مسؤولية ومهمة منافسة الشيوعيين الذين طرحوا شعار الاشتراكية، والبراليين الذين طرحوا شعار الحرية، وبالتالي وجدت هذه القيادة نفسها في موقع، كما تصورت، يؤهلها لأن تكون بديلاً عن الجميع وتحل محل الجميع. ولهذا لم يكن شعار "كلهم بعثيون وأن لم ينتموا"، كان

ينطلق من محاولة الحلول محل كل الأحزاب والقوى والاتجاهات الفكرية والسياسية، والتخلص بمختلف السبل من تلك القوى المنافسة والبديلة. ومن هنا يتبين أن الوحدة العربية كانت هي الرهان الأساسي لقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق. والمعركة ضد إيران كانت البداية لتحقيق هذا الحلم في أوام صدام حسين والتي نقلها إلى أوساط غير قليلة من بنات وأبناء الأمة العربية!

كما أن قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي كانت تؤمن بالعنف والحركات الانقلابية لتغيير الأوضاع السائدة في الدول العربية وباستخدام الجيش للوصول إلى الحكم، حين تعجز عن الوصول إليه بالطرق الأخرى، بل كانت تعتبر الانقلاب هو الطريق الثور الذي يعبئ الناس حول الحزب للوصول إلى الأهداف المرجوة. وبالتالي فإن القبول بتنفيذ انقلاب على القوى القومية التي كانت على رأس الحكم في العراق واختطاف السلطة منها، يسمح لها بتنفيذ انقلاب عسكري آخر في الكويت من خلال الجيش العراقي، فالعرب هم شعب واحد ووطن واحد وجيش واحد، وبالتالي فغزو الكويت في عرف البعثيين الحاكمين حينذاك اعتبر الطريق الصائب صوب تصحيح الأمور في هذا البلد الغني والسير قدماً نحو الأمام. وبهذا المعنى فإن فكر البعث والفكر القومي عموماً لا يرفض الانقلاب والغزو الحرب للوصول إلى السلطة لا في بلد واحد بل وفي بقية البلدان العربية، والحدود لا تبرر تحقيق الهدف ما دامت الإمكانيات متوفرة لتحقيق خطوة جديدة على طريق الوحدة العربية! والفكر القومي بقدر ما هو متشدد، متقوّل ومتييس ومتخلف في آن واحد، فهو في الوقت نفسه براغماتي تبريري وإقصائي للأخر. ومن هنا جاء موقف عدم الرفض أو الاحتجاج أو الإدانة من جانب القوى البعثية والقومية المماثلة لحزب البعث في العراق نهج الحرب والعدوان الذي مارسه صدام حسين و أمين القيادة القومية والقومية لحزب البعث ضد الكويت بهدف إلحاقها بالعراق، بل رحبت به وهللت له وأبدت استعدادها للدفاع عنه.

حين خرج صدام حسين من الحرب العراقية - الإيرانية "لا غالباً ولا مغلوباً"، كما عبر عنه الإعلام الدولي، نظم الدكتاتور حركة واسعة في العراق والدول العربية للاحتفال الواسع بـ "النصر المبين على القوم الظالمين والمجوس الكافرين!" ولم تكن سوى احتفالات

تهريجية في وسط الكوارث والمآسي والأحزان التي كانت تلف الشعب العراقي وكل بيت فيه. كما بدأت إيران هي الأخرى بالاحتفال بالنصر على الكفرة والشيطان الأصغر "صدام حسين"، رغم دعم الشيطان الكبير (أمريكا) له. ولكن من كان الخاسر الفعلي في هذه الحرب الطويلة الأمد؟ لم يكن الخاسر الفعل غير الشعبين العراقي والإيراني من تلك الحرب المجنونة والاستنزافية، حيث كلفت الشعبين أعداداً هائلة من القتلى والجرحى والمعوقين، إضافة إلى الخسائر المالية الهائلة. لقد كان صدام حسين معتاداً على تحويل كل خسارة إلى ربح، وكل انكسار إلى انتصار له ولنظامه الدكتاتوري. فقد اعتقد الدكتاتور بأنه المنتصر في تلك الحرب، وأنه بهذا النصر قد وضع حداً لعدو فارسي مجوسي شعوبي وكافر كان يهدد "البوابة الشرقية للأمة العربية والوطن العربي الكبير" من جهة، كما وضع الأساس لدوره الرئيسي والقائد في العالم العربي ومنطقة الشرق الأوسط من جهة أخرى، وأن على الأمة العربية وحكامها أن يبتهجوا بهذا النصر المبين على القوم الظالمين، وأن يرفعوا اسم ومقام صدام حسين إلى أعلى المراتب، وان ينادوا به قائداً فعلياً للأمة العربية في كل أمصارها وأقطارها. كما بدأ الرجل يعتقد جازماً بأن على كل العرب وعلى جميع حكومات الدول العربية أن يقدموا الدعم السياسي والمساعدة المالية لتطوير قدرات الجيش العراقي عسكرياً ومالياً وتعزيزه معنوياً وسياسياً، وخاصة الدول النفطية الخليجية وغيرها. وكان يرى بأن مرحلة جديدة قد بدأت، بحيث يمكن لصدام حسين أن يلعب الدور الذي كان يتطلع إليه في قيادة الأمة العربية بعد غياب جمال عبد الناصر وعجز حافظ الأسد عن أن يلعب هذا الدور ورفض العرب للسادات بعد الصلح المنفرد مع إسرائيل، ثم موته بعملية الاغتيال المعروفة، إذ لم يعد حسني مبارك قادراً ولا مؤهلاً لمثل هذا الدور الكبير، فما عليه إلا أن يتقدم بثقة في النفس وجسارة عالية ودون أي وجل ويطالب بما هو حق له ومؤهل لمثل هذا الدور، وأن على أعضاء الجيش الجرار من الإعلاميين والشعراء والأدباء والفنانين وغيرهم أن يمارسوا دورهم في هذا السبيل. وقد بدأت فعلاً حملة إعلامية كثيفة ومركزة تمجد القائد الضرورة والتاريخي الفذ على الصعيد المحلية والعربية والدولية والتي



أشرنا إليها فيما سبق. وقد بدأ صدام حسين ذاته بهذه الحملة الإعلامية عبر خطبه الكثيرة أثناء وبعد أن توقف القتال مع إيران وبدء التحضير للغزو الصدامي للكويت.<sup>٣٣</sup> كان صدام حسين في حملته الإعلامية يتطلع، ضمن ما يتطلع إليه، إلى مبادرة كل من السعودية والكويت لإلغاء ديونها المتراكمة بذمة العراق، وأن يقوموا في الوقت نفسه بمنح العراق أموالاً إضافية بسبب "دفاعه عنهما وعن البوابة الشرقية للأمة العربية!" وحمايتهما من تصدير الثورة الإيرانية أولاً، وكان يأمل أن يزيد من إيرادات العراق المالية المتأتية من عوائد تصدير النفط الخام العراقي بعد أن عجز في فترة الحرب عن تصدير الكميات الكافية من النفط الخام عملياً. ولكن الدكتاتور، الذي تعود على أن يُسمع رأيه وتُنفذ إرادته عراقياً، جوبه بموقف عربي مغاير لتوقعاته وتطلعاته، إذ بدأت الكويت تطالب بديونها من جهة، ثم بدأت تزيد من إنتاج نفطها وتصديره صوب السوق الدولية من جهة أخرى، مما أسهم في تراجع سعر البرميل الواحد من النفط الخام في السوق الدولية من

---

٣٣ بلغ الأمر ببعض المتزلفين لصدام حسين قبل نهاية نظامه إلى الدعوة لتغيير التوقيت وفق تاريخ ميلاد صدام حسين. فقد كتب السيد حمزة الحكرة مقالاً يعلق على هذا الطلب جاء فيه. "أعلنت أمانة بغداد أنها بصدد إنجاز مشروع ضخم يشتمل على إقامة نصب ساعة جديدة في إحدى ساحات العاصمة العراقية، تتميز بتوقيت «فريد» هو «توقيت القائد». وحسب المؤسسة الرسمية المعنية، فإن الساعة الجديدة لا تعترف بالحساب الرقمي المؤلف في الساعات العادية، باعتبار أن التاريخ وفق مفهوم الرئيس صدام حسين هو محتوى زمني وان «إضاعة دقيقة من العمل.. إضاعة فرصة من التقدم». وأوضحت الأمانة إن الحساب الرقمي المعتاد يفقد معناه في ضوء مفهوم «القائد»، الأمر الذي أدى إلى استبدال أسماء الرئيس العراقي بالأرقام العادية الـ١٢. وهكذا ستشير عقارب «ساعة القائد صدام حسين» إلى ١٢ من أسمائه وألقابه هي: صدام حسين، والفارس، والرفيق، والمناضل، والرئيس، والقائد، وبطل التحرير، والمجاهد، والقذوة، وباني العراق، وصانع النصر، ورجل السلام. ويتألف المشروع من برج «ساعة القائد» ومتحف يجسد إنجازاته، فضلاً عن معرض متعدد الأغراض وملحقات وحدائق. «الجدير بالذكر أن صحفا عراقية اقترحت قبل فترة، وضع تقويم جديد غير التقويمين الهجري والميلادي، يطلق عليه اسم «التقويم العراقي». «ويبدأ من يوم ولادة الرئيس صدام حسين في ٢٨ ابريل (نيسان) عام ١٩٣٧". جريدة الشرق الأوسط ٢٠٠١.

٢٥ دولاراً إلى حدود ١٨ دولاراً تقريباً. وشكل هذا الفارق خسارة كبيرة لمنتجي ومصدري النفط الخام، وخاصة لبلد خرج لتوه من حرب طويلة وتحمل خسائر مالية كبيرة جداً، إذ لم تعد تكفي موارد العراق المالية لتغطية ما يريد تنفيذه في العراق. ونتيجة التراجع في أسعار النفط الخام في السوق الدولية بسبب كثرة العرض منه، تراجعت إيرادات العراق وكل الدول المصدرة للنفط عن مبيعاتها النفطية وتحملت خسائر مالية كبيرة.

لقد تجاوزت دولة الكويت فعلياً الحصة المقررة لها يومياً من قبل منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك). فقد أدلى وزير النفط الشيخ علي خليفة العبد الله الصباح بحديث إلى صحيفة وول ستريت جورنال نشر في يوم ١٢ يونيو ١٩٨٩ أثناء انعقاد اجتماع المنظمة في فيينا جاء فيه: أن "الكويت لا تنوي الالتزام بحصتها المقررة وهي ١٠٣٧٠٠٠ برميل في اليوم، وأنها سوف تصر على حصة مقدارها ١٣٥٠٠٠٠ برميل يومياً، على أن الصحيفة علقت بعد نشر الحديث بخبر يقول إن الكويت تنتج حالياً ١٧٠٠٠٠٠ برميل يومياً"<sup>٢٤</sup>. أي أن الزيادة الفعلية بلغت وفق رأي الصحيفة ٦٦٣٠٠٠ برميل يومياً، وهي كمية كبيرة حقاً وتؤثر بدورها على سعر النفط في السوق الدولي، إضافة إلى أن الإمارات هي الأخرى رفعت من إنتاجها اليومي، ولكن بنسبة أقل من ذلك بكثير.

وبعد مرور ما يقرب من عام على تصريح الشيخ علي خليفة العبد الله الصباح عقد مؤتمر القمة العربية الاستثنائي في بغداد في الفترة بين ٢٨-٣٠/٥/١٩٩٠، حيث قدم صدام حسين في الجلسة الختامية في يوم ٣٠/٥/١٩٩٠ خطاباً جاء فيه ما يلي:

"من هذا المؤتمر، أنا شخصياً أخذت دروساً كثيرة مثلما هو الإنسان دائماً، إلى آخر لحظة من حياته، يغتني من دروس الحياة. وأهم ما في دروس الحياة هي الدروس الإنسانية. وإن شاء الله مؤتمراتنا القادمة جميعها مثلما كان هذا المؤتمر والمؤتمرات السابقة وإن كانت في المؤتمرات السابقة بعض المنغصات الأخوية لكن الحمد لله أن هذا المؤتمر سار بهذه الكيفية التي هو عليها، ومع ذلك عندي ملاحظة لأقولها، كونها ملاحظة تأتي في إطار

---

٢٤ مجالس حائل الثقافية. موقع إلكتروني. مقال تحت عنوان "هل تعرف أسباب غزو الكويت. نقل

المقتطف بتاريخ ٢٦/٩/٢٠٠٧.

هذا الجمع الخير، تعاوننا تعرفون أيها الإخوة، بأنه منذ عام ١٩٨٦ فأن أهم مورد في اقتصادنا العربي جميعنا سواء كان من المملكة العربية السعودية أو العراق أو ليبيا أو الجزائر أو الكويت في كل الدول العربية البترولية التي تشكل الآن عنوان القوة الاقتصادية في الحياة العربية، إن أهم ما تعتمد عليه هذه الدول بالدرجة الأساس هو البترول.

فمنذ عام ١٩٨٦ وكنا آنذاك في الحرب واجهنا ظروفًا كانت صعوبتها قريبة من صعوبات القتال، وخصوصاً عندما ترتبط بالاقتصاد وبموردنا الأساسي الذي هو البترول ذلك لأن نوعاً من الإرباك ساد السوق النفطي وحصل فيه نوع من عدم الالتزام في قرارات الأوبك، صحيح نحن لسنا في مؤتمر الأوبك، وأنا أقول ملاحظة ليس لأتوقف عندها، ولكن قد تفيدنا جميعاً، إن سبب هذا الارتباك هو عدم التزام بعض أشقائنا العرب بالذات في مقررات الأوبك، عندما أغرق السوق النفطي بما هو فائض عن الحاجة أو على الأقل يعطي مرونة للمشتريين بما يجعله على حساب السعر. وتدنت الأسعار حتى وصلت أحياناً إلى سبعة دولارات، فيما يتعلق بالعراق وهو ليس أكبر إنتاجاً وليس أكبر حصة في الأوبك، فأن كل انخفاض في البرميل الواحد بقدر دولار واحد، وحسب ما قيل لي، فأن خسارة العراق تبلغ مليار دولار في السنة، من هذا نتبين كم هي خسارة الأمة العربية جميعها من كل إنتاجها البترولي في السنة. ومن هنا يمكننا أن نجد الجواب المباشر عن السؤال وهو هل أن الأمة العربية بحال ممكن أن تخسر فيه نتيجة هفوة، هفوة من فني أو غير فني، عشرات المليارات هذه ومن دون مسوغ. لأن السوق البترولية أو لنقل أن المشتريين على الأقل في هذه السنة مثلاً، كانوا قد هياوا أنفسهم إلى أن يتحملوا سعراً يصل إلى ٢٥ دولاراً خلال سنتين، مثلما عرفنا وسمعنا من الغربيين الذين هم أكبر مشتريين في سوق البترول. إذاً هذا النزف الهائل في اقتصادنا سببه عدم انتظام الرؤية أو عدم النظر إلى الشأن الذي نتعامل به محلياً وفق رؤية قومية. لأنه لو حصلت رؤية بشأن القومي ككل ولمقدار الضرر الذي يصيبه فأنا أعتقد بأننا سنتردد كثيراً قبل أن نقدم على أن نلحق مثل هذا الضرر الكبير بالاقتصاد القومي بنفس الصراحة بين الإخوة والتبسيط المباشر الذي يغنيننا من النقاط ما يراد قوله من خلال التحليل، لنقل أن الحرب تحصل أحياناً بالجنود ويحصل الإيذاء

بالتفجيرات وبالقتل وبمحااولات الانقلاب وأحياناً أخرى يحصل بالاقتصاد... لذا نرجو من إخواننا الذين لا يقصدون الحرب، أعود لأتكم هذه المرة فقط ضمن حقوق الكلام في إطار السيادة عن العراق، فأقول الذين لا يقصدون شن الحرب على العراق أقول أن هذا نوع من الحرب على العراق. ولو في الجلد ما فيه يتحمل لتحملنا، ولكن أعتقد كل إخواننا يعرفون الحال ومطلعين عليه وإن شاء الله الحال يكون دائماً جيد. ولكنني أقول بأننا وصلنا إلى حال لا نتحمل الضغط، وأظن كلنا نستفيد، والأمة تستفيد، من فكرة الالتزام بقرارات الأوبك سواء كانت إنتاجاً أو أسعاراً ولنتوكل على الله<sup>٣٥</sup>.

إن الاستنتاجات التي يخرج بها أي مستمع لهذا الخطاب تؤكد بأن صدام حسين قد اعتبر سياسة الكويت النفطية حرباً اقتصادية ضد العراق، وهي لا تختلف عن أية محاولة انقلابية أو أي حرب أخرى أولاً، وأنه لم يعد قادراً على تحمل هذه السياسة، إذ أنها تهدد وضعه في السلطة ثانياً، وأن لم تغير الكويت سياستها، فلا بد للعراق من مواجهة هذه الحرب بحرب ضدها ثالثاً، وأن الكويت تتسبب بإلحاق أكبر الضرر بالعراق رابعاً، ثم وجه كلامه لمن لا يريد خوض حرب ضد العراق أن يتدخل ويطالب الكويت وغيرها بإيقاف سياستها النفطية المناهضة للعراق ولقرارات الأوبك كان هذا في ٣٠/٥/١٩٩٠. وما جاء بعد هذا الخطاب أكد هذا النهج الصدامي.

وإذ لاحظ النظام العراقي أن الكويت لم تغير سياستها النفطية، بادر وزير خارجية النظام العراقي حينذاك، طارق عزيز، إلى تقديم مذكرة إلى الأمين العام للجامعة العربية، السيد شاذلي القليبي، بتاريخ ١٥ يوليو ١٩٩٠ تضمنت مواقف النظام العراقي من الوحدة العربية ومصائر الأمة العربية و"سياسة الكويت النفطية" و"قضية الحدود المعلقة" بين البلدين وكذلك حول "الديون الكويتية" التي هي بذمة العراق. (راجع الملحق رقم).

وعلى صعيد النفط، جاء في المذكرة ما يلي:

---

٣٥ حسين، صدام. خطاب صدام حسين في الجلسة الختامية لمؤتمر قمة بغداد الاستثنائية يوم ٣٠/٥/١٩٩٠. شبكة البصرة نقل عنها بتاريخ ٢/١٠/٢٠٠٧.

" لقد قامت الإمارات والكويت بإغراق سوق النفط بمزيد من الإنتاج خارج حصتهما المقررة في الأوبك علما بان معدل إنتاج الدول العربية من النفط يبلغ (١٤) مليون برميل يوميا وان تدهور الأسعار في الفترة ١٩٨١-١٩٩٠ أدى إلى خسارة للدول العربية بلغت (٥٥٠) بليون دولار وانه إذا اعتمدنا الحد الأدنى للأسعار كما قرره الأوبك عام ١٩٨٧ وهو (١٨) دولار للبرميل الواحد فان خسارة الدول العربية للفترة من ٨٧-١٩٩٠ بسبب تدهور هذا السعر تبلغ حوالي ٢٥ بليون دولار ومن المعروف إن السعر قد انخفض هذه السنة دولارات عدة عن سعر ١٨ دولار بسبب سياسة حكومتي الكويت والإمارات وان العراق يعاني ضائقة مالية بسبب نفقات الدفاع الشرعي عن أرضه وأمنه ومقدساته وعن ارض العرب ومقدساتهم. وان تدهور أسعار منتجات النفط أصابت كل الدول العربية الشقيقة الأخرى التي كانت تتلقى المساعدات من الدول العربية المنتجة للنفط، وان الكويت نصبت منذ عام ١٩٨٠ منشآت نفطية على الجزء الجنوبي من حقل الرمييلة العراقي وصارت تسحب النفط منه وتبلغ قيمة النفط العراقي الذي سحبه الكويت من هذا الحقل فقط وفقا للأسعار المتحققة بين ٨٠-١٩٩٠ (٢٤٠٠) مليون دولار<sup>٣٦</sup>. وبعد هذا الطرح اتهمت المذكرة الدولتين بكون البلدين ينفذان مخططاً إمبريالياً صهيونياً ضد العراق. فقد جاء في المذكرة ما يلي:

" إن العراق يرى أن هذه السياسة جزء من المخطط الإمبريالي الصهيوني ضد العراق وضد الأمة العربية خاصة في التوقيت الذي جاءت فيه وهو ظروف التهديد الخطير الذي يتعرض له الوطن العربي عامة والعراق خاصة من جانب إسرائيل والإمبريالية الأمريكية وان هذه الرسالة المريبة لإسرائيل والإمبريالية تؤدي إلى إضعاف قدرة هذه الدول العربية على مواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الخطيرة التي تعانها وهي مشكلات ذات طبيعة مصيرية<sup>٣٧</sup>.

٣٦ الأنصاري، محمد. المخطط الأمريكي لضرب العراق (١٤) الثلاثاء، موقع مصر الحرة الإلكتروني

بتاريخ ٢٦ سبتمبر، ٢٠٠٦.

٣٧ المصدر السابق نفسه. نص مذكرة طارق عزيز إلى الشاذلي القليبي.

\* وعلى صعيد قضية الحدود قالت المذكرة: " إن المسؤولين في حكومة الكويت تعمدوا وبأسلوب مخطط ومدبر ومتواصل إلى التجاوز على العراق والإضرار به، وتعمدوا إضعافه بعد الحرب الطاحنة التي استمرت ثماني سنوات بل وقامت الكويت بتشبيد المنشآت العسكرية والمخافر الحدودية والمنشآت النفطية والمزارع على أرض العراق وقد سكتنا على كل ذلك واكتفينا بالتلميح والإشارات". ثم تستطرد المذكرة فتشير إلى ما يلي:

"وتباطأ الكويتيون عندما طلبنا منهم في قمة الجزائر عام ١٩٨٨ حل موضوع الحدود في إطار علاقات الأخوة والمصلحة القومية العليا بل وأثاروا تعقيدات مصطنعه مع الاستمرار في التجاوز وإقامة المنشآت النفطية والعسكرية والمزارع على الأراضي العراقية".

\* وعلى صعيد الديون يعود النظام العراقي ليذكر مجلس الجامعة العربية بأن الحرب كانت باسم العرب ودفاعاً عنهم حيث تؤكد المذكرة ما يلي:

" لقد خاض العراق حربه دفاعاً عن البوابة الشرقية للوطن العربي والقسم الأساسي من المساعدات التي تلقاها العراق من الدول الخليجية كانت على شكل قروض وانقطعت هذه المساعدات منذ عام ١٩٨٨، علماً بأن قيمة التجهيزات العسكرية التي اشتراها العراق بالعملة الصعبة واستخدمت في الحرب بلغت (١٠٠) بليون دولار<sup>٣٨</sup>. ثم تواصل المذكرة فتشير إلى: " أن العراق كان منتجا رئيسيا للنفط قبل الحرب وكان ينتج نحو (٦،٢) مليون برميل يوميا وعند قيام الحرب توقف إنتاجه كليا لأشهر عدة ثم صار يصدر كمية قليلة عبر تركيا ثم عبر سوريا إلى أن توقف هذا الأنبوب عام ١٩٨٢ وتوقف تصدير العراق من النفط في الجنوب منذ أيلول ١٩٨٠ لحين بدء تشغيل الخط المار عبر السعودية في أيلول ١٩٨٥ وقد خسر العراق من جراء هذا الانخفاض الكبير في صادراته مبالغ هائلة تقدر بنحو (١٠٦) بلايين من الدولارات. وبحساب بسيط نجد أن ديون الإمارات والكويت المسجلة على العراق لم تكن كلها من خزينتها وإنما كانت كلها من حصص الزيادات التي تحققت في

---

٣٨ المصدر السابق نفسه.

عوائدها من جراء انخفاض صادرات العراق من النفط عبر سنوات الحرب<sup>٣٩</sup>. واعتبرت  
المذكرة أن سياسة الكويت ضد العراق هي بمثابة إعلان حرب ضده<sup>٤٠</sup>.

وفي ١٧/٧/١٩٩٠ ألقى صدام حسين خطاباً بمناسبة الذكر السنوية لانقلاب تموز ١٩٦٨  
جاء فيه بشأن الخلاف مع الكويت ما يلي:

" أن الولايات المتحدة تستخدم دولاً عربية في تنفيذ مخططاتها تجاه العراق، عن طريق  
إغراق الأسواق العالمية بفائض الإنتاج من النفط، لكي يؤدي ذلك إلى خفض، وتدهور  
الأسعار، وقد سعت إلى حث دول الخليج على عدم الالتزام بسقف الإنتاج، ونظام الحصص،  
وذلك بغية خنق العراق اقتصادياً". وأصبحت أجواء العراق مهيأة لكل احتمال.

وفي المقابل شنت الكويت حملة دبلوماسية مضادة ومكثفة، إذ بعث وزير الخارجية  
الشيخ صباح الأحمد الجابر في الثامن عشر من شهر تموز / يوليو ١٩٩٠، مذكرة إلى الأمين  
العام للجامعة العربية السيد الشاذلي القليبي، رد فيها على المذكرة العراقية التي وجهت  
اللائم إلى الكويت. وأوردت المذكرة الكويتية أن المذكرة العراقية قد تضمنت عدداً من  
الادعاءات التي لا تستند إلى أساس من الصحة. وقالت المذكرة "إن ما ورد من ادعاء بأن  
الكويت وراء تدهور الأسعار يتنافى مع الحقيقة والواقع... وأما الادعاء بأن الكويت تسرق  
نفطاً عراقياً، فإننا نود أن نؤكد هنا أن استخراج الكويت للنفط في تلك المنطقة إنما يتم في  
آبار تقع ضمن الأراضي الكويتية..." وأكدت المذكرة "أن الكويت سعت في شكل متواصل  
إلى ترسيم الحدود بين البلدين وإنهاء المشاكل المعلقة ولكن العراق كان يرفض وباستمرار  
وضع حد لتلك المسألة القائمة بين البلدين في الوقت الذي سعى فيه العراق وأثناء الحرب  
إلى ترسيم الحدود بشكل نهائي مع الدول العربية الشقيقة الأخرى المجاورة له". وأشارت  
المذكرة إلى "ما ورد في المذكرة العراقية من تهديد واضح للكويت وذلك عندما أوضحت

---

٣٩ المصدر السابق نفسه.

٤٠ منتدى الجمهور العربي. (الموسوي) الحكاية الكاملة للغزو العراقي للكويت. Arab club. net نشر

المقال بتاريخ ١٧/٦/٢٠٠٧، ونقل المقتطف بتاريخ ٥/٩/٢٠٠٧.

المذكرة بأن العراق سيحتفظ بحقه بمطالبة المعنيتين بإصلاح التجاوز، وهو تجاوز تؤكد الكويت بطلان صحته<sup>٤١</sup>. (راجع الملحق رقم).

وفي هذه الإجابة نتبين مسألتين مهمتين، وهما:

إن الكويت لم تنكر في ردها على مذكرة العراق بأنها تنتج وتصدر أكثر من حصتها من النفط الخام المقرر في منظمة الأوبك، بل أشارت إلى أن سياسة الكويت النفطية ليست السبب وراء تراجع أسعاره في السوق الدولية و ولكنها لم تشر إلى الأسباب الكامنة وراء ذلك التراجع.

٢. كما أنها لم تنكر استخراجها النفط الخام من تلك المنطقة التي اعتبرها النظام العراقي موضع خلاف مع الكويت، بل أشارت إلى أنها تستخرج النفط من المنطقة الواقعة في أراضيها.

وإزاء هذه المذكرة طرحت القيادة العراقية حينذاك على نفسها عدداً من الأسئلة، منها: هل من هدف محدد ما نهض للعراق تسعى الكويت إلى تحقيقه حين بدأت تزيد حصتها من إنتاج وتصدير النفط الخام على الحصة المقررة لها من جانب منظمة الأوبك والتي أدت إلى إغراق الأسواق الدولية بالنفط الخام الكويتي وأدت إلى تدهور أسعاره؟ وهل أن الكويت ضالعة بمؤامرة عربية خليجية ودولية كبيرة موجهة ضد العراق؟ ولماذا تصر الكويت على الاستمرار باستخراج وتصدير النفط الخام من المناطق الحدودية المختلف عليها مع العراق، أي من حقل الرميلة الجنوبي الذي يقع جزءه الأكبر (٨٠-٩٠٪) داخل العراق والباقي داخل الكويت، في حين توقّف العراق عن استثماره أثناء حربه مع إيران؟ ولماذا ترفض حكومة الكويت دفع المبلغ الذي تطالب به الحكومة العراقية والبالغ ٤,٢ مليار دولار، عن حصتها من كميات النفط الخام المستخرجة والمصدرة من آبار تلك المنطقة المتنازع عليها

---

٤١ المصدر السابق نفسه.



بين البلدين؟ وهل تريد الكويت بسياستها هذه استفزاز العراق؟<sup>٤٢</sup> ولمصلحة من يحصل كل ذلك؟ وهل أن الإمارات العربية تشارك في هذه المؤامرة؟

كانت الإجابة عن تلك الأسئلة واضحة جداً وقطعية عند الدكتاتور صدام حسين ولا تستوجب إشغال الفكر بها كثيراً. فقد ربط صدام حسين مجموعة من الأحداث ببعضها لتشكيل مجتمعة رؤية تنسجم مع أهدافه وشكوكه وتطلعاته، بل وأطماعه، تشير إلى رغبة الغرب والدول الخليجية في الخلاص من وجود صدام حسين في السلطة، وأن دولة الكويت تنفذ عملياً مخططاً رسمته لها الدول الغربية، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، وهي ليست سوى أداة بيد تلك الدول من أجل إضعاف قدرات النظام العراقي الداخلية في مواجهة معارضيه وإثارة الجيش العراقي بشكل خاص عليه، حين يعجز عن توفير ما يرضيهم ويدفع بهم للاصطفاف إلى جانبه ودعم استمرار وجوده في السلطة.

وبدأت تداعيات هذا الموقف تتجسد أكثر فأكثر في ذهن صدام حسين حين وقع حدث معين لافقت للانتباه. فما أن وجدوا شخصاً أجنبياً يتحرك في منطقة مصانع الأسلحة حتى اعتبره صدام حسين جاسوساً يسعى إلى توفير المعلومات لضرب النظام. وقد برز هذا واضحاً في اتخاذ قرار تنفيذ حكم بإعدام الصحفي البريطاني الإيراني الأصل فرزاد بازوفت، الكاتب في جريدة الأوبزرفر البريطانية، بتهمة التجسس على العراق لصالح بريطانيا، في حين كان الصحفي البريطاني يتحرى عن أسباب وقوع انفجار في أحد المصانع في المنطقة الصناعية العسكرية في محافظة بابل، حيث كان المصنع يستخدم مواد كيميائية في عمليات التصنيع العسكري.<sup>٤٣</sup> وقد استفز التنفيذ الفعلي لقرار الحكم الرأي العام الأوروبي والعالمى وشدت من نقمة الرأي العام البريطاني والعالمى على أساليب صدام القمعية وعلى نظامه الدموي. ولم يكن هناك أي سبب لاعتقال هذا الصحفي أو الحكم عليه بأي جنائية، فمهمة الصحفي هي التحري عن الحقائق وكتابة التقارير لصحيفته، وبالتالي فالاعتقال ثم إصدار

---

٤٢ موقع منتدى الرياض على الإنترنت. <http://www.116.com/vb/archive/index.php/t-1281.html>، ٢٠٠٧/٨/٢٠.

٤٣ القماش، علاء. مات البطل صدام واخذ معه كل الأسرار. مركز العاصي للتحكيم التجاري الدولي. المركز الرئيسي. نقاش عام. موقع إلكتروني. نشر بتاريخ ٢٠٠٧/٧/١.

حكم قرقوشي بإعدامه وتنفيذ الحكم به لم يكن سوى اعتداءً فظاً وغاشماً على حرية الصحافة وعلى حياة صحفي بريطاني من أصل إيراني لم يرتكب جرماً ولا إساءة، وكان تجاوزاً عدوانياً على كل المعايير والقيم المعهودة بوجود صحفي مجاز ويعمل بصورة رسمية في العراق ووفق القواعد المعمول بها دولياً، وكان أقصى ما يمكن القيام به هو إخراج هذا الصحفي من العراق ومنعه من العودة رغم خطأ مثل هذا القرار أيضاً.

حين عمدت الصحافة العالمية إلى دراسة وتحليل أسباب الصراع العراقي - الكويتي الجديد ومدى دور النفط فيه وما هو دور الولايات المتحدة في مجمل هذه الواجهة الجديدة للكويت وتباينت وجهات نظرها إزاء الموقف، كان صدام حسين بالمقابل مقتنعاً تماماً بأن حكومة الكويت تنفذ مخططاً أمريكياً جديداً يستهدف التضييق على الحكم في العراق والخلص منه بعد أن تعززت قدراته العسكرية وأصبح خطراً يهدد دول الخليج كلها، وأن المملكة العربية السعودية تعرف بهذا المخطط، ولكنها لا تستطيع له تغييراً، وربما هو جزء من مخطط أكبر يستهدف العراق والمنطقة، وأن هذه ليست سوى مؤامرة أمريكية تستهدف تحقيق خمسة أهداف أمريكية تشكل الكويت حلقة مركزية وأداة مباشرة لتنفيذها، وهي:

١. تقليص قدرات العراق المالية التي تقود بدورها إلى عجزه عن إعادة إعمار ما خربته الحرب وتحقيق التنمية والتشغيل للعاطلين عن العمل مما يساهم في رفع مستوى النعمة والغضب لدى الشعب الذي عانى الأمرين في فترة الحرب مع إيران ضد النظام السياسي العراقي.

٢. تشديد عجز النظام عن زيادة قدراته العسكرية، سواء أكان ذلك باقتناء المزيد من الأسلحة الحديثة، أم بتطوير قدراته الإنتاجية للأسلحة، وبالتالي إضعاف قدراته الهجومية التي ربما بدأ التفكير بها حال انتهاء الحرب العراقية - الإيرانية.

٣. زيادة عجزه عن دفع ديونه المتراكمة بدمته ليس إلى الدول العربية حسب، بل وإلى المؤسسات المالية الدولية والدول والشركات الأجنبية في المعسكرين الشرقي والغربي أيضاً.

٤. زيادة عجز النظام عن تغطية الأنفاق المتفاقم على الجيش الجرار الذي كان قد نما بسرعة فائقة في فترة الحرب وإرضاء القيادات العسكرية التي خاضت الحرب لمدة ثماني سنوات عجاف.

٥. إضعاف النظام سياسياً واقتصادياً عموماً مما يساعد على تخلخله الداخلي واستفادة المعارضة السياسية من هذا التخلخل لتعزيز نشاطها المناهض لصدام حسين.

لقد استند النظام العراقي في تقديره حول وجود مؤامرة تستهدف النظام العراقي إلى عثوره على وثيقة رسمية مدونة يرجع تاريخها إلى ١١/٢٢/١٩٨٩، أي بعد أكثر من عام على انتهاء الحرب العراقية - الإيرانية، تشير إلى تقرير وضعه مدير أمن الوطني الكويتي العميد فهد أحمد الفهد وقدمه إلى وزير الداخلية الكويتي الشيخ سالم الصباح السالم الصباح جاء في الفقرة الخامسة منها ما يلي:

"٥) وقد اتفقنا مع الجانب الأمريكي، على انه من المهم الاستفادة من تدهور الوضع الاقتصادي في العراق، حتى نجبر حكومة البلد على الموافقة على رسم حدودنا المشتركة. وقد عرضت وكالة الاستخبارات الأمريكية وسائل الضغط التي تراها ملائمة. مع التشديد على أنه يجب أن يقوم بيننا تعاون واسع في هذا الحقل. بشرط أن يتم التنسيق في أعلى المستويات". ثم ورد في مقدمة هذه الوثيقة ما يؤكد قيام مدير الأمن الوطني الكويتي بزيارة ولقاء القاضي وليم وبستر، مدير وكالة الاستخبارات الأمريكية بتاريخ ١٤ نوفمبر ١٩٨٩ والاتفاق معه على عدة نقاط. وقد أبدى القاضي عدم رضاهم على جدارة الحرس الملكي الكويتي المكلف بحماية الأمير. وبرأي مسئول الوكالة أن الأمير تعرض لمحاولات اغتيال عديدة و"أن الولايات المتحدة، مستعدة لتدريب أشخاص، نخترهم نحن، لحماية الأمير وسمو الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح. إن الإعداد والتدريب سوف يكونان في مقر وكالة الاستخبارات الأمريكية نفسه، هذا مع العلم أن العدد النهائي لهؤلاء هو ١٢٣ شخصاً". ويواصل صاحب الرسالة فيقول: " وقد اتفقنا أن تناط ببعضهم

مهمات خاصة مرتبطة مباشرة بالعائلة الملكية، هذه المهمات يحددها سمو الأمير ولي العهد<sup>٤٤</sup>. (راجع: الملحق رقم).

والسؤال المنطقي الذي يطرح نفسه على كل مسئول يشعر أن هناك من يريد إسقاطه هو: هل أن من واجبه العمل على تفويت الفرصة على من يريد إسقاطه، أم أن عليه توفير مستلزمات نجاح المؤامرة التي يتحدث عنها ويشك أو متيقن من وجودها؟ وكما بدا لاحقاً أن صدام حسين كان يعمل على تسريع وتشديد الصراع ويستبق الأحداث ويفكر بطريقة غير عقلانية أو ما تسمى بـ "الضربة الاستباقية" دون أن يدرك بأنه كان يحفر قبره بيديه. وبمعنى معين كان يفكر على الطريقة الشعبوية القائلة: "عليه أن يتعدى بالعدو قبل أن يتعشى به". لقد كان صدام حسين مؤمناً إيماناً مطلقاً بأن القوة هي السبيل الوحيد لانتزاع الحق، ما دام يعتقد بأنه على حق وبغض النظر عن رأي الآخرين بما يعتقد به. ولكنه حتى حين يؤمن بالقوة كان عليه أن يدرك أن الكويت ليست وحيدة في هذا الصدد، وأن الكويت القيام بعمل ضد الكويت سيخيف ليس دول الخليج الأخرى والعربية السعودية حسب، بل وكل العالم الغربي الذي يتمون بالنفط الخليجي.

ومنذ بدء المشكلة بين العراق والكويت، بلور النظام العراقي مطالبه من الكويت، كما عرضتها جريدة واشنطن بوست الأمريكية بتاريخ ٣١/٧/١٩٩٠، إذ ورد فيها ما يلي:

\* ١٠ بلايين دولار كمساعدة<sup>٤٥</sup>.

\* ٢,٤ بليون دولار تعويضاً عن النفط المسروق (زعماً).

\* إلغاء ديون الحرب التي تقدر بحوالي ١٠ بليون دولار.

\* تخلي الكويت عن حقل الرتقة

---

٤٤ سالينجر، بيار ولوران، أريك. حرب الخليج. الملف السري. بيروت. دار أزال للتوزيع والنشر. طبعة أولى. ١٩٩١. ص ٢٥١/٢٥٢.

٤٥ طلب عزة الدوري من الوفد الكويتي تقديم مساعدة بعشرة مليارات دولار أمريكي أو اعتبارها قرضاً على العراق إن استحال العطاء. راجع: سالينجر ولوران. حرب الخليج، الملف السري. مصدر سابق. ص ٩٥.

\* إبرام عقد إيجار طويل المدى يسمح للعراق بالسيطرة على جزيرة بوبيان<sup>٤٦</sup>.

ولكن السؤال المنطقي والعقلاني الذي يفرض نفسه هنا أيضاً هو: حين يكون النظام العراقي مديناً لدولة الكويت والسعودية بمبلغ يزيد على ٢٢ مليار دولار أمريكي يطالبان بتسديده، وحين يكون هذا النظام محتاجاً إلى مبلغ قدره ١٠ مليارات دولار أمريكي يرغب باستدانتته من هاتين الدولتين، فهل يفترض في مسؤوليه اعتماد أسلوب الصراخ والشتم المقذع والإساءة للعلاقات الطيبة بين شعوب هذه الدول الثلاث والتهديد بالحرب لكي يحقق ما يريد، أم يفترض فيهم الدخول بحوارات ومفاوضات هادئة بأمل الوصول إلى حل مناسب ومعالجة بقية المشكلات المعلقة بالطرق السلمية أو التحول صوب دول أخرى للحصول على ما يحتاجه عن طريق القروض؟ لقد كان صدام حسين في هذه القضية، كما هو في جميع القضايا الأخرى، غير منطقي وغير عقلاني وعدواني شرس، إذ مارس كل السبل المتوفرة لكي يعرقل الوصول إلى حلول عملية أو ترك القضية والسعي للحصول على مبتغاه من القروض من دول أو مؤسسات دولية أخرى. لقد تصرف صدام حسين كأبي واحد من "عياري وشطار" فترة التدهور وخراب الدولة العباسية<sup>٤٧</sup>، لقد تصرف كما يتصرف المتسول الكركولي، كما تحدث عنه الميثولوجيا الشعبية العراقية، "يتسول وخنجره بحزامه".

كما أن صدام حسين لم يفكر بأن الكويت لم تكن حرة في تأجير جزيرة بوبيان للعراق، إذ كانت إيران ترفض ذلك، خاصة بعد أن خاضت الحرب ضد العراق طيلة ثمانية أعوام. وقد برز هذا بوضوح بعد احتلال العراق للكويت حين صرح رئيس الجمهورية الإيرانية

---

٤٦ موقع الكتروني "سوالف الكويت". تقرير لجنة تقصي الحقائق الكويتية حول أسباب الغزو العراقي

حقائق مهمة للجيل الجديد . ٢٠٠٧/٨/٢٠. كان العراق يطالب بتأجير جزيرتين هما بوبيان ووربه، وهما أقرب الجزر إلى العراق لتستخدم كمنفذ مائي إلى البحر. ك. حبيب

٤٧ النجار، محمد رجب د. حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي. سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت. رقم ٤٥. مطابع الأنباء - الكويت.

سبتمبر (أيلول) ١٩٨١.

حينذاك، السيد هاشمي رافسنجاني، الذي هدّد باحتلال جزيرة بوبيان أن منحت الكويت جزيرة بوبيان للعراق تملياً أو تأجيراً. فقد جاء في موسوعة حرب الخليج بهذا الصدد ما يلي: "قال الرئيس الإيراني هاشمي رافسنجاني في خطبة الجمعة التي ألقاها في جامعة طهران (بتاريخ ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٠، ك. حبيب) إن إيران لن تنتهك الحظر المفروض على العراق موضحاً أن الانسحاب غير المشروط للقوات العراقية من الكويت هو وحده الذي يمكن أن يوضع حداً للأزمة. وأشار إلى أنه عندما دار حديث عن تسليم محتمل لجزيرة بوبيان إلى العراق "أبلغنا الكويت أنها إذا فعلت ذلك سنحتل الجزيرة وأنهم لن يتمكنوا من استعادتها منا..."<sup>٤٨</sup>. وكانت الكويت تعرف إن إيران كانت قبل ذلك قد احتلت ثلاث جزر إماراتية ولم تستطع دولة الإمارات استعادتها حتى الآن، رغم رفض العالم لهذا الاحتلال. لم يكتفِ رافسنجاني بذلك بل أضاف إليه قوله "إن إيران لن توافق على أي تغيير جغرافي في المنطقة، وأن على العراق أن يسحب قواته من كل الأراضي الكويتية ومن جزرها أيضاً (...) على العراق أن يتخلى عن أطماعه التوسعية والخروج من الكويت دون شرط مسبق وأن وجود القوات العراقية في الكويت أساء إلى العراقيين والكويتيين وإلى المنطقة"<sup>٤٩</sup>.

على ضوء تلك الهواجس والشكوك التي سيطرت على تفكير صدام حسين واقتراناً بنهجه في العمل السياسي، بدأ العمل على ثلاث جبهات، وهي:

أولاً: الجبهة السياسية: البدء بمفاوضات سياسية مع الكويت وبوساطة سعودية في محاولة منه للضغط على البلدين من أجل فرض التنازل عن ديونهما بذمة العراق أولاً، وتقديماً منحة مالية أو اعتبارها قرضاً بدون فوائد، بمقدار ١٠ مليارات دولار أمريكي، إضافة إلى طلب الحصول على المنافذ المائية الكويتية لاستخدامها الطويل الأمد من جانب

٤٨ مطر، فؤاد. مع فريق من الباحثين والموثقين بإشرافه. موسوعة حرب الخليج. بيروت. المؤسسة

العربية للدراسات والنشر. لندن. مركز فؤاد مطر للإعلام والتوثيق والاستشارات والدراسات. ط ١.

١٩٩٤. ص ١٧٦-١٧٧.

٤٩ المصدر السابق نفسه. ص ١٧٧.

العراق وعلى أساس عقد إيجار من جهة، ومواصلة التهديد بالحرب ضد الكويت في خطبه السياسية وفي الصحافة العراقية وفي الممارسة الفعلية من جهة أخرى.

ثانياً: الجبهة السياسية الدولية: السعي إلى جس نبض الولايات المتحدة الأمريكية حول الخلاف الناشئ بين العراق والكويت، وحول رأي الرئيس الأمريكي جورج بوش من الإجراءات المفتوحة على مصراعها على مختلف الاتجاهات لحل المشكلة بين البلدين. وهذا يعني أن يتراوح الحل بين التفاوض من جهة، والتدخل العسكري العراقي في الكويت من جهة أخرى. ولهذا السبب بادر صدام حسين إلى دعوة السفارة الأمريكية في بغداد أبريل غلاسي إلى لقاء لمناقشة العلاقات العراقية - الأمريكية، ثم تنظيم لقاءات أخرى عديدة مع مسؤولين أمريكيين آخرين من وزارة الخارجية الأمريكية أو من مجلس النواب للبحث في نفس الموضوع. كما أرسل المذكرات إلى جامعة الدول العربية والأمين العام للأمم المتحدة ومنظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك).

ثالثاً: الجبهة العسكرية: البدء بتحضير واسع لعملية عسكرية ضد الكويت لاحتلالها واعتبارها جزءاً من العراق في ضوء اعتبارات "تاريخية وقومية وعملية!"، ودراسة احتمالات ردود فعل دول المجتمع الدولي من هذه العملية، وبشكل خاص مواقف الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي وبريطانيا العظمى. وفي سبيل تحقيق هذه المهمة بادر الدكتاتور إلى تشكيل عدة لجان، أبرزها الهيئة العسكرية التي كان يقودها ويشرف على عملها بنفسه، ثم اللجنة الاقتصادية التي كلف الدكتور سعدون حمادي برئاستها. وكان الدكتور عبد المنعم السيد علي، وهو من أتباع التيار القومي العربي وأستاذ جامعي في الاقتصاد والمالية العامة، عضواً في هذه اللجنة إضافة إلى أعضاء آخرين. ولم تُبلِّغ اللجنة بالهدف من تشكيلها، ولكن طلب منها أن تضع خطة واقعية لدمج الاقتصاد الكويتي بالاقتصاد العراقي. وكان المطلوب إنجاز المهمة بأسرع وقت ممكن، علماً بأن اللجنة قد

شكلت في منتصف العام ١٩٩٠<sup>٥٠</sup> وهذا سعني أن صدام حسين كان قد اتخذ قرار الغزو قبل الغزو الفعلي بفترة غير قصيرة.

أولاً: الجبهة السياسية على الصعيدين المحلي والعربي

أشرنا قبل ذلك إلى الوضع الاقتصادي والاجتماعي المزري الذي وجد العراق نفسه فيه في أعقاب توقف القتال بين العراق وإيران. وكان النظام ينتظر من الدول العربية أن تعترف له بالفضل الذي قدمه لها بمنع إيران من التوسع والتقدم صوبها وتصدير الثورة إليها، أي ما كان يطلق عليه "دفاع العراق عن البوابة الشرقية للأمة العربية" والتضحيات الكبيرة التي قدمها العراق لتحقيق هذا الهدف! ولكنه فوجئ بالموقف الذي أشرنا إليه. فماذا فعل النظام سياسياً على الصعيد العراقي والعربي؟

بدأ النظام تنظيم حملة إعلامية واسعة جداً على صعيد العراق والعالم العربي والعالم، وجند لهذا الغرض كل أعوانه في العراق وفي الدول العربية والصحفيين الذين ارتبطوا به في مناطق مختلفة من العالم. وقد ركز الإعلام العراق على ثلاث مسائل أساسية في إعلامه، وهي:

١. أن على الدول العربية كلها أن تحترم تضحيات العراق وتقدر دوره العربي، وهذا يتطلب المساهمة في دعم جهود الدولة لإعادة إعمار العراق وتطوره.
٢. أن الكويت تمارس ضغطاً مالياً على العراق من خلال المطالبة بديونها المستحقة على العراق، وعدم تقديم قروض مالية أو منحة لإعادة إعمار العراق، إضافة إلى زيادة

---

٥٠ في لقاء لي مع الزميل الأستاذ الدكتور عبد المنعم السيد علي في إحدى الندوات الفكرية الاقتصادية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية في القاهرة في أوائل تسعينات القرن الماضي، وكان زميلاً لي في الجامعة المستنصرية ببغداد في السبعينات من القرن العشرين، تحدث لي عن تلك اللجنة التي شكلها صدام حسين بقرار منه ودون علم أعضائها، إذ اجتمع بهم الدكتور سعدون حمادي وأبلغهم بالقرار ثم البدء بتجميع المواد والعمل، دون إبلاغهم بما هو مبيت من جانب النظام للعراق، إلا أن المجموعة كلها، منهم الدكتور السيد علي، قد أدرك المهمة، وكان عليهم أن ينجزوا مهمة سبل دمج الاقتصاديين الكويتي والعراقي بتقرير يعد خلال شهرين. ك. حبيب



- إنتاجها وتصديرها للنفط الخام الذي يفوق الحصّة المقررة لها في منظمة الأوبك، مما يتسبب في خسارة كبيرة للعراق والأمة العربية،
٣. أن المسؤولين في الكويت والإمارات وغيرها يتآمرون مع المستعمرين والصهاينة ضد النظام في العراق ويسعون إلى إضعافه والإطاحة به.
٤. وعلى الشعوب العربية والقوى القومية فيها أن تسعى لدعم العراق والتضامن معه ضد السلوك الكويتي بشكل خاص.
٥. وأن العراق مستعد في حالة عدم استجابة الكويت إلى مطالب العراق أن يستخدم كل وسيلة متوفرة لديه لتحقيق ما يصبو إليه، وهو تهديد واضح باستخدام القوة العسكرية ضد الكويت.
- إلا أن صدام حسين كان قبل ذلك قد وجه تهديداً لإسرائيل أمام مجموعة من كبار الضباط العسكريين في بغداد، ثم كرره في مؤتمر صحفي عقده في الثالث من نيسان/أبريل ١٩٩٠ قال فيه بأن ١٩٩٠ أن العلماء العراقيين قد توصلوا إلى صناعة المكثف اللازم لتفجير قنبلة الكيماوي المزدوج، وأنه إذا ما تعرض العراق لأي عدوان إسرائيلي، فإن الرد سيكون هو بحرق نصف إسرائيل، جاء ذلك كرد فعل على تصريحات أطلقها أيهودا باراك، رئيس أركان حرب الجيش الإسرائيلي يوم ذاك بتاريخ ١٩٩٠/٣/٣٠ (إن إسرائيل لا بد أن تكون جاهزة لضربة وقائية ضد العراق في أي وقت تشعر فيه أن قوته خطر عليها)، ثم تبعه (إسحاق شامير) رئيس وزراء إسرائيل يومها بتصريح آخر (إن إسرائيل سوف تهاجم العراق إذا أحست أنه اقترب من إنتاج أسلحة نووية).<sup>٥١</sup>
- وكان صدام حسين قد هدد الكويت من جديد في خطاب له في ملعب الشعب في يوم ١٧ تموز / يوليو ١٩٩٠ في الذكرى السنوية لانتقال البعث في بغداد في العام ١٩٦٨.

---

٥١ التميمي، محمد سعيد بيوض. احتلال العراق والإطاحة بصدام حسين، لماذا؟ ٢٠٠٧/١/٢٠. موقع شبكة البصرة الإلكتروني.

وعلى صعيد آخر بدأت المفاوضات بين العراق والكويت بعد أن زار الرئيس المصري حسني مبارك العراق في ١٩٩٠/٧/٢٤ وحاول تهدئة الموقف والدعوة إلى مفاوضات جديدة بين العراق والكويت. وقد بدأت فعلاً تلك المفاوضات بوساطة سعودية في جدة في يوم ١٩٩٠/٧/٣١، أي قبل يومين من بدء الغزو العراقي للكويت، وقد كان صدام حسين قد طمأن الرئيس المصري بأنه سوف لن يهاجم الكويت عسكرياً ويعالج الموضوع سياسياً، وهي الرسالة الشفهية التي نقلها الرئيس مبارك إلى أمير الكويت، وكانت خدعة كبيرة مررها على الرئيس المصري ونكث بالوعد الذي قطعه له. وفي يوم ١٩٩٠/٧/٢٥ التقى مع السفارة الأمريكية في بغداد، أبريل غلاسبي، والتي سنتطرق إليها لاحقاً.

أرسل صدام حسين وفداً مكوناً من نائب رئيس مجلس قيادة الثورة عزت الدوري رئيساً، والدكتور سعدون حمادي، رئيس مجلس النواب العراقي، وعلي حسن المجيد، في حين وصل الشيخ سعد العبد الله، ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء، على رأس وفد ضم فيه كل من وزير الدولة للشئون الخارجية الشيخ ناصر محمد الأحمد الجابر الصباح، ووزير العدل والشئون القانونية والإدارية، السيد ضاري العثمان، ووزير النفط السيد رشيد العميري، ووكيل وزير الخارجية السيد سليمان ماجد الشاهين، ووكيل وزير الداخلية السيد اللواء يوسف الخرافي<sup>٥٢</sup>، للمباحثات حول المشكلة القائمة بين البلدين.

وصل الوفدان إلى السعودية ولدى كل منهما موقفه الواضح والمحدد سلفاً ولا يمكن تغييره بأي حال. حمل الوفد العراقي معه قرارات وأوامر واضحة من صدام حسين لا تقبل الجدل والتغيير، بل هي لرفضها على الجانب الكويتي والتزام الكويت بقبولها، أي إما أن يوافق عليها الطرف الكويتي، وإما أن يعود الوفد العراقي إدراجه إلى بغداد ليتخذ صدام حسين قراره الأخير وما ينبغي على النظام أن يقوم به. وكانت مطالب النظام العراقي تتلخص بما يلي:

---

٥٢ الصباح، ميمونة خليفة العذبي د. العدوان العراقي على دولة الكويت بين الممارسات والادعاءات.

الكويت. سلسلة الكتب المتخصصة. ط ١. ١٩٩٥. ص ٦٤/٦٥.

التوقف عن زيادة صادرات النفط الكويتي التي تساهم في تخفيض أسعار النفط الخام في السوق الدولية، إلغاء الديون التي بذمة العراق " تقديم عشرة ملايين دولار أمريكي منحة أو قرض بعيد المدى " دفع مبلغ مقداره ٢,٤ مليار دولار عن النفط المستخرج من جانب الكويت من حقول جنوب الرميلة " الموافقة على تأجير جزيرتي بوبيان ووربه للعراق.

أما الوفد الكويتي فقد جاء هو الآخر بتعليمات واضحة غير قابلة للتغير، إما أن يوافق عليها العراق أو يؤجل البحث فيها لوقت لاحق. وفي النقاش وافق الطرف الكويتي على دراسة موضوع إلغاء الديون، كما وافق على تقديم ٩ مليارات دولار أمريكي كقرض للعراق بدلاً من ١٠ مليارات دولار. ولكنه رفض الموافقة على إعطاء مبلغ قدره ٢,٤ مليار دولار الذي طالب به النظام العراقي كحصة له من استخراج وتصدير نفط حقل الرميلة الجنوبي، كما وافق على دراسة تأجير جزيرتي بوبيان ووربه. ولكن الوفد الكويتي اشترط أن يتم كل ذلك في أعقاب البدء بمفاوضات حول مشكلة الحدود المعلقة منذ عقود بين البلدين وإيجاد حل نهائي لها.

اعتبر الوفد العراقي تقليص المبلغ المطلوب كمنحة أو قرض من ١٠ إلى ٩ مليارات بمثابة إهانة للنظام العراقي أولاً، وأن طلب تأجيل كل ذلك لما بعد البدء بمفاوضات لإنهاء مشكلة الحدود بين البلدين بمثابة إعاقة جدية للمفاوضات وابتزاز العراق في قضية لا يمكن البدء بالتفاوض حولها في تلك الفترة واستثمار أوضاع العراق المالية الصعبة لانتزاع اعتراف بالحدود التي كان النظام يرفض الاعتراف بها.

اقترح ولي عهد المملكة العربية السعودية الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود أن تقدم السعودية المليار دولار المتبقي من المليارات العشرة التي طالب بها العراق كمنحة للعراق غير قابلة للتسديد ليستكمل المبلغ المطلوب. ولكن العراق رفض ذلك. وتقرر تأجيل المفاوضات وبدئها في بغداد بعد ذلك. انتهت المفاوضات في اليوم الأول من شهر آب/أغسطس ١٩٩٠ وعاد الوفد العراقي على إثرها إلى بغداد على أساس البدء بالمفاوضات مجدداً في بغداد. وقدم عزت الدوري والوفد المرافق له تقريره إلى صدام حسين الذي توقعه صدام حسين وانتظر حصوله، إذ كان قد بيت الأمر منذ البدء.

لم تكن المفاوضات مريحة بل متوترة، إذ أن الوفد الكويتي كان قد جاء إلى المفاوضات بقرار واضح هو أنه من الممكن أن تبحث كل الأمور وتعالج كل القضايا شريطة أن تبدأ بمفاوضات حول الحدود، في حين كان النظام العراقي يرفض هذا الموقف جملة وتفصيلاً. ولم يكن هناك أي سبب واقعي لرفض بحث موضوع الحدود الذي تأجل طويلاً وتسبب تأجيله بمشكلات كبيرة بين البلدين على امتداد العقود المنصرمة، وكانت سبباً لادعاءات العراق ابتداءً من الملك غازي ومروراً بنوري السعيد وعبد الكريم قاسم وعبد السلام عادل وانتهاءً بصدام حسين.

عاد الوفد الكويتي ولم يكن في ذهنه أن هذا هو اللقاء الأخير بين الطرفين وعلى أمل اللقاء في بغداد لبحث الموضوع مجدداً! يقول الشيخ سعد العبد الله في جواب عن سؤال وجه له ما يلي:

"حين خرج عزة إبراهيم وقطع الاجتماع قمت أنا بالاتصال به وعرضت عليه أنأتي إليه وجاءنا الأمير عبد اله فذكرت له إننا لم نصل إلى صيغة اتفاق فالجانب العراقي ما زال يكرر ما ذكره ويتشدد وأعتقد أنه جاء وليس هدفه التوصل لصيغة، فعرض الأمير عبد الله أن يذهب إليه فأخبرته أنني اتفقت مع عزة إبراهيم على أن أذهب إليه وذكرت له الموعد وطلبت منه أن يتركنا عندما أحضر منفردين فرحب بذلك، وفي الموعد ذهبت واستأذن الأمير عبد الله وتركنا، فحاولت أن أبحث الموضوع بيني وبينه، فقال أن رأسي يؤلمني ولا أستطيع الحديث، فبدأت أنا أدخل بالموضوع، ولكنني وجدت الرجل غير مستعد أن يأخذ ويعطي معي من أجل التوصل لصيغة اتفاق بل ظل يردد أنتم أخذتم أرضنا، وأخذتم كذا وكذا، وفي كل لحظة يردد حان موعد العشاء وأقول له لم يحن بعد وما زال هناك وقت، فيكرر ذلك وأقول له سنذهب معاً في سيارة واحدة، ولكن لم يكن لدى الرجل أي استعداد للحوار ولم يطرح أي اقتراح، حتى موضوع القوات ووجودها على الحدود وما يثيره ذلك من توتر لم يعلق عليه بشيء"<sup>٥٣</sup>.

---

٥٣ المصدر السابق نفسه. ص ٦١.

كان على ولي عهد الكويت، في ضوء هذه الطريقة في التعامل معه من جانب عزة الدوري، أن يدرك بأن النظام العراقي قد قرر أمراً بعيداً عن الحوار والمفاوضات السلمية، وأن على الكويت أن تتخذ الإجراءات الكفيلة لمواجهة الأمر وفضح هذا الموقف الصدامي.

إلا أن رئيس الوفد السعودي أدرك بأن انتهاء تلك المفاوضات بتلك الصورة ودون صدور بلاغ مشترك لا يحمل بشائر خير بين البلدين، إذ لم يستطع الوفدان الوصول إلى حل أي من تلك المشكلات المعلقة، إذ لم يكن هناك لدى الطرف العراقي أي استعداد للمساومة، كما لم تكن الكويت تقبل بحل تلك المشكلات دون البدء بحل المشكلة الرئيسية التي تواجهها، وهي قضية الحدود بين البلدين. خاصة وأن العراق كان قد حصل في حينها على موقف مضطرب، ولكنه مفهوم، من سفيرة الولايات المتحدة الأمريكية في بغداد، وكان صدام حسين قد اعتبره كافياً ليتصلب في مواقفه إزاء مطالبه المطروحة على الطرف الكويتي.

حتى هذا الحين لم تكن جهود الجامعة العربية أو الدول العربية الأخرى محسوسة في معالجة المشكلة بين البلدين في ما عدا جهود محدودة كان يبذلها الملك حسين بن عبد الله والرئيس حسني مبارك والسيد ياسر عرفات، إضافة إلى الملك فهد والأمير عبد الله. أما الجامعة العربية كمؤسسة فقد كانت حتى ذلك الحين كعادتها في غيبوبة تامة.

ثانياً: الجبهة السياسية الدولية

ركز صدام حسين في خلافه مع الكويت على توجيه المذكرات السياسية التوضيحية المليئة بالانتهاكات للكويت إلى الأمانة العامة لمجلس الجامعة العربية والمطالبة بتعميم مذكراته إلى بقية الدول الأعضاء. ولكنه كان يتقدم بمذكرات أخرى إلى منظمة الدول المصدرة للنفط (الأوبك) ويطرحها في اجتماعاتها الدورية ويطالبها بمنع الكويت عن استخراج وتصدير كميات أكبر من النفط الخام المخصص لدولة الكويت رسمياً، الذي أدى ويؤدي إلى تدهور شديد في أسعار النفط في السوق الدولية نتيجة وجود زيادة في العرض على الطلب على النفط الخام، والذي بدوره تسبب ويتسبب في تحميل البلدان المصدرة للنفط، ومنها العراق، خسائر مالية كبيرة سنوياً. وكان النظام العراقي يشير إلى أن الحكومة الكويتية قد

بدأت بانتهاج هذه السياسة منذ العام ١٩٨٦، أي حتى قبل إيقاف القتال مع إيران بفترة طويلة، ولكن المنظمة لم تستطع، وفق الآليات المعمول بها، منع الكويت من الاستمرار بتصدير كمية أكبر من نفطها الخام سنوياً، كما أن النظام العراقي لم يستطع إثارة الموضوع بسبب الحرب التي كانت دائرة بينه وبين النظام الإيراني وبسبب دعم الكويت المتعدد الجوانب له أثناء تلك الحرب. ونسى أو تناسى عن سبق إصرار صدام أنه كان قد منح أمير الكويت أعلى وسام عراقي حينذاك نتيجة الدعم غير المحدود الذي قدمته دولة الكويت على العراق في حربه ضد إيران. ورغم المذكرات الموجهة إلى الجامعة العربية من جانب العراق والكويت لم تتخذ الجامعة العربية أي خطوة لجمع الطرفين أو الدعوة على اجتماع خاص لمعالجة المشكلة القائمة بين البلدين وتركت الأمر مقتصرًا على الاجتماعات الروتينية للجامعة.

إلا أن صدام حسين كان قد أبدى اهتماماً بالغاً بالموقف الذي يمكن أن تتخذه الولايات المتحدة من الخلاف بين البلدين في حالة تفاقم الوضع بين العراق والكويت، رغم أنه لم يعلن عن هذا التخوف، بل كان يواصل هجومه السياسي اليومي على الإمبريالية والصهيونية وعلى الولايات المتحدة الأمريكية، رغم إعادة العلاقات الدبلوماسية معها منذ العام ١٩٨٤، ورغم سعيه لإقامة أوسع العلاقات معها، ورغم الدعم الكبير المالي والمادي واللوجستي والمعلوماتي الذي قدمته الولايات المتحدة للنظام العراقي خلال سني الحرب مع إيران والذي تحدثنا عنه في الكتاب الثامن.

بعد اللقاء الذي تم في بغداد بين صدام حسين والرئيس المصري حسني مبارك في ١٩٩٠/٧/٢٤ وقال له بالحرف الواحد، "لن استخدم القوة العسكرية ما دامت المفاوضات بين الكويت والعراق قائمة. وإنما يا أخ مبارك، أرجو عدم الكشف عن ذلك للكويتيين لئلا يزدادوا غطرسة وادعاءً" وكأنه كان يقول له قل يا أخي ذلك للكويتيين لكي لا يثيروا ضجة أكبر ولكي لا يحركوا الدول الغربية ضده، كما أنه أكد عدم استعداده لعمل عسكري ضد الكويت للرئيس الفلسطيني ياسر عرفات الذي نقل الخبر للكويتيين أيضاً. والذي يتبين منه أن صدام حسين لم يبلغ بالقطع استخدام السلاح، بل حدده باستمرار بنتائج

المفاوضات، ولكن لم يبين كيف سيكون الموقف إن توقفت المفاوضات أو لم تتوصل إلى نتيجة معينة؟ لقد كان صدام حسين واضحاً تماماً حين أكد أكثر من مرة بأنه لا يستبعد استخدام القوة للوصول إلى ما يراه حقاً مشروعاً له في خلافه مع الكويت! ولكن كانت خشيته تتركز في دور الولايات المتحدة الأمريكية في مجمل الصراع الدائر بين الدولتين، إذ لم يكن قد توصل حتى ذلك الحين إلى معرفة مدققة لهذا الموقف، في حين أن ابعاد الناس عن التحليل العلمي كان يدرك بأن أي تحرش عسكري بالكويت سيقود إلى تدخل مباشر من جانب الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا وكل الدول الغربية. وسبب عدم توصل صدام حسين إلى معرفة الموقف الأمريكي أرقاً كبيراً له، رغم أنه كان في اليوم الذي زاره الرئيس حسني مبارك قد حرك مجلس النواب العراقي لإصدار قرار يعلن فيه انتخاب صدام حسين رئيساً للجمهورية مدى الحياة في محاولة بائسة واستبدادية حقاً الهدف منها إشعار الرئيس المصري والرئيس الأمريكي والعالم العربي، بل كل العالم، بأن الشعب العراقي يريد صدام حسين ويقف إلى جانبه ويساند سياساته! وكانت مهزلة حقيقية وتمثيلية فاشلة ولكنها أراحت أعصاب صدام حسين المتوترة وأنعشت غروره غير المحدود.

في اليوم التالي للقاء مبارك قرر صدام حسين أن يجس نبض الولايات المتحدة الأمريكية عبر سفيرتها في العراق. فقرر في الخامس والعشرين من تموز/يوليو ١٩٩٠ أن يلتقي بالسفيرة الأمريكية السيدة أبريل غلاسبي بمكتبه ببغداد. جاءت السفارة لتلتقي بصدام حسين وطارق عزيز ولتسمع منه ما يريد، رغم أنها، كما ادعت، لم يتسن لها الاتصال بالولايات المتحدة لمعرفة وجهة نظر البيت البيض بما يفترض أن يقال لصدام حسين في تلك المرحلة الخطرة من المفاوضات بين العراق والكويت.

على أهمية الحديث الذي دار بين صدام حسين وابريل غلاسبي فإن الأهم من ذلك هو ما كان يريد صدام حسين أن يلتقطه منها بشأن موقف الرئيس الأمريكي جورج بوش والولايات المتحدة في حالة حدوث نزاع مسلح بين العراق والكويت، فسمع منها ثلاث مسائل شكلت الضوء الأخضر الأول لغزو الكويت بالنسبة لصدام حسين، وهي:

١. إن أسعار النفط واطئة حقاً ولا يفترض أن ترتفع جداً، وأن العديد من الأمريكيين في مناطق الولايات المتحدة يرغبون ببيع النفط بأسعار أعلى من الأسعار الحالية.

٢. وأن الولايات المتحدة تهتم كثيراً بالمنطقة وتريد الهدوء فيها، ولكن مشكلة الحدود بين العراق والكويت ليست قضية أمريكية، وأن الولايات المتحدة لا تمتلك اتفاقية دفاع مشترك مع الكويت.

٣. كما أن الولايات المتحدة تهتم أساساً بعلاقاتها مع المملكة العربية السعودية ولها معها اتفاقية دفاع مشترك.

وكما يشير الكاتبان بيار سالينجر وأريك لوران إلى أن هذه المسائل كانت بمثابة الضوء الأخضر لصدام حسين لكي يقوم بعملية عسكرية ضد الكويت، وكان المتوقع أن لا تكون عملية شاملة لاحتلال الكويت، بل عملية عسكرية محدودة على المنطقة المتنازع عليها على الحدود بين البلدين. ومن المفيد أن نقرأ هنا ما جاء في حديث السفارة الأمريكية مع صدام حسين وبحضور طارق عزيز. قالت السفارة ما يلي:

" حقيقة القول، نحن نلاحظ أنكم حركتم قوات ضخمة في الجنوب. ومن الطبيعي ألا يعيننا الأمر بحد ذاته، ولكن، عندما يحصل في الإطار الذي رسمتموه بأنفسكم في عيدكم الوطني. كذلك الأمر، عندما نأخذ بعين الاعتبار وجهة النظر العراقية في اعتبار ما تقوم به الكويت والإمارات من طبيعة عسكرية، لا بد وأن نشعر أننا معنيون بالوضع. وبالنتيجة لقد تلقيت تعليمات بأن أطلب منكم، بكل صداقة وود، إعلان نواياكم"<sup>٥٤</sup>. (راجع الملحق رقم)

أما الضوء الأخضر الثاني فقد جاءه من السيد جون كيلي، مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط، حين حضر إلى مبنى الكابيتول وأدلى بشهادته أمام لجنة الشرق الأوسط الفرعية التابعة لمجلس النواب حول الخلاف القائم بين العراق والكويت. أجاب السيد كيلي عن سؤال وجهه النائب لي هاملتون الذي قال:

---

٥٤ سالينجر، بيار ولوران، أريك. حرب الخليج. الملف السري. بيروت. دار أزال للنشر والتوزيع. ط ١.

شباط/فبراير ١٩٩١. ص. ٧٩.



" ورد في الصحف تصريح لوزير الدفاع ريتشارد تشيني يقول فيه إن الولايات المتحدة ملتزمة بالدفاع عن الكويت إذا هوجمت. فهل هذا هو ما صرح به؟ هل يفضل السيد كيلى بتوضيح هذا الأمر؟ " فرد كيلى بقوله: " لا أعرف التصريح الذي تشير إليه. ولكنني واثق من موقف الحكومة من هذه القضية. ليست هناك معاهدة بيننا وبين دول الخليج. هذا واضح. ونحن ندعم استقلال وأمن جميع الدول الصديقة في المنطقة. ولنا قوات بحرية في المنطقة منذ عهد إدارة ترومان وذلك لأن استقرارها يخدم مصالحنا. ونحن ندعو إلى حل سلمي لجميع النزاعات ونعتقد بوجود احترام سيادة كل دولة في الخليج ". فقال لي هاملتون:

" وماذا سيكون موقفنا من استخدام القوات الأميركية إذا تجاوز العراق مثلا الحدود الكويتية؟ فرد كيلى بقوله: " هذا سؤال افتراضي لا أستطيع التعرض له. واكتفي بالقول بأن هذا سيكون موضع اهتمامنا الشديد ولكني لا أستطيع الخوض في ميادين الافتراض ". فسأله لي هاملتون:

" لكن إذا حدث شيء من هذا فهل يكون موقفنا صحيحا إذا قلنا بأنه لا توجد معاهدة أو التزام يوجب استخدام القوات الأميركية؟ " فأجاب كيلى: " هذا صحيح تماما "°. (راجع الملحق)

لم يكن هذا الأسلوب في عرض القضية الخلافية بين العراق والكويت عفوياً أو عبثياً، بل كان مدروساً بعناية كبيرة من جانب أجهزة وزارة الخارجية ووزارة الدفاع ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية التي كانت تدرك وتعرف تماماً طبيعة صدام حسين ووجهة تحركه وما يريد الوصول إليه من جس النبض الأمريكي، فلم تتردد السفارة الأمريكية في تقديم ما يريده، أي طمأنته بأن الخلاف بين العراق والكويت لا يهم الولايات المتحدة، بل هو شأن عربي، ولكن لا يجوز التحرش بالمملكة السعودية. كانت الرسالة واضحة، وكان الدكتاتور ينتظرها بفارغ الصبر، ولم يدرك بأي حال ما وراء هذه المناورة الذكية من جانب السفارة، ولكن طارق عزيز، المعروف بنباهته السياسية لم يعتمد إلى تنبيه صدام حسين إلى هذا

---

°° راجع الموقع الإلكتروني <http://www.iraq4all.dk/Book/Mofkra/F-4.htm> بتاريخ ١٠/٥/٢٠٠٧.

المطب المحتمل الذي ينتظره وهو يعرف المغامرة الخطيرة التي يهيئ رئيسه لتنفيذها. لم يكن طارق عزيز غيبياً بل تمتع بذكاء يفوق سيده، ولذلك لا بد أن يكون قد أدرك الحقيقة. فما السبب وراء عدم تنبيه صدام حسين إلى ذلك؟ هل هي الخشية منه أم الوضع العام والتوتر هو الذي أعمى بصيرته أيضاً؟ لا يستطيع أحد أن يقرر ذلك ما لم يتحدث به طارق عزيز ذاته الذي يقبع في المعتقل بانتظار محاكمته على الجرائم المتهم بها والتي شارك قيادة النظام بارتكابها.

### ثالثاً: الجبهة العسكرية

كان صدام حسين قد قرر مسبقاً بأن لا حل مع الكويت إلا عبر استخدام القوة العسكرية، والقوة هي الأسلوب الوحيد القادر على "استرداد الحق العراقي!" في عرف وأسلوب تفكير وعمل صدام حسين. وعلى هذا الأساس الفكري بدأ بالتهيئة لعملية عسكرية واسعة ضد الكويت في وقت مبكر وبعد فترة وجيزة من بدء الخلاف معها. لقد كان النظام العراقي واثقاً من ثلاث قضايا:

١. إن الكويت غير قادرة عسكرياً على مواجهة القوات العسكرية العراقية بسبب الفارق في ما تمتلكه القوات العسكرية العراقية من إمكانيات وقدرات عسكرية وخبرة قتالية، إضافة إلى حجم تلك القوات والمعدات التي تحت تصرفها. فما هي حقيقة انعدام التوازن بين القوات المسلحة العراقية والكويتية؟ تشير القدرات العسكرية للبلدين إلى ما يلي:

نوع القوات والسلاح	العراق / القوة العسكرية في مسرح العمليات	العراق / القوة العسكرية المهيئة للغزو	الكويت
القوة البشرية	١٣٦,٠٠٠	٨٨,٠٠٠	١٦,٠٠٠
الدبابات	١٢٣٤	٦٩٠	٢٤٥
قطع المدفعية	٦٥٠	٥٥٦	٧٢
زورق صواريخ	٨		٨
زورق طوربيد	٦		-
مركبة وسادة هوائية	٦		-
سفينة إنزال	٦		١٠
زورق دورية	٢٠		-
سفينة مكافحة ألغام	٨		-
كتيبة مشاة بحرية	٢		٢
القاذفات	١٦	-	-
القاذفات المقاتلة	٣٦٠	١٤٤	١٢
المقاتلات	٢٧٥	٦٠	٢٣
الطائرات العمودية المسلحة	١٥٩	٣٦	١٨

قارن: العراق الكويت الجذور.. الغزو.. التحرير. التحضير العسكري العراقي لغزو الكويت. موقع موسوعة المقاتل. أعد الجدول في ضوء الجداول والأرقام المنشورة في هذا البحث. ك. حبيب

ومنه يتبين بأن القوات المسلحة الكويتية لا تشكل سوى نسبة ضئيلة جداً من عدد القوات العراقية، كما أن معداتها العسكرية اقل بما لا يقاس مع المعدات العسكرية والتنوع في السلاح الهجومي، وليس الدفاعي فقط.

٢. أن الصراع الدولي بين الشرق والغرب يمكن أن يمنع أي تطور للنزاع العسكري أو دخول دول أخرى على خط النزاع المسلح، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، إضافة إلىطمأنة التي وصلته من غلاسبي وكيلي خلال فترة وجيزة.

٣. إن العالم العربي غير موحد وبالتالي من الممكن أن تعجز الجامعة العربية عن إصدار قرار مناهض للعملية العسكرية التي يمكن أن يقوم بها العراق ضد الكويت.

برهنت الحياة على أن صدام حسين لم يكن واقعياً إلا في الاستنتاجين الأول والثالث، في حين كان مغامراً وعاجزاً عن إدراك جوهر الصراع الدولي حول المصالح وبعيداً عما كان يجري في العالم من تغيرات على الساحتين العربية والدولية وما يمكن أن يتعرض له من عواقب سلبية لو مارس القوة العسكرية ضد الكويت. لقد كانت حساباته لا تتجاوز ١ + ١ = ٢، أما التعقيدات الأخرى التي تلف منطقة الشرق الأوسط وقضية النفط الخام في الخليج ودور الولايات المتحدة الجديد في العالم مع بروز علامات الانهيار التام في الاتحاد السوفييتي فلم تكن قادرة على إفهام صدام حسين بمخاطر المغامرة التي يريد القيام بها في العلاقة مع الكويت والعواقب المحتملة على العراق والمنطقة. غالباً ما تعمى بصيرة الشخص حين يكون مأخوذاً بهاجس معين ويسعى على هدف معين فلا يستطيع رؤية كل العوامل الفاعلة لا مع قضيته بل وتلك التي ضدها. وهكذا كانت حالة صدام حسين في الفترة التي سبقت غزو الكويت واحتلالها.

لقد ظن البعض بأن صدام حسين، في حالة قيامه بأي عمل عسكري ضد الكويت، سوف لن يكون أكثر من عبور الحدود والاستقرار العسكري في المنطقة المتنازع عليها إلى أن يتم حل الخلاف الجديد مع الكويت. وكل الدلائل كانت تشير إلى أن هذا التقدير قد يدور في بال قادة السعودية وبعض القادة الآخرين ومنهم الملك حسين. وحين تم الاتصال بالملك فهد وإبلاغه بدخول القوات العراقية إلى الكويت، استفسر في ما إذا كانت تلك القوات قد بلغت المنطقة المتنازع عليها، فقبل له أنها اجتاحت كل الكويت عندها ظهر الانزعاج وبرزت الدهشة والانصعاق في نبرات صوته. وبدأت الخشية تسيطر على الملك فهد في أن يتجرأ صدام حسين ويدفع بقواته العسكرية صوب المملكة العربية السعودية، بالرغم من اتفاقية

الدفاع المشترك وعدم الاعتداء الأخيرة التي وقعت بين البلدين والتي طالب صدام حسين بعقدها قبل الغزو بفترة وجيزة لكي يطمئن السعودية بأن غزو الكويت لا يعني التحرك والامتداد صوب الكويت.

ولكن لم يكن هناك ما يبرر مثل هذا التقدير السعودي أو العربي عموماً، إذ أن استعدادات النظام العسكرية، والتي كانت معروفة للقوات الأمريكية وللبيت الأبيض، لم تكن في كل الأحوال تؤيد هذه الواجهة في التقدير. فما هي الإجراءات التي اتخذها صدام حسين في الجانب العسكري من عملية التحضير لغزو الكويت؟ يبدو لي أن صدام حسين قد وزع نشاطه ضد الكويت على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: بدأت هذه المرحلة بالتهيئة الفكرية والسياسية لعملية عسكرية ضد الكويت في أعقاب اجتماع مجلس التعاون العربي في عمان في ٢٣ شباط / فبراير من العام ١٩٩٠ وحضور صدام حسين هذا الاجتماع، إذ قال فيه: "ألا تقوم واشنطن الآن بمساعدة اليهود السوفييت على الهجرة إلى إسرائيل؟ ألا تقوم كذلك بتسيير دورياتها في الخليج بالرغم من انتهاء الحرب العراقية الإيرانية؟... إن البلاد التي ستمارس أكبر نفوذ في المنطقة وتهيمن على الخليج وبتروله سوف توطد تفوقها كقوة عظمى لا تُنافس. وهذا يبرهن على أن أهل الخليج وسائر العرب الآخرين في غفلة عما يجري وأن المنطقة ستحكم وفقاً لمشئنة الولايات المتحدة. وستقوم هذه بتحديد سعر البترول بشكل يخدم مصالحها لا مصالح الآخرين"<sup>٥٦</sup>. ويمكن أن يفهم من هذا أن العراق هو الذي يفترض فيه أن يتصدى لكل ذلك ويمنعه ويجعل من العراق تلك القوة القادرة على المواجهة. واستمرت هذه المرحلة مقتصرة على العملية الإعلامية والدعائية التي تسمح بالتحول صوب المرحلة الثانية. المرحلة الثانية: بدأت هذه المحلة في حزيران/يونيو ١٩٩٠ حين اعتقد صدام حسين بأن لا فائدة من التفاوض مع الكويت وأن عليه أن يتهياً منذ الآن لخوض المعركة العسكرية مع الكويت. وهي الفترة ذاتها التي انتهى فيها إلى قراره القاضي بعدم التوقف في الزحف عند

---

٥٦ راجع الموقع الإلكتروني <http://www.iraq4all.dk/Book/book.htm> أخذ المقتطف بتاريخ

.٢٠٠٧/١٠/٥

المنطقة الحدودية المتنازع عليها بل مواصلة الزحف وغزو الكويت كلها واحتلالها ومن ثم دمجها بالعراق. وقد شكل لهذا الغرض عدة لجان من بينها اللجنة الاقتصادية التي كلفت بدراسة إمكانيات تسريع دمج الاقتصاد الكويتي بالاقتصاد العراقي دون عوائق ومشكلات داخلية أو عربية أو دولية. وكل المعلومات المتوفرة كانت تشير إلى الخطوات الرئيسية التالية التي نفذها رأس النظام العراقي حينذاك.

بدأ التحشيد العسكري الفعلي في ١٦ تموز/يوليو ١٩٩٠ حيث وصلت إلى وكالة المخابرات المركزية معلومات تشير إلى وجود ٣٥ ألف مقاتل عراقي على الحدود الكويتية، ثم جاءت الصور التي التقطت لتلك القوات لتشير إلى زيادة التحشيد في اليوم ١٧/٧/١٩٩٠. وهكذا بدأت عملية التحشيد بالتزايد يوماً بعد آخر حتى بلغ عدد الأفراد المحتشدين على الحدود مع الكويت في ٣٠ تموز/يوليو ١٠٠ ألف عسكري وعدة مئات من الدبابات والمدافع، والعديد من الآليات المدرعة.<sup>٥٧</sup>

أما المرحلة الثالثة فهي التي اقترنت بالغزو المباشر للكويت، والتي خصصت لها المبحث التالي.

## المبحث الثاني

### غزو العراق للكويت

كل الدلائل كانت تشير في حينها إلى أن صدام حسين كان يعمل لتأمين كافة مستلزمات غزو كامل للكويت، وأنه حاول، كما أدعى، أن يستعيد قراءة وتحليل كل العوامل التي يمكن أن تكون إلى جانب انتصاره في المعركة. والسؤال الذي يبقى يدور في بال الجميع هو: ما هي المعطيات التي استند إليها صدام حسين والتي منحته الثقة بالنصر حين قام بدفع قواته العسكرية لتنفيذ غزوه العدوانى لدولة الكويت واحتلاله لها، خاصة وأن كل المؤشرات كانت تؤكد فشله في هذه المغامرة الخائبة؟ لا يمكن التكهن في كل ما كان يدور

---

<sup>٥٧</sup> راجع الموقع الإلكتروني <http://www.iraq4all.dk/Book/book.htm> أخذ المقتطف بتاريخ

.٢٠٠٧/١٠/٥

في رأس صدام حسين حينذاك حين قرر غزو الكويت، ولكن في مقدور المتتبع للسياسية الصدامية والعارف بطبيعة هذا الرجل وتكوينه الفكري والسياسي وسلوكه العملي وتطلعه للقيادة والهيمنة وهو خارج الحكم، ومن ثم وهو في الحكم، يستطيع أن يحدد جملة من العوامل التي أعطته تلك الثقة المزيفة بقدرته على إحراز النصر في هذه المعركة العسكرية غير المتكافئة مع الكويت فقط، وليس مع حلفاء الكويت في المنطقة العربية والعالم، ومنها بشكل خاص: ٥٨

١. لا شك في أن صمود القوات المسلحة العراقية الطويل بوجه القوات المسلحة الإيرانية في المرحلة الثانية من الحرب، حين أصبح العراق منذ نهاية العام ١٩٨١ وبداية العام ١٩٨٢ في موقع الدفاع وليس الهجوم، كان أحد الأسباب المباشرة والمهمة، إذ اعتقد صدام حسين بأن الحرب ستكون ضد الكويت فقط ولن تكون ضد حلفاء الكويت في المنطقة والعالم، وبالتالي فهو قادر على ابتلاعها دون تعقيدات كبيرة!

٢. ولا شك أيضاً في أن امتلاك العراق لجيش جرار بلغ تعداده حينذاك ما يقرب من مليون فرد وجيش شعبي بلغ تعداده نصف مليون فرد جاهز للقتال ومسلح تسليحاً رفيع المستوى يفوق تعداد وقدرات القوات الكويتية عشرات المرات، إذ لا يزيد عدد القوات المسلحة الكويتية، بمن فيها قوات الجيش والشرطة والأمن الداخلي والحرس الخاص، عن ٢٥ ألف فرد، قد منح صدام تلك الثقة المزيفة بالنصر.

٣. كما أن امتلاك العراق لترسانة كبيرة من الأسلحة الهجومية واستمرار تلقيه المزيد من الأسلحة من السوق الدولية الرسمية ومن السوق الموازية (السوداء) الدولية حتى ذلك الحين، رغم معرفة العالم بمطامع العراق في المنطقة وليس في الكويت وحدها، إضافة إلى إنتاجه للأسلحة محلياً، وكذلك امتلاكه لبعض أسلحة الدمار الشامل، قد منح صدام حسين الثقة المزيفة بإمكانية تنفيذ عمليتي الغزو والاحتلال بنجاح كبير والذي سيلهب مشاعر العرب صوب الوحدة العربية وصوب تسميته بقائد هذه الوحدة العربية، كما حصل

---

٥٨ قارن: هيكل، محمد حسنين. حرب الخليج وأوهام القوة والنصر. القاهرة. مركز الأهرام للترجمة والنشر. ط١. ١٩٩٢. ص ٣٥١-٣٥٤.

بالنسبة لقائد وحدة ألمانيا بسمارك!

٤. وكان صدام حسين قد عوّل على الوضع الداخلي في الكويت حيث توجد معارضة سياسية من جانب قوى قومية سانده بقوة واستمرارية أثناء حرب العراق ضد إيران والتي يمكن أن تسنده أيضاً في عملية الغزو والاحتلال باعتبارها عملية تحرير من العائلة الحاكمة وتساغه في اعتقال عائلة الأمير وحاشيته ومؤيدي الحكم الكويتي. ولا شك في أن اعتقال العائلة الحاكمة الكويتية سيسمح بفرض التنازل على عائلة الأمير في الداخل بقوة السلاح وعدم السماح لها بمغادرة الكويت ووضع جميع أفرادها في السجن لكي لا تنظم المقاومة المحلية أو تطلب من دول أجنبية التدخل لإعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل الغزو. ولهذا كانت خطط صدام حسين تعتمد على توجيه ضربة خاطفة وسريعة جداً تتم خلال ساعات فقط، وأن تقترن مباشرة باعتقال العائلة الحاكمة دون إبطاء وترحيلها إلى العراق.

٥. وكان صدام حسين واثقاً من عدم قدرة القوات المسلحة الكويتية على الدفاع عن استقلال وسيادة الكويت في مواجهة قوات الجيش العراقي وقوات الحرس الجمهوري، وإنها ستهزم إن حاولت المقاومة. وكان الدكتاتور يتوقع بأن وحدات من القوات المسلحة الكويتية ستقف إلى جانب قوات الغزو العراقية. ولا يعرف الإنسان من أين جاء هذا التقدير غير الواقعي لدى صدام حسين، إذ من غير المعقول أن تتعاون قوات عسكرية مع قوات الغزو، وهي المسئولة عن الدفاع عن حياض الوطن من جهة، وهي التي تعيش في ظروف أفضل بكثير من ظروف العراق من جهة أخرى، وهي التي تعرفت على طبيعة وسلوكية النظام ورأسه صدام حسين من جهة ثالثة.

٦. واعتقد صدام حسين بأنه الغزو السريع للكويت سوف يضع الدول الخليجية الأخرى والدول العربية والجامعة العربية أمام الأمر الواقع، كما سوف لن يكون هناك موقفاً موحداً من الخليج، مما يدفع بها وبالجامعة العربية إلى التفتيش عن حل عربي - عربي للمشكلة القائمة والتي ستنتهي بالموافقة على دمج الكويت بالعراق، خاصة وأن القوى القومية العربية ستسند هذه الوجة في تحقيق الوحدة العربية! ولا شك في أن بعض الامتعاض سيظهر عند بعض الملوك والرؤساء العرب، ولكن ليس عند الكل ولا عند الجماهير العربية،



ولكن الرافض للغزو والدمج سوف لن يكون قادراً على تغيير الموقف وإيقاف عملية الدمج بين الكويت والعراق.

٧. أما على الصعيد الدولي فقد رأى صدام حسين ثلاثة احتمالات، وهي:

أ. أن المجتمع الدولي منقسم على نفسه، ولا يزال بالإمكان الاستفادة الفعلية من المعاهدة العراقية - السوفيتية التي وقعت في العام ١٩٧٢ بين صدام حسين وكوسيجين، رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي حينذاك، وبالتالي سيمنع الاتحاد السوفياتي، بسبب المصالح الكبيرة التي له في العراق، من اتخاذ موقف مناهض للغزو والاحتلال والضم، كما يمكن أن يشارك الاتحاد السوفياتي في عرقلة أي قرار يراد إصداره من مجلس الأمن الدولي باستخدام حق النقض (الفيتو). وفي الوقت نفسه سوف يمكن تحييد مواقف الكثير من الدول بسبب قدراته المالية والنفطية.

ب. أن الولايات المتحدة الأمريكية مهتمة بالأساس بأمر الدفاع عن المملكة العربية السعودية ومنع تعرضها لأي اعتداء خارجي وحماية العائلة المالكة والنظام السعودي من أي محالة للتغيير، كما لا توجد معاهدة للأمن المتبادل أو الدفاع عن أمن الكويت بين الولايات المتحدة والكويت، وهو ما أكدته أبريل غلاسبي من جهة، وجون كيلي من جهة أخرى، وهذا ما برّزه الإعلام الدولي بهذا الخصوص أيضاً والذي بدا وكأن صدام حسين قد اقتنع أو رغب أن يعتقد بذلك، وأن تصريحات هؤلاء ليست سوى دعوة له لتنفيذ الغزو والدمج.

ج. أن تجربة الحرب الأمريكية في فيتنام وإجبارها على الهروب منها والوضع النفسي للشعب الأمريكي الذي نشأ نتيجة تلك الحرب سيمنع الإدارة الأمريكية من اتخاذ قرار خوض حرب جديدة ضد العراق بما يملكه العراق من قوات مسلحة ومعدات في وقت لا توجد قوات مسلحة أمريكية في السعودية أو في بعض دول الخليج الأخرى حتى ذلك الحين. وبالتالي، يمكن أن تعتمد الولايات المتحدة إلى إجراء مفاوضات سياسية سلمية يمكنها أن تقود إلى مكاسب كبيرة للعراق عجز عن تحقيقها طوال العقود المنصرمة.

٨. إن حاجة دول العالم إلى النفط الخام، وخاصة الولايات المتحدة والدول الأوروبية الغربية واليابان، سيمنعها من اللجوء إلى القوة العسكرية وشن الحرب ضد العراق لتحرير الكويت، إذ أن أي حرب في منطقة الخليج يمكن أن تؤدي إلى انقطاع ضخ النفط الخام إلى دول العالم، خاصة وأن الخليج يقوم بتزويد العالم بنسبة كبيرة من النفط سنوياً. وهذا العامل الإضافي سيساعد في منع اعتماد القوة والحرب من قبل الغرب في الخلاف مع العراق حول الكويت، بل سيدفعها إلى التفاوض وتحقيق ما يريده العراق للخروج من الأزمة.

كانت هذه الواجهة في التفكير قاصرة ووحيدة الجانب في كل الأحوال، إذ لا شك في أن صدام حسين قد وضع في حساباته احتمال نشوب حرب ضده، ولكنه كان يطرد الفكرة بالهروب منها إلى أمام وبالتحايل على نفسه والخديعة مع حاشيته من خلال الادعاء بأن الولايات المتحدة سوف لن تقدم على الحرب بسبب الوضع النفسي الخاص لسكان وقادة الولايات المتحدة من الحرب الفيتنامية، أو أنها لا تستطيع أن تدخل بحرب يمكن أن تعطل تصدير النفط الخام لعدة شهور، في حين كان صدام حسين يعرف تماماً بأن لدى الغرب احتياطي مخزون من النفط يكفي لعدة شهور بعد أن مر الغرب بتجربة السبعينات من القرن العشرين حين استخدم النفط في المعارك السياسية ضد الغرب، كما أن ارتفاع أسعار النفط الخام ليست بالمشكلة الكبيرة بالنسبة للغرب ولفترة معينة، إذ أنها يمكن أن تعوض الخسارة من خلال رفع أسعار السلع الأخرى التي تستخدم النفط في التصنيع أو كطاقة لتعويض ارتفاع أسعار النفط الخام. وعلينا أن نقدر بأن صدام حسين لم يكن يعرف الحل الوسطية، وإذا ما أجبر عليها، فإنه سرعان ما كان ينقلب عليها لتغييرها لصالحه ووفق ما كان يسعى إليه قبل ذلك. إلا أن حساباته كانت ذاتية وبعيدة كل البعد عن الواقع الفعلي.

وفي ضوء هذه التقديرات لم يجد صدام حسين صواب احتلال ذلك الجزء الحدودي المتنازع عليه بين البلدين من الكويت أو احتلال جزر بوبيان ووربه وفيلكه فقط، إذ أنها لا تشبع غليله أو مطامعه، بل يفترض فيه ابتلاع كل الكويت بضربة واحدة تضع العالم كله أمام الأمر الواقع تماماً كما فعلت إسرائيل في سياساتها إزاء الدول العربية حتى الآن.

أما قادة الكويت فلم يرد في بالهم، ورغم كل التحضيرات العسكرية العراقية على الحدود، أن صدام حسين سيقوم بغزو كامل للكويت، بل وفي حالة قيامه بأي عمل عسكري فعلي فسوف لن يتجاوز المنطقة المتنازع عليها. ويصعب تقدير الأسباب الكامنة وراء هذا الاطمئنان من جانب القادة والساسة الكويتيين، إذ أن البعض فسره بأن اتفاقاً كان قد تم بين الولايات المتحدة والكويت على استفزاز العراق ودفعه لولوج المنطقة الحدودية لكي تتاح الفرصة للولايات المتحدة على قص أجنحة هذا النظام الاستبدادي وتأديبه وتدمير أسلحته بحيث يعجز عن تهديد جيرانه، خاصة بعد إعلانه حول ما يمتلكه من قدرات عسكرية وتطوير صواريخه وأسلحته الهجومية، وأنه قادر حتى على تدمير أو حرق نصف إسرائيل. لقد كان هناك تقدير لدى الولايات المتحدة بوجود خراج كبير في المنطقة هو العراق لا بد من فتحه بعملية جراحية، إنها الحرب ضده، ولا يمكن خوضها دون أن يكون هناك السبب الذي يبرر هذه الخطوة. وها هو الدكتاتور صدام حسين يقدم لها الحجة على طبق من ذهب.

كتب نورمان شوارتزكوف، قائد قوات التحالف الدولي في الحرب لتحرير الكويت، حول موقف القادة الكويتيين واطمئنانهم بعدم قيام صدام حسين بأي عملية عسكرية واسعة ضد الكويت يقول: "أما في الكويت فإن صديقي الميجور جنرال الصانع والميجور جنرال جابر الخالد الصباح وضعا القوات الكويتية في حالة الإنذار القصوى ونشراها في مواقع دفاعية شمال مدينة الكويت وهي خطة سبق لي أن اطلعت عليها في العام المنصرم. إلا أن أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح اعترض ملغياً القرار وأعاد القوات إلى ثكناتها وافترض الأمير استناداً إلى خبرته أن بالوسع استرضاء صدام بالنقود لقد اسهمت الكويت من قبل بمليارات الدولارات دعماً لمجهوده الحربي ضد إيران فيما يزعم صدام الآن أن الكويت قد سرقت ما قيمته ٥,٢ مليار دولار من نفط حقل الرميثة المشترك بين البلدين واتفق الدبلوماسيون الأمريكيون أن صدام لن يهاجم"<sup>٥٩</sup>.

---

٥٩ شوارتزكوف، نورمان. مذكرات شوارتزكوف، الأمر لا يحتاج إلى بطل. وثائق وأسرار خطيرة. ترجمة د. نورالدين صدوق ود. غلاب الجابري. دمشق - القاهرة. دار الكتاب العربي. ط ٢. ١٩٩٥. ص

وكان هذا الشعور السائد لدى القادة الكويتيين موجوداً أيضاً لدى قادة المملكة السعودية بأن صدام ونظامه تعبان من الحرب مع إيران، وأنه سوف لن يعتمد إلى غزو الكويت أو المملكة السعودية، وأن العرب يمكنهم معالجة الموقف بدفع كمية من النقود لصدام حسين. يشير نورمان شواتزكوف بهذا الصدد ما يلي: "قضيت الأسبوع متوتراً قَدَمٌ في عالم التمرين الخيالي وقَدَمٌ في عالم الواقع الفعلي حيث الأزمة الحقيقية تتنامي ففي السابع عشر من تموز (١٩٩٠، ك. حبيب) وجه صدام حسين علناً وبهجة غاضبة تهديداً بالحرب إلى الكويت والإمارات العربية المتحدة وأتهم الاثنين بغرز خنجر مسموم في ظهر العراق بتجاوزهما حصص الإنتاج المقررة في الأوبك مما أدى إلى خفض أسعار النفط ومضى إلى القول أن جشعهما قد دفعهما إلى التآمر مع الإمبرياليين الأمريكيين والإسرائيليين لتخريب العراق وكفوا عن النصر كأشقاء عرب وفي اليوم نفسه وصل أول التقارير عن وجود تحركات مريبة للقوات العراقية شمال الكويت تماماً.

إن الصراع على حصص الأوبك هو بمثابة قبعة بالية فصدام المثقل بديون حرب تناهز ثمانين مليار دولار كان يريد منذ فترة بعيدة رفع الأسعار أما قادة الخليج الآخرون فقد رفضوا باسمرار مجاراته في ذلك. بل أن رجالاً ذوي ثقافة عالية مثل الملك فهد عاهل السعودية والسلطان قابوس بن سعيد عاهل عمان كانوا يعتبرون صداماً بمثابة قاطع طريق إلا إنهم لم يكونوا قلقين تماماً بسببه فبعد كل شيء أدار العراق كدولة عسكرية على مدى أحد عشر عاماً دون أن ينقلب على جيرانه العرب (الإيرانيون آريون وليس عرباً) وظلوا متمسكين بالاعتقاد أن العرب سيواصلون تسوية خلافاتهم بينهم سلماً. وهو ما دأبوا على تكرار قوله قروناً. إلا أن صدام حسين صعد تهديداته الفظة إلى مستوى لم يسبق له مثيل في العالم العربي وتوقعت أن نرى ردود فعل سريعة من الدول العربية الأخرى"<sup>٦٠</sup>.

وفي كتابه المذكور يشير شوارتزكوف إلى أن دولة الإمارات العربية المتحدة كانت أول دولة عربية تشعر بالقلق المتزايد لتهديدات صدام حسين. فقد كتب يقول: "كانت الإمارات العربية المتحدة أول من يطلب العون وتوجه الشيخ محمد بموافقة والده إلينا بطلب زوج

---

٦٠ المصدر السابق نفسه. ص ٢٨٩/٢٩٠.

من طائرات نقل الوقود لتزويد المقاتلات بالوقود جواً كان محمد يبغى الاحتفاظ بقوته الجوية محلقة باستمرار وجاهزة للدفاع فوراً بوجه أي هجوم عراقي كما سأل أيضاً أن كان بمقدورنا تزيده بطائرة إنذار مبكر تحسباً لقيام العراق بشن غارة كان كلا الطرفين دفاعي الطابع ومعقولاً...<sup>٦١</sup>.

أما قوى المعارضة العراقية فكانت تدرك أن صدام حسين لا يهدد فقط، بل ينوي القيام بعمل عسكري ضد الكويت، وأن صدام حين يقوم بعمل معين لا يينجز نصف بل يستمر به حتى النهاية مهما كانت النتيجة. وهكذا فعل. وهذا ما عبر عن السيد سعدي بـ"بيره، عضو المكتب السياسي للاتحاد الوطني الكردستاني، حين ذكر بشأن توقعات الحرب ضد الكويت قبل وقوعها ما يلي: " الفترة التي سبقت الغزو، شهدت أزمات عديدة كان صدام طرفاً فيها لتمرير ما كان يفكر به من غزو، منها انخفاض أسعار النفط في الأسواق العالمية وتراكم التأثيرات السلبية لهذه الحالة على القدرات المالية والاقتصادية لرئيس النظام السابق، ونتيجة لهذه الوضعية وجه النظام أصدامي اتهامات الى دول المنطقة، فجرت مباحثات بين العراق والكويت بمبادرة من السعودية ولم تتوصل المباحثات الى حل للأزمة ترضي الأطراف المعنية، فاستغل صدام هذه الحالات في تصعيد الأزمة، والقراءة الخاطئة لصدام للقاء الذي جرى بينه وبين السفارة الأمريكية في بغداد بخصوص الأزمة، وللتاريخ في هذه الفترة، توقع فخامة الرئيس جلال طالباني في ذلك الوقت في الشهر الخامس من سنة ١٩٩٠ بأن صدام يستعد للقيام باحتلال الكويت في محاضرة له في معهد الدبلوماسية البريطاني، كثير من السفراء قالوا إن هذا التوقع تحليل كردي غير واقعي، والتهديدات التي كان يطلقها النظام أصدامي بصدد النظام الأمني في المنطقة وتجاه إسرائيل وطرحه لشعار غوغائي إن تحرير فلسطين يمر عبر الكويت، كل هذه الأسباب وأسباب أخرى كامنة في نفس صدام نابعة من شخصيته العدوانية، كانت وراء الاحتلال أصدامي للكويت في عام ١٩٩٠.٦٢ لا شك أن غالبية قوى المعارضة العراقية كانت تتوقع قيام النظام

---

٦١ المصدر السابق نفسه. ص ٢٩٠.

٦٢ موقع الحكومة الكردية في إقليم كردستان في ٢٢/٢٢٠٦م

العراقي بغزو الكويت، ولهذا يصعب فهم عدم تقدير حكومة الكويت لمثل هذا الغزو المتوقع، وكل الدلائل كانت تشير إلى ذلك. ولم يكن هذا التوقع ناجماً عن العداء للنظام، بل عن معرفة بطبيعة النظام وصدام حسين أولاً، والأوضاع التي كان يمر بها الدكتاتور ثانياً، والمؤشرات التي سبقت الغزو في تصريحات وتحضيرات صدام حسين ثالثاً. نشر الكاتب السيد كامل زهيري مقالاً بعنوان "بعد العاصفة" في مجلة "الفرسان" الأسبوعية أشار فيه إلى حقيقتين مهمتين بهذا الصدد، وهما:

١. الإشارة إلى بحث للخبير بشئون الخليج ريتشارد كوردسمان تحت عنوان "سيناريو غزو العراق للكويت" قدمه في ندوة علمية عقدت في جامعة لكستر البريطانية قبل غزو الكويت ب ١٧ يوماً وبالتحديد بين ١١-١٣ تموز/يوليو ١٩٩٠. أي أن كثرة من الكتاب والباحثين كانوا يقدرون بدقة عالية قرب وقوع غزو الكويت.

٢. ويشير الكاتب إلى الحقيقة الثانية بما يلي: "والعجيب أيضاً أنني قرأت بعد ذلك محضر اجتماع مجلس وزراء الكويت، أثناء هذه الفترة الحجة قبل الغزو، فوجدت وزيراً كويتياً واحداً ووحيداً كان يرجح انتهاء الأزمة إلى الحرب حتماً. بينما توقع آخر طبقاً لمحضر الاجتماع إلى الغزو لو حدث، سوف يقتصر على احتلال حقل الرميلة وجزيرة بوبيان فقط. ولن يصل إلى غزو الكويت واحتلالها. أما بقية الوزراء فقد استبعدوا تماماً، وبشدة، أي احتمال لانتهاؤ الأزمة بالغزو." ٦٣

من هنا يمكن القول بأن، صدام حسين عشية غزوه الكويت على وفق القرار الذي اتخذته بنفسه، ولكن بمعرفة مجلس قيادة الثورة وموافقته، كان مطمئناً إلى عدة مسائل هي أن الاجتياح سيكون مفاجأة للغالبية العظمى من العرب والعالم، وأنه سيتم بسرعة فائقة وأن الاحتلال سيصبح أمراً واقعاً دون عوائق كبيرة، وأن الخطة التي قد تم وضعها منذ فترة غير قصيرة من جانب القيادة العسكرية التي يترأسها، والتي كانت تضم كبار عسكري النظام العراقي، ستنجح في تحقيق كل الأهداف دون استثناء. وأن هذا "التحرير!" للكويت

---

٦٣ زهير، كامل. بعد العاصفة. مجلة الفرسان العدد ٦٨٤. الاثنين ١٨ آذار/مارس ١٩٩١. باريس. ص

سينهي وإلى الأبد صراعاً طويلاً لصالح العراق حول "عائدية" الكويت له، وسيصبح صدام حسين بطل الأمة والوحدة العربية، كما حصل مع أوتو إدارد ليوبولد فون بسمارك Otto Eduard Leopold von Bismarck، بطل الوحدة الألمانية، بغض النظر عن الأسلوب في تحقيق الوحدة العربية، فالغاية تبرر الوسيلة. وأن أهل الكويت سيبتهجون بدخول القوات العراقية المحررة لهم من عائلة الأمير الشيخ جابر أحمد الصباح، وأن الولايات المتحدة والغرب سوف لن يتدخلوا في هذا الصراع العربي - العربي، كما أن العراقيين سيهللون لهذا الاحتلال، إذ ستزداد الثروة النفطية وسيصبح العراق بعد ضمه الكويت، أكبر دولة نفطية في المنطقة وستزداد قدرات العراق التصديرية وسيمتلك منافذ وموانئ على المياه الدولية. بهذا الاطمئنان الزائف والتعالي الفارغ والرؤية القاصرة عن معرفة حقائق الوضع الدولي وأهمية النفط الاستثنائية للولايات المتحدة والدول الأوروبية واليابان، نفذ صدام حسين مغامرته غير المحسوبة العواقب.

على الساعة الواحدة والنصف من ليلة الأول على الثاني من شهر آب/أغسطس ١٩٩٠ اخترقت القوات العراقية الحدود الكويتية واستطاعت خلال ست ساعات فقط أن تحتل الكويت كلها. ولم تستطع القوات الكويتية الصمود بوجه القوات العراقية المندفعة بقوة نحو الأمام لتحقيق الأهداف التي رسمت لها، كما لم تستطع مقاومة جمهرة من الناس الكويتيين الحريصين على استقلال وسيادة بلدهم والدفاع عن الكويت والصمود أمام جحافل الغزاة الصداميين المسلحين بأحدث الأسلحة. وقد أشار تقرير صادر عن الموسوعة الحرة حول غزو العراق للكويت ما يلي:

"وأثناء تقدم المفاوز المدرعة العراقية تعرضت لمقاومة ضعيفة من جانب قوات حرس الحدود الكويتية وقوات الشرطة التي كانت تنتشر حول مخافر الحدود المشتركة. فاشتبكت معها ودمرتها وتابعت تقدمها تحت ستر نيران المدفعية والدبابات. وفي أثناء القتال دارت عدة معارك غير متكافئة وأثناء تقدم المفاوز المدرعة العراقية، فاشتبكت معها، ودمرتها، وتابعت تقدمها، تحت ستر نيران المدفعية والدبابات، و في أثناء القتال دارت عدة معارك غير متكافئة مثل معركة جال اللياح جال المطلع شريقي الجهراء جال الأطراف قصر

دسمان و بحلول يوم ٤ أغسطس كانت القوات العراقية قد سيطرت على كامل التراب الكويتي.<sup>٦٤</sup>

لقد نجحت عملية اجتياح الكويت واحتلالها تماماً كما خططت لها القيادة العسكرية العراقية على وفق إرادة ورغبة الدكتاتور صدام حسين المتعطش للتوسع على الأرض والدم والحصول على المزيد من الأموال. وبهذا الاجتياح الذي بدأت معه كارثة شعب الكويت ومعاناته خلال الشهور السبعة من الاحتلال الغاشم من جانب قوات الغزو والاحتلال العراقية، لكنها كانت في الوقت نفسه البداية الجديدة لكارثة عراقية جديدة ومديدة متلاحقة بدأت بحرب تحرير الكويت والحصار الاقتصادي والانتفاضة الشعبية واستمرار هيمنة صدام حسين على البلاد.

نشر العراق قواته المسلحة في سائر أرجاء الكويت ونصب نقاط تفتيش في كل مكان، وبدأ بعملية اعتقال واسعة للضباط والجنود الكويتيين حيثما وجدوا، إضافة إلى جمهرة كبيرة من الناس المدنيين ممن كانت السفارة العراقية وأجهزة الأمن العراقية العاملة في الكويت قد وضعتهم في القائمة السوداء التي يراد اعتقالهم أو قتلهم منذ اليوم الأول لاحتلال الكويت. وفي هذا السياق كان صدام حسين قد أصدر أوامره السرية للغاية منذ شباط / فبراير ١٩٩٠ (أي بعد عودته من عمان من اجتماع مجلس التعاون العربي) إلى إرسال ٢٠٠ عنصر من عناصر القوات الانتحارية العراقية (العمليات الخاصة) بدخول دولة الكويت على شكل وجبات حيث استكملت وجودها في تموز / يوليو من العام ١٩٩٠ وهي تنتظر الأوامر بالهجوم الانتحاري على الأهداف الأساسية التي حددتها القيادة العسكرية في داخل الكويت، ومنها قصر الأمير البلاد والعائلة الحاكمة وبعض النخب الحاكمة والإذاعة والأهداف الحيوية والمهمة لتشكيل بذلك رأس رمح الهجوم المباغت على المؤسسات الكويتية وخاصة اعتقال الأمير وولي العهد والعائلة المالكة والحكومة وذلك بالترابط مع الهجوم العسكري. وقد كان من بين العناصر الانتحارية المدعو العميد محمد فارس كاظم، الذي

---

٦٤ راجع: الموقع الإلكتروني: الموسوعة الحرة.

"http://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=edit" \o HYPERLINK



عمل فيما بعد رئيساً لجهاز المخابرات العراقية في لبنان والذي قاد عملية اغتيال المرحوم الشيخ طالب سهيل التميمي في بيروت في العام ١٩٩٤، وهو من فرق الإعدام ومنسوب للعمليات الخاصة، وسبق أن زار الأردن متخفياً أكثر من مرة قبل وبعد عملية الاغتيال للشيخ التميمي، هذا ما جاء في مقال السيد الدكتور منذر الفضل تحت عنوان "أحد عشر سنة على خيمة صفوان.. والتنازل عن السيادة الوطنية - غدر بالجار وهدم للديار".<sup>٦٥</sup> جرى بسرعة ترحيل من تم اعتقاله ولم يقتل إلى الزبير ومنه إلى الشعيبية، ومن ثم إلى مواقع الأسر، سواء أكان ذلك في البصرة أم في بغداد، ومن ثم تصفية الكثير منهم. ويشار إلى أن عدد الكويتيين الأسرى قد بلغ أكثر من ٦٠٥ أسيراً ومعتقلاً وبعض المعتقلين الآخرين من جنسيات أخرى ومن بينهم بعض العراقيين أيضاً الذين زجوا في السجون، عدا جمهرة من الكويتيين الذين قتلوا في العمليات والمواجهات العسكرية، وخاصة من المجموعة التي قاومت المحتلين، أو من كان النظام يريد تصفيتهم دون محاكمات. يشير أحد الكتاب العراقيين الذي أطلق على نفسه اسم "عبد الله ابن العراق" في الجزء الرابع من مقال طويل تحت عنوان "المؤامرة على العراق ودو آل صباح" ينقل فيه تفاصيل ما حدث عن اجتماع جدة بين عزة الدوري وسعد الصباح الذي نشر في موقع شبكة البصرة الإلكترونية باعتباره شهادة موثقة وأمينة بتاريخ ١٩٩٠/٨/٢. وهو موقع يديره بعثيون ولصالح حزب البعث، يصعب الثقة بما ينشر، إلا أن الكاتب أجبر على ذكر بعض الوقائع المهمة. فقد كتب يقول:

"اشترك في الهجوم على الكويت من ثلاثين إلى أربعين ألف جندي من الجيش والحرس الجمهوري، وليس مائة ألف كما أشيع وزعموا يومها، والأغلب أن عدد الجنود لم يتجاوز الخمسة وثلاثين ألف جندي واجهوا في البداية بعض الوحدات العسكرية هنا وهناك التي ما لبثت أن اختفت وحاول بعض الطيارين الكويتيين القيام بطلعات استعراضية ومهاجمة

---

٦٥ الفضل، منذر د. أحد عشر سنة على خيمة صفوان.. والتنازل عن السيادة الوطنية - غدر بالجار وهدم للديار - . على الموقع الإلكتروني: [iraq4all.dk/Book/Fa'9el/11year.htm](http://iraq4all.dk/Book/Fa'9el/11year.htm) أخذ المقتطف بتاريخ ٢٠٠٧/٩/١٠.

الجيش العراقي، لكنهم ما لبثوا أيضاً أن اختفوا بطائراتهم متجهين بها إلى المأوى الآمن في المملكة العربية السعودية. اتخذت الوحدات العراقية على الفور أماكنها ووصلت إلى مركز المدينة في عصر يوم ١٩٩٠/٨/٢، فيما تحصنت وحدات الجيش الكويتي بمواقعها بمدينة الشويخ الواقعة في شمال مدينة الكويت، كما قام رجال الجيش العراقي بإنزال جوي في جزيرتي وربة وبوبيان وأقاموا على الفور تحصينات فيهما وفي جزيرة فيلكة، وفي منطقة الجهرة الواقعة في غرب مدينة الكويت كان هناك معسكراً لوحدة يطلق عليها اسم كتيبة المغاوير الخاصة، التي وللأمانة قتلت ببسالة للدفاع عن معسكراتها ولكنها مع الأسف تكبدت خسائر جسيمة. واستطاع رجال الجيش العراقي من أسر من تبقى من تلك الوحدة، وإذا بهم كلهم عرب ومن أصول عراقية ومن البصرة تحديداً، (فعلق أحد ضباط الجيش العراقي قائلاً: لأن أصولهم عراقية قاومونا ببسالة، أما ذوي الأصول الفارسية وقوم هشته بشته فقد هربوا إلى السعودية). للمصادفة استطاع رجال الجيش العراقي حصر أكثر من مائة وخمسين فرداً من هذه الكتيبة أمهاتهم عراقيات، فأخلو سبيلهم. على أن جميع من أسر من أفراد تلك الوحدة قد أخلي سبيله فيما بعد حتى قبل بدء العدوان الثلاثيني. أما بالنسبة لمصير الشيوخ، وبالتحديد فهد الأحمد، قبل أن نتحدث عن تواجد الجيش العراقي في الكويت، لا بد من أن نذكر أنه حين وصلت طلائع القوات العراقية إليها وأحكمت قبضتها، كان جل أفراد أسرة الصباح قد رحلوا، وتبعهم فيما بعد بعض كبار الضباط والوزراء والمستشارين والنواب وكبار موظفي الدولة وكبار التجار وعلية القوم في الكويت<sup>٦٦</sup>. من المهم أن نلاحظ في هذا المقطع من المقال روحية الكاتب المعادية للكويت وشوفينيته أو عنصريته المقيتة حين قارن بين من يدعي كونهم من أصل بصري عراقي، وبين من يدعي كونه من أصل إيراني أو غير عراقي، إضافة إلى محاولته التقليل من عديد القوات العراقية التي هاجمت وغزت ثم احتلت الكويت والتشكيك بالتقارير التي تحدثت عن تحشيد مائة ألف مقاتل عراقي زج في غزو واحتلال الكويت. ورغم هذا يدعي صاحب المقال

---

٦٦ شبكة البصرة. عبد الله ابن العراق. "تفاصيل اجتماع جدة بين عزة إبراهيم وسعد الصباح" نشر

بتاريخ ٢٥ تموز/يوليو ٢٠٠٤.

أنه حيادي في الموقف من تشخيص الوضع في الكويت في أعقاب الاحتلال. كما أن علينا أن نتذكر بأن النظام العراقي لم يطلق سراح الأسرى الكويتيين، كما يدعي صاحب المقال، بل أرسلهم موتى إلى قبور جماعية ضمت إليها الكثير من العراقيين أيضاً. وما سماه بالعدواني الثلاثيني يقصد به التحالف الدولي الذي نشأ في أعقاب احتلال الكويت وشارك في القوات الدولية المشتركة لتحرير الكويت. وكان من بينها بعض الدول العربية.

لقد بدأ منذ مساء يوم ١٩٩٠/٨/١ تفعيل خطة الطوارئ الخاصة بحماية حياة الأمير وعائلته ومن يراد إنقاذه والتي وضعت بالتعاون مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وأجهزة الأمن الوطنية الكويتية والتي جرى تعديلها وتدريب عناصرها في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تم نقل الأمير إلى منطقة الخافجي في السعودية مع بدء الغزو، حيث وصلوا إلى الخافجي سالمين، في حين كانت القوات العراقية تتقدم لاستكمال احتلالها للكويت.<sup>٦٧</sup>، لم يكن أمام أمير الكويت، كما لم يكن أمام أفراد عائلته وحاشيته وكبار مسؤولي الدولة ومساعديه، سوى الحل الوحيد، لكي لا يقعوا أسرى في أيدي القوات العراقية، أي مغادرة الكويت والتوجه صوب المملكة العربية السعودية للبدء بعملية النضال من أجل تعبئة الرأي العام العالمي والعربي والكويتي ضد الغزو العراقي واحتلال الكويت، إذ كان في نية صدام وضمن خطته العسكرية اعتقال كل أفراد العائلة الحاكمة وفرض التنازل عن حكم الإمارة في دولة الكويت، أو القيام بقتل جميع أفرادها بحيث لا يبقى أي مطالب بالحكم من عائلة الأمير. وكان صدام حسين ورهطه جادين في هذا المسعى وغير سعداء بسبب مقتل أخ أمير الكويت الشيخ فهد الصباح من قبل القوات العراقية في قصره بدعوى أنه قاوم قوات الاحتلال، إذ كانوا يريدون فرض التنازل عن حكم الكويت باعتباره أحد أفراد العائلة الحاكمة. وقد أورد عبد الله ابن العراق صاحب المقال المذكور سابقاً ثلاث مشاهد حول هذا

---

٦٧ هيك، محمد حسنين. حرب الخليج. أوهام القوة والنصر. مصدر سابق. ص ٣٥٤-٣٦٠.

الموضوع مشيراً إلى أن أكثرها موضوعية هو الاحتمال الثالث حيث قال فيه أن الأمير فهد قد قاوم فعلاً، مما أدى إلى قتله وقتل جميع من كان معه من قبل القوات العراقية.<sup>٦٨</sup>

وفي أعقاب المغامرة المجنونة بغزو واحتلال الكويت ظهرت وتجسدت أمام أنظار صدام حسين أبعاد عملية الاجتياح، فأصيب بصدمة قوية حين أدرك بأن ما رسمه في مخيلته من احتمالات لم تكن واقعية وأنها قد انهارت دفعة واحدة وبسرعة<sup>٦٩</sup> وظهر عارياً بأفكاره الخائبة أمام جميع شعوب العالم. فما هو الذي واجهه صدام حسين بعد غزو الكويت مباشرة وسببت له تلك الصدمة فقدان السيطرة على إجراءاته ومواقفه التي اتخذها بشكل متلاحق خلال الأيام اللاحقة:

- لم يستقبل شعب الكويت القوات العراقية بالتهليل والابتهاج كما كان يتوقع الدكتاتور ذلك أو كما صوره لنفسه، بل سيطر الحزن وعمّت الكآبة وزاد الغضب والكراهية للمحتلين. لقد عبر الكويتيون في الموقف من الاحتلال عن حُبهم لوطنهم ورفضهم للمعتدين، سواء أكانوا من العرب أم من غيرهم، كما برز ذلك في تنظيم مقاومة للمحتلين حيثما أمكن، سواء أتم ذلك من أفراد في القوات المسلحة والأمن أم من المدنيين من السكان ومن النساء والرجال.
- كما لم تستقبله القوى السياسية القومية الكويتية كما كان يتوقع كمحرر لها من العائلة الحاكمة، وكذلك تلك القوى التي ساندته بقوة في فترة الحرب العراقية - الإيرانية وهي

---

٦٨ المصدر السابق نفسه. جاء في الرواية الثالثة عن مقتل الشيخ فهد الصباح ما يلي: "إنه كان في رحلة مع أصدقاءه في البر، واتصل به من اتصل من أفراد الأسرة يخبره بدخول الجيش العراقي إلى الكويت، فأسرع بالوصول إلى منزله متخذاً طريقاً مختصراً وسريعاً حتى لا يمر بجوار أليات الجيش العراقي، فوصل إلى المنزل وأخرج سلاحه وانتظر قدوم القوات العراقية، وحين وصلوا بدأ مع بضعة من الحراس الذين بقوا حول القصر بمواجهة شجاعة وغير متكافئة انتهت بمقتلهم جميعاً. للأمانة والإنصاف بحق الرجل الذي ذهب للقاء ربه، فإن هذه الرواية الثالثة هي الأصح بين الروايات الثلاث. لاسيما وأنه لم يعرف عن المرحوم الجبن والخوف وهو الذي خالف أفراد الأسرة كلهم وقاتل في صفوف منظمة التحرير الفلسطينية في جنوب لبنان".

تعرف جرائمه في العراق ضد الشعب العراقي واعتدائه الفعلي على إيران، بل كل القوى السياسية واجهته بغضب ورفضته وناصبته العدا. كما أن بعض القوى الديمقراطية والمستقلة نظمت بعض المقاومة السياسية الشعبية ضده. وتعرضت هذه القوى للاعتقال والتعذيب والاضطهاد. في هذه المحنة الوطنية الكبيرة لقد نسي الناس أحزابهم ومواقفهم الفكرية والسياسية المتباينة وتوحدت أراذلتهم في رفض الغزاة.

● وقفت قوى المعارضة العراقية السياسية كلها دون استثناء ضد غزو العراق للكويت وضد فرض الاحتلال عليها أو فيما بعد إلحاقها بالعراق واعتبارها المحافظة العراقية التاسعة عشر، وطالبت بالانسحاب الفوري من الكويت كي لا يتعرض الشعب العراقي للعراق عموماً إلى حرب جديدة مدمرة أشد وأقسى من الحرب العراقية - الإيرانية. إلا أن القوى القومية في الدول العربية انقسمت على نفسها، فبعضها أيد الغزو والاحتلال باعتباره تحريراً وخطوة على طريق الوحدة العربية، وبعضها الآخر خالف العملية كلها واعتبرها إساءة للوحدة العربية. أما موقف البعثيين من تيار ميشيل عفلق والتابعين للقيادة القومية، التي بدأ يقودها صدام حسين تجسيداً لشعار "أم عربية واحدة ذات رسالة خالدة" فقد تجلى في تأييدهم لغزو الكويت ودمجه بالعراق باعتبارها "خطوة إيجابية جريئة" على طريق وحدة الوطن العربي بقيادة البعث وصدام حسين وانتصاراً كبيراً للأمة العربية!

● أما حكومات الدول العربية فقد انشطرت كالعادة إلى مجموعتين بين مناهض للغزو والاحتلال، وبين مؤيد له بحرارة أو من ارتضى لنفسه موقف المحايد والمتفرج. وكان هذا الموقف يجسد التمزق الفكري والسياسي الذي تعاني منه شعوب وقوى وحكومات الدول العربية. وانعكس كل ذلك في الموقف من اجتماع وزراء خارجية الدول العربية في القاهرة وفي الموقف من قرار مجلس الأمن الدولي الذي طالب العراق بالانسحاب الفوري والكامل من الكويت. وكانت غالبية الدول العربية ضد الغزو والاحتلال، ولكن بعض الدول العربية، ومنها اليمن والسودان، في حين لم تصوت الأردن.

- وقفت دول العالم كلها تقريباً إلى جانب الحكومة الشرعية لدولة الكويت ورفضت الغزو والاحتياح والاحتلال العسكري باعتباره أمراً واقعاً، بل أكدت ضرورة إزالة هذا الواقع غير المشروع.
- نشأ منذ الأيام الأولى لغزو الكويت استقطاباً دولياً واسعاً واستعداداً للتحالف الدولي لمواجهة العراق وفرض الانسحاب عليه بالقوة إن رفض الانسحاب وفق قرار مجلس الأمن الدولي. ولكن غالبية الدول كانت لا تريد إشعال نيران حرب في منطقة خطيرة وبؤرة من بؤر التوتر الشديدة في العالم. ولكن صدام حسين لم يستطع فهم هذه الإرادة الدولية الصلبة الراضية لمبدأ الأمر الواقع في احتلال الكويت من جهة، وأهمل الرغبة في تفادي نشوب حرب جديدة مدمرة في المنطقة من جهة أخرى، حين رفض الانسحاب وأصر على استمرار احتلاله للكويت ونهب ما فيها.
- أما الشعب العراقي، الذي كان قد عانى من الحرب الطويلة مع إيران، فقد وجد نفسه أمام حرب جديدة محتملة لن تأتي بالخير على العراق وشعبه، بل ستكون وبالأعلى عليه، لأنها ليست حرباً ضد الكويت حسب، بل ضد العالم الغربي والشرقي كله. إلا أن هذا الموقف لم يكن عاماً وشاملاً، بل كان هناك من وجد في خطوة صدام حسين غنيمة كبيرة يفترض استثمارها قبل فوات الأوان، غنيمة على حساب حياة ومصالح شعب شقيق.
- ولا بد من القول بأن جزءاً من قوات الجيش العراقي ومن قياديين حزب البعث العرب الاشتراكي والكوادر والأعضاء لم يكن مع قرار صدام حسين في قرار غزو الكويت، بل كان ضد هذا القرار، إلا أنه لم يكن قادراً على التعبير عن إرادته أو الحديث أصلاً بشأن موقفه، وبالتالي لم يكن قادراً على تغيير أي شيء من الموقف الذي اتخذته صدام حسين. وازدادت الصورة قتامة لدى هؤلاء بعد أن واجهوا مشكلة الاحتلال والموقف الدولي بكل أبعاده. لقد كان صدام مستعداً لمناقشة كيف يتم الغزو والاحتلال، ولكنه لم يكن يقبل أن يسمع ولو كلمة واحدة مخالفة لقرار الغزو والاحتلال. لقد كان الموت نصيب من يتخذ الموقف الأخير ويتحدث ضد الاحتلال.

● لقد تسبب الغزو العراقي في استشهاد ١٠٩٨ كويتياً، وبلغ عدد الأسرى والمعتقلين ٦٠٥ شخصاً من العسكريين والمدنيين، إضافة إلى ٥٠ أسيراً ومعتقلاً تم رفع قضايا من قبل ذويهم في المحاكم لاعتبارهم شهداء بحكم القانون.<sup>٦٩</sup>

هذه هي أهم العوامل التي جعلت قيادة صدام حسين تتخبط في سبل التعامل مع الوضع الجديد في الكويت المحتل. والسؤال الكبير الذي يصعب علينا الإجابة عنه هو: هل بلع صدام حسين السنارة ووقع في شرك نصب له حقاً، أم أن الدكتاتور كان يسعى إلى بلع تلك السنارة، ثم ينتظر ليرى ما يمكن فعله في ضوء ردود فعل الدول العربية وبقية دول العالم؟

بعد أن تحقق الاحتلال فعلاً احتار الدكتاتور بأمر الكويت، فبعد أن كان حلماً سعى إلى تحقيق ووجده أملاً لصعود نجمه في سماء العالم كله، أصبح كابوساً يقلقه ليل نهار ويقض مضاجعه ويتخذ إجراءات لا رابط بينها. لقد كان صدام حسين يعتقد جازماً بأن غالبية دول العالم ستكون معه، فهل كانت غالبية دول العالم على خطأ، أم كان صدام هو المخطئ الذي أقدم على ارتكاب مغامرة مجنونة وجريمة لا تغتفر؟ لسنا بحاجة إلى جواب، فالأحداث التالية هي التي أجابت عن هذا السؤال.

---

٦٩ وكالة الأنباء الكويتية، تصريح السيد فائز العنزي، رئيس جمعية أهالي الأسرى ورئيس فريق البحث عن الأسرى الكويتيين في العراق. في الذكرى السادسة عشر لغزو الكويت من جانب القوات العراقية في العام ١٩٩٠. أشار في التصريح إلى أن عدد الشهداء الأسر حتى ذلك العام بلغ ٢٣٣، إذ لم يعثر على البقية. ويبدو أن الأسرى كلهم قد قتلوا من جانب العراق في ما عدا الجمعية التي تشكلت منهم عنوة الحكومة الكويتية الحرة المؤقتة. ك حبيب

## المبحث الثالث

### سياسة النظام العراقي في الكويت بعد احتلالها

لم يكن متوقعاً أن يمارس صدام حسين سياسة أخرى غير تلك التي مارسها في العراق طيلة حكم البعث التي هي في الواقع فترة حكمه، إذ كان في الغالب الأعم هو الحاسم في القرارات التي اتخذتها الدول العراقية حينذاك. ولم يكن أحمد حسن البكر شكلياً في قيادة الحكم، بل كان مؤثراً، ولكنه كان حتى بدء الصراع، متناغماً ومنسجماً تماماً مع صدام حسين ومعتبراً إياه شاباً وقادراً على حمل راية البعث في العراق والدول العربية. مرّت سياسة صدام حسين في الكويت بمرحلتين:

المرحلة الأولى: بدأت هذه المرحلة بالغزو والاحتلال وأسر واعتقال بصورة مقصودة ومشخصة، ومن ثم بصورة عبثية وبدون تحديد لنشر الخوف النسبي في صفوف الناس دون إثارة المجتمع كله، رغم أن عملية الغزو والاحتلال بحد ذاتها كانت أكبر استفزاز لمشاعر الناس وتجاوز فظ على الاستقلال والسيادة الكويتية وجريمة لا تغتفر، إذ كان صدام حسين يتوقع أن يستقبل بحماس وحيوية، وبالتالي، كان يحاول أن يحتفظ بمسافة بين استبداده وممارسة الإرهاب والقمع وبين الممارسة المطلوبة في بداية الاحتلال. وإذ أعلن في المرحلة الأولى عن تشكيل حكومة كويتية حرة مؤقتة لدولة الكويت دون أن يجري الحدث عن ضمها أو دمجها بالعراق واعتبارها المحافظة التاسعة عشر.

المرحلة الثانية: أما المرحلة الثانية فقد بدأت بعد أن تيقن من رفض الشعب الكويتي كله ودون استثناء لسياسة الغزو والاحتلال والبدء بتنظيم المقاومة الشعبية وتعاضم الحملة العالمية لطرده من الكويت. وهنا بدأت قوات الاحتلال وبأوامر من صدام حسين تتخذ إجراءات تتناغم مع طبيعة الغزاة والمستبدين دون تحفظ أو خشية من ردود فعل دولية وعربية ومحلية. فقد أعلن دمج الكويت بالعراق واعتبارها المحافظة التاسعة عشر، ولكنه في الواقع مارس سياسة النهب والسلب الكامل في ما يؤكد أن صدام أدرك بما لا يقبل الشك بأن وجوده في الكويت لم يعد طويلاً وأن الكويت لا تعود له رغم إعلانه عن كونها جزءاً من العراق.



لقد كان تشكيل حكومة كويتية حرة مؤقتة مهزلة فعلية، إذ لم يكن الملازم علاء حسين علي ولا مجموعة العسكريين الآخرين الذين أسروهم ونقلوهم إلى الشعبية ومنها إلى بغداد ليسجلوهم وزراء في حكومة لم تكن موجودة أصلاً، وكانوا كلهم من صغار الضباط الأسرى، غير راغبين بل كانوا جميعاً واقعين تحت رحمة القهر والعنف وخشية الموت في حالة عدم تنفيذ الأوامر أو الرفض. لم يتخذوا أي إجراء ولم يمارسوا أي مهمة سياسية، بل كان عليهم أن يسكتوا فقط وعلى العراقيين تنفيذ المهمات التي سطرها لهم صدام حسين ورهطه. حتى البيانات التي صدرت باسمهم في حينها لم يطلعوا عليها، بل أجبر رئيس الوزراء المعين أن يقرأها عنوة وأجبر على مقابلة صدام حسين والجلوس معه لالتقاط صورة فريدة وتذكارية "للقائد المغوار والفتاح الأكبر" لتوزيعها ونشرها على نطاق واسع! فمن العبثية بمكان أن يجري البحث في رئيس وزراء حكومة الكويت الحرة المؤقتة وما قامت به، بعد أن أصدر الكاتب والصحفي العراقي السيد جاسم المطير كتاباً سجل فيه صورة واقعية عن هذه الحكومة ورئيسها الملازم علاء حسين علي. والكتاب الموسوم بـ "الكارثة: قصة تشكيل الحكومة الكويتية المؤقتة ١٩٩٠/٨/٢" يروي قصة اعتقال السيد علاء حسين علي ومجموعة العسكريين والأسرى وما جرى لهم وكيف نصبوا وزراء بالرغم منهم وكيف حلت الوزارة وعين الملازم علاء حسين علي بعد إعلان الدمج القسري نائباً لرئيس الوزراء وعين الوزراء الثمانية مستشارين لدى رئيس الوزراء.<sup>٧٠</sup> هذه المهزلة التي عبرت عن تخبط حقيقي للنظام العراقي في قراراته وإجراءاته ليست هي المهمة، بل المهم حقاً ما فعله صدام حسين ورهطه في الكويت التي اعتبرت "المحافظة العراقية التاسعة عشر". فهل يمكن تصور قيام مستبد بأمره بفعل كل ذلك في محافظة يعتبرها جزءاً من العراق، إضافة إلى قتل الكثير من الناس الكويتيين؟ الدروس تؤكد لنا هذا ممكن، إذ ستبقى حلبجة وما فعله بأهلها، وهي مدينة كردية عراقية تسمح بالقول نعم، ولكن لم يكن حال الكويت حال تلك المدينة الشهيدة الواقعة على مقربة من الحدود العراقية الإيرانية

---

٧٠ المطير، جاسم. الكارثة قصة تشكيل الحكومة الكويتية المؤقتة ١٩٩٠/٨/٢. لندن. دار الحكمة. طبعة

أولى. ٢٠٠٠.

حيث يحمل الدكتاتور حقداً وكراهية قومية شوفينية إزاء الشعب الكردي، في حين أن الكويت دولة عربية وجل سكانها من العرب. فماذا فعل صدام بهذه المدينة المحتلة، علماً بأن المحتل، وفق القوانين الدولية يكون مسؤولاً عن حياة سكان وممتلكات الدولة المحتلة؟ كل المعطيات التي تحت تصرفنا تؤكد أن النظام قد شكل مجموعات من الجيش والجيش الشعبي تحت أمره مجموعة من قوى البعث والاستخبارات والأمن والقصر ليشرفوا على عمليات نهب وسلب ونقل الأموال الموجودة والمودعة في البنك المركزي الكويتي وبقية البنوك الكويتية إلى العراق، كما يشرفوا على عمليات نقل بنوك المعلومات ومراكز الوثائق والبحث العلمي والأجهزة الإلكترونية الخاصة التي فيها المعلومات التي أراد النظام الوصول إليها، كما جرى الاستيلاء على محلات الصياغة وبيع الذهب والمجوهرات وتم نقل الكثير من الأثاث واللوحات الفنية وما إلى ذلك إلى البصرة فبغداد. ثم ترك صدام حسين بعد ذلك حرية القيام بعمليات سلب ونهب القصور والدور والمباني الحكومية وما يمكن العثور عليه من أجهزة إلكترونية وتصوير وتجهيزات مختبرية... الخ. لقد استباح الجيش العراقي هذه المدينة بأموالها وما فيها من غنائم بشكل خاص. كتب الموسوي في منتديات العباوي يقول: "والحكومة الحرة المؤقتة" المزعومة" لم تكن موجودة إلا على أوراق المتحدثين في إذاعة وتلفزيون بغداد وفي أفواههم، وحين غاب القانون العام، أصبح لكل قانونه الخاص... حالة أشبه بحالة ما قبل المجتمع الإنساني... الغالبية مذهباً وخائفة والأقلية تصفى حساباتها بدءاً من تجاوز إشارات المرور إلى النهب إلى الاغتصاب. من عزت عليه امرأة أصابها، ومن ابتغى مالاً ناله، ومن راقته سيارة حازها... إذا واتته القدرة والجرأة على الفعل... والغلبة لمن بيده السلاح"<sup>٧١</sup>.

تشير الكثير من الوثائق إلى حجم الموارد المالية المنهوبة من الكويت والخسائر التي تحملتها دولة الكويت من جراء تلك العمليات الإجرامية الجبانه. وقد صدرت الكثير من الكتب التي تسجل تلك الأحداث ومنها كتاب الدكتورة ميمونة خليفة العذبي الصباح

---

٧١ الموسوي. منتدى الجمهور العباوي. المنتديات العامة. ديرتي الكويت. الحكاية الكاملة للغزو العراقي للكويت.

الموسوم بـ "العدوان العراقي على الكويت بين الممارسات والادعاءات".<sup>٧٢</sup> كما يؤكد الشيخ سالم عبد العزيز الصباح، محافظ البنك المركزي الكويتي، إلى أن النظام العراقي قد سطا على بنك الكويت المركزي ونقل إلى بغداد ما قيمته ١٠٦ مليار دولار من الذهب والأوراق النقدية، حسب تقديره، إضافة إلى عمليات نهب للبنوك الكويتية وسوق الذهب ومكاتب الصرافة ووكالات السيارات والمتاجر...، كما كان إجراء مساواة الدينار الكويتي بالدينار العراقي ضمن عمليات نهب الكويت، عبر نقل الأصول المتداولة الكويتية إلى بغداد بقيمة نسبتها ١٠٪ إلى قيمتها السوقية أي بنسبة قيمة الدينار العراقي إلى الدينار الكويتي.<sup>٧٣</sup>

يعتبر العقيد نجيب الصالحي، صاحب كتاب "الزلزال" أحد أهم شهود عمليات النهب والسلب والسطو على أموال الناس في الكويت، إذ كان في حينها عقيداً في الجيش العراقي حين غزت القوات العراقية الكويت، إذ قدم تحت عنوان "سلوك.. منحرف" وصفاً حياً، صادقاً ومحزناً في آن واحد لعمليات النهب من جانب المسؤولين العراقيين وغيرهم نشير إليه فيما يلي:

"أثناء تواجد القوات العراقية حيث تبسط سيطرتها على أرض الكويت وقبل نشوب الحرب فعلياً، كانت تصرفات الزمرة المقربة من النظام مشينة إلى حد بعيد، إذ كانوا يستولون عنوة على المحال والأسواق التجارية ومعارض السيارات والتحف الفنية وينقلونها إلى بغداد، فكان عدي وقصي "ولدا صدام" ووطبان وسبعوي "أخوا صدام" وحسين كامل "زوج ابنته" وعلي حسن المجيد "ابن عمه" وآخرون غيرهم من المجموعة ذاتها، قد نفذوا أكبر عملية سرقة منظمة في التاريخ الحديث وهي سرقة دولة بكاملها ونقلوا ما استولوا عليه بواسطة الشاحنات إلى المخازن السرية والمزارع والدوائر الخاصة والقصور الفارغة، وعندما بدأت وسائل الإعلام العالمي تتحدث عن سرقات الكويت، تحرك النظام على عادته ليدفع ببعض الأبرياء إلى الإعدام حيث اعدم وبشكل مقصود مجموعة من

---

٧٢ الصباح، ميمونة خليفة العذبي د. العدوان العراقي على دولة الكويت بين الممارسات والادعاءات.

الكويت. سلسلة الكتب المتخصصة. الطبعة الأولى. ١٩٩٥.

٧٣ المصدر السابق نفسه.

الضباط والجنود منهم "عبد الكاظم وعبد الحسين" بعد اتهامهم بالسرقة وقد علقت جثثهم على الأعمدة وسط مدينة الكويت، في حين كان أفراد من عائلة النظام ومن يمت إليهم بقرابة أو مصلحة لا يكتفون بالسرقات بل يمارسون شتى أنواع الابتزاز والاحتياز ضد الأبرياء الذين بقوا في الكويت ولم يتركوا مدينتهم. إن ما أشيع حول تورط الضباط العراقيين في سرقات الكويت قد بولغ فيه كثيرا، فما عدا البعض القليل من المعروفين باللصوصية في قيادات الحرس الجمهوري ومن العناصر المقربة من النظام حصرا والذين كانت مقراتهم في داخل الكويت والمدن الأخرى، فإن الغالبية من مقرات وتشكيلات القوات العراقية فتحت في الصحراء على الحدود الدولية ولم تشارك في عمليات السرقة والنهب<sup>٧٤</sup>. ثم كتب بهذا الصدد يقول: " كانت غرفة العمليات في الملجأ الأرضي نموذجية من جميع النواحي التي يجب توفرها في مثل هذه الغرفة، كالشروط الأمنية، السعة، المحتويات، والخرائط، وقد كانت خريطة الاستخبارات مؤشر عليها مواقع انفتاح القوات العراقية لغاية ١ آب ٩٠، وعند وصولنا كانت الباب مغلقة، أمر الفريق أياد<sup>٧٥</sup> مرافقيه بفتحها، فهجموا على باب الغرفة مستخدمين كل الوسائل حتى تم فتحها ثم توزعوا على الغرف الأخرى فكسروها بعنف وحطموا الزجاج والألمنيوم والأقفال والمواد الزجاجية والخزفية واستولوا على الأشياء الصغيرة الثمينة التي يسهل حملها ومن ضمنها نماذج دروع برونزية صغيرة، هدايا، قرطاسية وكريستالات...!

أثار هذا السلوك عدم الارتياح في نفسي واستغربت من موقف الفريق أياد الراوي الذي لم يحرك ساكنا تجاه ما قام به هؤلاء، إذ مهما يكون المرء متورطا في خدمة النظام والخضوع له، فإن الأمر لا يمكن أن يصل إلى هذا المستوى من إبداء الرضا بالأذى والتصرف اللاأخلاقي كنت أعرف هذا الرجل منذ عام ١٩٨٠ حينما كان ضابط ركن في مقر الفرقة المدرعة العاشرة وأنا أمر سرية في كتيبة دبابات ١ حزيران وقد زارني في سريرتي مرات عدة عندما كنت مكلفا بواجب خاص في "جم صريم" و "موسيان" وهما قريتان

---

٧٤ الصالحي، نجيب. الزلزال. لندن. مطبعة الرافد. ١٩٩٨. الفصل الأول.

٧٥ أياد الراوي هو الفريق الركن أياد فتيح الراوي،

إيرانيتان على الحدود في قاطع محافظة ميسان ودهلران، وكذلك عملت بإمرته في الحرس الجمهوري أربع سنوات، عرفته إنساناً هادئاً الطبع، عفيف اليد، متواضعاً وأخلاقه طيبة، وكنت أتوقع منه أن يرفض أعمال التخريب والسرقعة والاستهتار وقلّة الضبط العسكري وهي شيمة أساسية لدى جميع الضباط العراقيين الذين تخرجوا من مؤسسات عسكرية عريقة وخدموا في ظروف وأجواء سليمة، فتمثلت فيهم تلك القيم.

لقد أدهشتني ابتهامته التي كانت تنم عن الرضا وهو يراقبهم، ولما علمت أن هذا السلوك والتصرف هو ما تريده القيادة العراقية من الضباط، زالت دهشتي وقد التقيت العديد من الضباط في الحرس الجمهوري، زملاء الأمس، وكنا كلما التقينا، كان الحوار يدور حول أوضاعنا الراهنة، وقد ذكرت لهم ما أثار حفيظتي من موقف الفريق إياد، فقالوا لي، (هذه سياسة يا نجيب، وإن جماعة الحماية والمرافقين الذين نتحدث عنهم أغلبهم مزروعون من قبل الأمن الخاص وإنهم يخبرون مرجعهم بكل صغيرة وكبيرة عن سلوك القائد وهيئة ركنه وإن المطلوب عموماً أن تجري الأمور على هذا النحو. جميع القادة والمسؤولين مطلوب منهم أن يتصرفوا في الكويت بهذا العنف والهمجية من أجل إهانة وإذلال الكويتيين وتخريب بلادهم لأن ذلك فقط يدل على مدى الولاء "للقائد الرمز" \* والتفاعل الحي مع الأحداث، فلو تصرف أياد خلاف ذلك ومنع مرافقيه وأفراد الحماية عن مثل هذا التصرف، لرفعوا تقاريرهم ضده وعندئذ يعتبر عنصراً غير متحمسٍ وربما متعاطفاً مع الكويتيين وسيكون مصيره مثل مصير المتعاطفين مع المسافرين العراقيين من "التبعية الإيرانية" عام ١٩٨٠، ألا تتذكر ذلك؟).. إن استمرار أياد على هذا السلوك، يشاركه في ذلك الكثيرون ممن روضهم النظام، هو السبب في احتفاظهم بمواقعهم ومناصبهم ولذلك لم يكن غريباً أن يشارك إياد الراوي بعنف في قمع حركة شعبنا والقضاء على نتائج هزيمة صدام، فهو قائد الحرس الجمهوري الذي كان له دوره البارز في التصدي لإنتفاضة آذار ٩١ حيث كوفيء بتعيينه رئيساً لأركان الجيش. وبسرعة هائلة انتشر خبر ما فعلته حماية قائد الحرس الجمهوري في مقر أمر اللواء المدرع الكويتي وبدأ الهمس يسري بين الضباط والجنود ونتيجة لذلك، بدأ التزامهم بتنفيذ الأوامر بالمحافظة على المواد والأسلحة والممتلكات

يتضائل لأن ما شاهدوه بأعينهم يتناقض مع الأمر الذي تبلغوا به من أن حكم الإعدام سينفذ بالسارق والمعتدي... الخ. وفي ظل هذه الأوضاع ومدخلاتها السلبية، توقعت حدوث المزيد من الأفعال غير المنضبطة التي من الممكن أن تسيء إلى سمعة اللواء وتبعده عن مهامه العسكرية، لذا كان لزاماً عليّ أن أتقدم باقتراح لقائد الفرقة المدرعة السادسة طالباً منه تبديل واجب اللواء وقد تحقق ذلك بعد بضعة أيام حيث تم فك ارتباط الفرقة من الحرس الجمهوري إلى قيادة الفيلق الرابع ونقل اللواء المدرع/١٦ إلى حيث الرمال والصحارى في "جال اللياح" و "الأبرق الحباري" \* وحتى استلامي منصب رئيس أركان الفرقة المدرعة السادسة في ١٥/١/١٩٩١<sup>٧٦</sup>.

وما يؤكد مشاركة عائلة صدام حسين بعمليات النهب والسلب التي تجسد التقاليد الرذيلة لعمليات الغزو القديمة تلك الرسالة الخطية التي وجهها عدي صدام حسين إلى ابن عم أبيه علي حسن المجيد (علي كيماوي) بشأن الحصول على معدات من منهوبات الكويت وموافقة علي حسن المجيد على نقل ملكيتها إلى اللجنة الأولمبية في بغداد. وأليكم نص الرسالة: <sup>٧٧</sup>

---

٧٦ المصدر السابق نفسه.

٧٧ الصباح، ميمونة خليفة العذبي د. العدوان العراقي على دولة الكويت بين الممارسات والادعاءات. الكويت. مؤسسة الكويت للتقدم العلمي. إدارة التأليف والترجمة والنشر. سلسلة الكتب المتخصصة. الطبعة الأولى. ١٩٩٥ م. ص ٤١٣.



موافق على نقلها  
ونقله ملكتها كذلك  
للجنة الوطنية

عبدالله الحسيني

الصح على الصحت المعتمد  
تحية خالصه

الربيع

في الوقت الذي ابعث به اليك بالتفصيل الفاضل المعظمه  
بجاء المعبه من ابن عمه مع ازروعد من اذر والاصيب  
في مثل هذه الظروف المعصبه . ١٠/٧ / ١٩٩١  
صالحه مطبوعه مما لم ان نادر يعرف بالادبيه العلميه ، ولما  
كانت السبب الاوليه العوايه في اسمه الحاجه لكونها اعتلا  
جريدته جامعه بنها ، واجتبت هذه الجريده باسم الرئيس الثالث  
مع الاربعه صفت الاستيه واختلافه ان «85» صفت المعقله  
البيديه ، وقتارست في طلب صفة المطبوعه واحملونا من  
صالحه في عواصمها بانه ليس بالامكان حبرها الا باس  
من حفظه مطول فعنه ذلك ارسلت معجونه من  
المستدسين لتفكيكها وارسلها ان يفزار في العره الثانيه  
الا ان المسؤول عن عواصمها قال ان الاستاذ علي هو المسؤول  
خارزت اسمع بعدم تفكيكها هرباً من العلاقة بينه  
وارجار هو المعاصمه في هذا المعصومي عند مثا للمركه الرانه  
بلعاً يا معني العزيز اشرا تكون ملكاً للعبه الاوليه  
لعوايه وليس شفعه وسجل في المعطدات اثابته  
من وزاره العاليه .

تقبل سلامي الخالص

99/10/5

الأسئلة التي تبقى تلح علينا ويفترض أن نجد لها إجابات شافية وواقية من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بما يساعد على معالجتها، إذ أنها ليست المرة الأولى وسوف لن تكون المرة الأخيرة حين تقوم جماعات واسعة من البشر بفرهدة (فرهود)، أي نهب وسلب أموال وأثاث مؤسسات الدولة أو جماعات سكانية أخرى، بل يصل الأمر

بهؤلاء النهابة إلى قتل مالكي تلك الأموال والثروات من أجل السطو عليها؟ هل هذه الظاهرة لصيقة بالغزو والحروب والتقاليد القديمة؟ أو أنها تشكل جزءاً من تربية يكمن فيها الحسد والغيرة والكراهية والحقد؟ أم أنها تعبر عن معاناة الناس من الفقر والحاجة الماسة التي تدفع بهم لممارسة مثل هذه الأفعال الشائنة؟ أم أنها استجابة لأوامر تصدر إليهم من الحكام فينفذونها، كما ينفذ الجلاد تعذيب ضحيته، وحين يسألون يقولون لك بأنهم نفذ قرار الحاكم وهم موظفون مأمورون لا غير؟

إن دراسة تاريخ العراق المديد وأسلوب تعامل حكامه مع فئات المجتمع ومع الثروة وممارستهم للعنف والقسوة المريعة من جهة، ودراسة أوضاع الحروب ومشاهد الموت والانتصار أو الهزيمة وما يقترن بها من تجاوزات فظة ومبررة ضد الإنسان وضد ثروات المجتمع ومؤسساته الحضارية من جهة أخرى، والقرارات التي كان يصدرها الشيوخ والحكام والولاة والخلفاء في غزواتهم وحروبهم وانتصاراتهم وهزائم العدو بدعوة القادة والجنود أو أفراد القبائل المقاتلة إلى استباحة القبائل المنهزمة أو المناطق الريفية أو المدن من جهة ثالثة. والاستباحة كانت لا تعني النهب والسلب والسطو على ما يقع تحت أيديهم حسب، بل كان يعني استباحة النساء وسبيهن وسبي الأطفال وتحويلهم إلى عبيد أو جوارى لدى المنتصرين من قادة وجنود ومقاتلين. لقد كانت هذه الاستباحة عادة وتقليد قديم لدى جميع القبائل البدوية والحكام على امتداد تاريخ البشرية وممارسته قوات المسلمين في فترة الفتوحات، وخاصة حين كانت الشعوب الأخرى تقاوم الغزو العربي أو الإسلامي ضدها. ولكن الشعوب المتمدنة بدأت تبتعد عن هذه الحالة وتضع قوانين خاصة تمنع التجاوز على الناس المدنيين، كما تكون للأسرى حرمة من قبل الأطراف المتحاربة. وشهد العالم على امتداد القرن العشرين العديد من الحروب العالمية والإقليمية والأهلية. وفي هذه الحروب نادراً ما ابتعدت القوى المتحاربة عن التقاليد والعادات المتوحشة القديمة، سواء أكان ذلك بالنسبة إلى الدول المتحضرة أم الدول التي لا تزال تعاني من التخلف وتسود فيها العلاقات العشائرية. وهذا يعني أن الحروب ذاتها، التي تعبر في الجوهر عن موقف يجسد العنف والقوة في حل المشكلات القائمة، تشكل جوهر السلوك غير الإنساني



الذي تتصرف فيه القوى المتحاربة أثناء القتال أم بعده. يمكن متابعة ذلك في الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية وكذلك في الحروب التي وقعت في أفريقيا أو في آسيا، أو في الهجمات التي كانت تشنها القبائل السعودية على المناطق المجاورة لها في العراق، مثل كربلاء والنجف والحلة وما كان يحصل فيها من سبي وسلب ونهب واستباحة الأعراس، أو ما فعله القائد العسكري العثماني في الحلة، أو في عمليات الفرهود الشائنة التي مارسها القوميون السوفيونيون والإسلاميون المتزمتون والسوقة ضد يهود العراق في العام ١٩٤١ أو ما حصل في إيران من جانب القوات المسلحة العراقية في الفترة الأولى من الحرب العراقية - الإيرانية، وكذلك ما حصل في غزو الكويت من نهب وسلب وأسْر، على سبيل المثال لا الحصر.

ولكن ماذا يعني ذلك؟ يبدو لي أن هذه الظاهرة السلبية مرتبطة بعوامل كثيرة متشابهة تبرز حين وقوع أحداث كبيرة تقترن بحروب أو انتفاضات أو تمردات أو انهيارات سياسية أو نزاعات قبلية أو في ما بين المحلات والمناطق المختلفة أو حين تقع بعض الاضطرابات لأسباب سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو أثنية أو دينية أو طائفية. حيث يتحرك الإنسان في هذا الطرف أو ذاك أو في الطرفين بعدوانية عالية وغياب القدرة على التحكم بالعقل والمسئولية. وتتفاعل فيها الكثير من العوامل التي طرحت في أعلاه على شكل أسئلة، أي أنها ليست بفعل عامل واحد بل مجموعة من العوامل. وهذا ما حدث في الكويت حين قام مسئولون عراقيون كبار وجنود في الحرس الجمهوري وفي القوات المسلحة العراقية الأخرى وجمهرة من ضباطه وكثرة من أجهزة الأمن والاستخبارات إلى عمليات فرهدة حقيقة لأموال الدولة والشعب الكويتي، إنها التعبير عن انعدام المعايير الأخلاقية وغياب الدوافع الإنسانية لدى هؤلاء النهابة. إنها ظاهرة تعبر عن التخلف والتعامل بقانون الغاب تماماً كما تعامل النظام مع الكويت حين قرر غزوها وزج عشرات ألوف الجنود وضباط الصف والضباط وأجهزة الأمن في هذه العملية التي كانت السبب في ما أعقب ذلك من نهب وسلب. إنها حالة تعبر عن انهيار في المعايير والقيم وخراب نفسي عميق يسمح للإنسان أن ينسى كل علاقة إنسانية قائمة، بما فيها علاقة الجيرة والشراكة القومية. المسئول كل من

شارك في عمليات النهب والسلب، ولكن المسئول الأول هو النظام، وهو رأس النظام الذي أعطى التعليمات بممارسة ذلك على نطاق واسع وهو الذي يتجلى أيضاً بقيام ابن رأس النظام بطلب رسمي من عمه لنقل معدات كويتية لملاعب رياضي في العراق يترأسه هذا الابن دون أن يسأل نفسه لماذا أسرق هذه المعدات وقد استوردت ليستفيد منها أبناء الكويت.

## المبحث الرابع

### النظام يرفض الانسحاب والتحالف الدولي يهيئ لحرب تحرير الكويت

شهدت الفترة الواقعة بين غزو النظام العراقي للكويت واحتلاله وبين شن الحرب ضد قوات النظام وتحرير الكويت وطرد المحتلين، وهي بحدود سبعة شهور، حصول عمليتين مختلفتين تماماً على الصعيدين العراقي والدولي:

كانت العملية الأولى تجري في العراق بطلها النظام ألصدامي واعتمدت على بعدين أساسيين هما النشاط الإعلامي الدعائي النافخ في الصور والتمسم بالعنجهية الفارغة والخطرة، والنشاط الأمني القومي الذي وجه لا ضد الكويتيين حسب، بل وضد العراقيين أيضاً. وكان صدام حسين يقود العمليتين اللتين ابتعدتا كلية عن أي وعي سياسي بما يجري في العالم حوله وما تتخذه دول العالم من إجراءات على الصعيدين الإقليمي والدولي. وبدا هنا تماماً أن عراق صدام حسين كان يعيش في واد وفي عالمه الخاص، في حين أن العالم كله كان في وادٍ آخر ويعيش الواقع اليومي. وينطبق على صدام حسين في هذا الصدد المثل العراقي "عرب وين طنبورة وين"<sup>٧٨</sup>.

---

٧٨ مثل شعبي عراقي يعني: عرب يفكر بشيء وطنبورة (اسم زوجته) تفكر بشيء آخر تماماً. يقال أن فلاحاً عربياً اسمه عرب كان متزوجاً من امرأة اسمها طنبورة مصابة بالبحم والصمم. وكان حين يريد ممارسة الحب معها يعطيها إشارة من يديه تفهم منها ما يريد، فتتمدد على الأرض بانتظار ممارسة الحب معها. وفي أحد الأيام وصلت بعض الأخبار المحزنة عن كارثة وقعت لعشيرته، فكان مضطرباً ينتظر المزيد من الأخبار الجديدة. وفي أثناء ارتبائه هذا كان يؤدي حركات عفوية من يديه شبيهة

أما العملية الثانية فكانت تجري على قدم وساق وبحيوية قلَّ نظيرها على الصعيد الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وعلى رأسها جورج بوش الأب موجّهة اهتمامها إلى الجبهات السياسية والعسكرية، إضافة إلى الجبهتين الاقتصادية والأمنية. وكان تحركها على مختلف المستويات الدولية ابتداءً من الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي والمنظمات والمؤسسات الدولية المختلفة والاستعدادات العسكرية.

وفي الوقت الذي بدا على بعض الحكام العرب خشية حقيقية على الشعب العراقي من حرب قادمة ومدمرة، مثل دعوة الملك المغربي الحسن الثاني إلى عقد مؤتمر قمة بتاريخ الثاني من نوفمبر ١٩٩٠ معرباً عن قلقه الكبير بقوله: "كيف يمكننا ألا نرتعش وألا ننفعل وألا نذهل حينما نسمع ها هي بغداد قد أصيبت، أو نسمع ها هي الظهران قد قصفت بالقنابل، وحينما نسمع أن النجف تعرض لما تعرض له، وحين نسمع أن عاصمة المملكة العربية السعودية الرياض قد أصيبت لا قدر الله، أو المنامة أو البحرين أو الدمام أو الكوفة أو البصرة". ثم واصل حديثه قائلاً: "كيف يمكننا أن نتصور أننا سنبقى صامتين كالمتفرج في مباراة كرة القدم هذا يسجل إصابة والآخر يسجل أيضاً، هل نحن في اللعب؟ هل نحن في حرب نعرف حين تقف وأين تقف في الزمان والمكان؟ هل هذه الحرب ستكون كلاسيكية؟ لا لا إنها حرب ستدخل كل بيت من المحيط إلى الخليج ولا تفرق بين الظالم والمظلوم"<sup>٧٩</sup>. وكان رأي العاهل الأردني أن تكون مهمة مؤتمر القمة العربية ما يلي: "العمل من أجل أن نعطي السلم والتعقل فرصة أخرى وأخيرة لنجتمع في مؤتمر قمة على أساس ما قرره المجتمع الدولي (...). ونرى أي قرارات يمكننا أن نأخذ انطلاقاً من

---

بتلك التي كان يطلب منها ممارسة الحب. ولم يكن من طنبورة المطيعة إلا أن تمددت على الأرض ورفعت نفوفها (ثوبها أو دشداشتها) وفتحت ساقها له بانتظار ممارسة الحب معها. وفي هذا الوضع الحرج ضحك عرب بحزن وقال كلمته التي ذهبت مثلاً "عرب وبين، طنبورة وين!"، أي نحن بأي حال وطنبورة بأي حال. ك. حبيب

٧٩ مطر، فؤاد. موسوعة حرب الخليج. مصدر سابق. ص ١٨١.

الضمانات الدولية لنعطي كل طرف حقه وتعود الكويت كما كانت ويصبح العراق عضواً راضياً مرضياً في أمتنا العربية والإسلامية<sup>٨٠</sup>.

ورغم كل الجهد الذي بذله الملك الحسن الثاني، فشلت جهوده بسبب غصرار صدام حسين على مواقفه من جهة، وبسبب ضغط الولايات المتحدة على تجنب عقد مؤتمر قمة يمكن أن يقود إلى وجهة أخرى من جهة ثانية، فاجتمع العاملان ليساهما في تقريب أجل حرب الخليج الثانية.

ويهمنا هنا أن نتبين كيف كان صدام حسين يتصرف، وكيف كان يكشف عن عنجهية عدوانية فارغة، وهو يقود الجبهة العراقية من جهة، وكيف كان جورج بوش يتحرك في هذه الفترة وهو يقود المعسكر الدولي ضد العراق من جهة ثانية.

أولاً: صدام حسين يقود العراق نحو الكارثة

حين احتلت القوات المسلحة العراقية الكويت انتفخت أوداج الدكتاتور المعروف بغروره ونرجسيته المرضية على غير العادة وقتل شاربيه وعلت الابتسامة المتشفية شفقيه وامتشق السيف العربي بيده اليمنى وامطى حصانه العربي وأمسك بلجامه بيده اليسرى وحرك سيفه في الفضاء الفسيح مهدداً القبائل العربية الأخرى بالويل والثبور، تماماً كما كان يفعل الغزاة العرب في الجاهلية الأولى أو في أي وقت من أوقات البداوة والغزوات المتبادلة معلناً بسعادة غامرة عن فرحة "الفتح والانتصار على الأعداء خونة الأمة العربية" والحصول على "ثروة النفط الهائلة لتكون في خدمة التقدم العربي والأمة العربية على طريق الوحدة والحرية والاشتراكية!". لم يخف الدكتور سعدون حمادي، نائب رئيس الوزراء، فرحته الكبيرة المبكرة بهذا الاجتياح والاحتلال حين أكد في تصريح له أن الحصّة الإنتاجية البترولية للعراق الجديد بعد ضم الكويت ستصل إلى ٤,٦ مليون برميل يومياً. وذلك بإضافة حصّة الكويت البالغة ١,٥ مليار برميل مقابل الاحتياطي العراقي السابق والبالغ ١٠٠ مليار برميل فقط. وقدر العراق إيراداته من البترول حسب الحصّة السابقة

---

٨٠ المصدر السابق نفسه. ص ١٨١.

ويسعر أدنى قدره ٢٥ دولاراً للبرميل بقيمة ٣٨,٣ مليار دولار سنوياً. وتوقع العراق أنه في حالة زيادة الحصة الإنتاجية إلى ٥,٥ مليون برميل يومياً ستصل الإيرادات البترولية إلى أكثر من ٥٠ مليار دولار سنوياً. ولم يفت المسؤول العراقي أن يذكر أن الاستيلاء على البترول الكويتي، سيمكن العراق من سداد ديونه الخارجية في فترة تتراوح بين عامين وأربعة أعوام<sup>٨١</sup>.

راح صدام حسين يتجول في أرجاء العراق ويزور الكويت عدة مرات أثناء فترة الاحتلال ويلقي بكلمات نارية مليئة بالوعود وتفوح منها راحة الغرور والتعالي والرغبة في الهيمنة والتوسع. في ٢٨ آب/ أغسطس ١٩٩٠ "أعلن النظام أن الكويت أصبحت المحافظة رقم (١٩) في هيكل التقسيم الإداري العراقي، ومركزها " قضاء كاظمة " ويتبعها قضاء الجراء وقضاء النداء (الأحمدي)، مع استحداث قضاء "صدامية المطلاع" الذي ضم جزيرتي وربة وبوبيان وناحية العبدلي ليتبع محافظة البصرة"<sup>٨٢</sup>. ولكن سرعان ما أدرك صدام حسين أن المشكلة التي نشأت بسبب الاحتلال ليست باللقمة السائغة التي يمكنه ابتلاعها، وأن العملية التي قام بها ستجبره على دفع ثمن مرتفع يصعب تقدير حجمه.

كان في مقدور صدام حسين أن يتراجع أمام قرارات مجلس الأمن الدولي والوساطة العربية والدولية الكثيفة، ولكنه كان لا يريد ذلك، كان يعرف أن الموافقة على الانسحاب دون شروط معينة من جانبه، ستسمح بفرض شروط دولية عليه، في حين كان يريد الانسحاب بناء على شروطه الخاصة ليحصل على مكاسب ترسخت في خلفية تفكيره وممارساته. عمد صدام حسين في هذه الفترة إلى ممارسة السياسة عبر الإعلام والدعاية وتوجيه الخطابات واستضافة المؤتمرات أو المساهمة فيها وتحريك الدول الإسلامية باتجاه تشديد عدائها للولايات المتحدة وسياستها في المنطقة ورفع الحماس القومي في العراق والدول العربية من جهة، وإلى ممارسة الاضطهاد والقمع والقتل لمعارضيه في الحزب والدولة

---

٨١ الموسوي. منتدى الجمهور العباوي. المنتديات العامة. ديرتي الكويت. الحكاية الكاملة للغزو

العراقي للكويت.

٨٢ المصدر السابق نفسه.

والمجتمع وتكريس استبداده ووحداية قراراته، ولم يعد في الحزب والدولة من يستطيع معارضته أو حتى الاختلاف معه. إضافة إلى ذلك اعتقل الكثير من الدبلوماسيين الأجانب وجلبهم على بغداد ليكون دروعاً بشرية ضد أي حرب ضده.

كان صدام حسين مؤمناً بعنصري المفاجأة والقضاء والقدر، كما يشير إلى ذلك الكاتبان أندرو كوكبورن وباتريك كوكبون في كتابهما الموسوم "الخارج من تحت الرماد، ولادة صدام حسين من جديد"، حين كتبا ما يلي:

" وبمحاذاة هذا الولع في رمي حجر النرد بصورة مفاجئة، كان عنصر الجبرية (الإيمان بالقضاء والقدر) مهيمناً وبقوة على القائد العراقي، فقد أخبر يوماً ما الملك حسين "ملك الأردن" بأنه ومنذ نجاته بشق الأنفس بعد محاولة اغتيال الرئيس العراقي عبد الكريم قاسم في العام ١٩٥٩ وفشلها، أحس في حينها بأن كل يوم إضافي يعيشه كان يعتبره هبة من الله، صرح للملك حسين قائلاً: " كنت معتبراً نفسي ميتاً حينها". فهو يشعر ويقر بالعرفان لقوة عظيمة مطلقة واحدة فقط. فخلال إحدى زيارته المتعددة إلى الكويت بعد الاستيلاء عليها، تحدث خاطباً أمام حشد مؤلف من ثلاثين ضابطاً قد اختيروا من ضباط جيشه، وقد هرب مؤخراً شريط التسجيل الخاص بالاجتماع عن طريق أحد المعارضين، مشيراً فيه إلى غزوه للكويت ووصفاً إياه على أنه جزءاً من رسالته الدينية المنقذة. " تلقينا أمر غزو الكويت تقريباً جاهزاً من الله". محققاً في صفوف مستمعيه قائلاً: " ودورنا ببساطة هو تنفيذه". كان رد فعل الضباط المنصتون باهتمام لحديث قائدهم مقتصراً على الهتاف بعبارة "الله أكبر". " ٨٢

يشير محمد حسنين هيكل في كتابه الموسوم حرب الخليج إلى أن يفجيني بريماكوف قد أكد بعد زيارة قام بها إلى العراق وقبل بدء الحرب والتقى بصدام حسين وبعده من أعضاء

---

٨٣ كوكبورن، أندرو. كوكبورن، باتريك. الخارج من تحت الرماد، ولادة صدام حسين من جديد. ترجمة علي عباس. القاهرة. مكتبة المدبولي. بيروت. دار المنتظر. طبعة أولى. ٢٠٠٠. ص ٢٤.

القيادة العراقية حينذاك إلى أن عقدة "الماسادا"<sup>٨٤</sup> قد هيمنت عليهم، وهي العقدة التي تدفع لمن يخضع لها بتنفيذ عملية انتحار جماعية، وبالتالي فهي ليست بالضرورة رؤية قدرية.<sup>٨٥</sup>

إن السياسة التي مارسها صدام حسين في هذه الفترة لم تعبر عن وعي بالواقع القائم كما لم تكن سياسة بالمعنى الصحيح للكلمة، بل كانت هروباً إلى أمام وترك الأمور تجري كما قدر لها أن تحصل وعلى طريقة "لا تفكر لها مدبر". لم يكن صدام حسين في جميع تصرفاته في هذه الفترة سياسياً واعياً أو محنكاً، بل كان شقيماً وعيَّاراً مخاتلاً ومغامراً لم يحسب العواقب التي يمكن أن تترتب على تصرفاته لا عليه حسب، بل وعلى كل الشعب العراقي وعلى العراق كدولة. يورد الكاتبان أندروا كوكبورن وياتريك كوكبورن مسألة طريفة حول كيفية شرح صدام حسين لمفهوم "علم السياسة والعمل السياسي" على وفق مفهومه لضباطه المختارين، إذ جاء في كتابهما المشترك ما يلي:

"ألقي صدام حسين محاضرة أخلاقية موجزة موضحاً فوائد وإيجابيات مثل هذه الوسائل في العمل السياسي (المفاجآت، ك. حبيب). "ما هو علم السياسة؟ سأل الرئيس حديث التنصيب (ويقصد الكاتبان أن صدام حسين كان لتوه قد أراح أحمد حسن البكر واعتلى منصة السلطة منفرداً، ك. حبيب) بلغة منمقة وبصوته الحاد، "السياسة هي قولك

---

٨٤ الخولي، محمد. "إسرائيل" وعقلية الحصار. صحيفة البيان الإماراتية في ٢٠/١١/٢٠٠٣. كتب السيد محمد الخولي عن أسطورة الماسادا ما يلي: "والماسادا - تقول الحوليات التاريخية - هي حصن أو قلعة كانت قائمة في جنوب شرقي فلسطين وكانت آخر المعاقل التي احتوى وتحصن بها يهود القرن الأول للميلاد إزاء هجوم الرومان الذين كانوا يحكمون فلسطين في تلك الحقبة الباكرة، وبعد سقوط القدس في يد جحافل الدولة الرومانية في سنة ٧٠ للميلاد هرعت فلول اليهود إلى قلعة الماسادا الجبلية يتحصنون بها وما كان من مقاتلي الرومان إلا أن فرضوا حصاراً على الماسادا دام عامين أو نحوهما كما يقول الرواة الذين يضيفون أيضاً أن اليهود عزلوا أنفسهم داخلها رافضين الاستسلام ومنهم من أثار الانتحار ومنهم من صرعه الرومان في آخر المطاف ولم يبق من الألف يهودي الذين تمترسوا بين جدران الماسادا سوى سبعة من الأطفال والنساء الذين اختبأوا في مجاري المياه".

٨٥ هيكل، محمد حسنين. حرب الخليج. مصدر سابق. ص ٥٠٦.

بأنك ستعمل شيئاً ما بينما تنوي عمل شيئاً آخر، ثم لا تعمل ما قلته ولا ما نويت عمله".<sup>٨٦</sup> بهذه الطريقة، كما اقترح صدام، لا أحد يمكنه أن يتنبأ بما كنت ستفعله.<sup>٨٦</sup> ومن خلال هذا المقطع يمكننا أن نفهم سياسة المراوغات والخداع التي مارسها صدام حسين مع الذين زاروه وحاولوا ثنيه عن أي عمل عسكري ضد الكويت ووعوده التي أطلقها وأعطائها لهم ولم ينفذها، ثم نفذ ما كان ينوي ممارسته فيما بعد، إذ أبقى الجميع في شك من أمرهم ويتساءلون: ماذا سيفعل الدكتاتور؟ كان صدام حسين يعشق لعبة طمأنة الطرف المقابل ليوجه له ضربة مفاجئة لم يتوقعها، فتكون الضربة قاسية وصاعقة ويصعب على الطرف الآخر لملمة أطرافه. هكذا تعامل مع اتفاقية آذار/مارت ١٩٧٠ والوعود التي قطعها على نفسه للملا مصطفى البارزاني ثم حاول الغدر به بإرسال مجموعة ملغمة لم يعرف أصحابها بأنهم ملغمون، بل كانوا يعتقدون بأنهم يحملون أجهزة تسجيل لا غير في الملابس التي صنعت لهم خصيصاً وارتدوها وهم من شيوخ الدين. كما حصل هذا مع الحزب الشيوعي العراقي حين كان يؤكد على تحالفه، في حين كان ينوي توجيه الضربة القاسية، ولكن كان يؤجل بها لكي يثير الصراع داخل الحزب الشيوعي بين من يعتقد بأن حزب البعث مخلص في تحالفه وبين من يعتقد بأن حزب البعث سيوجه ضربه في اللحظة المناسبة له، ومن خلال ذلك استطاع أن يضعف اليقظة عند الكثير من أعضاء قيادة الحزب الشيوعي العراقي ولكن ليس في قاعدته والكثير من كوادره. وحين جاءت الضربة كان الوقت قد فات على إنقاذ الكثير مما وممن كان يمكن إنقاذه. وهذه القضية تكررت في العشرات من الأحداث، سواء مع قوى المعارضة العراقية أم مع القوى الحليفة أم في داخل حزبه وحكومته أم مع القيادة الكردية أم مع الدول العربية والعالم. لقد كان صدام حسين مهوساً بفكرة المغامرة والمؤامرة والمراوغة والكذب باعتبارها الطريق الضامن للوصول إلى ما يبتغيه، فلا الصراحة ولا المجاهرة والشفافية ولا الصدق والأمانة هي التي تخدمه لما يريد تحقيقه، فالعالم عنده لا يعرف إلا القوة والكذب والمراوغة وعليه امتلاكها وممارستها لتحقيق الهدف. لم يكن صدام حسين مؤمناً بدين أو مذهب أو مبدأ غير دين ومذهب ومبدأ

---

٨٦ المصدر السابق نفسه. ص ٢٤.



الوصول على الحكم والبقاء فيه وتوريثه لأبنائه، وما القومية أو الدين أو الحزب أو الأخلاق سوى أدوات لتحقيق الغاية المنشودة. لقد كان صدام حسين مؤمناً إيماناً مطلقاً بمقولة "أن الغاية تبرر الوسيلة"، أيًا كانت تلك الوسيلة أو الوساطة، إضافة إلى إيمانه بالعنف والقوة. وتجلت هذه المقولة في كامل تصرفاته وسلوكه قبل وبعد وصوله إلى السلطة. لقد كانت الـ "أنا" مهيمنة بشكل كامل على عقل وتفكير وممارسات صدام حسين، وكانت "أنا" صدام حسين تجسد "أنا" النرجسية، و"أنا" السادية، و"أنا" جنون العظمة، وأنا الواحد الأوحده على أرض العراق، وهي التي تحكمت بالعراق طيلة ٣٥ عاماً. وليس الفترة التي نتحدث عنها إلا جزءاً من هذه العقود الثلاثة التي حكم فيها العراق وكانت من أكثر الفترات ظلاماً وظلماً على المجتمع العراقي.

لم يكن صدام حسين مهتماً بما يفكر به الشعب العراقي والعواقب التي سوف تترتب على الشعب بعد بدء الغزو والاحتلال وصدور قرار الحصار الاقتصادي عن مجلس الأمن الدولي، بل كان يهمله أن يبقى في السلطة وأن يؤكد ويكرس موقفه أمام العالم. فأرسل الوفود إلى مختلف الدول واستقبل الوفود والشخصيات العالمية التي كانت تتمنى أن يبتعد المستبد بأمره عن رفض قرارات مجلس الأمن الدولي وإطلاق سراح الرهائن من الأجانب الذين أخذوا من مواقع عملهم في العراق أو الذين جلبوا من الكويت ووضعوا في مواقع حساسة باعتبارهم دروعاً بشرية ضد احتمالات الحرب ضده لا حياً في بقاء صدام حسين في السلطة، بل رحمة بالشعب العراقي الذي يمكن أن يتعرض لحرب مدمرة تعيد العراق عشرات السنين إلى الوراء. لقد بلغ مجموع المحتجزين من الرهائن ١٢١٩٨٤٥ رهينة من النساء والأطفال والرجال ومن ١٢ جنسية نتيبتين عددهم وجنسياتهم ومواقع احتجازهم من خلال الجدول التالي:

جنسية الرهائن	موقع الرهينة/ العراق	موقع الرهينة/ الكويت	مجموع رهائن كل بلد
أمريكي	٥٣٠	٢٥٠٠	٣٠٣٠
بريطاني	٦٠٠	٤٠٠٠	٤٦٠٠
ياباني	٢٣٠	٢٧٨	٥٠٨
روسي	٨٨٠	٧٨٣٠	٨٧١٠
ألماني	٦٠٠	٣٠٠	٩٠٠
فرنسي	٢١٠	٢٧٠	٤٨٠
إيطالي	٣٤٠	١٥٠	٤٩٠
أسترالي	٥٨	٦٩	١٢٧
مصري	٨٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠	٩٥٠٠٠٠
تركي	٣٠٠٠	٣٠٠٠	٦٠٠٠
باكستاني	٤٥٠٠٠	٩٠٠٠٠	١٣٥٠٠٠
بنغلاديش	٤٠٠٠٠	٧٠٠٠٠	١١٠٠٠٠
المجموع	٨٩١٤٤٨	٣٢٨٣٩٧	١٢١٩٨٤٥

راجع: الساري، مشعل عواد. رائد ركن. هل انتهت حرب الكويت ١٩٩٠-١٩٩١. الأردن. دون ذكر المطبعة. ١٩٩٨. ص ١٣١/١٣٢.

لقد أثار هذا الحجز العبثي للرهائن استياءً وقلقاً عامين لدى عائلات. جميع أولئك الذين احتجزوا ووضعوا في مواقع عسكرية ومدنية حساسة بحجة منع قصف تلك المواقع. وكانت مصر أكثر الدول تضرراً بسبب الحجم الكبير لعدد المحتجزين، إضافة إلى الأضرار المالية التي لحقت بعائلات المحتجزين. كما أنه أثار استياء وغضب العالم بمثل هذا التصرف الطائش لحكومة لا تعرف احتراماً لحرية وحقوق الإنسان. وكان في هذا أكبر استفزاز للرأي العام العالمي وحكومات تلك البلدان المتضررة من هذا الحجز. وقد أصيب المحتجزون بالإهانة في كرامتهم وحقوقهم المشروعة وعملوا معاملة غير إنسانية دون أن يرتكبوا

جرماً. وقد اضطر عدد مهم من الشخصيات الدولية المعروفة إلى زيارة العراق بهدف إقناع صدام حسين بضرورة إطلاق سراح المحتجزين، ومن بينهم فيلي براندت، مستشار ألمانيا الأسبق ورئيس الحزب الاشتراكي الألماني، الذي قام بزيارة خاصة للعراق من أجل استعادة المحتجزين دون أن يكونوا قد ارتكبوا خطأً أو جنحة... الخ. وقد تمكن براندت من استعادة ١٧٤ شخصاً من المحتجزين الأوروبيين<sup>٨٧</sup> بينهم ١٢٠ ألمانياً و٢٠ إيطالياً و١٢ بريطانياً و١٠ هولنديين و٣ بلجيكين و٢ أمريكيين، إضافة إلى أيرلندي وسويسري ونرويجي ويوناني وبرتغالي وشخص من لوكسمبورغ<sup>٨٧</sup> غادروا معه على متن طائرة شركة لوفتهانزا إلى برلين.

وإذا كان صدام قد سعى من خلال حجز الرهائن لفترة طويلة منع وقوع الحرب ودفع الرأي العام العالمي للتصدي للحرب لكي لا يموتوا هؤلاء الأبرياء من الناس باعتبارهم دروعاً بشرية، كان عليه أن يدرك ثلاث مسائل مهمة، وهي:

\* أنه غير قادر بأي حال على الاحتفاظ بهذا العدد الكبير من البشر كرهائن لديه ولفترة طويلة، وأن عليه أن يحررها في كل الأحوال طال الوقت أم قصر<sup>٨٨</sup>

\* وأن هذه الرهائن لن تعرقل الحرب حتى لو احتفظ بها ولم يطلق سراحها، إذ أن الأهداف التي كانت تسعى إليها الولايات المتحدة هي أكبر بكثير من أرواح هؤلاء الناس الأبرياء.

\* وأن الرأي العام العالمي سينقلب على صدام حسين بغض النظر عن إطلاق سراحهم أم الاحتفاظ بهم، إذ أنه أضاف إلى عدوانه ضد الكويت بحجزه الزاهن الذي برهن على إهانته للإنسان والمجتمع الدولي والرأي العام العالمي. وفي هذا كان رأي جورج بوش الأب صائباً حين قال: وفي حينها صرح الرئيس الأمريكي جورج بوش حول المحتجزين بقوله: "إن حياة أشخاص أبرياء معرضة للخطر، والاستغلال المستهتر للمدنيين كورقة للمساومة أو أدوات لردع هجوم، يمثل إهانة للسلوك المتحضر (...). هذا الابتزاز لن ينجح"<sup>٨٨</sup>.

٨٧ راجع: مطر، فؤاد. موسوعة حرب الخليج. مصدر سابق. ص ١٨١.

٨٨ المصدر السابق نفسه. ص ١٩٦.

وقد أجبر صدام حسين ويعد مراوغات وتسويات كثيرة إصدار قراره إلى مجلس النواب العراقي لاتخاذ قرار بإطلاق حرية الرهائن وعودتهم على بلدانهم وكانوا جميعاً من الولايات المتحدة والدول الأوروبية وبلغ عددهم ٣٠٠٠ شخص، إذ كان قبل ذلك قد أطلق تدريجياً حرية المواطنين من الدول العربية وغيرها من الدول. جرى ذلك في السابع من كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٠ حين قدم رئيس مجلس النواب سعدي مهدي صالح طلباً إلى المجلس لمناقشة وإقرار مقترح صدام حسين باتخاذ القرار النهائي بشأن الرهائن. وجاء في حديثه ما يلي الذي يعبر عن العنجهية البعثية وعن الخضوع الكامل لصدام حسين والتمجيد البائس به: "إن أبرز ما يزعج المجاهد المؤمن والمناضل الشريف والمقاتل الشجاع الذي يتحلى بأخلاق الفرسان المؤمنين هو أن تتداخل الخنادق في ساحة المنازلة فينحشر في الساحة بين خندقين من لا يقصد المنازلة وهو ليس من بين الأشرار، وأن هذا الانزعاج يتحول إلى أسى عميق عندما يصيب هذا الصنف من الناص الأذى نتيجة لمستوى الصراع ونوعه"<sup>٨٩</sup>. صوت ٢٢٥ نائباً إلى جانب قرار إطلاق حرية الرهائن و١٥ شخصاً ضد القرار<sup>٩٠</sup>، إذ كان مجلس النواب الصدامي يتكون من ٢٤٠ عضواً.

ولكن السؤال المشروع هو: لماذا تشبث صدام حسين بالبقاء في الكويت ورفض الانسحاب، إذ كل الدلائل كانت تشير إلى أنه سيجبر على الانسحاب طال الوقت أم قصر، وأنه يمكن أن يطرد منها عبر حرب مدمرة؟ هناك الكثير من الآراء المهمة في هذا الصدد والتي يمكن الأخذ بها في تفسير موقف صدام حسين. تؤكد الكثير من المعطيات والمعلومات المتوفرة من جهة، ومعايشتي اليومية للمشكلات العراقية ومعرفتي بطبيعة شخصية صدام حسين والقضايا التي تحركه من جهة أخرى، إلى أن العوامل التي حركت صدام حسين باتجاه العناد والإصرار على البقاء في الكويت يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

---

٨٩ المصدر السابق نفسه. ص ٢٣٨.

٩٠ المصدر السابق نفسه. ص ٢٣٩.

١. كان صدام حسين منذ أوائل السبعينات يتحرى عن سبل إقامة علاقات جيدة مع الولايات المتحدة، بالرغم من إعلامه الذي يهاجمها يومياً ويتهمها بالتآمر على نظام البعث ويرميها بشتى النعوت. وقد تحدث الدكتور جواد هاشم، وكان في حينها وزيراً للتخطيط، عن تلك الجهود التي بذلت على هذا الطريق في كتابه الموسوم "مذكرات وزير عراقي مع البكر وصادم، ذكريات في السياسة العراقية: ١٩٦٧-٢٠٠٠" الصادر عن دار الساقى في لندن وبيروت ٢٠٠٣، والرغبة الجامحة والأساليب الملتوية التي أتبعت لإعادة وتحسين العلاقات مع الولايات المتحدة من جانب البكر وصادم حسين. كما قدم صدام حسين أكبر خدمة للولايات المتحدة الأمريكية في الحرب التي شنها ضد إيران في العام ١٩٨٠ انتقاماً منها لما حصل لها في سفارتها بطهران وضرب مصالحها في إيران، إضافة إلى أن الولايات المتحدة كانت تعتبر نظام صدام حسين بمثابة قوة توازن مهمة إزاء إيران في المنطقة، فالنظامان رغم كونيهما يمارسان الاستبداد والتوحش في بلديهما، إلا أنهما من فصيلتين مختلفتين والعداء بينهما مستحكم. وبالتالي كان صدام حسين يشعر باستمرار بأن هناك نقاط التقاء وخبوط تشد واشنطن إلى بغداد ولا يمكن لواشنطن أن تقطعها، كما لا يريد صدام حسين قطعها.

٢. كان هذا يعني أن صدام حسين حتى اللحظة الأخيرة لم يكن يعتقد بأن الولايات المتحدة ستخوض الحرب ضد نظامه، وأنها ستعتمد إلى الدبلوماسية والطلب من قيادة الكويت تقديم تنازلات للعراق لكي ينسحب العراق من الكويت في مقابل مكاسب مهمة للعراق.

٣. كما عوّل صدام حسين كثيراً على موقف الاتحاد السوفييتي في مجلس الأمن الدولي في أنه سيمنع تمرير قرار بخوض الحرب ضد العراق باستخدام حق النقض (الفيتو)، رغم معرفته بأن الاتحاد السوفييتي كان حينذاك في النزاع الأخير ويعاني من سكرات الموت السريع وقبل غيابه من الخارطة السياسية الدولية.

٤. كما عوّل صدام حسين على مسألتين هما الخلاف العربي الذي لن يسمح بالاتفاق على قرار واحد يقر حرباً ضد العراق من جهة، وعلى التحرك الجماهيري العربي الذي

سيرفض الحرب ويشعل الأرض ناراً تحت أقدام من يجراً على شن حرب ضد العراق وضد صدام حسين، الذي اكتسب شعبية لدى الأوساط الشعبية الواسعة في العالم العربي وفي الدول المغاربية، من جهة أخرى.

٥. لقد كان صدام حسين، وهي المسألة المركزية في فعل العلل التي كان يعاني منها الدكتاتور، يخشى على سمعته وموقعه وهيبته ودوره الجديد الذي يطمح به في حالة موافقته على الانسحاب دون أن يحقق أي مكسب من تلك التي طالب الكويت بها. فمن غير المعقول لصدام حسين أن لا تتنازل الكويت عن ديونها على العراق أو أن لا تدفع له منحة عشر مليارات دولار أمريكي أو لا توافق على تأجير الجزر الثلاث بوبيان ووربة وفيلكة أو أن لا تدفع له مبلغ ٢,٤ مليار دولار أمريكي عن ادعاء النفط المستخرج والمصدر من حقل الرميلة الجنوبية... الخ. فهيبته العربية وكرامته الشخصية وقراراته كلها سوف تنهار ولن يحظى باحترام الشعوب العربية ولا يجوز التضحية بذلك حتى لو شنت الحرب وفقد العراق مئات ألوف الضحايا وخسر مئات المليارات من الدولارات الأمريكية. إن البطل والقائد العربي يفترض في عرف صدام حسين أن يبقى معانداً حتى لو كلف ذلك موت شعبه ضحية وثنماً لاستمرار وجوده على قيد الحياة، فمنه وحده سينبثق الشعب مرة أخرى وسينبثق العراق الجديد! لقد كان صدام حسين في غيبوبة عن الواقع العراقي، ولم يكن أفراد قيادته أقرب منه إلى هذا الواقع، إذ كان جميعاً لا يعتقدون باحتمال نشوب الحرب، إلا في اللحظات الأخيرة.

واستناداً إلى هذه الرؤية غير الواقعية لم يعتمد صدام حسين إلى تخفيف الصراع وإبداء المرونة باتجاه التجاوب مع قرارات الأمم المتحدة التي بلغ عددها بين بدء الغزو للكويت وبدء الحرب لتحريرها ١٣ قراراً،<sup>٩١</sup> بل إلى تشديده ضد المجتمع الدولي وربط قضية الخروج

---

٩١ ملاحظة: وعلينا أن نتذكر بأن الفترة الواقعة بين ٢ آب/أغسطس ١٩٩٠ و١٦/٣/١٩٩١ صدر عن مجلس الأمن الدولي ١٣ قراراً بدأ بالقرار ٦٦٠ في الثاني من آب/أغسطس وأخرها كان القرار ٦٨٦ في ٢ آذار/مارس ١٩٩١ حيث بعدها شنت الحرب ليصدر عن مجلس الأمن الدولي القرار ٦٨٧ في ٣ نيسان/أبريل ١٩٩١ ليعلن للعالم عن استعادة الكويت استقلالها وسيادتها الوطنية وطرد القوات العراقية المحتلة من الكويت.

من الكويت بانسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة وحل مشكلات الشرق الأوسط، وبالتالي ربطها بالصراع الدائر في الشرق الأوسط منذ ما يقرب من ستة عقود. وكان هذا يعني أن صدام حسين يسعى إلى التصعيد وليس إلى التخفيف والمساومة، وكأنه كان واثقاً من أن الولايات المتحدة لن تقوم بأي حرب ضده لإخراج قواته من الكويت. ويتساءل الكاتب السيد حامد الحمداني نيابة عن الكثير من الناس: هل أن صدام حسين كان مصاباً بالجنون، أم كان يعتقد جازماً بأن الولايات المتحدة سوف لن تشن الحرب ضده؟<sup>٩٢</sup>. والواقع يبرهن على أن جنون صدام حسين كان قد تجاوز الحدود حين تصور حقاً، ورغم كل تلك الاستعدادات العسكرية الاستثنائية التي حصلت في منطقة الخليج، أن الولايات المتحدة سوف لن تشن حربها ضد النظام العراقي، خاصة وأنها سجلت وجوداً عسكرياً عراقياً قرب الحدود السعودية. أي أن صدام حسين كان مصاباً بمس من الجنون حين اعتقد بأن الولايات المتحدة ستتعامل معه بطريقة أخرى، أي ستحتفظ به وستضحي بالكويت، وهو الذي قدرت أنه غير محسوب العواقب. ويبدو مفيداً أن نتابع رأي وتفسير السيد سعد البزاز، الإعلامي والصحفي البعثي الذي عمل في أجهزة البعث الحزبية والحكومية والإعلامية والثقافية سنوات طويلة ولم يغادر البعث إلا في العام ١٩٩١ ونشر في العام ١٩٩٢ كتابه الموسوم "حرب تلد أخرى" في الأردن، للأسباب التي دعت صدام حسين إلى الحروب والغزو وعدم الانسحاب من الكويت والصدام بالولايات المتحدة، وهو تفسير بعثي بامتياز، إذ يقول: "فليس من الصواب تفسير السلوك السياسي العراقي تحت وطأة المتغيرات السياسية وتفاعلات الأحداث والظروف والمواقف المستجدة، وليس من الصواب التعامل مع الشعوب العريقة على أساس رد الفعل المحتمل إزاء الحدث الآني، فمثل هذه الشعوب تتصرف على أساس ما تستمده من إرث متراكم، وعقد قديمة وحسابات ثقيلة، وهي في العادة لا تستطيع أن تجد أنها ذات قيمة في الحاضر ما لم تُنشِط إحساسها بأنها وريثة أمس كبير. وبهذه الطريقة ينعش التنويريون العرب المعاصرون الإحساس بالذات الوطنية والقومية. ويعدون الانتساب إلى ماض متراكم في الأحداث

---

٩٢ الحمداني، حامد. كتاب صفحات من تاريخ العراق الحديث. الكتاب الثاني ١٩٥٨-١٩٩٦. ط ١.

فيويون ميديا مرونوبيرغ. السويد. ٢٠٠٥.

والشواهد والخبر والمواقف والانتصارات والانتكاسات معاً، عامل تحريك فعّال للذات في لحظةها الآنية"<sup>٩٣</sup>. ثم يتساءل السيد سعد البزاز مباشرة بقوله: "فهل كان العراق سيقبل لحظة المواجهة مع أمريكا بعلاقة الذئب والحمل...؟ وهل يحتمل أن ينشأ حوار الذئب والحمل بينهما...؟ وأيها أقرب للتعبير عن تكوينه.. القبول بقانون التصادم أم الخضوع لقانون الاحتواء...؟"<sup>٩٤</sup>.

لا شك في أن للتاريخ وتراكم أحداثه تأثير على فكر وممارسات الشعوب والأفراد والمسئولين، ولكن لا يجوز بأي حال تغليب تأثير أحداث التاريخ الغابرة على سلوك الفرد في ضوء الأحداث الجارية والمؤثرة مباشرة على تصرف الفرد والمجتمع.

وفي رأي سعد البزاز أن القرار العراقي بالتحدي جاء نتيجة ثلاث عقد حركت مكامن الشعور بالخطر في العراق: الأولى عقد (كسرى) التي تمثل الخطر الفارسي القديم، والثانية تمثل عقدة (بابل) التي تعكس الخطر الصهيوني الذي تعبر عنه وتمثله (إسرائيل)، والعقد الثالثة هي التي تمس العرب عموماً والتي أطلق عليها بعقدة (بلاط الشهداء) التي تجسد الصراع العربي الأوروبي حين وقعت معركة (تور - بواتييه) في فرنسا في تشرين الأول /أكتوبر من عام ٧٣٢ بين قوات المسلمين بقيادة عبد الرحمن الغافقي، والإفرنج بقيادة شارلز مارتل Charles Martel، حيث اندحرت فيها قوات المسلمين وقتل قائدهم وتمكن الأوروبيون إيقاف ومنع زحف وغزو المسلمين لأوروبا.<sup>٩٥</sup>

---

٩٣ البزاز، سعد. حرب تلد أخرى. الأردن. عمان. الأهلية للنشر والتوزيع. ط٢. ١٩٩٢. ص ١٧/١٨.

٩٤ المصدر السابق نفسه. ص ١٨.

٩٥ قارن: المصدر السابق نفسه. ص ١٨/١٩. لا بد من تصحيح سنة المعركة التي وردت خطأ لدى السيد سعد البزاز، فهي معركة جرت في عشرة أيام في شهر تشرين الأول / أكتوبر من عام ٧٣٢ ميلادية ١١٤ هجرية، وليس في العام ٧٥٠ ميلادية. توفي شارلز مارتل في العام ٧٤١م. راجع في هذا الصدد: الموسوعة الحرة. معركة بلاط الشهداء. راجع أيضاً: موقع Herodote.net. أو مقال الكاتب John H. Haaren (John Henry) عن أشهر رجال القرون الوسطى. Public Domain Authorama.



بهذا التفسير البعثي التعسفي يبرر السيد سعد البزاز مجموعة من السياسات العدوانية التي مارسها صدام حسين في العراق ومع الجيران، سواء أكان ذلك بشنه الحرب ضد إيران بسبب خشية العراق من الفرس ومن محاولتهم احتواء العراق أو الهيمنة عليه، ومن ثم غزو الكويت، البلد العربي الشقيق، باعتبارها جزءاً من العراق، ولكنها تتآمر مع الغرب وإسرائيل ضد العراق والخشية من الصهيونية وأطماعها في العراق، وعقدة بلاط الشهداء بسبب رغبة الغرب في أحد أمرين إما احتواء العراق أو إلحاق الهزيمة به. وكان لا بد للعراق أن يصطدم بالغرب لأنه يرفض الاحتواء.

إن من يقرأ نص السيد سعد البزاز يدرك بوضوح عدة أمور مهمة حاول البزاز تمريرها، وهي:

١. الخلط الواضح بين العراق وبين صدام حسين، فصدام حسين لم يتحرك لصالح العراق، بل تحرك لصالحه كشخص وهيمنته على العراق والمنطقة. و صدام حسين لا يمكن أن يكون العراق كله، فهو في كل أفعاله لم يكن يمثل العراق، بل كان يمثل نفسه وحفنة من أتباعه في القيادة التي نصبها بنفسه.
٢. لم يتخذ الشعب العراقي قرار الحرب ضد إيران بل كان القرار صادراً عن شخص واحد هو صدام حسين مباشرة وبدعم مباشر من الولايات المتحدة ومجموعة من الدول الغربية والعربية التي ساندته بسبب خشيتها الراهنة من السياسة الإيرانية التي كانت تعمل على تصدير الثورة الإسلامية الشيعية إليها وإلى الدول الإسلامية الأخرى.
٣. كما لم يكن قرار غزو الكويت قرار العراق كله، بل كان القرار صدامياً بالمطلق ولا يمت إلى التركة التاريخية الثقيلة، بل اقترن بحقيقة الوضع الذي ساد في العراق في أعقاب الحرب العراقية الإيرانية وأطماع صدام حسين رغم أن ستة أعضاء من قيادته ساهمت في الموافقة على قراره. كما أن رفض الانسحاب كان قراراً صادراً عن صدام حسين، لا يمت إلى التاريخ بصلة، بل إلى عنجهية الدكتاتور صدام حسين.
٤. و صدام حسين لم يجسد في قراراته العمق الحضاري للعراق، بل كان يجسد عمق العلل التي كان يعاني منها، ومنها النرجسية والسادية وجنون العظمة التي اجتمعت فيه ودفعت به إلى ممارسة سياسة كلفت الشعب العراقي خسائر وألام وكوارث فادحة.

٥. وهذه الظواهر مقترنة بواقع التخلف الذي يعاني منه المجتمع والخلفية التربوية لصدام حسين في بيئته الفلاحية البدوية وفي إطار مشكلات عائلته مباشرة.

٦. وارتكب سعد البزاز خطأ كبيراً حين اعتقد بالطريقة غير العقلانية التي مارسها القوميون العرب المتشددون في محاولة منهم لتنشيط الحركة القومية العربية باتجاهات خاطئة حين كتب يقول: "وبهذه الطريقة ينعش التنويريون العرب المعاصرون الإحساس بالذات الوطنية والقومية. ويعدون الانتساب إلى ماضٍ متراكم في الأحداث والشواهد والخبر والمواقف والانتصارات والانتكاسات معاً، عامل تحريك فعّال للذات في لحظتها الآتية". إنه الإعلام غير المبني على الوعي بالواقع وإدراك العوامل المحركة لمسيرة التطور الاجتماعي والوعي المطلوب بحقيقة أن السياسة فن الممكنات، وليس فن ممارسة القوة والعنف لتحقيق الأهداف. فرفض الانسحاب من الكويت والاصطدام بالغرب لا يفسر على أساس تاريخي، بل وفق الواقع الذي كان يعيش فيه صدام حسين وأطماعه وتقديراته بالدرجة الأساسية، أما العوامل الأخرى فهي ثانوية.

لقد سعى صدام حسين إلى إطلاق تسميات معينة على الحروب والمعارك المجنونة التي خاضها ودفع الشعب العراقي ثمنها وهي لم تنشأ عن فهم واقعي وسليم لأحداث التاريخ واتجاهات تطورها ونتائجها والدروس المستخلصة منها، بل عبّرت عن جهل عميق بهذا التاريخ والتقاط السلبي منه ومحاولة إعادة تكوينه بصورة بائسة ومدمرة.

في الوقت الذي كان صدام بين مصدق ومكذب لاحتمال قيام حرب ضده، كانت بعض قوى المعارضة تتوقع الحرب وتحذر منها بقوة. فمنذ احتلال الكويت دعت قوى المعارضة العراقية على خروج القوات العراقية من الكويت وإعادة السيادة لأصحابها والحذر من حرب قادمة مدمرة للعراق وشعبه. ولكن هذا الصوت المسئول لم يسمع من جانب صدام حسين ونظامه والقوى المؤيدة له في العالم العربي. ففي فترات متلاحقة أصدر الحزب الشيوعي العراقي، كأحد القوى المعارضة للاحتلال والمطالبة بسحب القوات العراقية من الكويت، كان يحذر من احتمال الحرب ومن الدكتاتورية العاشمة التي لا تريد أن تنسحب وتورط المجتمع بحرب مدمرة. وكان هذا الصوت في حقيقته معبراً عن أغلب قوى المعارضة، رغم

أن البعض كان يتمنى وقوع الحرب، إذ كان يتوقع انهيار النظام في مجرى الحرب والتخلص من صدام حسين. وكان هذا البعض لا يقدر مجرى اللعبة الدولية والإقليمية في المنطقة وما ينشأ عن الحروب من نتائج وعواقب لا يستطيع الإنسان معرفة تداعياتها واتجاهات تطورها. ففي يوم ١٢/١/١٩٩١ أصدر الحزب الشيوعي العراقي بياناً تحت شعار "درء كارثة الحرب.. مهمة ملحة"، ثم أصدر المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي نداءً بتاريخ ١٧/١/١٩٩١، أي بعد يوم من بدء الحرب داعياً إلى إنقاذ الشعب من ويلات الحرب والدكتاتورية، واعتبار الشعب العراقي ضحية الدكتاتورية وضحية الحرب في آن واحد. وهكذا توالى بيانات الحزب الشيوعي وبقية قوى المعارضة لإيقاف الحرب، في حين كانت الحرب تطحن الشعب فعلياً. واستمرت هذه النداءات دون فائدة إلى أن توقفت بعد تحرير الكويت وولوج القوات الأجنبية الأراضي العراقية واحتلالها لها من محاور عدة، كلها من الجنوب، مما أجبر النظام على قبول إيقاف القتال والالتزام بكافة المقررات التي تفرض عليه.

ثانياً: جورج بوش الأب يقود التعبئة لخوض حرب تحرير الكويت

لم تبذل الولايات المتحدة أي جهد ملموس للاعتراض على الاستعدادات العسكرية العراقية الواسعة على الحدود الكويتية أو التحركات والمذكرات السياسية للدبلوماسية الخارجية لنظام العراقي، رغم توثيقها كل ذلك بصور واضحة عبر الأقمار الصناعية، كما لم ترتفع عنها وعن دول الاتحاد الأوروبي أية احتجاجات مقلقة للعراق بهذا الصدد، بل جل ما قامت به هذه الدول اقتصر على متابعة ما يقوم به النظام العراقي وتجميع المعلومات ودراستها وتنشيط الدبلوماسية غير المباشرة لمعرفة أهداف النظام ألدّامي المباشرة وغير المباشرة، خاصة بعد أن انطلقت من صدام حسين تصريحات اعتبرت خطيرة من جانب إسرائيل والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي تهدد بحرق نصف إسرائيل إن جرى التعرض بالعراق. وقد عرضت الولايات المتحدة على قيادات بعض الدول العربية، وخاصة المملكة السعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة، مجموعة مهمة من الصور التي التقطتها أقمارها الصناعية عن التحشيدات والتحركات والاستعدادات العسكرية العراقية، قبل شن

العدوان على الكويت. لقد كان لهذه التصريحات المتمسمة بالعنجهية أصدامية، التي اتسم ويتسم بها أغلب مستبدي ومضطهدي الشعوب، وقع كبير على حكومات إسرائيل والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وعلى المؤسسات الدستورية فيها وشعوبها وغالبية الأحزاب السياسية فيها، حيث دق ناقوس الخطر معلنا بأن النظام العراقي قد تجاوز الخطوط الحمراء والحدود المسموح بها في المنطقة، رغم أن بعض القوى السياسية في تلك الدول قد اعتبرت تصريحات صدام حسين فارغة، ولكن تجربة الحرب التي شنها النظام العراقي ضد إيران أعطت الجميع بأن النظام العراقي غير محسوب العواقب في سياساته وإجراءاته وتصرفاته.

من عرف السياسة الأمريكية وتعمق في استراتيجيتها الدولية مع هبوط نجم الاتحاد السوفييتي وبدء العد التنازلي لوجوده على الساحة الدولية، أدرك بأن الهدوء الأمريكي إزاء تصريحات النظام العراقي وإجراءاته لم يكن طبيعياً، كما لم تبرز أي بادرة من الرئيس الأمريكي من أجل منع العراق من زيادة تسلحه أو تحذيره من عواقب أي عمل عسكري يمكن أن يقوم به في منطقة الخليج، خاصة وأن العراق كان قد أثار صخباً شديداً ضد الكويت وسياستها النفطية التي تسمح بإغراق السوق العالمي بالنفط الخام أو ضد إسرائيل، بل كان الإحساس يتعاظم بأن الولايات المتحدة تدفع بالنظام العراقي بصورة غير مباشرة إلى تجاوز الحدود والخطوط الحمراء المسموح بها لتوجيه الضربة له. ولكل باحث الحق في تفسير أقوال سفيرة الولايات المتحدة الأمريكية ببغداد، أبريل غلاسي، والدبلوماسي الأمريكي كيللي على أنها كانت بمثابة التشجيع المعلن وغير المباشر، وفق لغة الدبلوماسيين المعروفة بحذاقتها وما يمكن أن يقرأ في ما بين السطور، على القيام بعمل عسكري ضد الكويت، وأن الولايات المتحدة لن تحرك ساكناً لأنها لا تمتلك اتفاقية دفاع مشترك، ولكن حذاري يا صدام حسين من أي تحرش أو اعتداء عسكري بالمملكة العربية السعودية. وقد التقط صدام حسين هذا التشجيع، كما كان قد التقط قبل ذلك تشجيع الولايات المتحدة له لشن حربه ضد إيران قبل عشر سنوات تقريباً وبدأ بها معتمداً على التأييد الدولي من أطراف كثيرة والسكوت من أطراف أخرى على تلك الجريمة. لقد

كان الشك يرافق القادة العسكريين الأمريكيين في أن الولايات المتحدة لا تدخل الحرب ضد العراق من أجل الكويت، ولكنها ستدخل الحرب مباشرة إن حصل أي تحرش أو استعداد لمهاجمة السعودية. وهذا ما عبر عنه شوارزكوف في أحاديثه مع كولن باول وبعض المسؤولين الأمريكيين. إذ كتب شوارزكوف عن مجلس الأمن القومي وما تحدث به معه كولن باول بهذا الصدد ما يلي: "إن اجتماعات مجلس الأمن القومي هي في الأساس منبر يجمع الرئيس منه المعلومات وسيشعر كل شخص في الوزارة بأن له أن يتحدث لذلك قد تسمع أشياء حمقاء لا تتوقع اتخاذ أي قرار فحين يتوجب على الرئيس أن يتخذ قراراً فإنه سيفعل ذلك بالتشاور مع مجموعة أصغر بكثير وتصفح بعجل سلايدات تقارير الإطلاع التي عمل ضباط مقرنا بمشقة طوال الليل في تهيئتها نصحني بأن أقصر عرضي للوضع على ما يمكن أن تفعله القيادة المركزية في الحال وبخاصة الضربات الجوية والضربات البحرية التي وصفتها لهيئة رؤساء الأركان المشتركة ونبهني باول بوضوح أنه لا يريدني أن أدخل في تفاصيل خطتنا للطوارئ القاضية بإرسال القوات قبل أن نعرف نوايا صدام، أضاف أن تدخل الولايات المتحدة عسكرياً أو عدم تدخلها يتوقف على التالي وهو إلى أي مدى سيمضي العراق وأوجز قائلاً أظن أننا سندخل الحرب من أجل العربية السعودية ولكني أشك أن ندخلها من أجل الكويت...<sup>٩٦</sup>.

ولكن هذا القطب الأعظم الهادئ والساكت طويلاً تحرك دفعة واحدة ونشط بحيوية فائقة وعلى جميع الجبهات. بدأ الرئيس بوش منذ اللحظة الأولى التي سجلت دخول القوات العراقية الحدود الكويتية وسيطرتها الكاملة على الكويت ونزوح العائلة الحاكمة منها صوب السعودية اتصالاته الواسعة والمتعددة الجوانب ونشط دبلوماسييه ومؤسساته العسكرية. لم يكن في تجاوز القوات العراقية للحدود الكويتية أي مفاجأة فعلية، لأنها كانت تنتظره في كل لحظة، ارتباطاً بكل تلك التحركات التي سبقت العدوان وبناء على اللقاء الأخير مع

---

٩٦ شوارزكوف، نورمان. مذكرات شوارزكوف، الأمر لا يحتاج إلى بطل. وثائق وأسرار خطيرة. ترجمة د. نورالدين صدوق ود. غلاب الجابري. دمشق - القاهرة. دار الكتاب العربي. ط ٢. ١٩٩٥. ص

أبريل غلاسبي والاستنتاج الذي خرجت به هذه السفارة الذكية والذي لا شك أنها أبلغت رئيسها في وزارة الخارجية الأمريكية به، بل المفاجأة كانت حين عرف الرئيس الأمريكي وكل المتعاونين معه من الدول العربية ودول الاتحاد الأوروبي بأن القوات العراقية لم تقف عند المنطقة الحدودية المتنازع عليها، بل تجاوزتها وتغلغت في عمق الكويت وهيمنت على كامل التراب الوطني الكويتي واحتلتها، وأن خطة الطوارئ قد نفذت لإنقاذ العائلة الحاكمة والحكومة وأكبر الشخصيات المسؤولة في الجيش والمؤسسات المدنية. لقد كانت السفير الأمريكي نات هاويل في الكويت يمد وزارة الخارجية بتقارير عن قوات الاحتلال وعن تصرفاتها. كما كانت القيادة العسكرية تتلقى تقاريرها الخاصة من الميجور فيلي، كما يؤكد ذلك شفارتزكوف حين كتب يقول: "في غضون ذلك ارتقى الميجور فيلي إلى سطح مبنى السفارة وقدم لنا وصفاً حياً لمعركة الفجر في مدينة الكويت فإن موقع السفارة ممتاز فهو على مبعده ربع ميل عن القصر الرئيسي أحد الأهداف الأساسية للعراقيين وصف لنا فيلي الدبابات والمقاتلات والهيلوكوبترات العراقية التي رآها تهاجم وقال إن الهيلوكوبترات كانت تفرغ جنود القوات الخاصة في مواقع استراتيجية في عموم المدينة وشاهد أناساً بملابس مدنية يعطون لها غشارات في مناطق الهبوط لقد أعد العراقيون للغزو إعداداً دقيقاً. وذهبوا إلى حد زرع العملاء للعمل - كمنظمين على الأرض للقوات الداخلة"<sup>٩٧</sup>.

اتخذ التحرك الأمريكي ضد الغزو العدواني والاحتلال العراقي للكويت أبعاداً عدة وعلى مستويات مختلفة حتى تكامل تدريجاً يوم إعلان الهجوم على القوات العراقية وتحرير الكويت، أي بعد سبعة شهور تقريباً من احتلال العراق لهذه الدولة الجارة والشقيقة والعضو في الجامعة العربية والجمعية العامة للأمم المتحدة. فما هي السياسات والإجراءات التي اتخذتها الولايات المتحدة لقيادة المهمة؟ يمكن تكثيف النشاط الأمريكي على الجبهات التالية:

---

٩٧ المصدر السابق نفسه. ص ٢٩٤.

أولاً: الجبهة السياسية والإعلامية وتشمل:

- التحرك على الساحة العربية وخاصة أصدقاء أمريكا في المنطقة مثل حكومات المملكة السعودية ومصر والأردن ودول الخليج لتحريكها من أجل دعم حكومة الكويت الشرعية وشجب الاحتلال العراقي للكويت والمطالبة بالانسحاب الفوري منها، إضافة إلى إشعار السعودية ودول الخليج بأنها المقصودة في المرحلة الثانية من التحرك العدواني العسكري العراقي، والذي لا شك بأنه قادم.
- التحرك الدولي على مستوى الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي والاتحاد الأوروبي والمؤسسات المالية والمصرفية الدولية لإصدار القرارات واتخاذ الإجراءات الضرورية بحشر العراق في زاوية حادة لا يمكن الفكك منها.
- تنشيط الإعلام السياسي والحقوقى والأخلاقي على الصعيدين الدولي والإقليمي باستخدام جميع أجهزة الإعلام من أجل مشاركتها في فضح نوايا العراق من احتلاله الكويت وإبراز كل موبقات النظام واستبداده وما سكت عنه سابقاً.

ثانياً: الجبهة الاقتصادية

التي تركزت في إصدار قرار عن مجلس الأمن الدولي بفرض الحصار الاقتصادي والعقوبات الاقتصادية على العراق وحرمانه من إمكانية استيراد السلاح والعتاد والتجهيزات العسكرية الأخرى أو الاستفادة من أرصده أو أرصدة الكويت في الخارج ومنع التعامل التجاري والمالي مع العراق.

ثالثاً الجبهة العسكرية.

اتخذ هذا الجهد مكان الصدارة والأسبقية في مجمل النشاط الأمريكي وإقناع جميع دول المنطقة والعالم بضرورة التحالف العسكري لطرد المحتل العراقي قبل أن يتجرأ بشن حملات عسكرية ضد السعودية وضد دول الخليج الأخرى بحجة حماية قواته في الكويت وتحقيق الوحدة العربية التي يمكن أن ترفع من مزاج العرب في العالم العربي لتأييد المعتدي

ويما يعطل انسياب النفط الخام من العراق إلى أوروبا والعالم والسماح بدولة استبدادية بوليسية فاشية مثل العراق بالهيمنة على منابع النفط الخام والتحكم به .  
وسنحاول متابعة هذه الجبهات بشيء من التفصيل لأنها تكشف عن النوايا الدول وأفعالها التي لازمت الصراع في الخليج العربي حينذاك .

أولاً: الجبهة السياسية والإعلامية

أدركت الإدارة الأمريكية كما أدركت القيادات العاملة في وكالة المخابرات المركزية ووزارتي الخارجية والدفاع الولايات المتحدة بأن تشديد الخناق السياسي والاقتصادي والإعلامي والدبلوماسي على صدام حسين، سيزيد من تعنت الدكتاتور ومن عناده وإصراره في البقاء في الكويت، كما سيزيد من تخبطه في إجراءاته السياسية والعسكرية، مما يفسح في المجال تحقيق عزلته الدولية والإقليمية وتعبئة الرأي العام العالمي والمجتمع الدولي ضد نظامه وسياسته وضد شخصه في آن. وكان لهذه المعرفة الدقيقة بنفسية الدكتاتور صدام حسين، وهي سمة يتسم بها أغلب المستبدين في الأرض، الناجمة عن تعامل طويل معه وعن دراسة مدققة ومستمر لتصرفاته حتى قبل أن يصل إلى السلطة ومنذ أن كان في القاهرة بعد محاولة الاعتداء الغادرة على قائد عبد الكريم قاسم، من جانب خبراء علم النفس والعاملين في السياسة في الولايات المتحدة الأمريكية دورها المتميز في دفع صدام حسين إلى نهايات الشوط الذي بدأ به حين دفع قواته بغزو الكويت والتي أتينا على ذكرها سابقاً، سواء أكان ذلك بتشكيل الحكومة الكويتية الحرة المؤقتة، أم بدمج الكويت بالعراق واعتبارها المحافظة العراقية التاسعة عشر، أم بما قام به من أسر واعتقال المزيد من الناس واختطاف ونقل رهائن أجانب من الكويت إلى العراق وإشعال الحرائق في أبار النفط الكويتية قبل انسحاب قواته منها وتلويث بيئة المنطقة.

بدأ الرئيس الأمريكي بالعمل على كل الجبهات دفعة واحدة وليس على التوالي. تمت الاتصالات بالملك السعودي والملك الأردني وبالرئيس المصري وبعده آخر من الرؤساء والملوك العرب وشجعهم ودفع بهم إلى اتخاذ قرارات صارمة ضد العدوان والدعوة إلى



انسحاب القوات العراقية من الكويت، كما دعا الجامعة العربية من خلال الرؤساء والملوك إلى اتخاذ موقف صارم وبسرعة في هذا الصدد، إضافة إلى تحريك الكثير من الدول التي كانت تشارك حين وقع العدوان في مؤتمر الدول الإسلامية في القاهرة. وبنفس الوقت أصدر مجلس الأمن الدولي، وبمبادرة مباشرة من الولايات المتحدة، القرار رقم ٦٦٠ لسنة ١٩٩٠ الذي أدان العدوان وطالب العراق بالانسحاب الفوري من الكويت وإعادة السيادة والشرعية للحكومة الكويتية. وخلال ذات الفترة أمكن إقناع الملك فهد بأن العراق لن يتوقف عن عدوانه عند حدود الكويت، بل أن هناك دلائل تشير إلى احتمال تحرك قواته صوب السعودية، مما دفع بالملك فهد إلى القبول بنزول واستقرار قوات أمريكية في المملكة السعودية لأول مرة وبإعداد كبيرة. كان ذلك في السابع من آب / أغسطس من عام ١٩٩٠، أي بعد خمسة أيام من العدوان العراقي واحتلال الكويت.

ثم بدأ المطبخ السياسي الأمريكي يعمل مواصلاً الليل بالنهار لإنجاز تحالف دولي واسع النطاق مستعد للقيام بعملية عسكرية واسعة لتحرير الكويت من القوات العراقية المحتلة. وخلال هذه الفترة التي كان الأمل بتشكيل هذا التحالف مقروناً بمسألتين: هما مدى تأييد العرب لمثل هذا العمل الحربي وإخراج القضية من كونها مشكلة عربية - عربية من جهة، وموافقة مجلس الأمن الدولي على إصدار المزيد من القرارات الخانقة للعراق والضاغطة على صدام حسين التي كان مقدراً بأن النظام العراقي سوف يرفض الاستجابة لها وتنفيذها ومن ثم يقوم النظام بربط انسحابه من الكويت بشروط لا يمكن للعالم القبول بها من جهة ثانية. وخلال سبعة شهور مارس النظام العراقي كل ما يمكنه القيام به لترسيخ فكرة لدى العالم كله مفادها أن النظام العراقي لا ينفع معه سوى الحرب التي يخوضها التحالف الدولي لتحرير الكويت وطرده القوات العراقية منها. وكانت تلك الإجراءات المنفذة من جانب النظام العراقي تجري على الأرض الكويتية أم تصرفات على الساحة العربية والإقليمية والدولية.

في السابع من تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٠ تحدثت السيدة مارغريت تاثير رئيسة وزراء المملكة المتحدة في مجلس العموم البريطاني حول الموقف من قرارات مجلس الأمن الدولي

حول احتلال العراق للكويت قائلة: "إن العقوبات أُعطيت ثلاثة أشهر لتؤتي ثمارها ولكن لم تظهر أي علامات على أن العراق يخفف من قبضته على الكويت التي احتلها يوم ٢ آب (أغسطس) ١٩٩٠ وإزاء ذلك إما أن يخرج من الكويت حالاً وإلا فإننا وحلفاءنا ستطرده بالقوة وسننزل به الهزيمة بكل ما يترتب عليها من عواقب. لقد تم تحذيره"<sup>٩٨</sup>.

كما أن نشاط وزيارات جيمس بيكر، وزير خارجية الولايات المتحدة، المكوكية بين عواصم دول العالم للتهيئة الفكرية والسياسية والدبلوماسية وأجهزة الإعلام الأمريكية والدولية قد لعبت دورها البارز في تعبئة الرأي العام العالمي بعدة نقاط جوهرية، وهي:

\* أن النظام العراقي نظام جائر ومعتدي ولا يجوز قبول المجتمع الدولي بأعمال اللصوصية والتجاوز على استقلال الدول الأخرى.

\* وأن هذا النظام سوف لن يكتفي باحتلال الكويت، بل يجهز قواته لاحتلال السعودية ودول الخليج الأخرى.

\* يمارس النظام العراقي سياسات فاشية ليس في العراق حسب، بل وفي دولة الكويت المحتلة.

\* إن النظام العراقي يريد أن يهيمن على منطقة تعتبر أكبر خزين للنفط الخام في العالم، وبالتالي التحكم في هذه الثروة التي هي الشريان الضروري للاقتصاد الدولي.

\* وأن تجاوزه على الشرعية الدولية ولأثرة حقوق الإنسان هي التي جعلت الكثير من الدول العربية تشجب هذا النظام وسياساته، وبالتالي فهي تقف مع شعوب العالم والمجتمع الدولي ضد النظام العراقي.

لا شك في أن هذه الأمور كلها كانت صائبة، مع قناعتنا بوجود الكثير من المبالغات في نقل الأحداث في الصحافة الأمريكية بهدفه إقناع أكثرية الشعب الأمريكي بضرورة الحرب ضد النظام العراقي والتي تجلت في الصبغة الكويتية التي تحدثت عن طريقة التعامل معها في الكويت، في وقت لم تكن حين الاحتلال وبعده حتى نهاية الحرب في الكويت، وهي من

---

٩٨ مطر، فؤاد. موسوعة حرب الخليج. ص ١٧٢.

عائلة دبلوماسية كويتية كانت في الولايات المتحدة حينذاك: وقد صدر كتاب مهم للكاتب جون ر. ماك آرثر John R. MacArthur في الولايات المتحدة تحت عنوان "معركة الأكاذيب: كيف سوقت الولايات المتحدة حرب الخليج" تحدث فيه الكاتب عن حملة الأكاذيب التي لم تتورع الإدارة الأمريكية عن فبركتها الأمريكية ونشرها عبر أجهزة الإعلام الأمريكية وكذلك الحملة الإعلامية التي نظمتها الإدارة الأمريكية قبل الحرب لتضمن قبول أكثرية الشعب الأمريكي بضرورة خوض الحرب.<sup>99</sup>

لقد تحرك الكثير من الوفود الممثلة لعدد مهم من رؤساء الدول، وتحرك سكرتير عام الأمم المتحدة والأمين العام للجامعة العربية والمؤتمر الإسلامي، من أجل إقناع صدام حسين بضرورة الانسحاب الفوري من الكويت وحل المعضلة مع الحكومة الكويتية الشرعية بالطرق السلمية. وكان الدكتاتور يزداد عناداً وإصراراً، كلما جاء إليه وفد رفيع المستوى، كان يتبختر كالطاووس ولم يدرك أن ريشه يمكن أن يهلس في أيام لا غير إن بدأت الحرب الأمريكية والتحالف الدولي ضده. وفجأة تفنق ذهنه المريض عن قضية لا يمكن أن تتحقق وعمرها أكثر من خمسين عاماً حين ربط انسحاب قواته من الكويت بانسحاب إسرائيل من فلسطين والأراضي العربية المحتلة. وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير.

حين يتابع الباحث مجرى الأحداث حينذاك يستطيع أن يستنتج ثلاثة ملاحظات مهمة:

١. إن إدارة أزمة الاحتلال كانت عدوانية وغبية من جانب النظام العراقي، إضافة إلى أنها تميزت بالعنجهية والغرور والتباهي بقدرة العراق على مواجهة أي عدوان دولي عليه، وأن في مقدوره أن يحرق نصف إسرائيل إن جرى الاعتداء عليه.

٢. مقابل هذه السياسة الغبية كانت إدارة الأزمة من جانب الولايات المتحدة تهدف إلى تشديد الخناق على النظام لا لكي ينسحب، بل لكي يصر على البقاء، إذ لم يكن يعتقد إلا في اللحظة الأخيرة أن الولايات المتحدة ستشن الحرب فعلاً ضد نظامه، أي كانت تدفع بالنظام كي يرتكب المزيد من الأخطاء لتحقيق المنشود منها. ولم يكن صدام

---

99 MacArthur· John R. Die Schlacht der Lügen. Wie die USA den Golfkrieg verkauften. sachbuch Verlag: DTV Deutscher Taschenbuch. 1993.

حسين أن يترك خلفه "العزة بالإثم" الذي ارتكبه ويتراجع عنه وينقذ الشعب العراقي والاقتصاد العراقي من التدمير المحتم.

٢. ورغم أن فترة احتلال الكويت قد طال، فقد كان في مقدور المجتمع الدولي أن يفرض الانسحاب من الكويت على النظام العراقي دون حرب لو تسنى للأمم المتحدة أن تمتلك وقتاً أطول وأن تمارس سياسات وتكتيكات أخرى غير التي مارستها الولايات المتحدة الأمريكية حينذاك.

ونتيجة للسياسة العراقية الغبية واحتجازه للكثير من الرهائن الأجنبية والدبلوماسيين التي أثارت العالم ضده استطاعت دول التحالف أن تحقق نجاحات إضافية في فضح وعزل النظام العراقي حين صدرت القرارات التالية عن مجلس الأمن الدولي بشأن العلاقة مع الدول الأخرى والأمم المتحدة<sup>١٠٠</sup>

- قرار رقم (٦٦٢) صدر في ٩ أغسطس ١٩٩٠: اعتبار ضم الكويت باطلاً بموجب القانون الدولي والتأكيد على سيادة الكويت.

- قرار رقم (٦٦٤) صدر في ١٨ أغسطس ١٩٩٠: مطالبة العراق السماح بمغادرة الأجانب من العراق والكويت على الفور وإلغاء الأوامر الخاصة بإغلاق البعثات الدبلوماسية والقنصلية في الكويت.

- قرار رقم (٦٦٧) صدر في ١٦ سبتمبر ١٩٩٠: إدانة العراق بسبب احتجازه للأجانب وموظفي البعثات الدبلوماسية كرهائن ومطالبة العراق احترام الحصانة الدبلوماسية للسفارات والقنصليات الأجنبية في الكويت.

- قرار رقم (٦٧٤) صدر في ٢٩ أكتوبر ١٩٩٠: الطلب من الدول الأعضاء جمع أدلة حول انتهاكات حقوق الإنسان التي يرتكبها العراق في الكويت ومطالبة العراق بوقف عمليات احتجاز الرهائن. كما يُذكر العراق بمسئوليته عن الخسائر التي تكبدها كويتيون ورعايا الدول الأجنبية نتيجة لغزوه واحتلاله للكويت.

---

١٠٠ راجع: الموقع الإلكتروني للهيئة العامة لتقدير التعويضات عن خسائر العدوان العراقي.

- قرار رقم (٦٧٧) صدر في ٢٨ نوفمبر ١٩٩٠: إدانة العراق بسبب المحاولات التي يقوم بها لتغيير التكوين الديموغرافي لسكان الكويت.

وهذه القرارات لم تكن لأغراض التنفيذ فقط، بل لأغراض الإعلام الدولي وفضح النظام بما كان يقوم به في العراق وفي الكويت وما ينبغي للعالم أن يرفضه ويتصدى له.

٤. لم يكن هناك أي توازن بين القوات العراقية المهيأة للتدخل في الحرب وبين قوات التحالف الدولي سواء تلك التي هيئت للتدخل أم التي شاركت فعلاً في القتال لطرد المحتلين، وكان التوازن مفقوداً لصالح التحالف الدولي، سواء من حيث تعداد الأفراد أم من حيث الأسلحة المستخدمة في القتال.

#### ثانياً: الجبهة الاقتصادية

وفي الجانب الاقتصادي بادرت الولايات المتحدة إلى طرح مشاريع قرارات يقترح فيها فرض الحظر التجاري على العراق والكويت المحتلة ما دامت الحكومة العراقية ترفض الخروج من الكويت. ثم صدرت قرارات تالية جعلت العراق محاصراً اقتصادياً بكل معنى الكلمة خلال الفترة التي سبقت الحرب، وهي القرارات التالية وفق مضامينها والتاريخ الذي صدرت فيها:<sup>١٠١</sup>

- قرار رقم (٦٦١) صدر في ٦ أغسطس ١٩٩٠: حظر التجارة مع العراق والكويت المحتلة وتكوين لجنة لمراقبة تطبيق الحظر الذي فرضته الأمم المتحدة.

- قرار رقم (٦٦٥) صدر في ٢٥ أغسطس ١٩٩٠: فرض الحظر على الملاحة الجوية ودعوة جميع الدول الأعضاء التعاون في تطبيق الحظر.

- قرار رقم (٦٦٦) صدر في ١٣ سبتمبر ١٩٩٠: وضع إجراء يتم من خلاله تحديد الاحتياجات الإنسانية من إمدادات الغذاء والدواء لمدنيين في العراق والكويت المحتلة.

- قرار رقم (٦٧٠) صدر في ٢٥ سبتمبر ١٩٩٠: فرض حظر جوي على العراق ودعوة جميع الدول الأعضاء لاحتجاز السفن والطائرات العراقية.

---

١٠١ راجع: الموقع الإلكتروني للهيئة العامة لتقدير التعويضات عن خسائر العدوان العراقي.

ولكن ماذا كان يعني الحظر التجاري على العراق وهو البديل الذي لا يمتلك اقتصاداً مستقلاً ولا صناعة متقدمة أو زراعة حديثة و بل كانت الكثير من مشاريعه الصناعية إما دمرت في الحرب مع إيران أو حول العديد منها على الصناعة العسكرية، كما أبعدت الكثير من الأراضي الزراعية عن دائرة الإنتاج بسبب الحرب والألغام المزروعة أو هجرة الفلاحين إلى المدينة أو موت الشباب في الحرب مع إيران. لقد حظر على العراق استيراد السلاح والمعدات العسكرية، كما حظرت الكثير من المواد التي تدخل في أكثر من استعمال، بما فيه الاستعمال للأغراض العسكرية. وبدأ العراق يستهلك الاحتياطي المتبقي له من المواد الغذائية المخزونة. وأصبحت البلاد حتى قبل بدء الحرب يواجه المصاعب التموينية وبدأت الأسعار تأخذ بالارتفاع السريع نتيجة الاختلال في العرض والطلب لصالح الطلب على السلع وتراجع العرض لها بقوة. كما أن إيقاف التعامل المالي مع العراق وتجميد أرصده المالية في البنوك الأجنبية قد عمق الأزمة الاقتصادية العراقية التي كانت قد بدت للجميع في فترة الحرب العراقية - الإيرانية وتفاقت في أعقابها، إذ لم تبرز حلول عملية لها. إذ كان العراق قد أتى على الاحتياطي من العملة الصعبة خلال فترة الحرب مع إيران وبرزت مديونيته الخارجية التي كانت تساهم في الضغط عليه، كما ازدادت تبعات المرحلة الجديدة بسبب احتلال الكويت، ولم تنفع الأموال المنهوبة من المؤسسات المالية والرسمية الكويتية في معالجة أزمته المالية.

كما أن المقاطعة كانت تعني إيقاف تصدير النفط الخام الذي يعتمد العراق بنسبة عالية جداً على إيراداته لتمويل الميزانية الاعتيادية وميزانية التنمية. وسنحاول معالجة هذه المسألة في الفصل الخاص بالوقوع الاقتصادي العراقي بين حرب الخليج الثانية وسقوط النظام الدكتاتوري.

### ثالثاً: الجبهة العسكرية

خلال الفترة الواقعة بين نزول أول قوات أمريكية على الأرض الكويتية في السابع من آب/أغسطس ١٩٩٠ حتى يوم شن الحرب لتطهير الكويت تمكنت الولايات المتحدة من

تشكيل تحالف دولي عسكري كبير ضم العديد من الدول العربية إضافة إلى دول أوروبية وغير أوروبية للمشاركة في تحرير الكويت، إذ شاركت الدول التالية في هذا التحالف الدولي الذي قاده الولايات المتحدة الأمريكية: الأرجنتين، أستراليا، البحرين، بنغلاديش، بلجيكا، كندا، تشيكوسلوفاكيا، دانمرك، مصر، فرنسا، ألمانيا، اليونان، إيطاليا، اليابان، الكويت، المغرب، هولندا، نيوزيلندا، نيجر، نروج، عُمان، باكستان، بولندا، برتغال، قطر، المملكة العربية السعودية، سنغال، كوريا الجنوبية، أسبانيا، سوريا، تركيا، الإمارات العربية المتحدة، المملكة المتحدة. كما شاركت الهند بتزويد الوقود.<sup>١٠٢</sup> ومنه يبدو أن سبع دول عربية من مجموع ٣٤ دولة شاركت في الحرب ضد العراق لتحرير الكويت، أي بنسبة ٢٠,٦٪ من مجموع الدول المشاركة، وبنسبة ٣١,٨٪ من مجموع الدول الأعضاء في الجامعة العربية البالغ عددها ٢٢ دولة.

استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية خلال أشهر الاحتلال السبعة أن تحشد أكبر قوة عسكرية أمريكية وأجنبية في المنطقة، كما يتبين ذلك من الجدول التالي:

---

١٠٢ موقع ويكيبيديا الإلكتروني، الموسوعة الحرة. حرب الخليج الثانية، أخذ المقتطف بتاريخ

.٢٠٠٧/١١/١٢

جدول يوضح هدد الأفراد وعدد وأنواع الأسلحة

التي وضعت في خدمة الحرب ضد النظام العراقي في العام ١٩٩١

الإجمالي	القوات الإسلامية	القوات الأطلسية	القوات الأمريكية	عدد القوات ونوع السلاح
١٠٢٧٨٨٠	٢٦٥٨٨٠	٢٣٥٠٠٠	٥٢٧٠٠٠	عدد الأفراد
١٩٢٨	٣٩٤	٤٠٩	١١٢٥	عدد الطائرات
٦٦٩	٥١	١٦٢	٤٥٦	عدد طائرات هليكوبتر مسلحة
١٤٣٦	١١٦		١٣٢٠	عدد طائرات هليكوبتر نقل
٥٠٥٠	١٧٦٤	١١٩١	٦٥+٢٠٣٠	عدد الدبابات
٧٥٨١	٣٩٩٥	١٣٦٦	٢٢٢٠	عدد المدرعات
٢٨١٦	١٠٠٩	٧٣٠	١٠٧٧	قطع المدفعية
٢٢٠	٤٤	٧٦	١٠٠	السفن الحربية وحاملات الطائرات
		٧٥	١٣٦	منصات سام وإطلاق باتريوت وهوك

قارن: الشاذلي، سعد الدين فريق عسكري. الحرب الصليبية الثامنة. الجزء الثاني -١. الدار البيضاء. مطبعة النجاح الجديدة. ط ١. ١٩٩٢. ص ٥٥-٧٦.

ومنه يتبين ما يلي:

١. الحجم الهائل للقوات المسلحة التي حشدت في المنطقة، والتي تجاوز تعدادها المليون ضابط وجني مقاتل.
٢. الحجم الهائل من حيث الكم والتنوع في الأسلحة التي جهزت في المنطقة لخوض الحرب ضد الوات العراقية المحتلة.
٣. شكلت القوات الأمريكية نسبة قدرها ٥١,٣٪ من إجمالي القوات المهيأة للتدخل في الحرب، ولكنها شكلت ٧٥٪ من القوات المتحالفة التي شاركت فعلاً في المعارك في



الكويت، إذ ليست كل تلك القوات قد شاركت فعلاً في المعارك، كما هو الحال القوات التركية التي جهزت ووضعت في حالة إنذار على الحدود التركية - العراقية، في حين شاركت القوات السعودية في المعارك الفعلية.

بعد أن تكاملت الاستعدادات السياسية والعسكرية أصدر مجلس الأمن الدولي قراره الشهير الذي أرسى الأساس للحرب التي شنها التحالف الدولي ضد العراق، وأعني به: قرار رقم (٦٧٨) الذي صدر في ٢٩ نوفمبر ١٩٩٠ والذي تحدد تاريخ ١٥ يناير ١٩٩١ كآخر موعد أمام العراق للامتنثال لقرارات الأمم المتحدة السابقة والتي تدعو إلى انسحاب العراق غير المشروط من الكويت. وقد جاء في القرار ما يلي: "...، ويأذن للدول الأعضاء المتعاونة مع حكومة الكويت، ما لم ينفذ العراق في ١٥ كانون الثاني (يناير)، أو قبله، القرارات السالفة الذكر تنفيذاً كاملاً، كما ه منصوص عليه...، بأن تستخدم جميع الوسائل اللازمة لدعم وتنفيذ القرار ٦٦٠ (١٩٩٠) وجميع القرارات اللاحقة ذات الصلة وإعادة السلم والأمن الدوليين إلى نصابهما في المنطقة".<sup>١٠٣</sup> وقد وضع القرار الجديد تحت الفصل السابع من الميثاق باعتباره قراراً ملزماً بالتنفيذ ويسمح باتخاذ جميع السبل والوسائل، بما فيها خوض الحرب، لتنفيذه. (راجع الملحق رقم: مواد الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة).

وتحت ضغط متعاضم من دول كثيرة، بما فيها الاتحاد السوفييتي، والرأي العام العالمي الذي كان يرى التحضيرات الهائلة والمتسارعة للحرب القادمة ومن أجل تجنب وقوعها، اضطرت الإدارة الأمريكية الموافقة على البدء بمحاولة جديدة من جانب وزارة الخارجية الأمريكية للاتصال بالعراق واللقاء بطارق عزيز لأشعار العالم بأن الولايات المتحدة الأمريكية لا تريد الحرب وأنها تبذل كل جهد ممكن لإخراج العراق من الكويت دون حرب، ولكن النظام العراقي يرفض ذلك، وبالتالي ستكون الحرب هي الوسيلة الوحيدة لتنفيذ

---

١٠٣ راجع: - الموقع الإلكتروني للهيئة العامة لتقدير التعويضات عن خسائر العدوان العراقي.

راجع أيضاً: شعبان، عبد الحسين د. بانوراما حرب الخليج. وثيقة وخبر، دراسة ونصوص قرارات مجلس الأمن الدولي ١٩٩٠-١٩٩٤. دار البراق-لندن. ١٩٩٤. ص ٥٣/٥٢.

قرارات مجلس الأمن الدولي، وأن الإدارة الأمريكية لا تتحمل مسؤولية نشوب الحرب بل النظام العراقي. لقد كانت هناك إمكانية فعلية لتجنب الحرب في هذا اللقاء، ولكن النظام العراقي قد سار في طريق العودة عن قراره ولم تنفع معه كل التحذيرات الدولية، سواء جاءت من الأصدقاء أم الأعداء. حين كان الحديث يجري عن لقاء بين وزير الخارجية الأمريكي ونائب رئيس الوزراء العراقي صرح جيمس بيكر في الثاني من كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٠ مؤكداً عدداً من النقاط نشير إلى أبرزها فيما يلي والتي لم يترك أي شك في تصميم الولايات المتحدة على الالتزام بها وتنفيذها: ١٠٤

١. إن الولايات المتحدة الأمريكية والمجتمع الدولي جادون في سعيهم للحل السلمي، ولكنهما لن يتركا مجالاً للشك في "عدم إسقاطهم خيار استعمال القوة إذا رفض الانسحاب من الكويت وعودة حكومتها الشرعية إليها وإطلاق جميع الرهائن".

٢. إن اللقاء بين الولايات المتحدة والعراق لا يستهدف التفاوض حول قرارات مجلس الأمن الدولي، بل محادثات حول أزمة الخليج السياسية والاقتصادية والعسكرية.

٣. بعد تنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي من جانب العراق وذلك بالانسحاب واستعادة الكويت شرعيتها يمكن البدء بمحادثات بين العراق والكويت لحل الخلافات التي قادت إلى الغزو والاحتلال.

٤. تعطي الولايات المتحدة ضمانات كافية بأنها ستكافئ العراق على انسحابه بعد شن هجوم عسكري أمريكي على العراق.

لم يتحقق اللقاء الموعود إلا في التاسع من كانون الثاني / يناير ١٩٩١ حيث عقد لقاء عاجل في جنيف بين جيمس بيكر، وزير خارجية الولايات المتحدة، وطارق عزيز، نائب رئيس الوزراء العراقي. لم يكن يهدف هذا اللقاء من جانب الولايات المتحدة الخوض في حوار أو مفاوضات، كما صرح بذلك قبل ذاك جيمس بيكر، بل كان الطرف الأمريكي يريد إيصال رسالتين إحداها مكتوبة وموجهة إلى صدام حسين، والأخرى شفوية موجهة إلى

---

١٠٤ مطر، فؤاد. موسوعة حرب الخليج. مصدر سابق. ص ٢٢٦-٢٢٧.

صدام حسين والعالم في آن واحد، يؤكد فيها الرئيس الأمريكي جورج بوش بأن الولايات المتحدة ما زالت تبحث عن طريق غير درب الحرب من أجل إخراج صدام حسين من الكويت وأن الكرة أصبحت لعدة أيام فقط ي ملعب العراق. الرسالة التحريرية الأولى كانت تقول بأن الحرب واقعة لا ريب فيها ما دتم لا تريدون الانسحاب من الكويت خلال الفترة التي منحكم إياها مجلس الأمن الدولي على وفق القرار رقم ٦٨٧ في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩٠. ويمكن لنص الرسالة التالي أن يوضح واقع الحال حينذاك.

نص رسالة جورج بوش إلى صدام حسين:

السيد الرئيس:

إننا نقف اليوم على حافة حرب بين العراق وبقية العالم، وهذه الحرب بدأت بقيامكم بغزو الكويت، وهي حرب يمكن أن تنتهي فقط بانسحاب عراقي كامل، وغير مشروط، وفق قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨. وإنني اكتب لك الآن مباشرة، لأنني حريص على أن لا تضيق هذه الفرصة، لتجنيب شعب العراق مصائب معينة، وأكتب لك مباشرة أيضاً لأنني سمعت من البعض أنك لست على علم بمدى عزلة العراق عن العالم، نتيجة لما وقع، وأنا لست في مركز يسمح لي بأن أحكم ما إذا كان هذا الانطباع صحيحاً أم لا، وقد وجدت أن خير ما استطيع عمله هو أن أحاول بواسطة هذا الخطاب، أن اعزز ما سوف يقوله وزير الخارجية بيكر إلى وزير خارجيتكم، وحتى أزيل أي اثر للشك أو الالتباس، قد يكون في فكركم، فيما يتعلق بموقفنا، وما نحن مستعدون لعمله.

أن المجتمع الدولي متحد في طلبه إلى العراق أن يخرج من كل الكويت بلا شروط، ودون أي تأخير، وهذه ببساطة، ليست سياسة الولايات المتحدة وحدها، وإنما هي موقف المجتمع الدولي، كما يعبر عنه ما لا يقل عن ١٢ قراراً صادراً عن مجلس الأمن.

إننا نفضل الوصول إلى نتيجة سلمية!، ولكن أي شيء أقل من التنفيذ الكامل لقرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ هو أمر غير مقبول بالنسبة لنا، ولن تكون هناك مكافئة

للدوان، ولن تكون هناك مفاوضات، لان المبادئ ليست قابلة للمساومة. وعلى كل حال فإن العراق إذا قام بالتنفيذ الكامل لقرارات مجلس الأمن، يستطيع أن ينظم إلى المجتمع الدولي، وفي المدى القريب، فإن البنيان العسكري العراقي يستطيع أن يهرب من التدمير.

ولكن إذا لم تقم بالانسحاب من الكويت، انسحاباً كاملاً، غير مشروط، فإنك سوف تضر ما هو أكثر من الكويت. إن ما هو مطروح الآن ليس مستقبل الكويت، فالكويت سوف يتم تحريرها وحكومتها سوف تعود إليها، ولكن المطروح هو مستقبل العراق، وهو خيار يتوقف عليك.

إن الولايات المتحدة لن تنفصل عن شركائها في التحالف، فهناك ١٢ قراراً لمجلس الأمن، و٢٨ دولة بقواتها العسكرية لضمان تنفيذ هذه القرارات، وأكثر من ١٠٠ دولة التزمت بتنفيذ العقوبات وهذا كله كافٍ ليؤكد لك أن القضية ليست العراق ضد الولايات المتحدة، ولكنه العراق ضد العالم إن معظم الدول العربية والإسلامية تقف ضدك، وهي جميعها مستعدة لتعزيز ما أقول، والعراق لا يستطيع، ولن يستطيع أن يبقى في الكويت، أو يحصل على ثمن لقاء خروجه منها. وقد يغريك أن تجد راحة في اختلاف الآراء الذي تراه في الديمقراطية الأمريكية، ونصيحتي لك أن تقاوم هذا الإغراء.

إن اختلاف الآراء لا ينبغي خلطه بالانقسام، ولا ينبغي لك، كما فعل آخرون غيرك، أن تقلل من أهمية الإرادة الأمريكية.

إن العراق بدأ يشعر بآثار العقوبات التي قررتها الأمم المتحدة، وإذا جاءت الحرب، بعد العقوبات، فستكون تلك مأساة لك ولشعبك، ودعني أنبهك إلى أن الولايات المتحدة لن تتسامح مع أي استخدام الأسلحة الكيماوية والبايولوجية، أو أي تدمير للمنشآت البترولية في الكويت. وفوق ذلك فإنك سوف تعتبر مسؤولاً مسؤولة مباشرة عن أي عمل إرهابي يوجه إلى أي دولة عضو في التحالف.

وفي هذه الحالة سوف يطلب الشعب الأمريكي أقوى رد ممكن عليك، وسوف تدفع أنت وبلادك ثمناً فظيماً إذا أقدمت على عمل من هذا النوع. إنني لا اكتب لك هذا الخطاب لكي أهددك، إنما اكتبه لمجرد إخطارك، ولست أفعل ذلك لسعادة، فالشعب الأمريكي ليست له معركة مع شعب العراق.!

السيد الرئيس

إن قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨، تحدد فرصة لاختبار حسن النوايا، تنتهي يوم ١٥ كانون الثاني حتى تنتهي هذه الأزمة دون عنف، واستغلال هذه الفرصة للهدف الذي أتيت من أجله، لتجنب العنف، هو خيار في يدك وحدك، وإنني لأمل أن تزن خياراتك، وأن تنتقي منها بعقل لأن كثيراً سوف يتوقف على ذلك.

جورج بوش

لم يأخذ طارق عزيز رسالة جورج بوش على محمل الجد واعتبرها مجرد تهديد، كما اعتبر المسؤول العراقي أن مضمون الرسالة بمثابة إهانة شديدة لكرامة صدام حسين. وقد ارتكب أكبر خطأ في حياته حين رفض أخذ الرسالة وتركها مرمية على طاولة الاجتماع، وكأنه يريد رد الإهانة بإهانة مماثلة، ولكنها كانت بداية النهاية لنظام استبدادي مجرم دافع عنه طارق عزيز ولم يحذر رئيسه من عواقب رفض الانسحاب من الكويت. (راجع في هذا الصدد الملحق رقم الخاص باللقاء بين جيمس بيكر وطارق عزيز).

لقد كانت لا تزال هناك فسحة محدودة من الوقت ولكنها كافية للبدء بالانسحاب واستكمالته خلال الأيام المتبقية، ولكن حتى تلك اللحظة كان يبدو أن صدام حسين غير مقتنع باحتمال وقوع الحرب، أو أنه كان يتوقع انتفاضة شعبية في سائر أنحاء العالم العربي تمنع وقوع الحرب وتشعل النار تحت أقدام قوات التحالف الدولي في كل مكان من العالمين العربي والإسلامي. ويبدو أيضاً أن طارق عزيز كان يعتقد بذلك أو أن الرجل كان مصاباً بعمي البصيرة في تلك اللحظة وركبته عنجهية سيده الأهوج. لقد مضت الأيام المتبقية ولم تتوقف عنجهية النظام العراقي من جهة، كما لم تتوقف استعدادات دول التحالف بقيادة

الولايات المتحدة لخوض الحرب في موعدها المقرر سلفاً من جهة أخرى. وكانت الحصيلة وقوع الحرب المدمرة تماماً كما قالها جيمس بيكر حين هدد " بإعادة العراق إلى عصر ما قبل الثورة الصناعية". وهذا ما حصل فعلاً.

إن أسلوب التفاوض الذي مورس ذل هذا اللقاء عبر عن تشنج كبير بين المسؤولين. فوزير خارجية الولايات المتحدة يذكر طارق عزيز بأن رفض القار سيقود إلى تدمير العراق بالكامل وسيعيد العراق إلى فترة ما قبل التصنيع، وأن ما يمتلكه التحالف الدولي من تكنولوجيا حديثة ستكون حرباً من نوع جديد لم يعهده العالم من قبل، إنها الحرب التي تعلن فيها الولايات المتحدة انتهاء العهد الذي نشأ في أعقاب الحرب العالمية الثانية، عهد الدولتين القطبين والمعسكرين المتقابلين، بل هو عهد القطب الواحد والدولة الأعظم، عهد الولايات المتحدة الذي ابتداءً لتوه، وسيكون العراق أول من يشعر بذلك. لقد أكد جيمس بيكر بكلمات مقتضبة هذه الحقيقة الجديدة التي لم يستطع طارق عزيز أن يعيها بسهولة حين قال: "... إن الحرب ستدمر كل شيء كافتحم من أجل بنائه في العراق وسوف تحول العراق إلى دولة ضعيفة متخلفة... نحاول أن نوصل لكم بأمانة بأننا نؤمن أن العواقب ستكون مدمرة للعراق لو استخدمت القوة العسكرية. إن لدينا تفوقاً تكنولوجياً فائقاً، وتفوقاً كاملاً من حيث النقل الكلي للقوات الموجودة.. لو حدث الصراع فأن قواتكم ستواجه قوات تتمتع بقدرة تدميرية ساحقة.."<sup>١٠٥</sup> وفي مجري النقاش يرد جيمس بيكر على طارق عزيز، الذي يتحدث بكل عنجھية فارغة عن خبرة الحرب مع إيران وانتصار العراق عليها، فيقول: " أعرف أنه نتيجة خبرتكم في الحرب مع إيران تعرفون التكلفة في الحرب... ولكنني أرجو أن لا تجعلوا قادتكم العسكريين يقنعونكم بأن الاستراتيجية التي استخدمت في إيران ستنتج هنا.. إنكم في الحقيقة ستواجهون قوة مختلفة تماماً. نحن من سيحدد شروط أي صراع."<sup>١٠٦</sup> لقد اختصر جيمس بيكر الموقف في حالة نشوب حرب بكلمات

---

١٠٥ هيكل، محمد حسنين. حرب الخليج. محضر اجتماع طارق عزيز مع جيمس بيكر. مصدر سابق.

ص ٥١٨-٥٢٧.

١٠٦ نفس المصدر السابق.

واضحة، ولكن الطرف الآخر كان بعيداً من أي يعي حقيقتها بل استهان بها واستهجنها حين قال رئيس الوفد العراقي طارق عزيز: إنكم تهددوننا بالحرب، ونحن لا نخاف منها، وكنا نعتقد أننا قادمون هنا لمحاولة صادقة لتجنب نشوبها، ولكننا نرى أننا لم نفعل حتى الآن إلا الحديث عن الحرب والتهديد بها.<sup>١٠٧</sup> لقد كان الرد بائساً وكانت حصيلة هذا الجواب تلك الحرب المعروفة. لقد كانت الذهنية القمعية لقادة نظام البعث في العراق هي التي قمعت القدرة على التفكير بواقع الحال وفكرة تذكيرهم بحقيقة الوضع الذي يمكن أن ينشأ في العراق إذا ملا نشبت الحرب. فما يفكر به صدام حسين هو الحقيقة وما يريده هو الصحيح.<sup>١٠٨</sup>

إن الأمر الغريب في تلك المباحثات برزت في حقيقة أن أحد الطرفين كان يعيش الحاضر بكل أبعاده ويعرف التحولات التي جرت في العالم والدور الذي يمكن أن تلعبه دولته في مجمل العملية السياسية الدولية في تلك المرحلة، وهو جيمس بيكر، في حين كان الطرف الثاني يعيش الماضي في الحاضر ويفرض إرادياً ما يرغب إقامته، كان ينظر إلى ما يريد رأس نظامه أقامته في العراق بعد ابتلاع تدريجي لكل لدول العربية من إمبراطورية عربية بعثية وما منحته الحرب العراقية الإيرانية من انتصارات، كما توهمها صدام حسين قبل غيره، وتصور أن الحرب الجديدة إن وقعت سوف تنتهي لصالح صدام حسين والبعث. من هنا راح يذكر جيمس بيكر بالحرب العراقية - الإيرانية وخروج العراق منتصراً منها، ونسى هذا السياسي البعثي التابع لصدام حسين بأن العالم كله لم يكن يريد لإيران أن تنتصر، كما لم يرد ذلك للعراق، وأن العالم كله تقريباً زود العراق بالأسلحة والمثونة والقروض لمواصلة القتال، كما لم يقصر في تزويد إيران بالأسلحة، بما في ذلك أسلحة إسرائيلية، وأن تحولات قد طرأت على العالم ولم يعد في مقدور الاتحاد السوفييتي أن يقف إلى جانب العراق، بل يقف الآن إلى جانب الولايات المتحدة وقرارات مجلس الأمن الدولي تؤكد ذلك.

---

١٠٧ المصدر السابق نفسه. ص ٥٢٤.

١٠٨ الوزيري، هوشنك. قراءة في محضر اجتماع طارق عزيز مع بيكر. الثقافة الجديدة. العدد ٢٤٩. السنة ٣٩. أيلول/سبتمبر ١٩٩٢. ص ٣٩-٤٧.

وقبل انتهاء الموعد الأخير الذي حدده مجلس الأمن الدولي لانسحاب القوات العراقية من الكويت بأربعة أيام وخمسة أيام قبل بدء الحرب قام الأمين العام للأمم المتحدة، أي في نفس اليوم الذي "وافق فيه الكونغرس الأمريكي في تصويت تاريخي على" قرار يسمح للرئيس الأمريكي جورج بوش بدخول حرب مع العراق لإجباره على الانسحاب من الكويت، ونال القرار أكثرية ٥٢ صوتاً ضد ٤٧ صوتاً في مجلس الشيوخ الذي يضم مائة عضو وتغيب عضو واحد بسبب المرض"، أي في ١٢/١/١٩٩١ بزيارة إلى العراق عرض على صدام حسين النقاط التالية بهدف منع نشوب الحرب المحتملة:

١. ضمان عدم مهاجمة العراق.

٢. قوة مراقبين من الأمم المتحدة تشرف على الانسحاب.

٣. تدخل قوة حفظ سلام بعد الانسحاب.

٤. ضمان أن تنسحب القوات المتحالفة من المنطقة.<sup>١٠٩</sup>

ولكن كيف استقبل صدام حسين هذه المقترحات السخية التي كانت تعبر عن رغبة صادقة لدى المجتمع الدولي بتجاوز الأزمة والحرب المدمرة للعراق؟ لقد استقبلها بالبرود وأن العراق مستعد على الالتزام بقرارات مجلس الأمن الدولي بالانسحاب من الكويت شريطة أن يبدأ انسحاب إسرائيل من فلسطين، إذ قال أمام المؤتمر الإسلامي الشعبي الذي بدأت أعماله في العراق يوم الأربعاء المصادف ٩/١/١٩٩١ واستمرت حتى بعد زيارة ديكيوار للعراق وفشل مهمته، متحدياً الجهود الدولية كلها بما يلي: "إذا كنتم تتذكرون الشرعية الدولية والقانون الدولي فنحن قادرون على أن نستذكر معكم، ولكن لنبدأ بفلسطين". ثم جاء التحدي الآخر بقوله أن "العراق نشر أمام أوكار الغدر والخيانة والشر ٦٠ فرقة، في مقابل ١٤ فرقة للقوات المتحالفة ضده وأن العراق سيحقق النصر في المنازلة المقبلة... منازلة بين الكفر والإيمان وبين الحق والباطل وبين الأخيار والأشرار. ثم جاءت الإساءة والتحدي الثالث حين قال، متهماً لسعودية بإيواء الكفار والنساء، ما يلي: "الكفار جاءوا ليحتلوا أرض ومقدسات المسلمين.. الجيوش جاءت مع النساء لتدافع عن فهد".<sup>١١٠</sup>

١٠٩ مطر، فؤاد. موسوعة حرب الخليج. مصدر سابق. ص ٢٩٨.

١١٠ مطر، فؤاد. موسوعة حرب الخليج. مصدر سابق. ص ٢٩٨.



وبعد ترك أمين عام الأمم المتحدة ديكيوار بغداد في يوم ١٣/١/١٩٩١ صرح قائلاً: "الله وحده يعلم هل سيكون سلام أو حرب في الخليج. لست متشائماً ولا متفائلاً ولكن يجب أن أكون متفائلاً"<sup>١١١</sup>. ولا بد أن يكون الرجل قد أدرك حقيقة الوضع والعناد الجنوني الذي ركب رأس صدام حسين وإحساسه بالعظمة من جانب، وهو يدرك إصرار المجتمع الدولي على استخدام كل الخيارات لطرد العراق من الكويت من جهة أخرى، ومع ذلك حاول أن يكون دبلوماسياً مانحاً صدام حسين فرصة التفكير والقبول بمقترحاته، رغم أنه أعلن عن فشل تلك المحادثات مع صدام حسين. وكانت محاولة ديكيوار هي آخر محاولة دولية لوقف تداعيات صوب الحرب.

#### اندلاع حرب الخليج الثانية وعوامل اندحار القوات العراقية

أشرنا إلى أن الولايات المتحدة تمكنت من تشكيل تحالف دولي واسع ضم إليه ٨٢ دولة وقفت إلى جانب الولايات المتحدة في حربيها لتحرير الكويت، و٢٤ دولة وضعت قواتها ومساعداتها المباشرة تحت تصرف التحالف الدولي، كما شاركت ١٣ دولة فعلياً في العمليات العسكرية، و١١ دولة شاركت في المعارك البرية، ٧ دول منها حصرت مشاركتها في عملية تحرير الكويت فقط ولم تتجاوز حدود العراق، وبلغ عدد الدول العربية التي شاركت قوات التحالف في مناهضة احتلال الكويت تسع دول. كان موعد الحرب يقترب يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة والولايات المتحدة ترفع من استعدادها، في حين كان النظام العراقي يمر بسبات فعلي عاجز عن الحركة يترقب الضربة ويتوعد بالانتقام من الولايات المتحدة في إسرائيل وفي الدول التي أيدت التحالف الدولي وخاصة المملكة العربية السعودية.

قبل إعلان الحرب كانت قوات قيادة التحالف قد قررت في أن تكون الحرب الموجهة ضد القوات العراقية حرباً جوية بشكل خاص تستخدم فيه أكثر التقنيات الحديثة والمتقدمة تشارك فيها القوات الجوية بتنوع متفجراتها وقاذفات الصواريخ من الجو والبحر والبر. فقد عبأت لهذا الغرض في اتجاهات مختلفة القوات التالية:

---

١١١ المصدر السابق نفسه. ص ٣٠٠.

أربع حاملات طائرات تحمل ٢٠٠ طائرة حربية في البحر الأحمر، وثلاث بوارج هي ميسوري وويسكنسون وبنكر هيل المجهزة لضرب صواريخ كروز، وحاملتان للطائرات ميدواي ورانجر في مياه الخليج وعليها مائة طائرة، و٨٠٠ طائرة حربية في القواعد الجوية في الرياض وحفر الباطن والظهران في السعودية، وكذلك ٤٠٠ طائرة في انجريك في تركيا. كما يفترض أن نعرف بأن هناك الأسطول الأمريكي السادس في ديبجو غارسيا وكذلك الجيش الأمريكي السابع وقوات إضافية أخرى من الجيش البريطاني والفرنسي.<sup>١١٢</sup> في مقابل هذا كانت القوات العراقية قد اتخذت مواقعها كما يشير إلى ذلك محمد حسنين هيكل كما يلي:

"كان الجيش العراقي بالفعل جيشاً قوياً، وقد وضع في الميدان أكثر من خمسين فرقة مدرعة وميكانيكية للمشاة. كما كانت لديه قوة جوية ضخمة تتكون من قرابة سبعمئة طائرة. وكان يملك إلى جانب ذلك سلاح صواريخ ضخمة يرتكز على قرابة أربعمئة منصة للإطلاق. وقد أقام أمام قواته حواجز وموانع ملاً بعضها بالبترول بحيث يمكن تحويلها إلى خطوط نار عند اللحظة المناسبة ليكون منها خط دفاع أول. وقد أنشأ حول مواقعه وأهدافه الحيوية شبكة من الدفاعات استعمل فيها قرابة عشرة آلاف مدفع مضاد للطائرات. وكانت من ذلك كله قوة ضخمة... وإنما بمقاييس العالم الثالث"<sup>١١٣</sup>. هكذا كان الوضع العسكري قبل أن يوقع وزير الدفاع الأمريكي القرار التنفيذي ببدء الحرب، وقبل أن يصدر شوارتزكوف قراره ببدء العمليات القتالية الجوية في عاصفة الصحراء التي تواصلت لتدمير القوات العراقية لتهيئ مستلزمات مرحلة الهجوم البري على القوات العراقية في الكويت والأراضي العراقية.

في مساء يوم ١٥/١/١٩٩١ وقع وزير الدفاع الأمريكي القرار التنفيذي ببدء الحرب ضد العراق لتحرير الكويت. وفي صبيحة يوم ١٧/١/١٩٩١ وجه القائد العام في القيادة المركزية الأمريكية نورمان شوارتزكوف برقية موجهة إلى جنوده يعلن فيها أن عمليات عاصفة

---

١١٢ هيكل، محمد حسنين. حرب الخليج أو هام القوة والنصر. القاهرة مركز الأهرام للترجمة والنشر.

الطبعة الأولى. ١٩٩٢. ص ٥٥١.

١١٣ هيكل، محمد حسنين. المصدر السابق نفسه. ص ٥٥١.

الصحراء قد بدأت فعلاً، أنها توجهت بضرباتها لفرض قرارات الأمم المتحدة. أي لم يمض على انتهاء موعد الإنذار النهائي الذي حدده مجلس الأمن الدولي لانسحاب العراق من الكويت دون قيد أو شرط سوى ٢٤ ساعة حتى استخدمت الولايات المتحدة كلمة السر المتفق عليها مع المملكة السعودية "سليمان" فقامت قواتها بالهجوم الجوي المكثف ضد الأهداف العسكرية والمدنية في جميع أنحاء العراق وعلى مواقع القوات العراقية في الكويت، وقطعت جميع خطوط الاتصال بين القيادة العراقية والقيادات الميدانية في الكويت وفي مواقع أخرى من العراق.

وبدلاً من أن تخوض القوات المسلحة العراقية قتالاً ضد قوات التحالف الدولي راحت ترسل صواريخها صوب إسرائيل والسعودية والتي لم تستطع أن تصاب الأهداف الموجهة ضدها لأسباب فنية ترتبط بصواريخ سكود السوفيتية الصنع. واستطاع الملك فهد أن يمنع حكومة إسرائيل من توجيه ضربات صاروخية مضادة للصواريخ العراقية من خلال عدم السماح لطائرات بالمرور عبر الأجواء السعودية، وما يمكن أن ينشأ عنه من إشكاليات جديدة تزيد التوتر في المنطقة. أخذت القيادة الأمريكية توجيهات بضرب مواقع عراقية وفق تشخيصات وزارة الدفاع الإسرائيلية وتم ضربها فعلاً. وقد أمكن بهذا تلافي قيام إسرائيل بتوجيه تلك الضربات<sup>١١٤</sup>. لقد كان قرار توجيه الصواريخ صوب إسرائيل صادراً من صدام حسين مباشرة. وقد أطلقت القوات العراقية ٣٩ صاروخاً صوب تل أبيب وحيفاً في إسرائيل و٣٦ صاروخاً صوب الرياض والظهران وجبيل في السعودية، و١٤ صاروخاً ضد قطر والبحرين والقوات الأمريكية بأمل ضرب أهداف معينة فيها<sup>١١٥</sup>، وغالباً ما كانت تلك الصواريخ عشوائية الهدف ولم تصب أهدافها ولكنها أثارت حفيظة الرأي العام العالمي وهيجت الرأي العام العربي، وخاصة تلك الصواريخ التي وجهت ضد إسرائيل، ولكنها كانت تعبر عن يأس وإحباط حقيقيين وعملية انتقام لا غير من إسرائيل، في حين أن

---

١١٤ المصدر السابق نفسه. ص ٤٠٦.

١١٥ الساري، مشعل عواد. هل انتهت حب الكويت ١٩٩٠-١٩٩١؟ الأردن. دون ذكر دار النشر. رقم الإيداع ١/٤٩/١٩٩٨. ص ٢٤٣.

إسرائيل لم تكن مشاركة في القتال الفعلي. من الغريب أن الجماهير العربية اليايسة قد وجدت في تلك الصواريخ الموجهة ضد إسرائيل متنفساً لها وراحت تهلل "للبطل المغوار صدام حسين" وخاصة في فلسطين المحتلة، في حين أنها لم تدرك أن صدام حسين قد قبر الوحدة العربية لعقود قادمة عبر احتلاله للكويت أولاً، وقد وقع على نهايته المخزية ثانياً.

وكان الأسوأ من كل ذلك هو قرار صدام حسين بإشعال الحرائق في آبار النفط الكويتية التي لم تتسبب في تحمل خسائر مالية من جراء حرق النفط الخام المتدفق من الآبار حسب، بل وتسببت بكارثة بيئية خطيرة في المنطقة سوف تبقى آثارها لفترة غير قصيرة لاحقة. لا يمكن لأي ضابط أو جندي عراقي أن يعتمد إلى إشعال الحرائق في آبار النفط الكويتية ما لم يكن قد حصل على قرار من الدكتاتور صدام حسين.

لقد ترك صدام حسين القوات العسكرية العراقية عرضة للقتل على أيدي قوات التحالف الدولي، إذ وجهت لها الضربات الصاروخية من الجو والبحر وعبر القوات البرية. وكان صدام حسين يعرف علم اليقين أن حرباً من هذا النوع لا يمك الانتصار فيها، بل ستحمل العراق المزيد من الخسائر البشرية وفي السلاح والأموال والمنشآت الاقتصادية والخدمية. وقد كان "طريق الموت أكبر شاهد على تلك المجزرة البشرية التي حصلت للقوات المسلحة العراقية. يقول شوارتزكوف بهذا الصدد ما يلي: إن "ما أعرفه بالضبط إننا أنزلنا هزيمة ساحقة بقوات صدام حسين وأنجزنا كل هدف من أهدافنا العسكرية...". ثم يواصل قوله: "انطلقنا بالهليوكوبتر وحلقنا شمالاً على الشارع المسمى "طريق الموت" وبدأت أدرك مدى شناعة الهزيمة التي ألحقناها بالجيش العراقي فبوسع المرء أنما جال ببصره أن يرى حطاماً محروقاً من العربات المدنية والعسكرية التي استخدمها العراقيون في سعيهم إلى الفرار نجاه بغنائمهم المسروقة من مدينة الكويت وبدا جزء من عقلي يستذكر أسماء مختلف قطع المعدات السوفييتية التي تعلمت تشخيصها قبل سنوات عديدة دبابات ت - ٥٢ دبابات ت - ٦٢ ناقلات المدرعة وناقلات وما إلى ذلك كانت جميعاً على الأرض محض حطام"<sup>١١٦</sup>. لقد تحولت المنطقة الواقعة بين الكويت والحدود العراقية بل وداخل الأرض

---

١١٦ شوارتزكوف، نورمان. الأمر لا يحتاج إلى بطل. مذكرات شوارتزكوف. مصدر سابق. ص ٤٦٨.

العراقية إلى أرض محروقة مليئة بالعربات المدرعة والدبابات وعربات النقل المحروقة وفي داخلها أجساد الجنود والضباط المفحمة. لقد كانت مجزرة رهيبة تلك التي شهدتها الصحراء والتي سميت بـ "طريق الموت". لقد استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية والقوات الحليفة لها أسلحة بعناد يحمل إشعاعات نووية حارقة ومحرمة دولياً لم يتحدث عنها شوارتزكوف في كتابه سالف الذكر<sup>١١٧</sup>.

إن من يتابع مجرى الحرب يدرك تماماً بأن القوات المسلحة العراقية لم تحارب قوات التحالف الدولي ولم تبد مقاومة تذكر، بل كانت منهارة ابتداءً بسبب قناعتها عدم قدرتها على مجابهة التحالف الدولي والماكنة الحربية الضخمة التي جرى تهيأتها لخوض الحرب ضد العراق. كانت الحرب تبدو وكأنها من طرف واحد، إذ كانت القوات العراقية منشغلة بالانسحاب من مواقعها تحت رحمة الصواريخ والقنابل التي تتساقط بكثافة على رؤوسها، بعد أن قبعت في خنادقها فترة طويلة وهي تنتظر أمر ما بالانسحاب الذي كانت تتوقعه من كل مسئول عاقل يحرص على حماية قواته العسكرية من هلاك محقق. يحق للإنسان أن يتساءل عن الأسباب الكامنة وراء هذا الانهيار السريع في المعنويات والجاهزية القتالية للقوات المسلحة العراقية؟

لقد كانت القوات المسلحة العراقية قد خرجت لتوها من معارك دامية استمرت طوال ثماني سنوات عجاف ومميرة وقدمت فيها تضحيات كبيرة جداً. وكانت في غالب الأحيان لا تعرف أو لا تدرك تماماً لماذا تخوض مثل هذه الحرب المجنونة ضد إيران، رغم أنها كانت تحارب أحياناً، وخاصة في السنوات الأخيرة، دفاعاً عن الأرض العراقية وعن الوطن المبتلى بالدكتاتورية الغاشمة، بعد أن استطاعت إيران تحرير أرضها والاندفاع بقوة نحو احتلال المزيد من الأراضي العراقية، بما فيها الفاو. لقد كانت القوات المسلحة العراقية مرهقة تماماً وبشكل خاص من الناحية النفسية. وكانت الحرب مرفوضة من قبل فئات الشعب الواسعة ومدانة أيضاً، إذ كانت حرب استنزاف وكان الجنود يجبرون على خوضها تحت وطأة

117 Günther, Siegart-Horst Prof. Dr. Stumme Zeugen eines Krieges. Eine Dokumentation 1990-1993. Richar Mack GmbH. Mellricstadt. 1995.

- Günther, Siegart-Horst Prof. Dr. Uran-Geschosse: Schwer beschädigte Soldaten, mißgebildete Neugeborene, sterbende Kinder. Ahriman -Verlag. Vreiburg. 2. Auflage 2000.

الإرهاب الدموي. ولم تمض فترة طويلة على وقف القتال مع إيران حتى بدأت عمليات التحضير لغزو الكويت واحتلالها. وكانت أعداد غفيرة من الجنود وضباط الصف والضباط لا يؤيدون هذا الغزو لدولة شقيقة هي الكويت، هذه الدولة التي وقفت إلى جانب العراق في حربه ضد إيران ومدته بالمال والسلع والدعم السياسي. وكانت القوات المسلحة العراقية تعيش إرهاباً تسلطه أجهزة الأمن والاستخبارات العراقية التي تذيبهم مر القهر والعذاب، وتحرمهم من حرية الرأي والكلام والتعبير عن موقفهم. وكثرة من المقاتلين كانوا يدركون بأنهم لم يخوضوا حرباً عادلة ضد إيران، كما أنهم لا يحاربون من أجل قضية عادلة في الكويت، بل هم محتلون لا غير. وكانوا يعيشون مع عائلاتهم تحت وطأة الضائقة المعيشية، سواء في فترة الحرب ضد إيران أم بعدها وفي فترة احتلال الكويت حيث بدأ الحصار الاقتصادي يعطي ثماره المرة ويتجرع الشعب مرارتها.

ورغم التضيق الإعلامي على العراق، فإن الإعلام المضاد لدول التحالف لعب دوره المتميز في كسر معنويات الجندي العراقي وإضعاف قدرته على المقاومة أمام الدعاية المتواصلة عن حجم القوات المسلحة وعدد الأفراد الذين سيشاركون في القتال وأنواع الأسلحة الحديثة والمدمرة التي ستزج في المعارك القادمة، في حين لم يكن في مقدور صدام حسين في زيارته إلى الكويت أن يرفع من معنويات الناس وبل كان يتحدث بما يشاء أمام جمهرة من ضباطه ويسمع التهليل له والتكبير بحمده ثم يعود إلى العراق ويترك جنده ينتظرون الموت المحقق. إن عدم ثقة النظام بالقوات المسلحة العراقية هي التي جعلته يزعج أولاً بقوات من فرق حرس القصر الجمهوري، ثم استبدلها بعد أن احتلت الكويت بفرق من قوات الجيش.

يضاف إلى ذلك انقطاع أي صلة فعلية بعد أن بدأت المعارك بين القيادة العليا في بغداد وبين القيادات الميدانية للقوات المسلحة في الكويت أو تلك التي كانت في حالة الانسحاب. كما أن القيادات الميدانية لم تتمتع بحرية اتخاذ القرارات ولا بحرية المناقشة للقرارات التي تتخذ من جانب صدام حسين، فعلى هؤلاء جميعاً تنفيذ القرارات الصادرة لهم دون أن يحق للضباط تقديم المناقشات والملاحظات والنقد.

لقد اندحرت القوات العراقية وأنزلت بها أعنف الضربات وسقطت عشرات ألوف الضحايا من عسكريين ومدنيين قتلى وجرحى ومعوقين ومدفونين تحت الأرض وفي عرباتهم المحترقة. ولكن النظام بدأ يلعب على عواطف الناس لا في العراق حسب، بل وفي العالمين العربي والإسلامي. لقد كان يحاول خداع الناس ويوهمهم بأنه القوات العراقية تقاوم "العدوان الأمريكي والتحالف الدولي" ضد العراق، ونسى أنه هو المعتدي على سيادة واستقلال الكويت وهو الذي احتل دولة الكويت. ففي الوقت الذي كانت قوات التحالف الدولي تنزل الضربات المميّنة بالقوات العراقية، أصدر مجلس قيادة الثورة في ذات الوقت بياناً بتاريخ ١٩٩١/٢/١٥ لا يجسد حقيقة الوضع وينفخ في صور نظامه والمجتمعات العربية، في وقت كانت القوات تنشد الهزيمة وطيران قوات التحالف تدمر عرباتها والجسور التي تريد عبورها. يمكننا متابعة هذا البيان الأهوّج الذي يعبر بدوره عن طبيعة هذا النظام ودوافع الدكتاتور الذي حاول أن يستر السم بعسل الكلمات فيما يلي:

## في ١٥ / شباط (فبراير) / ١٩٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان صادر عن مجلس قيادة الثورة

ايها الشعب العراقي العظيم ..

ايها العرب الشرفاء ..

ايها المسلمون المؤمنون حقا بالاسلام ..

ايها الاحرار في العالم ..

منذ ان لمست الولايات المتحدة والصهيونية وحلفاء اميركا من الدول الغربية الاستعمارية ان هناك قوة تتكون في بلد عربي ومسلم .. هو العراق .. قوة قادرة على موازنة الهيمنة الصهيونية المدعومة من قبل الامبريالية في المنطقة .. قوة حرة .. شريفة .. عازمة باخلاص ونكران ذات على مواجهة العدوان والاطماع الصهيونية .. ورفض الهيمنة الامبريالية على المنطقة .. منذ ذلك الحين بدأت الولايات المتحدة والصهيونية وكل القوى الاستعمارية الحاكمة على العرب والمسلمين باتخاذ الاجراءات والقرارات وشن حملات الدس والتحريض ضد العراق .. من اجل منع تكون وتنامي هذه القوة وعزل العراق ومحاصرته ومعاقبته لانه اجتاز بايمان وتصميم وكفاءة الحدود التي رسمتها الولايات المتحدة والصهيونية والقوى الاستعمارية لبلدان المنطقة .

وقد شهدت سنتا ١٩٨٨ و ١٩٨٩ حملات متواصلة في الصحافة ووسائل الاعلام . ومن قبل المسؤولين في الولايات المتحدة والدول الاستعمارية الاخرى ، تمهد الطريق لتحقيق هذه الاهداف الخبيثة . وفي عام ١٩٩٠ تصاعدت هذه الحملات بصورة متسارعة ومحمومة وعلى نطاق بدأ يتسع يوما بعد يوم .. وكان الهدف واضحا جليا لنا ولكل العرب الواعين والمسلمين الحقيقيين ولكل الاحرار الذين يؤمنون بالحرية والعدالة في العالم .. كان الهدف هو التمهيد لتدمير هذه القوة الناهضة .. واعادة ارجحية التوازن في المنطقة لصالح الولايات المتحدة والصهيونية والقوى الاستعمارية .. هذه الارجحية التي استمرت عقودا عديدة وحالت دون تمكن العرب من استرجاع حقوقهم وارضيتهم المنتصبة والمحتلة في فلسطين والجولان ولبنان .. كما حالت دون تحقيق امال الامة العربية في النهضة والتقدم والعدل ، كي تحتل مكانها الطبيعي الذي تستحقه في العالم بحكم تاريخها المجيد ومساهماتها العظيمة في الحضارة الانسانية .

وفي الاشهر الاولى من عام ١٩٩٠ اشتدت هذه الحملات واتسعت واكتسبت طابعاً مستيريًا وصارت تحرض يوميا على ضرب العراق وتصفية قيادته وجرمانته من وسائل النهضة والتقدم واتخذت الولايات المتحدة ومعها دول استعمارية اخرى سلسلة من القرارات والاجراءات الجائرة بحظر تصدير كل مايمكن ان يسهم في تطور العراق ونهضته العلمية والصناعية .. وشملت هذه القرارات المقاطعة الاقتصادية الفعلية ومر



ذلك الغاء عقود المواد الغذائية في الشهر الثالث من عام ١٩٩٠ ، كما كان واضحا ان الولايات المتحدة تعد العدة بالتنسيق من الكيان الصهيوني لضرب المنشآت والمواقع العلمية والصناعية وتصفية قيادة العراق الوطنية المؤمنة . وعندما اكتشفت الولايات المتحدة ان مخططها هذا المعتمد الى حد كبير على القدرة العسكرية الصهيونية غير كاف لتحقيق اهدافها الشريرة اشركت في المؤامرة عملاءها وصناعها من الحكام الفاسدين المتآمرين اعداء الله في المنطقة .. وكان دور هؤلاء هو اضعاف اقتصاد العراق وانهاكه ومن ثم ايصال العراق الى حافة الانهيار الاقتصادي . وفي الوقت نفسه صارت الولايات المتحدة ، تعزز شبكة الحلف الاستعماري من اجل اقامة تحالف امريكي اطلسي سياسي وعسكري بهدف ضرب العراق والسيطرة على المنطقة .. بعد ان انفتحت امامها فرصة ذلك جراء اختلال التوازن اثر انشغال الاتحاد السوفيتي عن العالم في متابعة ظروفه الداخلية .

ايها العراقيون ..

ايها العرب ..

ايها المسلمون ..

ايها الاحرار في العالم ..

ان احداث الثاني من اب ١٩٩٠ ، لم تكن في جوهرها وغايتها كما صورتها الدعاية الامريكية والاستعمارية وكما رواها الحكام الخونة من اتباع امريكا .. لقد كانت انتفاضة وطنية .. وقومية واسلامية ضد المؤامرة .. والمتآمرين .. انتفاضة ضد الظلم والانتحلال .. وضد الفساد وضد الهيمنة الامبريالية الصهيونية الاستعمارية على المنطقة .. وضد المتآمرين الذين اصبح دورهم مكشوفاً في المؤامرات الامريكية الصهيونية .. لذلك اسفر الحلف الامبريالي الصهيوني الاطلسي عن حقيقة اهدافه ونواياه منذ الساعات الاولى لتلك الاحداث .. فحشد الجيوش والقوات .. ونظم اكبر واخبث حملات التضليل والكذب والخداع التي شهدها العالم في العصر الحديث .. وسخر هذا الحلف الامبريالي الصهيوني الاطلسي الفاشم والخبث مؤسسه الامم المتحدة لتصدر ضد العراق وبسرعة لامثيل لها سلسلة من القرارات الجائرة التي لا سابق لها .. في حين عجزت هذه المؤسسة عن ان تلبى عبر عدة عقود من الزمن ابسط مطالب الامة العربية وان تحفظ ابسط حقوق العرب في فلسطين .. على الرغم من وضوح الحق العربي .. ومن عنف المأساة التي يعيشها شعب فلسطين المجاهد والتي عاناها العرب الآخرون ومنهم شعب لبنان المظلوم ..

لقد فرض هذا الحلف الفاشم ارادته على العالم واتبع اساليب الارهاب والابتزاز والرشوة وكل مافي جعبة الامبريالية والصهيونية وقوى الاستعمار من وسائل الخبث والكذب والتضليل .. لكي يمهد الطريق للعدوان على العراق ..

ايها العراقيون الاماجد

ايها العرب الاعزاء

ايها المسلمون المؤمنون

ايها الاحرار الشرفاء في العالم ..

ان العدوان الذي وقع على العراق .. البلد الشجاع الابي المجاهد المؤمن الصابر ليس له مثيل في التاريخ .. ان تاريخ الانسانية كله لم يسجل مثل هذا التحالف الذي شاركت فيه الولايات المتحدة ودولتان كبيرتان ودول عديدة اخرى بلغ عددها الثلاثين ضد العراق المجاهد الشجاع .. الصابر .. الذي لا يتجاوز عدد مواطنيه الثمانية عشر مليوناً ..

انه الحلف الشرير .. الغاشم .. الخبيث .. الكافر ضد قلعة الايمان والمبادئ ضد مركز الحرية والدعوة الى العدالة والانصاف .. وطيلة شهر من الزمن شنت الولايات المتحدة وحلفاؤها ومعهم الكيان الصهيوني الذي شارك في العدوان منذ البداية شنت من الغارات الوحشية المدمرة على شعب العراق .. وعلى ممتلكاته الاقتصادية والعلمية والثقافية والخدمية وعلى مراكزه الدينية ومواقع الحضارة العريقة فيه .. شنت ماله يشهد له التاريخ مثيلاً في ثقل النيران .. وفي وسائل القتل والتدمير .. باسم الامم المتحدة .. والشرعية الدولية الكاذبة .. والنظام الدولي الجديد ، الذي ارادوه تنظيمه للهيمنة الامريكية الاطلسية على العالم .. وقد القت الولايات المتحدة اطراف الصف الشرير بالطائرات التي تطلق صواريخها عن بعد .. وبالصواريخ بعيدة المدى كمينت هائلة من القنابل والمتفجرات على النساء والاطفال والشيوخ في كل مدن العراق وقراء حتى على البدو الرحل في الصحراء .. وضرب بصورة متمردة المساجد والكنائس .. والمدارس والمستشفيات والمصانع المدنية .. والجسور والطرق الرئيسية .. ومراكز الهاتف والكهرباء .. والماء .. والسدود الاروائية .. والمراكز الثقافية .. والمعالم الحضارية في البلاد .. ضربت اهدافاً لاصلة لها بأي شكل من الاشكال بالجهد العسكري او سلاحه المنازلة العسكرية التي تحدثوا عنها ، وكان اخر جرائمها تلك الجريمة البشعة القدرة بالقصف المتعمد للمجاة مدني فقتلت وحرقت مئات من النساء والاطفال والشيوخ وكر الهدف من هذا العدوان الغاشم واضحاً تماماً هو السير في عملية التدمير التي ارادوه ومعاقبة شعب العراق الابي الحر المجاهد لانه اختار طريق الحرية والاستقلال ورفض النذل والمهانة والخضوع لارادة الاستعمار والصهيونية .

لقد شنت الولايات المتحدة وحلفاؤها حرباً قدرة وجبانه ضد شعب شجاع مؤمن ان تاريخ الشعوب والامم ومصائرهم لا يقرران بالماديات التي تملكها الدول والانتظمة الحاكمة .. فكم من امبراطورية قوية وغنية سقطت عبر التاريخ لانها سلكت طريق الشر والجبن والظلم والانحلال .. وهذا هو مصير اميركا الغاشمة وانظمتها المنحطة .. ومصير الصهيونية وكل القوى الاستعمارية بارادة الله .. وقد انتصر العراق في هذه المنازلة انتصر لانه بقي صامداً شجاعاً مؤمناً عزيز النفس .. قوي الإرادة .. انتصر لانه حفظ على المبادئ وعلى القيم الروحية المستمدة من دينه الحنيف وتراثه العريق .. ور خسائره في الماديات في هذه المعركة على رغم جسامتها تهون ازاء احتفاظه بروحه العزيم .. وايمانه الراسخ بالمبادئ .. وتصميمه القوي على مواصلة طريق النهضة والتقدم .

ايها العراقيون الاعزاء

ايها العرب الشرفاء

ايها المسلمون .. المؤمنون حقاً بالاسلام

ايها الشرفاء الاحرار في العالم

انطلاقاً من هذا الشعور الراسخ القوي .. ومن هذا التقدير لطبيعة المنازلة ومن أجل تقويت الفرصة على الحلف الامريكى الصهيونى الاطلسى الشورى لتحقيق اهدافه المرسومة والمندبرة .. وتقديراً لمبادرة الاتحاد السوفيتى التي حملها مبعوث القيادة السوفيتية وانسجاماً مع المبادئ الواردة في مبادرة السيد الرئيس القائد صدام حسين في ١٢/أب/١٩٩٠ قرر مجلس قيادة الثورة ان يعلن ماياتي :

اولاً : استعداد العراق للتعامل مع قرار مجلس الامن رقم ٦٦٠/١٩٩٠ بهدف التوصل الى حل سياسي مشرف ومقبول بما في ذلك الانسحاب وتكون الخطوة الاولى المطلوب تنفيذها كتعهد من جانب العراق في موضوع الانسحاب مرتبطة بما يلي :

١ - وقف اطلاق النار وقفاً تاماً وشاملاً في البر والجو والبحر .  
ب - ان يقرر مجلس الامن .. ان يلغى منذ البداية القرارات .. ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧٤ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ .. والاثار التي تترتب عليها كافة .

وكذلك الغاء كل قرارات واجراءات المقاطعة والحظر والقرارات والاجراءات السلبية الاخرى التي اتخذتها بعض الدول ضد العراق بصورة فردية او جماعية قبل ٢/أب/١٩٩٠ والتي كانت السبب الحقيقي لازمة الخليج . لتعود الامور الى حالتها الطبيعية وكان شيئاً لم يكن ومن غير ان يترتب على العراق اية اثار سلبية لاي سبب من الاسباب .

ج - تسحب الولايات المتحدة والدول الاخرى المشاركة في العدوان وكل الدول التي فرست قواتها من المنطقة كل ماجاعت به الى منطقة الشرق الاوسط ومنطقة الخليج العربي من قوات واسلحة ومعدات قبيل ٢/أب/١٩٩٠ وبعده سواء ماكان منها في البر او في البحار او المحيطات او الخليجان .. بما في ذلك الاسلحة والمعدات التي زودتها بعض الدول لاسرائيل بحجة الازمة في الخليج . على ان يجري سحب تلك القوات والاسلحة والمعدات خلال فترة لاتزيد على شهر من تاريخ وقف اطلاق النار .

د - ان تسحب اسرائيل من فلسطين والاراضي العربية التي تحتلها في الجولان ولبنان .. تطبيقاً لقرارات مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة .. وفي حالة امتناعها عن ذلك يطبق مجلس الامن ضد اسرائيل نفس القرارات التي اتخذها ضد العراق .

هـ - ضمان حقوق العراق التاريخية في الارض والبحر كاملة غير منقوصة في اي حل سياسي .

و - يكون الترتيب السياسي الذي يتفق عليه منطلقاً من ارادة الشعب وطبقاً لممارسة ديمقراطية حقيقية وليس على اساس الامتيازات المكتسبة لعائلة آل صباح .. وينبغي على هذا الاساس ان تشارك القوى الوطنية والاسلامية بصورة اساسية في الترتيب السياسي الذي يتفق عليه ..

ثانياً : تتعهد الدول التي شاركت في العدوان وفي تمويله باعادة بناء مدمره العدوان في

العراق وذلك طبقاً لأفضل المواصفات لكل من الأنشطة والمشاريع والمنشآت التي استهدفها العدوان وعلى نفقتها الخاصة ومن دون أن يتحمل العراق أية تكاليف مالية .  
ثالثاً : إلغاء كل الديون المترتبة على العراق وعلى دول المنطقة التي تضررت من العدوان (من التي لم تشارك فيه بصورة مباشرة أو غير مباشرة) والعائدة لدول الخليج وللدول الأجنبية التي شاركت في العدوان ، وإقامة علاقات بين الدول الغنية والدول الفقيرة في المنطقة وفي العالم قائمة على العدل والإنصاف وبما يضع الدول الغنية أمام التزامات واضحة لتحقيق التنمية في الدول الفقيرة وإزالة معاناتها الاقتصادية . وعلى أساس قاعدة ان للفقر حقا في اموال الاغنياء ووضع حد للنهج الازدواجي في التعامل مع قضايا الشعوب والامم سواء كان هذا النهج من جانب مجلس الامن او من جانب هذه الدول او تلك من الدول .

رابعاً : يترك لدول الخليج بما فيها إيران حرية ومهمة إجراء ترتيبات الامن في المنطقة وتنظيم العلاقات فيما بينها من دون اي تدخل خارجي .  
خامساً : اعلان منطقة الخليج العربي منطقة خالية من القواعد العسكرية الأجنبية ومن اي شكل من اشكال التواجد العسكري الاجنبي والتزام الجميع بذلك .  
هذه هي حججنا اعطانا امام العالم واقمنائها واضحة جلية على الفادرين والخونة واسيادهم الامبرياليين وتبقى ضماناتنا الاساس بعد الاتكال على الله الواحد الاحد في شعبنا العراقي العظيم وفي قواته المسلحة المجاهدة الباسلة ، ومن أمن بالطريق الذي نسير عليه في مقارعة الظلم والظالمين ، وسيكون النصر أكيدا على الظالمين في الايام القادمة ملثما كان أكيدا في الايام السالفة .  
والله اكبر وليخسا الخاسنون .

مجلس قيادة الثورة

١٥/شباط/١٩٩١م

٢٩/رجب/١٤١١هـ

ويمكن متابعة الأكاذيب في كل مقطع من مقاطع هذا البيان وتفنيدها لأنها لا تصمد للوقائع والأحداث التي جرت في العراق حينذاك، إلا أن الكذبة الكبرى تتجلى بوضوح، وهي صورة ناطقة لكل الأكاذيب الأخرى، في المقطع الأخيرة من الجملة التي يقول فيها صدام حسين وفق ما جاء في البيان ما يلي: "...، وسيكون النصر أكيداً على الظالمين في الأيام القادمة ملثما كان أكيداً في الأيام السابقة". ويصح هنا القول بأن قاعدة "افتروا ثم افتروا" ثم افتروا لعل بعض افتراءاتكم تعلق بأذهان الناس" لم تعمر طويلاً، إذ تغلبت عليها قاعدة "حبل الكذب قصير" وأقصر مما أراد صدام تصويره. إذ بعد أقل من أسبوعين على هذا البيان حضر الفريق سلطان هاشم أحمد الطائي إلى خيمة صفوان ليوقع على شروط وقف

إطلاق النار. والغرابة في الأمر أن بعثيي صدام حسين قد تعودا على ممارسة مسألتين وهما:

• يكذبون على الشعب وعلى أنفسهم ويزورون الحقائق والوقائع، ولكن في الوقت الذي لا يصدقهم الشعب، يصدقون في الوقت ذاته أكاذيبهم ويتعاملون معها كأنها حقائق ثابتة لا يأتيها إليها الباطل.

• يقلبون الحقائق بكل وقاحة، فالانكسارات العسكرية المتلاحقة تتحول عندهم إلى انتصارات رائعة، والخسائر عندهم تتحول إلى مكاسب لا مثيل لها وأرباح لا يرقى إليها الشك، والقتلى عندهم.. أحياء عند ربهم يرزقون.. وهلمجرا.

ورغم الهزيمة العسكرية والسياسية التي لحقت بالنظام العراقي، فأُن النظام ورأسه، الذي كان يدعي الرئيس الأمريكي جورج بوش أنه يعمل على إسقاطه والرأس الذي كان يدعي أنه يطالب به، ويطلب من الشعب الانتفاض عليه وإسقاطه باعتباره فاشياً، بقيا سالمين وقائمين في العراق بعد أن توقفت الحرب وجرى التوقيع على اتفاقية إيقاف القتال وتحول إلى حيوان هائج ضد الشعب. ومن هنا برهنت السياسة الأمريكية على أنها لم تكن فعلاً ترغب في إزاحة شخص صدام حسين من الحكم، بل كانت تريد تغيير وجهة سياسته، كانت تسعى إلى تأديبه وتقليم أظافره. أي أن علينا أن نجيب عن السؤال التالي: لماذا توقفت الحرب ولم تندفع قوات التحالف الدولي صوب العمق العراقي لإسقاط نظام صدام حسين، خاصة وأن جورج بوش في دعايته وإعلامه السياسي اعتبر معركته الأساسية موجهة ضد صدام حسين باعتباره فاشياً لا يختلف عن أدولف هتلر؟ ومع ذلك لا بد لنا من تحليل أسباب عدم السير في الحرب إلى نهايتها والاكتماء بتحرير الكويت وتدمير القوة العسكرية العراقية، أو تقليم مخالب النظام الدكتاتوري التي امتدت صوب الخارج ونحو حقول النفط الغنية.

خلال أقل من ستة أسابيع شنت قوات التحالف الدولي ١١٠٠٠٠ غارة جوية على مواقع القوات العراقية في المدن العراقية والكويتية وأسقطت خلالها أكثر من ٨٨٥٠ طناً من القنابل، وبضمنها ٦٥٢٠ طناً من القنابل ذات التكنولوجيا العالية. ثم تبع ذلك التقدم

البري لقوات التحالف الدولي. وكانت أبشع الحملات العسكرية التي شنتها قوات التحالف الدولي تلك التي عرفت بـ "طريق الموت" أو "مذبحة الطلاع" حيث كانت القوات العراقية تتراجع منسحبة صوب البصرة حين قرر قائد قوات التحالف الدولي نورمان شوارتزكوف ضرب القوات العراقية بهدف قتل وأسر وتدمير أكبر قدر من القوات والآليات العسكرية. يصف العقيد نجيب صالح تلك الكارثة بالكلمات التالية، غز أنه كان شاهد عيان على ما حصل، وهي أفضل شهادة تقال بالمقارنة مع ما يمكن أن يكتبه أي باحث عنها: "كانت توقيتات انسحاب التشكيلات كالآتي: اللواء المدرع / ١٦ في الساعة الخامسة عصراً، اللواء المدرع / ٣٠ في الساعة السابعة مساءً، لواء المشاة الآلي/ ٢٥ في الساعة الثامنة مساءً وتنسحب الصنوف المساندة مع تشكيلاتها، أما المواد غير الضرورية للقتال فيباشر بإخلائها فوراً.. واللافت للنظر أن كثيراً من الوحدات العسكرية لم تستخدم العجلات القليلة المخصصة لنقلها بل ذهبت سيراً على الأقدام رغم أن المسافة إلى خط الحدود لا تقل عن ٨٠ كم، كانوا ينشدون الأمان لأن العجلات أصبحت أهدافاً سهلة للطائرات المغيرة وقد أصدرت أمراً بأن لا يتركوا شهيداً أو جريحاً في أرض المعركة وكررت هذه العبارة مرات عديدة في المؤتمر. (في الحرب مع إيران، كنا نقدم شهداء وجرحى إضافيين من أجل إنقاذ جريح أو إخلاء شهيد من أرض المعركة ولكن هذا الاهتمام المعنوي بدأ يتلاشى تدريجياً، ففي البداية كنا نحزن لاستشهاد مقاتل عدة أيام وفي أحيان كثيرة كان رفاقه يمتنعون عن تناول الطعام وكان ذلك يتطلب تدخلنا لرفع معنوياتهم وإعادتهم إلى وضعهم الطبيعي وواجباتهم الاعتيادية، وبعد سبع سنوات من سير تلك الحرب، شاهدت في معركة "الحصاد الأكبر" عام ١٩٨٧ جنوداً يتناولون طعامهم على بعد متر واحد من شهيد لم يجف دمه النازف بعد)، وفي الكويت، اختلفت الأمور على نحو أسوأ حيث لم يعد هناك أي دافع للتضحية، فلقد تلاشت هذه القيم مع تلاشي قيمة الإنسان العراقي عموماً بنظر حكومته. فالجندي صار يترك الموضع وينسحب باتجاه الحدود دون رادع ولم يعد يهتم بالقيم العسكرية بخلاف أمر السرية وأمر الوحدة واللواء وضابط الركن الذي لا يملك غير البقاء في موضعه منتظراً الأمر الرسمي بالانسحاب أو الموت وهذا ما تقتضيه التقاليد العسكرية،

حيث أن الضابط لا يمكنه أن يتصرف حيال الأحداث مثلما يتصرف الجندي البسيط. كأن الوضع النفسي العام يوحي بالانهيار وربما يهدد بفقدان السيطرة لأن الجميع متهيئون للانسحاب. في ذلك الحين، قمت باتصالات هاتفية مع الفيلق مستفسراً عن ضباط الركن عسى أن أحصل على معلومات إضافية عن الموقف فلم أجد أحداً رغم أن الساعة لم تجاوز العاشرة صباحاً. المعلومات غير الرسمية تشير إلى إكمال الفيلق الثالث انسحابه وكذلك قيادة عمليات الخليج في مدينة الكويت. قلت في نفسي، إن مبررات بقائنا حتى الثامنة مساءً قد انتفت لاسيما وأن الفرق الأمامية وهي مشاة (٢٠ و ٣٠ و ١٦ و ٢١) كانت قد أخلت مواقعها ليلاً وذهب جنودها سيراً على الأقدام باتجاه الحدود وكانت أعدادهم قليلة نسبياً، فهذه الفرق ناقصة الملاك أصلاً، علاوة على أعداد المتسربين والهاريين الذين لا تقل نسبتهم عن ٦٠٪، وقد وقع آلاف منهم في الأسر يومي ٢٤ و ٢٥ شباط وأما الباقون فكانوا لا يزيدون على بضع مئات، انسحبوا ليلاً ضمن مجموعات تضم عناصر من مختلف الفيلق والصنوف وانتشروا في الصحراء، على الطرق المؤدية إلى العراق<sup>١١٨</sup>. ثم يتساءل العقيد نجيب الصالحي: "من المسؤول عن هذا الانهيار؟ هل هو الجندي في الموضع الأمامي أم القائد العسكري الميداني، أم السياسي الذي منح نفسه رتبة عسكرية وزج بالجيش في معركة كانت خاسرة في الأساس؟ وما الذي يجب أن يترتب عليه من جراء ذلك كله؟"<sup>١١٩</sup>.

ولكن ما هي الخسائر البشرية والمالية التي تحملها العراق بسبب تلك السياسة العدوانية التي مارسها صدام حسين؟

تشير المعطيات المتوفرة والصادرة عن أكثر من جهة، بما فيها العراق إلى أن الخسائر البشرية كانت هائلة جداً بالمقارنة مع فترة الحرب القصيرة نسبياً بالمقارنة مع حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران. فقد قدر عدد قتلى العراق بـ ١٠٠٠٠٠ نسمة وجرح ما يقرب من ٢٠٠٠٠٠ نسمة، إضافة إلى قتل مدنيين قدر العراق عددهم بـ ٢٣٠٠ شخص. وأشارت

---

١١٨ الصالحي، نجيب. الزلزال. لندن. دار الرافد. ١٩٩٨. الفصل الأول.

١١٩ المصدر السابق نفسه.

جريدة "واشنطن بوست" إلى أن ٨٠ ألف منهم قتل في الأسابيع الخمسة الأولى من الحرب الجوية، في حين أن ٢٠ ألف منهم قتل في الأسبوع الأخير وأثناء الحملة البرية.

أما الخسائر بالأسلحة والمعدات والأموال فقد كانت على النحو التالي:

٢٠٠٠ دبابة، ١٣٠٠ مدفع، ١٥٠٠ ناقلة أشخاص مدرعة، ١٢٣ طائرة من مختلف الأنواع عدا التي هربت إلى إيران و١٤٥ طائرة هربت إلى إيران. وقدرت خسائر العراق المليئة بحدود ٢٠٠ مليار دولار أمريكي.<sup>١٢٠</sup> وجاء في التقارير المنشورة إلى خسائر فادحة في جانب التصنيع والطاقة حيث ذكر ما يلي:

"تم تدمير نحو ٩٢٪ من طاقة البلد الكهربائية، وحسب تصريح مصدر في وزارة النفط بلغت قيمة الأضرار المادية في منشآت النفط ستة مليارات دولار. كما تم تدمير جميع محطات ضخ المياه تقريبا خلال القصف، كما تقريبا تدمير جميع الجسور الأساسية في بلد تخترقه الأنهر من شماله إلى جنوبه. ثم دمرت معظم المجمعات البتروكيمياوية ومراكز الاتصالات الهاتفية والطرق الرئيسية والثانوية وسكك الحديد ومحطات الإذاعة والتلفزيون ومصانع الاسمنت والألمنيوم والنسيج والأدوية."<sup>١٢١</sup>

أما الخسائر البشرية في الحرب مباشرة في جانب قوات التحالف فقد بلغت على النحو الآتي: الولايات المتحدة (٤٧٢)، السعودية (١٨)، مصر (١٠)، الإمارات العربية المتحدة (٣)، فرنسا (٢)، سوريا (١)، كويت (١).<sup>١٢٢</sup> على أن نأخذ بالاعتبار استشهاد ما زيد عن ٦٠٠ إنسان كويتي أسير أو معتقل نقلوا إلى العراق وقتلوا هناك على أيدي أجهزة الأمن العراقي.

---

١٢٠ الساري، مشعل عواد. هل انتهت حرب الكويت ١٩٩٠-١٩٩١؟ الأردن. دون ذكر دار النشر. رقم الإيداع ١٩٩٨/١/٤٩. ص ٢٤٦-٢٥٣.

١٢١ تقرير صادر عن وكالة أصوات العراق نشر في موقع الجيران بتاريخ ٢٠٠٦/٨/١ تحت عنوان "الذكرى المؤلمة لـ ٢٠ أب: غزو الكويت.. المقدمات.. تسلسل الأحداث.. الضحايا.. التبعات الاقتصادية..  
١٢٢ الموسوعة الحرة. ويكيبيديا. حرب الخليج الثانية. موقع على الإنترنت. بتاريخ ٢٠٠٧/١١/١٥.



## عوامل اندحار القوات العراقي

جميع الكتاب والصحفيين على الصعد الإقليمية والعالمية وكذلك جميع المتتبعين لأوضاع العراق والسياسة العراقية وتطور الصراع مع الكويت وغزوها ومن ثم احتمال نشوب حرب خليجية ثانية ووقوعها فعلاً كانوا يقدرّون دون جهد كبير إلى أن الحرب ستكون وبالأعلى النظام العراق وأن الخسارة لا شك فيها. في مقابل هذا كانت كل الصحف العراقية التابعة للنظام أو الممولة منه والخاضعة له تهرج بصوت مرتفع وبلا كلل ما يريده رأس النظام وما يمليه عليهم من أن أم المعارك ستكون المميز بين عهدين للأمة العربية وليس العراق وحده، بين عهد الصعوبات والسيطرة الأجنبية وبين عهد الانتصارات الكاسحة ورفع رأس الأمة عالياً التي يمثلها "القائد والبطل المغوار صدام حسين". وكان أغلب قادة الجيش العراقي المسلحين، الذين أجبروا على خوض حرب الخليج الأولى، يدركون الكارثة التي كان رأس النظام يدفع بالعراق شعباً وجيشاً نحوها. ولكن السؤال الذي كان يدور في رأس الكثير من الناس هو: إذا كانت خسارة الحرب أمراً ثابتاً، فهل سيبقى النظام أم سيسقط في مجرى الحرب؟ وكانت الغالبية العظمى من العراقيات والعراقيين تتمنى بهذا السؤال أن تأتيها الإجابة بـ "نعم". وقبل الإجابة عن هذا السؤال سنحاول الإجابة عن السؤال المشروع هو لماذا خسر صدام الحرب؟ ولماذا بقي في السلطة؟

تتلخص الإجابة عن السؤال الأول في نقاط عدة نشير إلى أهمها فيما يلي:

١. لم يكن هناك أي توازن في القوات والأسلحة والمعدات والقدرات القتالية بين الطرفين كما ظهر في الأرقام التي طرحناها سابقاً. فالتحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة امتلك الأسلحة الأكثر حداثة والأكثر فتكاً، بما فيها المحرم استخدامها، وخاض حرباً جوية بالأساس واستطاع إحراز النصر الفعلي في الأسبوع الأول من القتال. وقد دمرت الغالبية العظمى من الطائرات العراقية وهي في مخابئها ولم تشارك في القتال، والكثير مما تبقى (١٣٥) طائرة كما يقول حكام العراق و٢٣ طائرة كما يقول حكام إيران) منها هُرب إلى إيران، وما بقي في العراق لم يكن كثيراً، وغالباً ما كانت طائرات مروحية.

٢. ورغم وجود قوات عسكرية كبيرة في الطرف العراقي، إلا أنها كانت مرهقة من الحرب العراقية الإيرانية التي دامت ثماني سنوات مريرة وغير قادرة على المشاركة الفعلية في القتال ولا تملك غطاءً جويًا، بل تعرضت لنيران كثيفة وبتفجرات أدت إلى موت الكثير منهم إما على الشارع العام أو في مركباتهم أو دفنهم وهم أحياء في باطن الأرض.

٣. لم تكن معنويات القوات العراقية عالية، بل كانت في الحضيض لسببين أساسيين، وهما: عدم قناعتهم بغزو الكويت، الدولة العربية الشقيقة التي قدمت الدعم الكبير للعراق في حربه ضد إيران، وما نشأ عن تلك الحرب من عواقب مدمرة على البلدين أولاً، وعدم رضاهم بالنظام العراقي وسياساته والحرمان الذي كانت تعاني منه عائلاتهم في مقابل البذخ الذي كانت تتمتع به النخبة الحاكمة ومن هم حولها. لقد كانوا يقاتلون عن قضية غير عادلة في حرب ضد أشقاء وجيران وأقارب في كل الأحوال.

٤. كان النظام العراقي يراهن على عوامل غير معروفة وغير محسوبة بدقة. فقد كان يعتقد بشكل جازم وخاص على ثلاثة عوامل تصور أنها صحيحة، وهي: (١) تأييد قوى المعارضة الكويتية له في غزوه الكويت وموافقتها على دعم احتلاله لها ودمجها بالعراق وتشكيل حكومة منها تسانده وترفض التدخل العسكري الأجنبي في الشأن الكويتي - العراقي أولاً، و(٢) تأييد الجماهير العربية التي توقع أنها ستنتفض لتساند العراق وتشعل الأرض نيراناً تحت أقدام قوات التحالف الدولي ثانياً، و(٣) احتمال كبير في رفض السوفييت لأي حرب ضد العراق وسعيهم للتدخل لحل القضية بطريقة تفاوضية ثالثاً. وقد خذلتها العوامل الثلاثة لأنها لم تكن واقعية ولا تعبر عن حسابات دقيقة لواقع الحال رغم تباين العوامل التي قادت إلى هذه النتيجة. وحين تدخل غورباتشوف في منتصف شهر شباط/فبراير ١٩٩١ لإنقاذه وأرسل إليه يفجيني بريماكوف لثلاث زيارات متتالية لإقناعه بضرورة الموافقة بسرعة على إيقاف القتال والانسحاب وفق المدة التي حددت ب ٤٨ ساعة من جانب جورج بوش الأب، وافق الدكتاتور على كامل الشروط، ولكنه ألقى كلمة من إذاعة "أم المعارك" تمنى من خلالها أن يخدع الشعب العراقي والعربي بها، وكأنه لم يوافق على تلك الشروط. ثم أصدر مجلس قيادة الثورة بياناً

يؤكد فيه ما لا يمكن أن توافق عليه الولايات المتحدة بل تصر على مواصلة القتال. فقد جاء في سجل الحرب اليومي في الخليج الذي كانت تنشره مجلة سوراquia بصدد مبادرة غورباتشوف لوقف القتال وما طفق عنها من موقف عراقي غير عقلائي في كل الأحوال، إذ ورد ما يلي: "الجمعة ١٥ شباط - اليوم الثلاثون للحرب. "مجلس قيادة الثورة العراقي" يذيع بياناً مستمداً في خطوطه العريضة من مبادرة صدام حسين في ١٢/٨/١٩٩٠ أعلن فيه قبول العراق قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٦٠ الذي يطالب العراق بالانسحاب الفوري غير المشروط من الكويت الذي كان قد صدر في الثاني من آب (أغسطس) و"يربط" البيان موافقة بغداد على الانسحاب من الكويت بالأمر التالية: \* وقف إطلاق النار الكامل. \* إلغاء قرارات مجلس الأمن الدولي (٦٦١/ ٦٦٢ / ٦٦٤ / ٦٦٥/ ٦٦٦/ ٦٦٧ / ٦٦٩ / ٦٧٠ / ٦٧٤ / ٦٧٧/ ٦٧٨) وكل ما نتج عنها وإلغاء الحصار الاقتصادي وجميع الإجراءات السلبية التي اتخذتها بعض الدول قبل الثاني من آب (أغسطس) ١٩٩٠ التي تسبب في أزمة الخليج الشرقي. \* إنسحاب القوات المؤتلفة من الخليج الشرقي خلال شهر من وقف النار. \* انسحاب "إسرائيل" من فلسطين والأراضي العربية الأخرى منها هضبة الجولان وجنوب لبنان وتطبيق قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة المتعلقة بالاحتلالات الإسرائيلية للأراضي العربية وإذا تمتعت "إسرائيل" يطبق مجلس الأمن ضدها القرارات التي اتخذها ضد العراق. \* إقرار الأمم المتحدة بحق العراق التاريخي بالكويت. \* مشاركة القوى الوطنية والإسلامية في أي ترتيب سياسي في الكويت لإعادة الديمقراطية إليها. \* إلغاء الديون المترتبة على العراق للدول الخليجية المجاورة والدول الغربية (٣٠ مليار دولار). \* على الدول التي اشتركت في "الاعتداء" على العراق أن تسهم في دفع تعويضات مالية وإعادة بناء ما هدمته. \* إعلان الخليج الشرقي منطقة منزوعة من القواعد العسكرية الأجنبية ومن أي تواجد عسكري أجنبي" ١٢٣. وقد تسبب هذا الموقف في إعلان جورج بوش

---

١٢٣ سوراquia. مجلة اسبوعية تصدر المملكة المتحدة. العدد ٢٩٣. السنة الثامنة. الاثنين ٢٥ شباط

(فبراير) ١٩٩١. ص ١٤.

بأن صدام حسين يرفض الموافقة على تلك الشروط التي عرضها على غورباتشوف ونقلها يفجيني بريماكوف وأن الحرب لا بد أن تتواصل، فدفع بقوات التحالف الدولي إلى الاستمرار في خوض الحرب والتي أدت إلى قتل المزيد من البشر والمزيد من التدمير للدبابات وبقية الأسلحة والتجهيزات العسكرية وإلى نسف الجسور والقناطر والبنية التحتية، إضافة إلى أخذ المزيد من الأسرى العراقيين من جبهات القتال، وخاصة في محافظة الناصرية بعد تطويق القوات العراقية لها وإجبار أفرادها على الاستسلام لقوات التحالف الدولي.

٥. لقد حاول صدام حسين استثارة العرب من خلال مسالتيهما: (أ) تلك الشروط التي طرحها مجلس قيادة الثورة لوقف القتال، ومنها بشكل خاص قضية فلسطين وتحرير الراضي العربية المحتلة “ (ب) نشره وقائع جريمة كبيرة ارتكبتها قوات التحالف الدولي في الثالث عشر من شباط /فبراير ١٩٩١ حين قامت طائرتان من نوع (أف - ١١٧) مزودتان بقنابل صنعت خصيصاً لهذه العملية، من نوع (جي بي يو/٢٧)، القادرة على حرق الأهداف الكونكريتية المسلحة وهي موجهة بأشعة الليزر، من القاعدة الجوية (خميس مشيط) في السعودية بقصف ملجأ العامرية يوم ١٣/٢/١٩٩١ في مدينة بغداد عندما كان مأهولاً بالمدنيين من نساء وشيوخ وأطفال. وقد أدت هذه العملية إلى استشهاد (٤٠٧) مواطناً، منهم ١٣٨ رجلاً، ٢٦٩ امرأة، من بينهم ٥٤ طفلاً رضيعاً و ٢٦ مواطناً عربياً. وكان الهدف من وراء ذلك، كما ادعت القوات الأمريكية بعد انتشار خبر هذه المجزرة إنها تسلمت معلومات تشير إلى وجود صدام حسين في ذلك الملجأ حين تم قصفه، علماً أن الملجأ قد استخدم لأغراض قيادة البعث أيضاً. ١٢٤ ورغم ارتفاع صوت الاحتجاج الدولي ضد ارتكاب هذه الجريمة، إلا أنها لم تستطع أن تؤثر بشيء وعجزت عن تحريك المجتمع العربي، كما كان يتوقع ذلك صدام حسين. وقد قيل في حينها أنها كانت متعمدة للانتقام من الصواريخ التي وجهت ضد إسرائيل

---

١٢٤ الفضائية. جزيرة نت. ملجأ العامرية. ندوة إدارة عباس ناووط. الاثنين المصادف ١٠/١/٢٠٠٥ م.

والسعودية. وعلينا هنا أن لا ننسى الفكرة البائسة والوقحة التي كتبها نورمان شوارتزكوف والتي جاء فيها:

"إن أهداف الضرب الجوي للعراق جرى توسيعها، وهذا صحيح، لكن التدمير لم يلحق بأبرياء، فالشعب العراقي كله ليس بريئاً لسببين: السبب الأول أن كثيرين من أفرادهم تحمسوا لغزو الكويت - والسبب الثاني أن الشعب العراقي قابلٌ بحكم "صدام حسين" <sup>١٢٥</sup>. ولا شك في أن هذا القائد العسكري كان يعرف أن صدام حسين يحكم العراق بالحديد والنار، وأن الولايات المتحدة وغيرها من الدول الكبرى كانت قد مكنته من إسكات صوت الشعب العراقي وتصفية الكثير من قوى المعارضة. وعلينا أن نتذكر هنا الحقائق التالية بشأن تسليح القوات العراقية والتي ساعدتها على تعزيز الذهنية العسكرية والقناعة بقدرتها على تحقيق أهدافها العدوانية ضد الشعب العراقي وضد الجيران بالقوة العسكرية والحرب. فقد نشر مؤلفاً كتاب "حرب الخليج - الملف السري" لائحة بأسماء الدول والشركات والمصانع التي زودت العراق بالسلحة أو ساعدته في إنتاجها، والتي يمكن تكثيفها فيما يلي: "ألمانيا (٨٦ مصنعة)، الولايات المتحدة (١٨ مصنعة)، بريطانيا (١٨ مصنعة)، فرنسا (١٦ مصنعة)، إيطاليا (١٢ مصنعة)، سويسرا (١١ مصنعة)، النمسا (١٧ مصنعة)، بلجيكا (٨ مصانع)، أسبانيا (٤ مصانع)، الأرجنتين (٣ مصانع). اليابان (مصنعة واحداً)، البرازيل (مصنعة واحداً) مصر (مصنعة واحداً)، السويد (مصنعة واحداً) هولندا (مصنعين)، بولندا (مصنعة واحداً)، الهند (مصنعة واحداً، موناكو (مصنعين) جيرسي (مصنعة واحداً)". <sup>١٢٦</sup>

---

١٢٥ هيكلم، محمد حسنين. حرب الخليج. مصدر سابق. ص ٥٨٥.

١٢٦ قارن: سالينجر، بيار و لران، إريك. حرب الخليج - الملف السري. بيروت. دار أزال للتوزيع. ط ١. ١٩٩١. ص ٢٧٥-٢٧٢.

قارن أيضاً: سوراquia. مجلة اسبوعية. الملف السري والكلام العلني. قراءة في كتاب. للسيد غسان ابو أحمد. العدد ٣٩٣. مصدر سابق. ص ١٨.

٦. ولا شك في أن تكوين القوات العربية المشتركة ومساهمتها في حرب الخليج الثانية ودورها في التحالف الدولي قد أضعف إلى أبعد الحدود معنويات القوات العراقية، إذ كان عليها أن تحارب قوات عربية أيضاً، مما لم يرد في بالها ذلك.

٧. ولكن الأخطاء العسكرية الحقيقية هي تلك التي وردت في تقارير القادة العسكريين الأمريكيين والتي أشار إليها قائد قوات التحالف الدولي في عمليات عاصفة الصحراء باعتباره عسكرياً وضع خطته في ضوء معرفته للقيادة العسكرية العراقية التي كان يقودها صدام حسين، الذي لم يكن عسكرياً رغم حمله رتبة فريق أول ومن ثم مهيب منحها لنفسه، ويفرض مواقفه العسكرية عليها وبالرغم منها، وتلك التي لخصها السيد محمد حسنين هيكل في عدد من النقاط المهمة، ومنها أن صدام حسين لم يأخذ بالاعتبار أن قوات التحالف الدولي كانت تريد تدمير العراق عسكرياً واقتصادياً، وبالتالي سياسياً، بل كان يعتقد أنها ستقتصر على معارك في الكويت وضربات جوية في جبهات القتال. وبتعبير آخر أنه لم يهتم بتهديد جيمس بيكر الذي أكد بأن هذه الحرب ستعيد العراق إلى عهد ما قبل التصنيع، وهو ما حصل فعلاً، وبالتالي كانت استعدادات النظام دون المستوى المطلوب. كما لم يتوقع صدام حسين أن الضربات الجوية ستكون بهذه الكثافة وبهذه الاستمرارية بحيث يتعذر عليه استخدام طائراته الحربية في المعركة، بل عمد إلى تهريب ما يمكن تهريبه منها بدلاً من زجها في المعركة والتي خسرها عملياً وصادرتها إيران فيما بعد. وبعكس تفكير القيادة الأمريكية التي قررت أن تكون المعركة الرئيسية جوية وأنها لن تدخل قواتها البرية في المعركة إلا بعد أن يتم إنزال أفدح الضربات وأكثرها قسوة وتدميراً بالقوات المسلحة العراقية ومعداته العسكرية وبعد أن تدفع بتلك القوات إلى الهروب من أرض المعركة صوب الأراضي العراقية، وهو ما حصل فعلاً. وهذا الهروب ساعد الولايات المتحدة على إنزال ضربات جديدة بالقوات المنسحبة التي لم تستخدم السلاح حتى دفاعاً عن النفس. في مقابل هذا كان النظام العراقي يتصور بأن المعركة الجوية ستكون قصيرة، ومن ثم تبدأ المعركة البرية التي أعد لها بعض التحصينات المهمة والتي لم تقع كما تخيلتها مخيلة "دون

كيشوت " العراق صدام حسين. وإذ كان صدام حسين مقتنعاً بوجود تقنيات متطورة لدى الولايات المتحدة، إلا أنه لم يتوقع أن هذا التقدم قد بلغ مدها حينذاك وأنها تمتلك قوة نارية رهيبة ومدمرة من جهة، وأن الولايات المتحدة مستعدة إلى استخدام كل شيء، بما فيها بعض مكونات الأسلحة المحرمة دولياً في المعركة، لتدمير معنويات وقدرات وأفراد الجيش العراقي والحرس الجمهوري. وهو ما حصل فعلاً. كما لم يستطع صدام حسين أن يستخدم صواريخه وأسلحته الكيماوية ضد قوات التحالف الدولي بعد تهديد جيمس بيكر لطارق عزيز بأن التحالف سيستخدم السلاح النووي.<sup>١٢٧</sup> وراح يمضي النفس ويعزّيها بتوجيه صواريخه صوب المملكة العربية السعودية وإسرائيل وبعض دول الخليج.

لقد بدأ الانسحاب العراقي من الأراضي الكويتية بحدود ٢٤ من شهر شباط/فبراير ١٩٩١ دون إعلان رسمي عن ذلك الانسحاب التدريجي، ولكنه تصاعد ابتداءً من يوم ١٩٩١/٢/٢٦ وعلى شكل هروب سريع من ساحات القتال. وفي ١٩٩١/٢/٢٨ أعلن رسمياً عن ذلك الانسحاب. يشير الدكتور عبد الفتاح علي البوتاني إلى انسحاب الهزيمة العراقية من الكويت وطريقة عرض صدام حسين له في وسائل الإعلام العراقية فيقول: " ومن المضحك أن السلطة العليا قامت بتعميم تعليمات على جميع الوحدات العسكرية ووسائل الإعلام، باستبدال مصطلح (الانسحاب) حيثما يرد في جميع الكتب والكراريس بمصطلح (القتال التراجعي)، وقد أثار هذا التوجيه السخرية والتندر، وذهب الكثيرون حينذاك إلى أن صدام حسين مجرد عميل أمريكي ينفذ مخططاً أمريكياً وأوروبياً، وأنه سوف يبقى في كرسي الحكم إلى أن تنتفي الحاجة إليه"<sup>١٢٨</sup>.

---

١٢٧ قارن: هيكل، محمد حسنين. حرب الخليج مصدر سابق. ص ٥٥١/٥٥٠.

١٢٨ البوتاني، عبد الفتاح علي د. في ذكرى ال(١٥) لانتفاضة اذار المجيدة الموصل أيام انتفاضة آذار ١٩٩١. أربيل. الصوت الآخر. العدد ٨٩ بتاريخ ٢٩/٣/٢٠٠٦.

## خيمة صفوان

تحت تأثير الضربات المتلاحقة من قوات التحالف الدولي التي أمطرت القوات العراقية والمنشآت الاقتصادية الإنتاجية والخدمية وأهم مشاريع البنية التحتية، التي سلمت من الحرب العراقية الإيرانية أو التي أعيد تصليحها، بألاف القذائف والصواريخ والقنابل والخرابيش المشعة والمشبعة باليورانيوم من الجو والبحر والبر، إذ كتب السيد "جيف سايمونز" الكاتب البريطاني في كتابه "التنكيل بالعراق" إلى أن العراق "تلقى خلال حرب الخليج الثانية ٩٤٠ ألف قذيفة يورانيوم، وهو ما يساوي ٣٥٠ طناً من اليورانيوم المنضب هي فقط مخلفات القصف، و١٤ ألف قذيفة دبابات، وقُصفت المنطقة بحوالي ٥٠ ألف صاروخ و٨٨ ألف طن من القنابل، وهو ما يعادل سبعة أضعاف القوة التدميرية التي تعرضت لها مدينتا هيروشيما وناغازاكي اليابانيتان بعد قصفهما بالقنابل النووية الأميركية في نهاية الحرب العالمية الثانية"<sup>١٢٩</sup>، وتحت ضغط الزحف السريع للقوات البرية للتحالف الدولي، التي عبرت الحدود الكويتية إلى داخل العراق وألحقت بالقوات العراقية أبشع الضربات والهزائم، حتى بعد وقف إطلاق النار وفي اليومين ١٩٩١/٢/٢٨ و١٩٩١/٣/٢ حيث جرى فيها قتل عدد كبير من الجنود ودفنت أعداد كبيرة منهم في خنادقهم وهم أحياء، وتفاقت الخشية من استمرار تدفق قوات التحالف الدولي صوب الأراضي العراقية واحتمال تقدمها لإسقاط النظام في بغداد، وافق الدكتاتور صدام حسين على إيقاف القتال والتوقيع على اتفاقية هزيمته وانسحابه الكامل من الكويت والتي كرست بشروط قاسية أملت قيادة التحالف الدولي على الطرف العراقي المفاوض برئاسة الفريق سلطان هاشم أحمد الطائي، رئيس أركان وزارة الدفاع العراقية حينذاك وبقرارات واضحة صدرت عن مجلس الأمن الدولي.

---

١٢٩ الصحاري، إبراهيم. العراق: حرب من أجل الهيمنة والنفط. موقع النهج الديمقراطي على الإنترنت.

أخذ النص بتاريخ ٢٠/١١/٢٠٠٧.



لقد عمدت الإدارة الأمريكية إلى توزيع مهمات العمل في أعقاب انهيار القوات المسلحة العراقية وتراجعها وضربها وهي تتراجع هاربة من ضربات القوات الجوية والبحرية والمدفعية باتجاهين:

أ. فرض قرارات عسكرية محددة على القوات المسلحة العراقية والنظام الحاكم في بغداد. وكان أبرز القضايا التي تم الاتفاق عليها، كما يعرضها الجنرال الأمريكي نورمان شوارتزكوف حيث كتب يقول:

"افتتحتُ الاجتماع بتذكير العراقيين إن غرضنا هو طرح الشروط العسكرية لوقف إطلاق النار وأبلغتهم أننا سنسجل الحديث بحيث يحتفظ كل طرف بسجل ثابت... طرحت طلبتي الأول السماح للصليب الأحمر بحرية زيارة أسرى الحرب الذين يحتجزهم العراق فقال أحدهم في الحال سيتم ذلك.... وأضفت إننا بعد هذا نريد أن نبحث مسألة إطلاق سراح أسرى الحرب فأكد على الفور نحن مستعدون لإعادة جميع أسرى الحرب في الحال بأية طريقة مناسبة للصليب الأحمر. من الواضح أن أحمد أعطي صلاحية الموافقة الفورية ومضيت في عملي متدرجاً حتى أسفل قائمة الشروط تحديد الأفراد المفقودين من التحالف إعادة بقايا جثمانهم الكشف عن حقول الألغام ومخابئ الأسلحة غير التقليدية في الكويت وما إلى ذلك وافق العراقيون على هذه الشروط كلها"<sup>١٣٠</sup>. ويشير شوارتزكوف إلى أن المفاوضات تعثرت حين طرح الفريق السعودي خالد بن سلطان موضوع الأسرى المدنيين والعسكريين الكويتيين حيث أنكر سلطان هاشم أحمد وجود مثل هؤلاء الأسرى. ولم يتواصل النقاش طويلاً حول هذا النقطة المهمة، ولم توضع ضمن شروط إيقاف القتال.

ب. اتخاذ مجلس الأمن قرارات لاحقة ملزمة للعراق على المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية في ضوء الشروط التي قررها بوش لإيقاف القتال ووافق عليها صدام حسين. ويمكن تكثيف تلك الشروط في النقاط التالية:

صدر أول قرار عن مجلس الأمن الدولي بتاريخ ٢ آذار/مارس ١٩٩١، أي يوم واحد قبل بدء المفاوضات الرسمية لوقف إطلاق النار. وقد تضمن هذا القرار الشروط التي وجد

---

١٣٠ شوارتزكوف، نورمان. الأمر لا يحتاج إلى بطل. مذكرات شوارتزكوف. مصدر سابق. ص ٤٧٣.

مجلس الأمن الدولي ضرورة فرضها على العراق لتجنب المزيد من الكوارث التي يمكن أن يتسبب بها النظام وإسكات صوت المتفجرات في العراق. فما هي تلك الشروط؟

- التزام العراق بمضامين جميع القرارات السابقة بشأن الكويت، بما فيها إبطال إجراءاته بضم الكويت على العراق. وأن يقر بمسؤوليته عن غزو الكويت وتحمل ما ترتب عنها وعليها من خسائر للكويت أو لطرف ثالث، سواء أكان دولة أم فرداً أم شركة، أي دفع تعويضات مالية للمتضررين من الغزو والحرب.

- التوقف عن أية اعتداءات على الدول المجاورة والعيش بسلام مع جيرانه والعالم.

- تحديد مواقع الألغام والأسلحة المخبأة في الكويت وكذلك الأسلحة المحرمة دولياً المخبأة في الكويت والعراق.

وفي أعقاب صدور هذا القرار عقد الطرفان، العراق والتحالف الدولي، اجتماعاً لإنجاز قرار إيقاف القتال بعد أن أصيب العراق باندحار كامل وخسارة فادحة في الرجال والأسلحة والأموال والأرض في آن واحد، ولكنها انتهت ببعض النتائج غير المتوقعة. فماذا حصل؟

١. لقد بدأت المفاوضات في اليوم الثالث من شهر آذار/مارس ١٩٩١، أي بعد وقف إطلاق النار الرسمي بثلاثة أيام، وبعد ضربات مدمرة نزلت على رؤوس القوات العراقية في اليوم الثاني من آذار/مارس بعد أن أدرك شوارتزكوف أن التدمير لم يلحق بكل القوات المسلحة العراقية وبأسلحتها، وفي وقت كانت الانتفاضة الشعبية العفوية قد انطلقت في مناطق الجنوب والوسط وكردستان موجهة غضبها الكامل ضد النظام العراقي. وقد وافق النظام على إصدار القرار الذي يحدد فيه إلغاء جميع ما اتخذته من قرارات قبل ذلك بشأن الكويت. وجاء نص قرار مجلس قيادة الثورة رقم ٥٥ في ١٩٩١/٣/٥ في ضوء قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٨٦ في ١٩٩١/٣/٢ كما يلي:

"انسجماً مع موافقة الحكومة العراقية على قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٨٦ و ما أعلنته سابقاً من الموافقة على قرارات المجلس الأخرى واستناداً إلى أحكام الفقرة ١ - من المادة ٤٢ من الدستور قرر مجلس قياده الثورة ما يلي:

١ - اعتبار كل قرارات مجلس قيادة الثورة الصادرة منذ ٢ آب ١٩٩٠ التي لها صلة بالكويت لاغية.

٢ - تلغى جميع القوانين و القرارات والأنظمة والتعليمات والتوجيهات أعلاه و تلغى الآثار المترتبة عليها كافة.

٣ - لا يعمل بأي نص يتعارض مع أحكام هذا القرار.

٤ - تتولى الوزارات و الجهات ذات العلاقة تنفيذ هذا القرار.

٥ - ينشر هذا القرار في الجريدة الرسمية ويعتبر نافذاً من ٣ آذار ١٩٩١. ١٣١"

٢. لم يتم إعلان استسلام القوات العراقية لقوات التحالف الدولي رغم الاندحار الكامل، بل تم عقد اتفاقية وقف إطلاق النار بين طرفين ما زالوا في حرب. ويبدو أن هذا الإجراء لم يتخذه نورمان شوارتزكوف، بل جاء معبراً عن موقف الإدارة الأمريكية. وقد حصلت هذه الحالة نفسها في حرب الخليج الأولى حين كانت الدول الكبرى لا تريد الخسارة لأي من طرفين، بل كانت تريد استنزاف قواهما العسكرية والاقتصادية، بل تم الاتفاق على إعلان إيقاف القتال وكأن الطرف العراق لم يندحر ولم يعلن الاستسلام في الحرب. وجاءت هذه النتيجة بفعل وساطة السوفييت لوقف القتال، كما كانت الخطوة الأمريكية الأولى على طريق الاحتفاظ بالنظام المستبد في العراق، بذريعة أن قرار مجلس الأمن الدولي ركز على موضوع تحرير الكويت وليس إسقاط النظام، أي أن جورج بوش الأب نسي تماماً النداءات الساخنة التي وجهها للشعب والجيش في العراق من أجل إسقاط الفاشية في العراق والإجهاز على الدكتاتور الفاشي صدام حسين.

٣. لقد كان من بين شروط إيقاف القتال عدم تحليق الطائرات المدنية والعسكرية العراقية في مناطق جنوب ووسط وشمال العراق والتي يمكن أن توجه لها قوات التحالف صواريخها. وهنا تقدم الفريق سلطان هاشم أحمد بطلب الموافقة على استخدام

---

١٣١ العطار، رياض. الذكرى ١٥ لغزو الكويت ودور الأمم المتحدة في تحريرها. نشر المقال في موقع إيلاف على الإنترنت بتاريخ ٢ آب/أغسطس ٢٠٠٥.

الطيران لنقل القوات العراقية، خاصة وأن الكثير من الجسور والقناطر قد دمرت. وافق الجنرال نورمان شوارتزكوف على ذلك. وكان يدرك تماماً ماذا يريد سلطان هاشم أحمد من هذا طلب السماح للقوات العراقية باستخدام الطيران الحربي (المروحيات) في مناطق الوسط والجنوب دون أدنى شك، رغم ما جاء في كتابه من ادعاء غير واقعي بعدم انتباهه لما كان وراء هذا الطلب. لقد استخدم صدام حسين الطيران الحربي، وخاصة المروحيات لضرب الانتفاضة الشعبية التي كانت قد بدأت في اليوم الأول من شهر آذار/مارس، في حين أن المفاوضات كانت قد بدأت في ١٩٩١/٣/٣ وقتل عدد كبير من الناس وتشريد مئات الألوف منهم في مختلف مناطق العراق.

والسؤال السابق الذي أجلبنا الإجابة عنه هو: لماذا تقرر الاحتفاظ بنظام صدام حسين؟ ثم لماذا سمح للطيران العراقي بالتحرك لضرب الانتفاضة الشعبية؟

إن استعراض وتحليل الأوضاع في العراق حينذاك يعطيان الحق للمتبع إلى تشخيص عدد من الأسباب الأساسية التي كانت وراء الاحتفاظ بنظام صدام حسين وعدم السماح بإسقاطه من جهة، والسماح بضرب الانتفاضة الشعبية في وسط وجنوب العراق وكردستان العراق من جهة أخرى.

وأول تلك العوامل كان الخشية التي تصاعدت لدى الدول المجاورة للعراق، وخاصة في السعودية ودول الخليج وتركيا، من أن الانتفاضة الشعبية المتفجرة هي انتفاضة تقودها الأحزاب الإسلامية السياسية الشيعة في الوسط والجنوب، والأحزاب الكردستانية في كردستان العراق، وأن هذه القوى تشكل خطراً على دول الجوار بسبب علاقة الأحزاب الإسلامية السياسية الشيعية بإيران وكذلك الأحزاب الكردية. وبالتالي اعتبر صدام حسين الضعيف الخارج من حرب مدمرة هو أهون عليها وأكثر خضوعاً من حكم يمكن أن يكون تابعاً لإيران أو مرتبطاً بها، خاصة وأنها قدرت بأن عدداً كبيراً من الحرس الثوري الإيراني قد استطاع العبور لدعم الانتفاضة الشعبية.

وثاني تلك العوامل كان في رفض الولايات المتحدة لقيام أي حكم سياسي في العراق يكون خاضعاً أو مرتبطاً بشكل ما بإيران وهي التي كانت في أشد حالات الصراع مع إيران

من جهة ويزيد من تعقيدات الوضع بسبب التحالف الذي كان قائماً أصلاً بين إيران وسوريا. وكانت الولايات المتحدة تعتقد بأن نظام صدام المندحر في الحرب سيجبر على تنفيذ كل القرارات الصادرة عن مجلس الأمن الدولي، في حين يمكن أن ترفض حكومة أخرى ذلك بسبب عدم مسؤوليتها عن الغزو الذي نفذه النظام، ومن ثم الحرب التي تورط بها صدام حسين. وليس هذا حسب، بل كانت تعتقد بأن من الممكن ترويض صدام حسين دون الحادة إلى تغييره، إذ أن المعارضة العراقية حينذاك لم تكن بالنسبة لها محسوبة العواقب.

وثالث عامل في هذا الصدد هو أن قرار مجلس الأمن الدولي قد قرر طرد القوات العراقية من الكويت وتحريرها وليس إسقاط النظام العراقي. وكان هذا الرأي من حيث المبدأ صحيحاً. ولا شك في أن التحرك السياسي الدولي الواسع الذي بدأ في أوروبا الغربية من جانب مناهضي الحرب والدول العربية من أجل الحفاظ على نظام صدام حسين قد لعب دوره في هذا الصدد. وقد تشبث جورج بوش بهذا القرار حين أعلن إيقاف القتال وفرض شروطه على صدام حسين والتي قبل بها الأخير كاملة غير منقوصة وبدون أي نقاش.

كان في مقدور الولايات المتحدة أن تفرض على نظام صدام حسين إيقاف الطيران الجوي بعد أن بدأ بضرب الانتفاضة الشعبية في البصرة وفي مناطق أخرى من الوسط والجنوب. ولكنها لم تفعل ذلك. لأنها لم تكن ترغب بنجاح تلك الانتفاضة استجابة لمصالحها ومصالح المملكة السعودية ودول الخليج وتركيا. ومن كان يتابع مؤتمر المعارضة العراقية الذي عقد في بيروت في العام ١٩٩١ وأثناء وقوع الانتفاضة من جهة، والأخبار الصحفية والتقارير التي كانت تنشر عن الانتفاضة وعن مجرى المؤتمر والدور البارز فيه لقوى افسلام السياسي الشيعية وغياب دور العرب فيه وضعف دور القوى العلمانية العربية من جهة أخرى، كان يدرك بأن إيران والأحزاب الإسلامية السياسية الشيعية كانت تتحدث عن انتفاضة إسلامية شيعية في البلاد وكانت الشعارات التي ترفع تعبر عن هذا الاتجاه، كما أن المؤتمر قد تمت السيطرة عليه الاتجاهات الفكرية التي كانت تعبر عن شعارات قوى الإسلام السياسي

الشيوعية، وإلى حد أقل، القوى الكردية<sup>١٣٢</sup>. كما أن عمليات القتل العشوائية التي حدثت أثناء الانتفاضة الشعبية ضد البعثيين أو غيرهم في الوسط والجنوب، كانت قد أثار ردود فعل حادة سمحت للأمريكيين بالسكوت عن ما كان يجري، كما سمحت لقوات الحرس الجمهوري والأمن والشرطة البعثية بضرب الانتفاضة بهمجية استثنائية مقيتة. وهكذا كان الحال في كردستان حين أجبر نسبة عالية من السكان تراوح عددهم بين نصف مليون وثلاثة أرباع المليون إنسان كردي على الهروب من المدن والقرى الكردستانية العراقية صوب الأراضي الكردستانية في تركيا أو إيران بهدف الخلاص من احتمال انتقام القوات العراقية من الناس الأبرياء، خاصة وأن الطيران الحربي العراقي كان قد ظهر في سماء كردستان وبدأ يمارس نشاطه العسكري العدواني هناك دون أن تتحرك بداية قوات التحالف الدولي إلى أن اتخذ قرار منعها من التحليق في الأجواء الكردستانية.

---

١٣٢ ملاحظة: لقد شاركت في مؤتمر المعارضة العراقية في بيروت وكنت مسئولاً عن اللجنة السياسية التي أصدرت جملة من القرارات المهمة إلا أن جو المؤتمر صدرت عليه الدعاية الإسلامية والأخبار التي كانت تأتي من إيران وتذاع من قبل دعاة من أحزاب إسلامية شيعية، وكان الانتفاضة تقوم بها قوى الإسلام السياسي الشيعية وليس الشعب كله بمختلف اتجاهاته الفكرية والسياسية. كما أن الأخوة الكرد الذين شاركوا في المؤتمر قد بدوا وكأنهم في تحالف مع هذه القوى مما عزز القناعة لدى المراقبين والصحفيين الذين نقلوا أنباءً عن المؤتمر لا تتفق مع طبيعة المؤتمر ومهامه. لقد صوروا المؤتمر وكأنه شيعي كردي لا غير. وكان هذا أحد العوامل البارزة في رفض تقديم أي دعم للانتفاضة، بل تركت من قبل التحالف الدولي تذبج بأيدي قوات الأمن والشرطة والحرس الجمهوري العراقي الموجه من صدام حسين. ولكن سجل هذا المؤتمر البداية الفعلية لتوجهات طائفية شديدة الوضوح أولاً وأول تحالف بارز بين الأحزاب الإسلامية السياسية الشيعية والأحزاب الكردية وأول محاولة تبدأ من جانب الأمريكيين لتوجيه اهتمامهم للعمل مع قوى المعارضة العراقية والتي اندفع بها وممثلاً عن الطرف الأمريكي الدكتور أحمد الجلبي ليطرح مشروع المؤتمر الوطني العراقي وما تبع ذلك من نشاطات وعلاقات متطورة مع لولايات المتحدة الأمريكية. ك. حبيب

## انتفاضة ١٩٩١ الشعبية في العراق

ليس غريباً أن ينتفض شعب من الشعوب ضد حكامه المستبدين القساة، ولكن الغريب أن لا ينتفض هؤلاء الناس الذين يعانون من جبروت وظلم وقهر أو من حروب الحكام والموت فيها والحرمان الذي يتعرضون له أو الموت تحت التعذيب على أيدي جلاوزة تلك النظم المستبدة. كما أن الغريب أن الحكام الجدد الذين يصلون إلى السلطة بعد الانتفاضات وعلى أكتاف الشعب المنتفض، يمارسون ذات السياسة التي مارسها الحكام السابقون، وكأنهم لم يناضلوا ضد الاستبداد والقهر السياسي والظلم الاجتماعي، رغم وعود قادة الأحزاب والقوى السياسية بأنهم يسعون إلى تغيير الأحوال وإشاعة الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان. هكذا كان حال المجتمع العراقي على مدى العقود التي أعقبت الثورة في العام ١٩٥٨ حتى الوقت الحاضر. وهكذا كان حال الشعب العراقي في الفترة التي حكم فيها حزب البعث البلاد حتى يوم انتفاضته، إذ مارس أقصى أشكال الاستبداد والفردية المطلقة في الحكم وزج المجتمع في حروب عدة وملأ السجون والمعتقلات المختلفة المنتشرة في أنحاء العراق بمعتقلي الرأي والعقيدة والقومية والدين والمذهب وملأ أرض العراق بأشلاء قتلى الحرب والتعذيب والمقابر الجماعية. لم تكن حياة الناس طبيعية في ظل حكم صدام حسين، سواء أكان ذلك قبل غزو الكويت أم في فترة الحرب مع التحالف الدولي لتحرير الكويت من رجس النظام السياسي الفاشي بفكره وممارساته. لقد عانى الجنود وضباط الصف والضباط الصغار الأمرين في الحرب ضد إيران ثم جاء الغزو ومن ثم بدأت الحرب التي أدركت غالبية أفراد القوات المسلحة فشلها المحتم وخسارة العراق لها. وكان هروب الجنود من تلك لهيب الحربين كبيرة جداً مما كان يؤشر مزاج الجنود والسكان المناهض للحرب والعدوان. وفي حرب التحالف الدولي لتحرير الكويت انهارت معنويات الجنود وضباط الصف والكثير من الضباط وهرب الكثير منهم ولم تعد الفرق العسكرية قادرة على الاحتفاظ بنسبة مناسبة من أفرادها للحفاظ على قوام تلك الفرق. وكان هذا أول مؤشر على بداية النهاية للحرب الخليجية الثانية، إذ تهاوت الفرق العسكرية العراقية الواحدة تلو الأخرى. وكان من تبقى من أفراد الجيش عاجزين عن استخدام أسلحتهم لمواجهة ضربات طيران وبحرية

ومدفعية قوات التحالف الدولي، كانوا يموتون فراداً وجماعات، كانوا يحترقون في دباباتهم ومدفعاتهم وعربات نقلهم، كانوا يدفنون في خنادقهم، كانوا يزحفون على الأرض يفتشون عن موقع يحميهم من تلك الضربات وهم هاربون من لهيب المتفجرات وهو يلاحقهم ويخفف أنفاسهم. لقد كانت ساحات القتال مجازر لقتل العراقيين لا غير، وكان الهاربون بجلدهم لا يحملون الكراهية لقتلتهم حسب، بل وبالأساس لمن زجهم في تلك المعارك الدموية وكان يعرف منذ البدء أنها معارك خاسرة رغم التسمية المجنونة من جانب الدكتاتور بـ"أم المعارك"، إذ أطلق عليها الجنود التسمية المناسبة باعتبارها "أم المخازي والمجازر" ضد الجنود وضباط الصف والضباط العراقيين على أيدي قوات التحالف الدولي و"أم الخسائر والاندحارات"، في حين كان النظام وأجهزته الإعلامية الصفراء يتحدثون عن انتصارات أم المعارك وعن القائد المغوار الذي يقود الشعب من نصر إلى آخر ويلقن المستعمرين أقسى الدروس! لقد شاهد الناس كل الناس الذين يمتلكون شاشة بيضاء في بيوتهم أو في المقاهي والنوادي في سائر أرجاء العالم كيف كان الجندي العراقي الأسير، هذا الإنسان البسيط الذي دفع إلى ساحات القتال دفعاً ودون وجه حق، يقبل حذاء الجندي الأمريكي حماية لنفسه وربما للحصول بعض قطرات من ماء يروي عطشه في تلك الصحراء القاحلة في شارع الموت الطويل، وكيف كان يغلي الدم في عروق أولئك الجنود وهم يرون كيف كانت كرامتهم تهان ودمهم ينزف بلا انقطاع.

وصل هؤلاء الجنود الذين فروا من جحيم الحرب، أفراد الجيش المنحدر، إلى البصرة وإلى مناطق أخرى من العراق يجرون أذيال الهزيمة وهم هاربون من موت محقق وغير مصدقين أنهم نجوا من ضربات العدو الجوية، وقد مروا بمئات الجثث لزملاء لهم من جنود وضباط صف وضباط عراقيين مرمية في ساحات قتال ليس لمن يحاربهم جنود في ساحة المعركة، بل تسقط الحمم عليهم من السماء وتختطف أرواحهم، أو هم يشاهدون الجثث وهي ملقاة على قارعة الطريق أو زملاء لهم جرحى في الرمق الأخير غير قادرين على السير وسقطوا أرضاً ينتظرون الموت وهم يعانون من الأم مبرحة، ولكن ليس في مقدورهم إنقاذ هؤلاء، إذ كان الرجال بالكاد قادرين على جر أرجلهم وإنقاذ أرواحهم. لقد كان الطريق طويلاً وفي كل



خطوة منه كان الموت يلاحقهم أو بانتظارهم والمصير المجهول يشوش بصيرتهم. استقبلت البصرة هؤلاء الجنود المساكين المندحرين، في وقت كانوا ينتظرون الجنود المنتصرين، إذ كانت أجهزة الإعلام العراقية تعوي صباحاً ومساءً بما يصم الأذان عن انتصارات عربية ماحقة لا مثيل لها في ميادين القتال في حرب أم المعارك. لقد بدأ الشارع العراقي يغلي كالمرجل بعد أن سمع بحجم الخسائر الفادحة وبؤس العودة للهاربين من جحيم الصواريخ والقنابل الحارقة إلى مناطقهم من جهة، وما تعرض له الناس على أيدي أجهزة حزب البعث وأجهزة الأمن والشرطة في المدن العراقية من ضيم وقهر وموت من جهة أخرى. وكانت البطالة والتدهور المريع في مستوى معيشة الأفراد والعائلات وتعطل الحياة الاعتيادية للناس وخسارتهم لمزيد من أفراد عائلاتهم والقصف الجوي المركز الذي تعرضوا له، كل ذلك كان قد أوجع في صدور الناس شعور الغضب والكراهية والحقد على النظام الذي أذلهم وحب الانتقام والخلاص من ذلك الرهط من الحكام البائسين، وعلى رأسهم المستبد بأمره صدام حسين. فتفجرت الكراهية وانطلق الغضب من عقاله وتحول إلى انتفاضة شعبية بمقدور المشاركين فيها تدمير ما يعترض سبيلهم ومحررين أنفسهم من كل القيود التي فرضها النظام عليهم طيلة عقدين من الزمن. لقد كان التراكم كبيراً والضغط على المواطن هائلاً، وبشكل خاص على الفرد الجندي، والمواطن المنتفض المحكوم بالإرهاب قد تحول في لحظة واحدة إلى قوة قادرة على القتل والتدمير بسبب قوة الفعل التدميرية السابقة التي مارسها النظام ضد شعبه ورد الفعل المتوقع في مثل هذه الحالات. لقد تفجرت الانتفاضة لأسباب ذاتية وموضوعية ليس في مدينة البصرة وحدها بل في أغلب المدن العراقية في الجنوب وبعض مدن الوسط، إضافة إلى مدن إقليم كردستان. تفجرت الانتفاضة الداخلية لدى كل فرد ولدى الجموع الهادرة التي تريد الاقتصاد من قتلها، ممن زجها في الحروب، ممن حرّمها من نعمة العيش بسلام، وممن أذلها وقتل الطفل الرضيع والأخ والأخت والأب والابن والأم والأقارب والأصدقاء وحرّمها من العمل. لقد كانت انتفاضة الجياع والمحرومين والمضطهدين. كتب السيد نجيب الصالحي مشيراً إلى الشرارة التي أطلقت الانتفاضة يقول: "إلا أن عملية المخاض أنذرت بولادة حدث كبير تجسد في

اللحظة التي مزق فيها جندينا البطل الصمت والترقب المخيمين على نفوس الشعب والجيش عندما رشق ذلك الجندي صورة صدام بوابل من الرصاص من فوهة بندقيته فجر يوم ٢ آذار ٩١ في "ساحة سعد" في البصرة معلنا الخلاص من النظام الذي الحق بالجيش والشعب والوطن كل هذا الذل والإهانة. ولقد بذلنا جهداً للحصول على اسم ذلك الجندي الذي سيظل الرمز الأول للانتفاضة العراقيين ضد الدكتاتورية والطغيان. لقد كان في أعماق ذلك البطل العائد من الكويت خيبة وألم كبيران، يعتصرانه ويدفعانه للبحث عن وسيلة لاستعادة كرامته المهانة. وعندما أصبح وجهاً لوجه أمام "تماثيل صدام" في "ساحة سعد"، لم يسعه إلا أن يعبر علناً عما في داخله ودواخل أولئك الجنود الذين غصت بهم تلك الساحة من مشاعر الإحباط واليأس من جهة والرغبة العارمة في إنقاذ الوطن الجريح من جهة أخرى، ولم يكن أمامه إلا أن يطلق وابلاً من رصاصه على صورة الشخص الذي اعتبره بكل وجدانه المسؤول الأول عن المرارة التي تعتصره وتحيط به.. انه جدير بأن يمنح لقب "ابن العراق البار"١٣٣.

لم تكن محافظة البصرة وحدها هي التي انتفضت ضد النظام، بل لحقت بها محافظات ذي قار وميسان والمثنى والنجف وكربلاء وبابل وواسط ابتداءً من اليوم الأول والثاني والثالث، ثم انطلقت الانتفاضة في مدن محافظات إقليم كردستان، أربيل والسليمانية وكركوك ودهوك، التي نزلت قوات البيشمركة فيها إلى المدن ملتحمة بالسكان المنتفضين، كما حصلت بعض التحركات في الموصل ولكنها كانت محدودة ومراقبة جداً من قبل أجهزة السلطة. ولم تكن تلك الانتفاضة على مراكز تلك المحافظات بل امتدت لتشمل الكثير من مدنها ونواحيها أيضاً. لقد كانت انتفاضة عارمة ومسلحة، رغم التباين في مستوى التسليح ورغم التباين في التنظيم والتدريب والقيادة.

لقد سيطر المنتفضون على سائر المدن التي انتفضوا فيها، حيث ولّت الأدبار أجهزة الأمن وحزب البعث هاربة من غضب الجماهير الشعبية. واحتل المنتفضون مواقع لهم في أجهزة الدولة واندمجت القوات الفارة من ساحات القتال بالناس المنتفضين، لقد حولوا

---

١٣٣ الصالحى، نجيب. الزلزال. لندن. مطبعة الرافد. ١٩٩٨. مصدر سابق.

البندقية من كتف إلى كتف، من قتال ضد قوات التحالف الدولي، إلى قوة مناهضة نظام الحكم البعثي. وتؤكد الكثير من المعطيات المتوفرة إلى أن المنتفضين قتلوا الكثير من البعثيين الذين استطاعوا إلقاء القبض عليهم أو قتل حتى من كان محسوباً على البعثيين. ومارس المنتفضون دور القاضي، في حين كان المفروض اعتقالهم بدلاً من إصدار الحكم مباشرة عليهم ودون محاكمات.

في لحظات الانتصارات الشعبية المنتفضة تلك واهتزاز عرش الدكتاتور في بغداد، برزت مساومة قوات التحالف الدولي بأمر من جورج بوش، حين طلب سلطان أحمد هاشم الطائي حق استخدام الطيران السمتي من قائد قوات التحالف في عمليات عاصفة الصحراء لنقل الجنود، في حين كان يريد استخدامها لضرب المنتفضين ودك مواقعهم ونقل قوات الحرس الجمهوري المخلصة للنظام الدموي إلى المدن المنتفضة. لقد كان قراراً استثنائياً من جورج بوش بناء على طلب السعودية ودول الخليج وتركيا، إضافة إلى خشية حصول تفكك في التحالف الدولي، وخاصة في جبهة الدول العربية المساندة للحملة العسكرية لتحرير الكويت. وكانت المجزرة البشرية المريعة التي مارستها قوات الحرس الجمهوري بقرار من رأس النظام وبقيادة المتهم والمدان بالإجرام علي حسن المجيد وحفنة من قيادات حزب البعث والحرس الجمهوري والجيش والأمن المرتبطين بقوة ببقاء رأس النظام في الحكم.

هناك الكثير من الآراء التي تتحدث عن أسباب فشل الانتفاضة وأغلبها وضع يده بصواب على مواطن الضعف والخلل في الانتفاضة وفي مرجى الأمور حينذاك. وإزاء هذه التجربة الكبيرة لا بد للباحث أن يكون واقعياً وموضوعياً، صريحاً وشفافاً في دراسة التجربة والتحري عن العوامل الداخلية والخارجية التي تسبب في فشل الانتفاضة وسقوطها وتعرض عشرات بل مئات الألوف من المنتفضين إلى الموت أو إلى مصير غامض أو يعانون من التشرد في دول الشتات أو بعضهم وصل إلى الحكم بعد مرور ما يزيد عن اثنا عشر عاماً.

يمكن بلورة المسألة في عدد من الملاحظات التي يمكن أن تصلح لتكون مجالاً للنقاش حولها، وهي:

١. لقد انطلقت الانتفاضة من مواقع الانكسار العسكري والإحباط الشعبي من جراء الحرب وسياسات النظام، وليس من مواقع القوة والقدر<sup>١٣٤</sup>رة والتصميم على النصر وامتلاك الإرادة والتصميم والوضوح في الهدف المنشود.

٢. لم تكن مسألة السلطة قد تبلورت لدى المنتفضين، بل كان المحرك هو ذلك الفشل والإحباط والانتقام ممن عرضهم إلى تلك المصاعب والموت والحرمان والتعذيب.

٣. لم تكن الأحزاب السياسية ذات الخبرة النضالية الطويلة وذات الوعي بمشكلات الشعب موجودة في الساحة السياسية العراقية، في ما عدا محافظات إقليم كردستان، مما لم يوفر للانتفاضة أو للمنتفضين قيادة سياسية عقلانية وواعية وقادرة على إدارة العملية بما تستوجبه المعركة القاسية مع قوى النظام.

٤. وفي مقابل غياب تلك القوى السياسية الديمقراطية، وجدت قوى إسلامية سياسية في الجنوب وبعض محافظات الوسط التي تميزت بالجهادية العالية والاستعداد للموت وسيطرت على حركة الانتفاضة ووجهت أعمال المنتفضين وطرحت شعاراتها التي تميزت بطابعها الديني المتزمت والطائفي الصارخ والانتقامي إلى حدود بعيدة، مما أضعف الانتفاضة واندفاعها واتساع قاعدتها لتشمل المجتمع العراقي بكل مكوناته. فكل

التقارير التي انطلقت من أرجاء جنوب العراق كانت تشير إلى أن السيطرة فيها للقوى الإسلامية السياسية الشيعية وان هتافات المنتفضين تركز على طابعها الشيعي الصرف. جاء في الدراسة التي نشرها الدكتور على الشمراني حول قوى المعارضة العراقية تحت عنوان صراع الأضداد ما يؤكد ذلك حيث كتب يقول عن مظاهرات النجف، وهي نموذج لبقية المظاهرات في كربلاء والبصرة والحلة وغيرها من المدن ما يلي: "... وكانت صيحات هؤلاء الشباب تتعالى بهتاف: يا صدام شيل أيديك شعب

---

١٣٤ الشمراني، علي د. صراع الأضداد المعارضة العراقية بعد حرب الخليج. لندن. دار الحكمة. ط ١.

٢٠٠٣. ص ١٨٢-١٨٣.

النجف ما يريدك. كما راحوا يصرخون مرددين: ما كو ولي إلا علي، أنريد حاكم جعفري." ٥

٥. ومرغم أن الانتفاضة الشعبية كانت عفوية في انطلاقها وعراقية في قواها الأساسية، إلا أنها قد تعرضت في مناطق الجنوب إلى تدخل مباشر من قوى إسلامية سياسية إيرانية وإلى رفع إعلام وشعارات واتجاهات إيرانية صارخة، كما وصلت جماعات عراقية - إيرانية إلى البصرة وإلى محافظات عراقية أخرى لعبت دورها في مزيد من التأثير الإيجابي على قوى الانتفاضة.

٦. إن هذه التوجهات قادت إلى نتائج غير مناسبة لحركة وفعل وتطور الانتفاضة في مراكز

محافظات ومدن الوسط والجنوب باتجاهات عدة أساسية نشير إلى أبرزها فيما يلي:

- جزأت الشعب العراقي إلى قوى مناهضة للنظام وإلى قوى تخشى قوى الانتفاضة التي بدت وكأنها كلها إما شيعية أو كردية، مما دفعها إلى السكوت عن تلك الجرائم التي ارتكبتها النظام ضدها أيضاً، وخاصة في المناطق الغربية والموصل وبغداد.
- استطاعت تعبئة كل قوى البعث الفعلية وتلك التي لم تكن مع البعث ولكنها أجبرت على الدخول فيه أو العمل معه، بسبب القتل غير المشروع والانتقامي من البعثيين أو من كانت له صلة بهم، في ما عدا حالات قليلة كتب عنها أيضاً، من جانب قوى الانتفاضة. يشير الدكتور علي الشمراني إلى هذه الحقيقة بقوله: "خلال مرحلة الغليان وفي حمأة الانتفاضة كان الاستئصال الجسدي أسلوباً شائع الاستعمال في جميع محافظات الجنوب. وقد بدأ وكأن المتمردون لم يكن يعتمل في صدورهم غير الرغبة في الثأر والانتقام للجرائم التي ارتكبتها النظام. كما أصبحت "الشرعية الثورية" للانتفاضة تعتمد على القدرة في الاستئصال بلا تمييز وبلا محاكمات. أما في الشمال فكان الوضع مختلفاً...". ١٣٥

---

١٣٥ المصدر السابق نفسه. ص ١٨٦.

• عبأت القوى والدول العربية ضد قوى الانتفاضة لأسباب عديدة بما فيها طابعها الشيعي والكردي وبروز ذلك في عمليات التصفيات والخشية من تفاقم ذلك. وكانت الخشية من اتساع رقعة النشاط الشيعي إلى دول أخرى في المنطقة، وخاصة في السعودية ودول الخليج، أحد أكبر العوامل الذي لعب دوره في طلب السعودية ودول الخليج التخلي عن فكرة إسقاط نظام صدام حسين، فوجود نظام ضعيف مثل نظام صدام حسين ومعروف ولم يعد قادراً على إيذاء الدول العربية المجاورة هو أفضل من وجود نظام يلتصق بإيران ويقاد من أحزاب تنسق مع إيران.

• استطاعت إقناع الولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص بأن الانتفاضة شيعية - كردية، وأنها تجد الدعم والتأييد والمساعدة والتدخل من جانب إيران، مما يستدعي عدم دعمها، بل مساعدة الحكومة بصورة غير مباشرة على إخمادها، في حين كانت قبل ذلك تدعو الشعب إلى الانتفاض على الحكم الفاشي في العراق.

إن الدعم الأمريكي غير المباشر للنظام قد سمح باستخدام النظام لقوات الحرس الجمهوري وبقايا الجيش والأمن والجيش الشعبي، إذ لم تعد هناك خشية من معارك جديدة من دول التحالف ضده، أن يقوم بعمليات عسكرية على جبهة كُردستان وعلى الجبهة الجنوبية، مع عدم الخشية من الجبهة الغربية. وتمكن خلال فترة وجيزة من السيطرة على محافظات كُردستان واحدة تلو الأخرى، ثم على محافظات الجنوب والوسط، مما أدى إلى انهيار قوى الانتفاضة وفشلها في تحقيق الأهداف المرجوة.

لقد تسبب الهجوم على محافظات كُردستان إلى هجرة جماعية فعلية صوب تركيا بشكل خاص، وتسببت هذه الحالة في وقوع كارثة إنسانية تبلورت في اضطرار تركيا إلى قبول لا بد منه لعدد كبير جداً من الهاربين من طيران النظام من جهة، ثم إغلاق الطريق بوجه الزاحفين نحوها وسقوطهم تحت رحمة القوات العراقية من جهة أخرى، مما أوجد خشية لدى الحكومة التركية من أن تتحرك القوى الكردية في تركيا أيضاً ضد الحكومة التركية، فتدخلت هي الأخرى وطلبت الدعم الأمريكي لوقف الزحف المهاجر صوب كُردستان تركيا. عندها اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى قراراً يقضي اعتبار

منطقتي شمالي خط ٣٢ وجنوبي خط ٣٧ محمية من قبلهما ومنع الطيران العراقي من التحليق فوقها. وهكذا أصبحت كل من أربيل والسليمانية ودهوك عملياً خارج إطار الهيمنة المركزية للحكومة العراقية. وبهذا فتح الطريق لنشوء وضع جديد في كردستان دفع النظام إلى طلب المفاوضات مع القوى الكردستانية لدراسة مطالبهم.

وخلال فترة وجيزة تسنى للمنتفضين فرض سيطرتهم على ١٤ محافظة عراقية من مجموع ١٨ محافظة في كردستان وفي جنوب ووسط العراق و ولكن التحرك الفعلي لم يتحقق في أربع محافظات مهمة، وهي محافظات بغداد والموصل والأنبار وصلاح الدين، وهي المحافظات التي كان في مقدورها حسم المعركة لصالح قوى الانتفاضة، وخاصة بغداد. ولكن النظام استطاع أن يحتفظ بالسيطرة الفعلية على هذه المحافظات الثلاثة أسباب جوهرية، وهي:

١. وجود قوات عسكرية موالية جداً لصدام حسين في هذه المناطق، وخاصة في بغداد والموصل.

٢. وجود عشائر عربية كثيرة تساند النظام العراقي، رغم أن البعض منها قد تعرض إلى الكثير من التجاوزات والاعتداءات من قبل النظام أو من صدام حسين مباشرة، إذ أن نسبة غير قليلة من أبناء تلك العشائر قد انتسب إلى أجهزة الأمن والشرطة والحرس الجمهوري، وكانوا إلى حد ما متنعمين بالمقارنة مع بقية أفراد المجتمع أو القوات المسلحة.

٣. بسبب الوجة التي اتخذتها الانتفاضة من خلال الإعلام الشيعي – الكردي الذي هيمن على الأخبار المنطلقة من مواقع الانتفاضة أو الصحف المؤيدة لها أو من مؤتمر المعارضة العراقية الذي عقد حينذاك في بيروت. لقد خشيت لك المحافظات من أن تتوجه قوى الانتفاضة والتغيير المحتمل ضدها، خاصة بعد أن تعرض الكثير من البعثيين إلى اعتداءات غير قليلة من جانب المنتفضين.

كتب السيد محمد حسن جواد الطائي، أحد المشاركين في انتفاضة مدينة الشرطة التابعة لمحافظة الناصرية (ذي قار) ما يلي:

"وهنا نتحدث بخصوص انتفاضة الشطرة كوننا في قلب الحدث آنذاك وانقطاع الاتصال بالعالم البعيد والقريب منا ... حيث هبت شباب الشطرة ورجالها وشيوخها وحتى النساء لمقارعة البعثيين وقتلهم وتشريدهم وأضرمت النيران في دوائر الأمن والمقرات البعثية واستولى الثائرون على آليات وسلاح ومشاجب. وسطر شباب الشطرة الثائر الأبى أروع صور البطولة والتضحية والفداء في سبيل الله. وتشكلت لجان في المدن لتنظيم الحياة.... إلا أن بعض المندسين وبتوجيه من البعثيين الفارين وخوفاً من أن تنفض أسرارهم و تنكشف تقاريرهم عمدوا لحرق الأضابير والمستمسكات في دوائر الأمن والمنظمات وحاولوا تشويه الانتفاضة بحرق بعض الدوائر العائدة للشعب والعبث بها. لكن الأباة من الثوار أدركوا هذا الفعل الخبيث فسيطروا على ما بقي منها حيث برز قادة الانتفاضة وتجمعوا في الجوامع ليوجها الشعب الثائر نحو الاتجاه السليم. وما كان تجمعهم في بيوت الله إلا دليل على الإيمان الفطري واشتياقهم إلى الدخول للجوامع التي منع صدام والبعثيين دخولها. ١٣٦ ومنه نتبين بأن المنتفضين، كما هو حال الانتفاضات الشعبية العفوية والغاضبة، قاموا بإشعال الحرائق والقتل والتدمير أولاً، وأنهم كانوا تحت قيادة جماعات إسلامية سياسية أو دينية ثانياً. ولكن السيد الطائي يقول لنا بأن المنتفضين أضرمو النار في دوائر الأمن، وهي التي تحفظ فيها الأضابير والمستمسكات الخاصة بهذه الأجهزة، ولكنه يعود ليقول لنا بعد ثلاثة سطور فقط بأن القوى الخبيثة هي التي أرادت حرق الأضابير والمستمسكات الثبوتية ضد البعثيين، لكي لا يتعرضوا إلى المسالة في حالة انتصار الانتفاضة. لا يستبعد مشاركة عناصر خبيثة في مثل هذه الانتفاضات الشعبية الهائجة والعفوية، إذ تكررت هذه العملية في كل المحافظات التي انتفض فيها الناس وسيطروا على المدينة، حيث وقعت فيها أعمال عنف وشغب فعلية، سواء من الناس البسطاء والناقمين والراغبين في الانتقام، أم من قبل بعض العاملين مع النظام الذين رغبوا في تشويه مضمون الانتفاضة. والسؤال الذي يفترض الإجابة عنه هو كيف استطاعت قوى الإسلام السياسي أو القوى الدينية أن

---

١٣٦ الطائي، محمد حسن جواد. الانتفاضة الشعبية المباركة ١٩٩١. منتدى شبابيك للتاريخ. موقع إلكتروني. تاريخ العراق الحديث. أخذ المقطع في شهر تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٧.



تسيطر على الساحة السياسية وعلى حركة الجماهير وأن توجهها الوجهة التي تريدها وتسمح بمنحها الطابع الطائفي الشيعي في مناطق الوسط والجنوب، في حين لا يمكن الحديث عن طابعها الكردي لأنها فعلاً كانت الانتفاضة قد حدثت في مناطق كردية أو كردية تركمانية، حيث شارك التركمان في كركوك في الانتفاضة أيضاً؟ هذا ما سأحاول البحث فيه ومحاولة الإجابة عن السؤال لاحقاً.

خلال فترة تراوحت بين خمسة إلى ستة أسابيع استطاع النظام إعادة سيطرته على كامل التراب العراقي، بما في ذلك إقليم كردستان العراق، الذي كان قد فقد السيطرة على محافظاته الأربعة، أربيل والسليمانية ودهوك وكركوك، في فترة وجيزة، حيث سيطرت قوات البيشمركة عليها، ولكنه استطاع استعادتها بسرعة أيضاً، رغم المقاومة التي أبدتها تلك القوات والجماهير، إذ استطاع أن يرسل إلى المعركة قوات الطيران الحربي والسمتيات التي أنزلت ضربات قاسية بالمجتمع الكردي وتسببت في تلك الهجرة التي سميت بالهجرة المليونية صوب الحدود التركية والتي كانت بدورها السبب في فرض القرار الأمريكي-البريطاني بمنع تحليق تلك القوات وتواجدها على الأرض الكردستانية.

لقد كانت الانتفاضة شعبية، ولكنها كانت عفوية وغير منظمة، رغم ما في الأعمال العفوية من وعي متراكم وفي خلفية الفعل، كما سيطرت على جمهرة كبيرة من المشاركين فيها روح الانتقام من أولئك الذين أذلوهم قبل ذلك وعرضوهم إلى الاضطهاد والظلم والموت وعجزوا عن التمييز بينهم وافترضوا أنفسهم ثواراً وقضاة في آن واحد، ولم تكن مثل هذه الانتفاضة قادرة على تحقيق النصر. إن فشل الانتفاضة جاء نتيجة تضافر عوامل عدة داخلية عربية ودولة سمحت للنظام أن يسلط بعض أشرس وحداته العسكرية التابعة للحرس الجمهوري وأجهزة الأمن وقوى فلسطينية مرتبطة به وقوى من مجاهدي خلق أيضاً وزجها كلها في معركة غير متكافئة ضد قوى الانتفاضة غير المنظمة وغير المنسقة والعاجزة عن تحقيق التنسيق في ما بين المنتفضين في مختلف المحافظات العراقية، إضافة على هيمنة الفكر الضيق على حركة الانتفاضة التي ضيقت من أفق الانتفاضة وأهدافها. ونتيجة فشل الانتفاضة تعرض المشاركون فيها إلى شتى صنوف التعذيب والقتل، أو أُجبروا من أجل

إنقاذ حياتهم على هجرة هروبية إلى السعودية، حيث ذاق فيها المنهزمون لا من بشاعة هجوم القوات الحكومية حسي بل ذاقوا الأمرين على أيدي القوات والجماعات السعودية التي وجدت في الانتفاضة الشعبية وجهتها الشيعة المرفوضة منها، خاصة وأن أغلب المنتفضين الذين نوحوا إليها كانوا من أتباع المذهب الشيعي، في حين أن المذهب السائد في السعودية هو المذهب الحنبلي بصيغته الوهابية وبعلاقاته المتوترة والسيئة المتبادلة مع المذهب الشيعي الاثنا عشري. لقد كان المتطرفون من أتباع المذهب الحنبلي الوهابي ينظرون إلى الشيعة على أنهم رافضة ولا يختلفون عن بقية الكفار في العالم ولا يحرّمون قتلهم، بل يسعون إليه .

#### عوامل فشل الانتفاضة

لقد فشلت الانتفاضة وسقط عشرات ألوف القتلى والجرحى والمعوقين، كما أُجبر على النزوح هرباً عشرات ألوف أخرى من الناس من مناطق الجنوب، إضافة على الهجرة المليونية من كردستان العراق باتجاه تركيا بشكل خاص. وقد تنمر النظام في مواجهة الشعب المنتفض واستخدم كل ما يملكه من أسلحة مدمرة لضرب المنتفضين. ولم يتردد في استخدام كل السبل غير الشرعية والمحرمة دولياً في ضرب قوى الانتفاضة. لقد نهض الوحش الجريح الناجي من الموت في الحرب ضد قوات التحالف الدولي ليعبث في الأرض ويضرب يمنة ويسرة ويقتل دون وجه حق الكثير من البشر ويسلط عليهم شتى أساليب التعذيب. لقد وجد النظام سكوتاً مطبقاً من جانب قوى التحالف الدولي، وخاصة الولايات المتحدة، بل مساعدة في دحر الانتفاضة خشية على ما يمكن أن يعق تلك الانتفاضة من نظام سياسي غير محسوب العواقب، في حين أن صدام حسين بعد هذه الحرب أصبح قرماً قميناً أمامها عاجزاً عن فعل أي شيء ضدها، ولكنه أصبح "عملاقاً" دنيئاً وقاتلاً شنيعاً إزاء الشعب العراقي. لقد فشلت الانتفاضة التي كانت ناضجة موضوعياً وغير ناضجة ذاتياً، فما هي أسباب فشل هذه الانتفاضة الشعبية العفوية؟

حين البحث في انتفاضة شعبية بهذه السعة يفترض التحري عن كل العوامل التي كانت سبباً في قيامها من جهة، وتلك التي كانت سبباً في فشلها. ورغم أهمية وقوة العوامل الخارجية التي قادت إلى فشل هذه الانتفاضة الشعبية في إطار ظروف الحرب وانهيار قوات النظام على جبهات القتال، إلا أنه يفترض التحري عن السبب الرئيسي في واقع المجتمع العراقي وفي الظروف الداخلية والاستثنائية التي أحاطت بالحركة الوطنية العراقية وقواها السياسية وعلاقتها حينذاك.

يعود فشل الانتفاضة الشعبية إلى مجموعتين من العوامل المهمة الداخلية التي يمكن بلورتها فيما يلي:

المجموعة الأولى: عوامل ترتبط بواقع القوى السياسية المعارضة للنظام وبالفتنات الاجتماعية التي كانت وقوداً لتلك الانتفاضة.

المجموعة الثانية: عوامل ترتبط مباشرة بطبيعة النظام وبالسياسات والإجراءات التي اتخذها لضرب الانتفاضة وإحباط مشروعها.

أما المجموعة الثالثة فهي العوامل الخارجية المرتبطة بالدول العربية والإقليمية والدولية. وسنحاول تناول هذه العوامل بشيء من التفصيل.

المجموعة الأولى: عوامل ترتبط بواقع القوى السياسية المعارضة للنظام وبالفتنات الاجتماعية التي كانت وقوداً لتلك الانتفاضة.

١. حين انتزع حزب البعث العربي الاشتراكي، جناح ميشيل عفلق في العراق السلطة من سلفه القومي عبد الرحمن محمد عارف في ١٧ تموز/يوليو ١٩٦٨، ظهرت في البلاد عدة اتجاهات سياسية بصدد السلطة الجديدة، حيث كان موقف أغلب القوى السياسية العراقية بمختلف اتجاهاتها رافضاً لأي تعاون مع هذا الحزب نتيجة الخبرة التي تشكلت لديها منذ العام ١٩٥٩ وما تلا ذلك من انقلاب على حكم قاسم وما جرى في الانقلاب من همجية القتل العشوائي لعدد كبير من الشيوعيين والديمقراطيين والقاسميين والتقدميين المستقلين ومن اعتقال جمهرة غفيرة من الناس الوطنيين من مختلف الاتجاهات السياسية الديمقراطية. ويمكن القول بأن أغلب القوى السياسية رفضت التعاون مع حزب البعث الحاكم وفضلت

إما السكوت أو الدعوة إلى أتباع سياسات جديدة واتخاذ إجراءات مهمة مسبقاً لتساعد على إرساء الثقة بالوضع الجديد أو اتخاذ موقف المعارضة من النظام كله. رغم أن هذه المواقف قد تغيرت بمرور الزمن، إلا أنها شكلت اتجاهات أساسية أولية متباينة في الرؤية السياسية والعمل السياسي العراقي. ففي الوقت الذي اتخذ الحزب الشيوعي الموقف الوسط ودعا النظام الجديد إلى اتخاذ سياسات وإجراءات جديدة من جانب السلطة لكي يمكن أن تمد إليه يد التعاون، تعرض على إثرها إلى ضربات قاسية جداً استطاعت تصفية الكثير من تنظيماته الحزبية وخاصة في بغداد، ولكن الحزب الشيوعي انتهى في العام ١٩٧٣/١٩٧٢ إلى الدخول في مفاوضات ومن ثم إقامة تحالف سياسي مع حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم لسنوات عدة استمرت حتى نهاية العام ١٩٧٨ وكانت مليئة بالاضطهاد والملاحقة والقتل المبطن للشيوعيين وأصدقاء الحزب الشيوعي ثم السير في جنائز الضحايا حتى انتهى الأمر بشن هجوم كاسح على تنظيمات الحزب الشيوعي ومطاردته في كل مكان من العراق، مما أجبر الحزب معه على إعلان المعارضة ضد حكم البعث والدعوة إلى إسقاطه في حزيران/تموز (يونيو/يوليو) من العام ١٩٧٩. إلا أن هذه الفترة تضمنت مواقف سياسية من جانب الحزب الشيوعي تصدت لقوى مناهضة لحزب البعث ابتداء من العام ١٩٧٣/١٩٧٤، مثل الصراع بين الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب البعث الحاكم، إذ وقف الحزب مع حزب البعث والحكم، رغم أن الحزب الديمقراطي الكردستاني قد اتخذ مواقف حادة مناهضة للحزب الشيوعي العراقي في تلك الفترة ونظم مجزرة ضد مجموعة من الشيوعيين القادمين من دراسة حزبية في موسكو تنم قتلهم جميعاً (١٢) مناضل شيوعي. كما اتخذ الحزب مواقف مناهضة لحزب الدعوة في تحركه ضد النظام في العام ١٩٧٧ حين نظم هذا الحزب مسيرة من النجف إلى كربلاء. وقد تسببت هاتين الحالتين تعقيداً في العلاقة، رغم أن مواقف حزب الدعوة لم تكن إيجابية في كل الأحوال إزاء الحزب الشيوعي حينذاك.

أما الحزب الديمقراطي الكردستاني فقد اتخذ منذ البدء موقف المعارضة السياسية واستعداداً لخوض القتال إذا ما هاجمت قوات النظام مواقعه في مناطق كردستان الجبلية

الحصينة. وفعلاً وقعت معارك شديدة لم يستطع النظام تحقيق نجاحات فيها بل تعرض لضربات قاسية مما أُجبر على إثرها النظام القبول بمساومة أدت إلى إقامة حكم ذاتي في ثلاث محافظات كردستانية هي أربيل والسليمانية ودهوك ورفض النظام بشكل قاطع إدخال كركوك ضمن الحكم الذاتي. استمر وجود الحزب الديمقراطي الكردستاني على رأس الحكم في إقليم كردستان فترة قصيرة، غز بدأ بعدها الصراع مجدداً واتسم بالتأمر من جانب نظام الحكم لاغتيال ملا مصطفى البارزاني والتضييق على الحكم الذاتي، مما أشعل حرباً في العام ١٩٧٤/١٩٧٥ انتهت بعقد اتفاقية الجزائر بين النظام العراقي وشاه إيران، حيث أوقف أي دعم لوجستي للحركة من جانب إيران، مما أجبر الحركة على تسليم سلاحها أو الانتقال دون سلاح إلى إيران. لقد وقع النظام العراقي اتفاقية الجزائر السيئة الصيت مع شاه إيران لضرب الحركة الكردية ونزع سلاحها في مقابل التفريط بجزء من شط العرب وبعض الأراضي العراقية في مناطق مختلفة من الحدود المشتركة. وتحول الحزب الديمقراطي الكردستاني منذ العام ١٩٧٦ مجدداً إلى خوض النضال ضد النظام والسعي لإسقاطه وخوض الكفاح المسلح الذي التحق الحزب الشيوعي بهذا النضال أيضاً وساهم فيه.

وفي تلك الفترة سعت جماعة المكتب السياسي بقيادة إبراهيم أحمد وجلال الطالباني، التي فصلت من الحزب الديمقراطي الكردستاني قبل ذلك بسنوات، إلى التعامل مع حزب البعث والتحري عن طريقة لتمثيل الكرد في التفاوض مع حزب البعث، ولكنها لم تنجح في ذلك بسبب عدم وجود قواعد وقوى واضحة لها في إقليم كردستان، حيث كان الحزب الديمقراطي الكردستاني مهيمناً على الوضع ومانعاً لكل نشاط آخر لهذه المجموعة من المثقفين الكرد التي كانت لها مواقع قوية في صفوف المثقفين والمتعلمين والطلبة على نحو خاص. وقد حاول النظام العراقي أن يستخدم هذه المجموعة كورقة مساومة في التفاوض مع قيادة البارزاني، ولكنه فشل في ذلك. وجدت كتلة إبراهيم أحمد وجلال الطالباني نفسها خارج اللعبة حينذاك، وأنها يمكن أن تتعرض إلى ملاحقات في أعقاب اتفاقية الأول من آذار/مارس ١٩٧٠ بشأن الحكم الذاتي، فقررت القيادة مغادرة العراق والعمل ضد النظام

البعثي وضد القيادة الكردية في آن واحد. وفي العام ١٩٧٦ شكلت مجموعة المكتب السياسي مع تنظيمات كردية أخرى مرتبطة به الاتحاد الوطني الكردستاني، حيث قررت قيادة الاتحاد العودة إلى العراق وحمل السلاح والنضال ضد حكم البعث أيضاً. وقد اصطدم هذا القرار بموقف مناوئ من جانب الحزب الديمقراطي الكردستاني واعتبره منافساً له ولدوره وقيادته للحركة الكردية المسلحة في كردستان العراق، مما فسح في المجال إلى معارك دموية قتل فيها الكثير من قادة وكوادر الاتحاد الوطني الكردستاني. ولم يكن موقف الحزب الديمقراطي في هذه الفترة جيداً وإيجابياً بل عبر عن ضيق أفق ومحاولة للهيمنة ورفض الآخر واحتكار العمل السياسي والعسكري في كردستان. ولكن لم يعترض على وجود الحزب الشيوعي العراقي ونضاله المسلح، بسبب عدم منافسته له في قيادة الحركة القومية الكردستانية العراقية.

أما قوى الحركة القومية العربية فقد تشتت واتخذت مواقف متباينة، ولكنها في الغالب الأعم كانت مواقف مناهضة للنظام البعثي الذي اسقط شكلاً من أشكال حكمها، حيث كان بعضها يلعب دوره في فترة حكم الأخوين عبد السلام وعبد الرحمن محمد عارف. فقد اتخذت الحركة الاشتراكية العربية بقيادة عبد الإله النصراوي موقفاً مناهضاً للبعث منذ البدء، إذ لم تكن على وفاق مع نظام عبد السلام محمد عارف وأخيه عبد الرحمن محمد عارف. كما أن مجموعة القوميين العرب قد اتخذت مواقف تساومية إزاء النظام بعد أن أطلق سراح بعض عناصرها واسقط البعض الآخر منها سياسياً واحتوى البعض الثالث منها.

أما القوى الديمقراطية التقليدية فقد أوقفت نشاطها العلني عملياً، إذ لم تكن متبلورة في أحزاب أو تنظيمات واضحة المعالم، بل كانت كجماعات لها مواقف مناهضة من حيث المبدأ لحكم البعث. وهكذا كان موقف المستقلين الديمقراطيين.

الجهة التي حافظت على معارضتها للنظام البعثي منذ البدء كانت قوى الإسلام السياسي الشيعية التي ساومتها في فترة الحكم الأول في العام ١٩٦٣ حين أسقط نظام حكم قاسم ووجه ضرباته للشيوعيين والديمقراطيين بقسوة بالغة وساهم البعض منهم، مثل

السيد محسن الحكيم، بإصدار فتوى ضد الشيوعيين. وفي المجيء الثاني للبعث اتخذ قادة التيار الإسلامي السياسي الشيعي موقفاً معادياً للبعث وعملوا ضده وحشدوا الناس لمناهضته. كما اتخذ حزب البعث منذ البدء موقفاً منهم وعمد إلى محاربتهم بكل السبل المتوفرة، التي لم تكن شرعية في كل الأحوال. لم يستطع حزب الدعوة الإسلامية الحصول على قواعد مهمة له في فترة الانتعاش الاقتصادي والتحالف البعثي - الشيوعي، إذ كانت الأحوال المعيشية قد تحسنت وتحرك السوق الاقتصادي وغابت البطالة تقريباً وازداد دخل الفرد وخاصة بالنسبة لأصحاب المهن والحرف وأصحاب المقاولات والتجار، كما ازدادت السيولة النقدية في السوق العراقية بفعل موارد النفط التي تعاضمت خلال فترة وجيزة. إلا أن مواقف النظام القمعية ضد التجمعات الشيعية في فترة عاشوراء والزيارات لمزارات أئمة الشيعة في كربلاء والنجف بشكل خاص قد ساعدت على تعبئة الكثير من السكان الشيعة ضد النظام وحقق هذا الحزب مواقع أفضل في صفوف الجماهير الشيعية. وفي العام ١٩٧٧ نظمت الجماعات الإسلامية السياسية بدعم من حزب الدعوة حركة المسيرة الاحتجاجية بين كربلاء والنجف والتي تعرضت إلى ضربة موجعة وإلى قتل واعتقال عدد غير قليل في صفوف قوى الإسلام السياسي الشيعية وقياداتها أو اضطرار بعضها للهرب إلى إيران. وازدادت معارضة هذه القوى الإسلامية السياسية ف أعقاب انتصار الثورة الإيرانية ضد النظام الشاهنشاهي وسيطرة الخميني على الثورة وتوجهها وجهة دينية شيعية متزمتة ودعم الخميني غير المحدود لتلك القوى العراقية بقيادة السيد محمد باقر الصدر و زعيم حزب الدعوة حينذاك. وقد تسبب ذلك إلى مقتل الكثير منهم وزج الكثير أيضاً في المعتقلات أو تهجير الكثير من الشيعة العرب إلى إيران وكذلك الكرد الفيلية الشيعة. وكانت الضربة الكبيرة قد توجهت لحزب الدعوة حين أعدم القائد الروحي لهذه الحركة السيد محمد باقر الحكيم وأخته بنت الهدى حيث أمر صدام حسين بقتلها تحت التعذيب المهجي.

استطاع صدام حسين خلال سنوات العقد الثامن وأوائل العقد التاسع أن يوجه ضربات قاسية لكل القوى الديمقراطية العربية في العراق ويحرم إقليم كردستان من نشاط القوى السياسية الديمقراطية والقوى القومية الديمقراطية أيضاً. وغابت قيادات هذه القوى عن

الجماهير العربية لسنوات غير قليلة، رغم وجود تنظيمات صغيرة ومبعثرة للحزب الشيوعي العراقي التي تعتمد الصلات الخيطية في تنظيم نشاطها، إلا أنها كانت ضعيفة العلاقة بالجماهير أو إيصال أديباتها لهم. مما اضعف علاقات هذا الحزب التاريخي وبقية القوى السياسية الديمقراطية بالمجتمع. في مقابل هذا لعبت القوى البعثية من جهة وقوى الإسلام السياسي من جهة أخرى الدور الأساس في العلاقة مع المجتمع. الحكم بما يملكه من قدرات وأموال وأجهزة أمنية، وقوى الإسلامية السياسية بما تملكه من حوزات دينية وجوامع وحسينيات تقيم فيها الشعائر الدينية ويلتقي عندها المؤمنون والسياسيون ليحركوا أجواء العداء للنظام، وهي ليست فقيرة بل كانت تصل لها المساعدات المالية من مختلف المواقع والدول. وقد تشابكت السياسية بالدين في بعض هذه الحوزات الدينية أكثر من غيرها، مما عرضها إلى المساءلة والموت على أيدي النظام. ورغم همجية النظام، إلا أنه لم يستطع السيطرة على الحركة الإسلامية السياسية بسبب شعور السكان الشيعة بأن النظام يضطهدهم لأنهم شيعة، وبالتالي كان الالتفاف حول تلك القوى والحوزات الدينية واضحة. وهذه السياسة الطائفية المناهضة للشيعة التي مارسها حزب البعث العربي الاشتراكي ونظام الحكم منطلقاً من موقف سياسي وقومي شوفيني بأئس مفاده "أن الشيعة العرب في العراق كلهم شعوبيون وموالون لإيران أكثر من موالاتهم للعراق" تفسر في حقيقة الأمر السبب الفعلي لقوة هذا التيار الإسلامي السياسي الشيعي في فترة حكم البعث، وخاصة مع بدء الحرب ضد إيران، حيث تم توجيه أبشع أشكال الاضطهاد ضد جماعات شيعية كثيرة وخاصة في منطقة الأهوار والنجف وكربلاء والكاظمية ومجمل جنوب العراق. وهذا يفسر أيضاً السبب في سيطرة حزب الدعوة والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية ومنظمة العمل الإسلامي وقوى إسلامية صغيرة أخرى على الانتفاضة الشعبية في العام ١٩٩١ ودورها في قيادتها ورسم شعاراتها التي ساهمت في إفشالها.

لقد برزت طائفية نظام البعث بشكل صارخ في حقيقة أن مجلس قيادة الثورة حين قام بالانقلاب على حكم عبد الرحمن محمد عارف كان جميع الأعضاء فيه من السنة، ولم يكن فيه شيعياً واحداً. ونجم هذا الموقف من الصراع الذي نشب في أعقاب ١٩٦٣ بين قوى



البعث ذاته في الهيمنة على السلطة، خاصة وأن أكثرية القيادة البعثية وفي مجلس قيادة الثورة كانت من أتباع المذهب الشيعي. وقد تغيرت هذه اللوحة فيما بعد قليلاً حين أُدخل البعض من أتباع المذهب الشيعي من البعثيين إلى عضوية مجلس قيادة الثورة. ثم ظهر العداء للشريعة بقوة أكبر في النصف الثاني من السبعينات و ولكن بشكل خاص منذ بدء الحرب العراقية الإيرانية، والتي كانت احد عوامل تفجير الانتفاضة الشعبية في العام ١٩٩١. ولا شك في موقف النظام من الشعب الكردي لم يعد خافياً على أحد، إذ ارتكب هذا النظام أبشع المجازر ضد الشعب الكردي وقواه السياسية، سواء قبل انتفاضة ١٩٩١ أم بعدها مباشرة.

من هنا يتبين لنا بأن حزب البعث كان قد فقد الكثير من القاعدة الاجتماعية وال جماهيرية التي برزت على حد ما في فترة التأميم وما بعدها بقليل، ولكن القوى السياسية العراقية لم تستطع أخذ المبادرة للعمل المشترك ضد النظام بسبب تعقيد العلاقات السياسية في ما بينها والتي قادت إلى إضعاف العامل الذاتي الضروري للتكامل مع العامل الموضوعي لإسقاط النظام. ففي الوقت الذي كان النظام العراقي ضعيفاً وخائباً، كانت القوى السياسية العراقية اضعف منه وأعجز من أن تستطيع إلحاق الأذى به.

٢. لقد فشلت الانتفاضة بسبب اتجاهها الشيعي المهيمن والمتطرف في الجنوب والوسط من العراق في كسب المناطق التي أكثرية سكانها من السنة، خاصة تلك الأخبار التي أشارت إلى هجوم واسع وقتل عبثي لا ضد البعثيين حسب، بل وعلى السنة من السكان أيضاً من جهة، وغياب القوى الديمقراطية المعتدلة التي كان في مقدورها السيطرة على وجهة الحركة من جهة أخرى. وقد قاد هذا الاتجاه إلى هيمنة قوى الإسلام السياسي وتوجيهها الوجهة غير السلمية التي استغلها البعث ونظام صدام حسين أوسع وأسوأ استغلالاً لضرب الانتفاضة وتصفية القوى الأساسية فيها جسدياً.

٣. لم تكن قوى الانتفاضة العراقية منظمة وكانت عاجزة عن تحقيق التعاون والتنسيق في ما بين قياداتها في المحافظات المختلفة، كما لم تكن تمتلك ما يكفي من الوعي والعقلانية

لتجنب تسطيح أهداف الانتفاضة وتكريسها على الجانب الطائفي، كما لم تكن تمتلك ما يكفي من الأسلحة والعتاد لمواصلة المقاومة المسلحة.

٤. ورغم تحول الكثير من الجنود وضباط الصف والضباط على مواقع الانتفاضة الشعبية، إلا أن القوات السياسية التي كانت ما تزال قائمة لم تنقل بندقيتها من كتف إلى كتف لتقف كلها مع المنتفضين ضد النظام العراقي.

المجموعة الثانية: عوامل ترتبط مباشرة بطبيعة النظام وبالسياسات والإجراءات التي اتخذها لضرب الانتفاضة وإحباط مشروعها.

١. واحدة من أكثر الأمور السياسية تعقيداً ومن أكثر الأخطاء التي يمكن أن ترتكب في العمل السياسي تبرز في مدى تقدير هذا الحزب أو ذاك لقواه وقدراته السياسية من جهة، ومدى تقديره لقوى وقدرات عدوه من جهة أخرى، إذ في حالة حصول سوء تقدير غالباً ما ترتب عنه مخاطر جدية وعواقب وخيمة. وعند متابعة أحداث الانتفاضة منذ بدئها يجد وقوع القوى المنتفضة في هذا المحذور. فالقوى الشعبية المنتفضة وقياداتها الدينية في الجنوب والوسط بالغت في تقدير قدراتها وقدرات الجماهير على تحمل أعباء الانتفاضة وفي مدى امتلاكها لما ضروري من مستلزمات الاستمرار في الصراع والتغلب فيه على العدو المعروف بشراسته غير المحدودة. كما يبدو لي بأن قوى المعارضة العراقية الموجودة في الخارج، والتي اجتمعت في بيروت في شهر آذار/مارس ١٩٩١، قد بالغت هي الأخرى كثيراً بقدراتها وبقدرة المنتفضين على تحقيق النجاح، ولكنها في الوقت نفسه قد قللت من قدرات عدوها، النظام العراقي، واعتقدت بأن الهزيمة التي ألحقت به في الحرب ستساهم في مزيد من الضعف وسيتمكن إسقاط النظام عبر الانتفاضة الشعبية، فراحت تنفخ بها، مما تسبب في المزيد من الخسائر التي اقتربت من كارثة شعبية حقيقية بسبب حجم الضحايا البشرية التي سقطت في معركة غير متكافئة مع عدو شرس، مجروح ومتمنر.

٢. لم تستطع قوات التحالف الدولي تدمير كافة الفرق العسكرية التابعة للنظام في حرب تحرير الكويت، بل بقي العديد من الفرق سالماً، رغم النواقص في قوام تلك الفرق، وخاصة حافظ النظام بشكل خاص على وحدات الحرس الجمهوري، ولهذا كان في مقدور النظام أن

يتوجه بما يمتلك من أفراد ومن أسلحة حديثة، إضافة إلى تمكينه من جانب قوات التحالف الدولي على استخدام الطيران الحربي والمروحيات لضرب الحركة الشعبية في أكثر مواقع الانتفاضة قوة من حيث السعة والسيطرة على أجهزة الدولة وتطهيرها من قوى النظام.

٣. لقد أجرى النظام توزيعاً سريعاً للقيادات العسكرية والحزبية التي يفترض فيها أن تقوم بالتصدي للانتفاضة ومنح هؤلاء المسؤولين كل الصلاحيات التي يرونها ضرورية لضرب وتصفية الانتفاضة وتدميرها دون رحمة. كما استخدم النظام كل الأسلحة المتوفرة لديه لدرحر المنتفضين واستعادة السيطرة على المدن والمحافظات. وقد تحقق ذلك حتى منتصف نيسان ١٩٩١ بشكل كامل، وكان الثمن موت عشرات ألوف الناس العراقيين.

٤. لقد كان النظام مطمئناً إلى عدة مسائل مهمة تساعده للتفرغ على توجيه الضربة للانتفاضة الشعبية، وهي:

١. إن السلوك الذي مارسه المنتفضون قد أدى على تعبئة كل القوى العراقية البعثية أو المؤيدة لها لتقف ضد الانتفاضة لأنهم لم يميزوا بين الذين قتلوا بأيدي المنتفضين.

٢. إن الحرس الجمهوري وقوى الحزب والمنظمات الشعبية التابعة للبعث يمكن تجنيدها كلها لزعها في المعركة ضد المنتفضين.

٣. إن الولايات المتحدة لا تريد الزحف إلى بغداد بل اكتفت بتحرير الكويت، وهي مستعدة إلى الانسحاب من الأراضي العراقية، وهي لا تنوي فرض الانهزام الرسمي على النظام، بل الموافقة على إيقاف القتال.

٤. إن الولايات المتحدة لن تسمح للقوات الكردية التي حررت إقليم كردستان على الزحف صوب بغداد، بل ستبقى في مواقعها، بل وستسمح للقوات العراقية باسترداد مواقعه في الإقليم.

٥. إن إيران التي كانت قد خرجت لتوها من حرب طويلة الأمد مع العراق غير مستعدة للتدخل المباشر في الشأن العراقي أو دعم الانتفاضة بقوات عسكرية مباشرة لإسقاط النظام، ولكنها كانت تقدم الدعم غير المباشر لتلك القوى الإسلامية السياسية.

٦. إن الدول العربية ترفض دعم الانتفاضة لسببين مركزيين، وهما:

أ. الخشية من وجود قوى إسلامية سياسية شيعية تريد السيطرة على العراق وستكون مناهضة للقوى السنية الموجودة في البلاد والتي كانت خلال العقود السابقة بيدها السلطة المركزية في العراق

ب. احتمال تشكيل محور عراقي - إيراني - سوري يقف ضد النظم السياسية القائمة في الدول العربية.

كل ذلك كان يعني بالنسبة إلى صدام حسين أن لا خشية من الدول العربية في احتمال دعمها للانتفاضة، بل ستكون ضدها.

نظرة من داخل قوى المعارضة العراقية ومؤتمر بيروت ١٩٩١

لم تكن المعارضة العراقية قبل غزو الكويت ونشوب حرب الخليج الثانية موحدة، رغم المحاولات التي بذلت على هذا الطريق. وكانت هناك محاولات جادة من أجل تعاونها وتوحيد مهماتها في النضال ضد النظام العراقي، ولكن كانت تلك المحاولات تجري تحت مظلات عربية سورية أو ليبية أو إيرانية أو سعودية، وكانت أحياناً أخرى قوى دولية وراء تلك المحاولات. وقد كان لهذا وغيره تأثيره السلبي على حركة المعارضة وعلى الوصول إلى اتفاق عقلائي بين جميع تلك القوى والأحزاب. ويعود سبب تلك الصراعات إلى خمسة عوامل مركزية، وهي:

١. التباين الكبير بين الأسس الفكرية والسياسية لتلك الأحزاب والقوى واختلاف مناهجها وبرامجها والمصالح التي تسعى على تحقيقها.

٢. الرغبة الجامحة لدى كل طرف فيها أن يحصل على أعلى نسبة ممكنة وأفضل موقع له في التحالفات التي يراد إقامتها، إذ أن كلاً منها أو أغلبها كان يناضل وهو في صف المعارضة إلى الاستيلاء على السلطة كاملة أو على حصة الأسد فيها على حساب القوى الأخرى.

٣. التركيبة الثقيلة الموروثة من ماضي العلاقات السياسية بين القوى والأحزاب السياسية العراقية التي لم تكن هادئة، بل عاتية ودموية أحياناً غير قليلة.

٤. التنوع القومي بشكل خاص الذي كان يلعب دوره السلبي لدى بعض القوى، وخاصة القوى الإسلامية السياسية والقوى القومية العربية.

٥. التأثير الإقليمي، ومن وراء ذلك التأثير الدولي على عمل ونشاط وتحالفات الغالبية العظمى من تلك القوى والأحزاب العراقية، ويمكن أن نشخص بوضوح كبير تأثيرات كل من إيران وسوريا وليبيا والسعودية والأردن، إضافة إلى تأثيرات غير مباشرة، ومن ثم مباشرة. من جانب الولايات المتحدة وبريطانيا. وقد كان لهذا العامل دوره المميز بسبب ضعف قدرات وإمكانات قوى المعارضة العراقية، مما كما يجعلها عرضة للتأثير الخارجي، إضافة على العلاقات القومية والدينية والمذهبية التي كانت تربط البعض منها بتلك الدول، مثل إيران وسوريا.

إلا أن القوى السياسية العراقية كافة كانت تدرك ثلاث حقائق جوهرية، وهي:

١. أنها تشترك في عداؤها للنظام الصدامي الذي اضطهد القوى السياسية المعارضة له كافة وأصدر بحق بعضها القتل المباشر دون محاكمات، كما في حالة أعضاء حزب الدعوة والحزب الشيوعي العراقي. وبالتالي فهي تشترك في النضال من أجل الخلاص من هذا النظام الدكتاتوري، الذي اتسم بذهنية شوفينية وطائفية مقبلة وعدوانية.

٢. وأن كلاً منها عاجز عن إلحاق الأذى والضرر بالنظام العراقي دغ عنك إسقاطه، وأن الخلاص منه يستوجب تعاونها ووحدتها ووجود برنامج موحد يوجه نضالها المشترك. ورغم قناعتها بضعف النظام وتوفر كل المستلزمات الموضوعية للإطاحة به، إلا أن الظرف الذاتي أو أنها تبقى اضعف من النظام وبالتالي فهي حتى مجتمعة عاجزة عن إسقاطه. ومن هنا جاء إدراكها أيضاً بأهمية العامل الثالث، وأعني به:

٣. أنها بحاجة ماسة إلى تأييد جميع دول الإقليم والمجتمع الدولي والرأي العام العربي والإقليمي والدولي في آن واحد لتحقيق الإطاحة بهذا النظام الاستبدادي.

ورغم هذه الحقائق ورغم الاتفاقات العديدة التي تبلورت في العام ١٩٨٨ قبل وبعد إيقاف القتال مع غيران، ومنها بشكل خاص إقامة الجبهة الكردستانية في صيف هذا العام، ومن ثم الاتفاق بين أطراف في المعارضة العراقية في دمشق بمبادرة ودعم من سوريا ومن حزب البعث العربي الاشتراكي، قيادة قطر العراق، على المبادئ التي يفترض أن تحكم العلاقات بين أطراف المعارضة، وكذلك ما جرى من اتفاق أولي على هامش المؤتمر العربي في طرابلس الغرب (ليبيا) بين بعض أطراف المعارضة العراقية.

لقد تبلورت خلال الفترة التي أعقبت انتهاء الحرب مع إيران وغزو الكويت من جانب النظام العراقي وقبل حرب الخليج الثانية عدة تيارات سياسية عراقية بعدد كبير من الفصائل أو الأحزاب والتنظيمات المتباينة من حيث حجمها وقدراتها الفعلية وإمكاناتها النضالية في داخل العراق. والتيارات الخمسة التي ظهرت على الساحة السياسية العراقية في الخارج، وخاصة في كل من دمشق ولندن هي:

١. التيار القومي وكان يتوزع على جانبين: التيار القومي العربي والتيار القومي الكردي، إضافة على وجود قوى سياسية أخرى تركمانية وكلدانية وأشورية.
٢. التيار الإسلامي السياسي، وكان في الغالب الأعم يضم قوى إسلامية سياسية شيعية، ولم تظهر على الساحة السياسية العراقية المعارضة في الخارج قوى إسلامية سياسية سنية.
٣. التيار الديمقراطي الذي ضم إليه قوى سياسية يسارية ووسطية وليبرالية عديدة.
٤. التيار المحافظ الذي ضم إليه بعض القوى السياسية العراقية التي نشأت حديثاً ولكن لها تراث من فترة العهد الملكي في العراق، ومن التجار وغيرهم. وفي هذا التيار برزت فيما بعد قوى العشائر العراقية التي تمثلت في مؤتمر بيروت لأول مرة.
٥. التيار المستقل وقد ضم في صفوفه شخصيات سياسية عراقية مستقلة وديمقراطية متنوعة ومن اتجاهات مختلفة.

تمكنت هذه القوى والفصائل أن تلتقي بعد جهود مضيئة في مؤتمر مشترك في دمشق انبثقت عنه لجنة العمل المشترك التي اتفقت على بيان مشترك لها للنضال من أجل الخلاص من حكم صدام حسين. تم ذلك بعد احتلال الكويت و بروز احتمال كبير بشن حرب ضد النظام من جانب الولايات المتحدة والدول التي يمكن تعبئتها لخوض المعركة لتحرير الكويت، ونشوء قناعة بإمكانية سقوط النظام في مجرى تلك الحرب. لقد عقد المؤتمر في السابع والعشرين من شهر كانون الأول / ديسمبر ١٩٩٠ وشاركت فيه القوى التالية: ١٣٧

أولاً: التيار الإسلامي:

- المجلس الأعلى للثورة الإسلامية.
- حزب الدعوة الإسلامية.
- منظمة العمل الإسلامي في العراق.
- الكتلة الإسلامية.
- الحزب الإسلامي العراقي.
- حركة المجاهدين العراقيين
- منظمة جند الإمام.

ثانياً: التيار القومي الكردي: (الجبهة الكردستانية)

- الحزب الديمقراطي الكردستاني.
- الاتحاد الوطني الكردستاني
- حزب الشعب الديمقراطي الكردستاني.
- حزب كادحي كردستان.
- الحزب الاشتراكي الكردستاني

---

١٣٧ قارن: - الشمرواني، علي د. صراع الأضداد. مصدر سابق. ص ١٩٢-١٩٣.

- قارن أيضاً: الحمداني، حامد. صفحات من تاريخ العراق الحديث. مصدر سابق. ص ٤٥٧.

الحزب الشيوعي - إقليم كردستان

ثالثاً: التيار القومي العربي

- حزب البعث - قيادة قطر العراق

- الاتحاد الاشتراكي العراقي.

- الهيئة العراقية المستقلة

- الحزب الاشتراكي في العراق

- الحركة الاشتراكية العربية

رابعاً: التيار الديمقراطي

- الحزب الشيوعي العراقي

- التجمع الديمقراطي العراقي

- الحركة الديمقراطية الأشورية

وقد شكلت هذه القوى هيئة قيادية من خمسة أعضاء لكل منها حق الفيتو (الاعتراض)، أي لا يجوز اتخاذ قرار دون تحقيق الإجماع بشأنه، سواء أكان بقبول أعضاء جدد أم بإخراج أعضاء أو طرح مهمات وشعارات جديدة لم يتم الاتفاق بشأنها في المؤتمر أو موافق الأعضاء الخمسة. وقد أطلق على لجنة العمل هذه بـ "لجنة العمل المشترك". وكانت اللجنة التنفيذي عملياً مكونة من القوى والأحزاب التالية:

\* المجلس الأعلى للثورة الإسلامية

\* حزب الدعوة الإسلامية

\* حزب البعث العربي الاشتراكي (قيادة قطر العراق)

\* الحزب الشيوعي العراقي

\* الجبهة الكردستانية



ولكن على ماذا اتفقت القوى والأحزاب التي اجتمعت في دمشق؟ لقد صدر عنها بياناً وجه إلى الشعب العراقي على شكل ميثاق وطني للعمل المشترك. إذ أنها اتفقت على ما يلي:

يا أبناء شعبنا العراقي الأبي:

إدراكاً من قوى المعارضة العراقية لحاجة الأوضاع العامة في وطننا الحبيب، وخطورة المرحلة التي نعيشها جميعاً، حيث يسود حكم الطاغية صدام حسين الفردي، وأجهزته القمعية، وإرهابه الدموي، ويتفرد بأخطر القرارات التي تخص مصير شعبنا ووطننا، دون مشاركة من أي مؤسسة دستورية أو قانونية منتخبة، كإشعاله الحرب العدوانية ضد الجارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بعد إلغائه اتفاقية الجزائر التي وقعها مع الشاه عام ١٩٧٥، والعودة إليها بقرار فردي، متجاهلاً إرادة الشعب.

وبناء على استمرار سياسة النظام الدكتاتوري في بغداد، بتوسيع نطاق البطش والقمع والإرهاب، والاضطهاد، والتصفيات الجسدية، التي ذهب ضحيتها الآلاف من خيرة أبناء شعبنا العراقي المكافح ومن جميع القوى الوطنية، الإسلامية، والقومية العربية والكردية، والديمقراطية، عبر انتهاجه لسياسة التمييز القومي والديني والطائفي، مما أوقع البلاد في أزمة خانقة، سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وتجاهل النظام للواقع التاريخي والاجتماعي للشعب العراقي، الذي يتألف من قوميتين رئيسيتين، هما العربية والكردية، وأقليات قومية أخرى، وكونه شعباً مسلماً، مع وجود أقليات دينية أخرى، وتقديراً لمخاطر الأزمة في منطقة الخليج التي نجمت جراء العدوان على الكويت، واحتلالها، وضمها قسراً إلى العراق، وما رافقه من عمليات قتل، ونهب وسلب، وما تبعه من حشد للجيش الأجنبية في المنطقة العربية، مما يندب باندلاع حرب مدمرة، تنزل كارثة جديدة بشعبنا، وبالشعب الكويتي، والأمة العربية، وشعوب المنطقة، وتلحق أفدح الخسائر باقتصادنا الوطني، وثروات شعبنا وإمكانياته.

وإن قوى المعارضة إذ تدين، وترفض الاحتلال والضم القسري للكويت، تؤكد على الخيار السلمي لحل الأزمة في الخليج، ودرء كارثة الحرب المحتملة، ونزع فتيلها، وذلك

بتشديد الضغط على النظام، لإجباره على الأنساب من الكويت دون قيد أو شرط، وإطلاق حرية جميع الرهائن المحتجزين، وتعبئة كل القوى من أجل سحب القوات الأجنبية من المنطقة، وحل الخلافات بين دولها سلمياً، ومن أجل إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح، والحيولة دون وقوع كارثة الحرب، وإنقاذ شعبنا، ودرء الأخطار المحتملة جراء التوتر السائد، وإفشالاً لكل المحاولات الرامية إلى تجويعه وإضعافه، وإذلاله. أجمعت قوى المعارضة العراقية، بفصائلها، واتجاهاتها المختلفة، واتفقت على مبادئ أساسية، وبرنامج سياسي موحد لعمل مشترك فيما بينها، ينسجم ومطالب المرحلة الحاضرة، ملبين بذلك إرادة شعبنا المكافح، من أجل الوصول إلى أهدافه العادلة والنبيلة، وعاقدين العزم على تصعيد وتائر العمل التضامني للتخلص وبشكل نهائي من كابوس الدكتاتورية، والتسلط والإرهاب.

إن شعبنا يواجه، بشجاعة نادرة قهر وقوة نظام صدام الدكتاتوري، الذي يتنكر لقيم ومثل الإنسانية والعروبة، ويعتبر هذا النظام وريث مخلفات الأنظمة الاستبدادية العميلة التي تعاقبت على سدة الحكم في العراق، مع تشديد لا مثيل له في وتيرة الطغيان، والانفراد بالحكم، وهو اليوم يتأهب لمسك زمام مصيره بيده، تعضده في ذلك قوات الجيش العراقي، التي لازالت تتطلع لأداء مهامها الوطنية والقومية والإسلامية.

إن قوى المعارضة العراقية مجتمعة، لتهيب بأبناء شعبنا العراقي، وجيشه الباسل، في هذه اللحظات الحاسمة من تاريخ بلادنا، الذي يتعين من خلالها، بلا شك، مستقبله ومصير أبنائه، أن يكون رابط الجأش، متهيئاً لإنزال الضربة الحاسمة التي تقطع الطريق على أي احتمال قد يؤدي إلى تعريض استقلال العراق، وسيادته إلى أخطار جسيمة وكارثة مهلكة، وتدعوا للعمل على تحقيق الأهداف التالية:

أولاً: إسقاط النظام الدكتاتوري بإرادة الشعب العراقي، وتصفية مخلفاته، وإلغاء القوانين الجائرة الصادرة عنه.

ثانياً: تأليف حكومة ائتلافية، انتقالية، تعقب النظام الحالي، لتشمل جميع فئات الشعب العراقي، بكل قواه السياسية المناهضة للحكم الفاشي، تتولى إنجاز المهام التالية:

١ - إلغاء الأوضاع الاستثنائية، وتصفية آثار الحكم الدكتاتوري في جميع المجالات، وإنهاء ممارسة الاضطهاد السياسي، والديني والقومي والمذهبي، وإصدار عفو شامل عن جميع السجناء والمعتقلين والملاحقين سياسياً، وإعادة المفصولين منهم، من مدنيين وعسكريين، إلى وظائفهم وأعمالهم، وتعويضهم عن الأضرار التي لحقت بهم.

٢ - إلغاء سياسة التمييز الطائفي ضد الغالبية من أبناء شعبنا العراقي، التي استخدمت لضرب بعضها بالبعض الأخر، وإزالة الآثار المترتبة عليها، من خلال تهيئة الفرص المتكافئة لمشاركة العراقيين كافة في إدارة البلاد، وتحقيق العدالة الاجتماعية، والمساومات التامة بينهم، في الحقوق المدنية، والثقافية، وتثبيت ذلك دستورياً.

ثالثاً: تأمين عودة المهجرين والمبعدين داخل العراق وخارجه إلى أماكن سكناتهم، وإعادة حقوقهم وممتلكاتهم، وتعويضهم تعويضاً عادلاً.

رابعاً: إلغاء التمييز القومي، وإزالة الآثار السياسية والديمقراطية السكانية، لمحاولة تغيير الواقع القومي والتاريخي لمنطقة كردستان العراق، وحل المشاكل الكردية حلاً عادلاً، ومنح الأكراد حقوقهم القومية والسياسية المشروعة، من خلال تطبيق وتطوير بنود اتفاقية ١١ آذار سنة ١٩٧٠ نصاً وروحاً، والتي قبلها الشعب العراقي، وضمن نطاق الوحدة العراقية، بما يعزز الأخوة العربية الكردية، وضمان الحقوق الثقافية والإدارية للأقليات القومية، من التركمان، والأشوريين .

خامساً : تحقيق الحريات الديمقراطية العامة: حرية النشاط والتنظيم السياسي والنقابي والاجتماعي، وحرية الصحافة، والتجمع، والتظاهر والإضراب، وحرية التعبير والفكر، بما فيها حرية الشعائر الدينية والمذهبية، والإقرار بالتعددية السياسية، وتداول السلطة بالأساليب البرلمانية وفق إرادة الشعب.

سادساً: صيانة وتعزيز الوحدة الوطنية للشعب العراقي، ووحدة العراق، أرضاً وشعباً وكياناً.

سابعاً: ضمان حقوق الإنسان في العراق، كما ورد في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وصيانة كرامة المواطن وحقوقه العامة والخاصة.

ثامناً: الانتقال بالبلاد إلى الأوضاع الدستورية، عن طريق إجراء انتخابات حرة ومباشرة، وبالتصويت السري، لانتخاب مجلس تأسيسي، يقوم بوضع الدستور الدائم للبلاد، وذلك خلال فترة لا تزيد على سنتين، ولا تقل عن سنة.

تاسعاً: الاهتمام ببناء القوات المسلحة على أسس سليمة، كفيلة بتمكينها من أداء دورها في الدفاع عن الوطن، واحترام المؤسسات الدستورية، وخيار الشعب العراقي في النظام السياسي الذي يختاره وأداء دورها القومي في مواجهة الاستعمار والصهيونية، ومخططاتها.

عاشراً: دعم الجهود الرامية إلى تحقيق التضامن العربي، والسير في طريق الوحدة العربية، التي تحقق مصالح الأمة العربية، وتستند إلى إرادتها الحرة، وتقوم على أساس العداء للاستعمار والصهيونية.

أحد عشر: انتهاج سياسة خارجية مستقلة، والابتعاد عن الأحلاف الأجنبية، وبناء تضامن عربي وإسلامي حقيقي، وبناء علاقات حسن الجوار مع جميع الدول، على أساس مبادئ التعايش السلمي والمصالح المشتركة، والالتزام بمواثيق الجامعة العربية، والمؤتمر الإسلامي، ودول عدم الانحياز، وهيئة الأمم المتحدة، واحترام الاتفاقيات الدولية، والإسهام في السلام، وصيانة المنطقة والعالم، والعمل ضمن جهود المجتمع الدولي، لحماية البيئة، وتحريم أسلحة الإبادة الجماعية، والتدمير الشامل للأسلحة النووية والجرثومية والكيميائية، والعمل على إسناد وتعزيز التضامن العربي، والعمل على تعزيز التعاون والتضامن بين الشعوب الإسلامية، وتعزيز الجهود الرامية لتحقيق الوحدة الإسلامية، وتقوية الجبهة المعادية للاستعمار والصهيونية، وكل أشكال الاستغلال بما يخدم مصالحنا المشتركة.

ثاني عشر: إسناد كفاح الشعب العربي الفلسطيني، وانتفاضته الباسلة، لتحرير وطنه، بما فيه القدس الشريف، وإقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني، ودعم كفاح حركات التحرر من أجل حقوق شعوبها ضد المستغلين والظالمين. ١٣٨"

---

١٣٨ الحمداني، حامد. صفحات من تاريخ العراق الحديث. مصدر ساق. ص ٤٥٣-٤٥٧.

قارن أيضاً: العبيدي، حامد د. الحوار هو الخطوة الأولى نحو الخلاص الوطني من مأزق الاحتلال.

موقع دار بابل. ٢٠٠٧/١٢/١٧.

كما تقرر في الختام الاجتماعي عقد مؤتمر للمعارضة العراقية لإقرار الميثاق الذي تم الاتفاق عليه لدعم النضال الجاري في العراق.

وإذا كان اللقاء هذا قد عقد في فترة احتلال العراق للكويت، فإن مؤتمر بيروت للمعارضة العراقية قد عقد في أعقاب انكسار العراق في الحرب وبعد انتهاء مفاوضات خيمة صفوان وانطلاق الانتفاضة الشعبية.

بين عقد لقاء دمشق الموسع لقوى المعارضة العراقية وبين مؤتمر بيروت نشطت مجموعات من القوى السياسية العراقية الجديدة التي لم تكن لها كيانات واضحة قبل ذلك وسعت إلى ان تشكل مثل هذه الكيانات، خاصة وان بعضها توقع أن يسقط النظام في فترة قريبة، فكان لا بد لها أن تهئ نفسها لموقع ما في الحكم المحتمل في أعقاب سقوط النظام. ونشير فيما يلي إلى أبرز تلك التجمعات التي تشير إلى طبيعة القوى الجديدة:

#### المجلس العراقي الحر

في شهر شباط/فبراير ١٩٩١ وجهت الدعوة لعدد من الشخصيات العراقية من أوساط اجتماعية وسياسية مختلفة لعقد اجتماع لها في لندن للتداول بشأن عمل سياسي منظم. وكل المشاركين جاءوا بصفتهم الشخصية ودون أن يمتلكوا منظمات سياسية معينة. فمنهم من شارك في الحياة السياسية قبل ثورة تموز ويعود في انتمائه السياسي للعهد الملكي، ومنهم من شارك في الثورة على العهد الملكي من الضباط الأحرار، ومنهم التجار وأبناء بعض شيوخ العشائر العراقية وبعض المثقفين الإسلاميين والديمقراطيين والبراليين، أغلبهم من العرب. وفي هذا اللقاء تقرر تشكيل المجلس العراقي الحر ووضعوا ميثاقاً لهذا المجلس كما انتخبوا هيئة قيادية لمجلس أوسع، وكانت نتائج الانتخاب على النحو التالي: "السيد حسين الصدر، مرشداً عاماً للمجلس، وهيئة مركزية ضمت كلاً من: سعد صالح جبر- رئيساً، وعضوية: - سامي عزارة آل معجون، وعبد الوهاب الأمين (أحد أعضاء اللجنة العليا للضباط الأحرار عام ١٩٥٧، وكمال مصطفى (لواء ركن)، وصادق العطية، وشفيق قزاز، وعبد الرزاق إبراهيم علي، وسعدي عزيز، وأحمد السامرائي (عميد) و د. فرياد حويزي، وأحمد الشعلان، ورياض الياور، ومالك الياسري، وجمال علمدار،

وسامي فرج علي، و د. خالد التميمي، وعلي العطية، وشريكو عابد، وعبدالحميد الرهيمي، ومحمد عبدالجبار شهبوط، وعبد الأمير علوان، وعبد القادر ممدوح البريفكاني، ود. جرجيس فتح الله، وفخري شهاب، وعبد العزيز الياصري. "١٣٩

إلا أن هذا التركيب غير المتجانس لم يستمر طويلاً، إذ توزع على عدة جماعات، ولكنه استطاع أن يساهم في مؤتمر المعارضة العراقية الذي عقد في بيروت مع حركة الوفاق الوطني العراقي. لقد انشطرت هذه الجماعة إلى ثلاث مجموعات هي: المجلس العراقي الحر الذي واصل سعد صالح جبر، المحامي والمقاوم المعروف "المجلس الأعلى لشيوخ العشائر العراقية" ومجلس العشائر العراقية. إلا أن أغلب المثقفين واصلوا العمل مع تجمع سعد صالح جبر.

#### حركة الوفاق الوطني العراقي

تأسست هذه الحركة في نهاية العام ١٩٩٠ حين أصدرت مجموعة من البعثيين السابقين جريدة للحركة باسم بغداد مسجلة باسم الدكتور صلاح الشبخلي في لندن، ثم أسست المجموعة تنظيماً حزبياً لها في أوائل العام ١٩٩١ في لندن أيضاً. وتشكلت الحركة من مجموعة أغلب أعضائها من قدامى البعثيين الذين تركوا الحزب في فترات مختلفة وكان بعضهم يحتل مواقع قيادية أو كوادر فيه، مثل صلاح عمر العلي وتحسين معلقة والدكتور أياد علاوي والدكتور صلاح الشبخلي، كما ضم شخصيات بعثية عسكرية أيضاً، منهم العميد توفيق الياصري والعقيد سليم شاكر الإمامي. شاركت الحركة في مؤتمر المعارضة مع المجلس العراقي الحر. بعد أن تشكلت لجنة مشتركة تمثل فيها الأعضاء الخمسة للجنة العمل المشترك زائداً عضوان أحدهما من المجلس العراقي الحر والآخر من الوفاق الوطني والتي أطلق عليها لجنة ٥ + ٢. ولكن هذا التنظيم لم يستمر طويلاً إذ أنشق في نيسان / أبريل من العام ١٩٩١ إلى مجموعتين إحداهما يقودها أياد علاوي واستمرت في إصدار

---

١٣٩ عليوي، هادي حسن د. من معارضة السلطة إلى المشاركة فيها ١٩٦٨ - ٢٠٠٥. جريدة الصباح الموقع الإلكتروني للجريدة. أخذ المقتطف بتاريخ ٢١/١٢/٢٠٠٧.

جريدة بغداد، والأخرى بقيادة صلاح عمر ألي وأصدرت جريدة الوفاق. فتح مكتب لحركة الوفاق بقيادة الدكتور علاوي إلى عمان /الأردن ليكون على مقربة من العراق وتقيم علاقات مع بعض الضباط العراقيين.

#### مؤتمر بيروت للمعارضة العراقية ١٩٩١

شارك في هذا المؤتمر، الذي عقد في فندق "البريستول" ببيروت واستمر لثلاثة أيام ١١-١٣/٣/١٩٩١، عدد كبير من القوى والأحزاب السياسية العراقية المعارضة والكثير من الشخصيات العراقية المعروفة والمستقلة، إضافة إلى مشاركة غير مسبوقه لجماعات صغيرة قدمت نفسها على أنها تمثل العشائر العراقية. وكانت القوى الكثيفة التي لعبت دورها البارز في هذا المؤتمر هي القوى والأحزاب الإسلامية السياسية الشيعية بشكل خاص من جهة، والقوى والأحزاب الكردية الأعضاء في الجبهة الكردستانية من جهة أخرى، في حين كان دور وتأثير الجماعات الأخرى بشكل عام ضعيفاً، وخاصة القوى القومية العربية والقوى الديمقراطية العربية والمستقلين. وسيطرت على أجواء المؤتمر الشعارات التي غلب عليها الطابع الإسلامي السياسي أولاً، والتفاؤل بانتصار الانتفاضة الشعبية ثانياً<sup>١٤٠</sup>. وفي هذا المؤتمر تبلورت تحالفات سياسية جديدة برز دورها بعد فترة وجيزة من انتهاء المؤتمر

---

١٤٠ ملاحظة: قبل السفر إلى بيروت لمشاركة في المؤتمر أنولنا في فندق تشرين في دمشق، حيث كنت ألتقي يومياً بالصدیق العزیز الأستاذ محمود صبري ونتحدث بأمر كثيرة بما فيها السياسة والتوجهات الفنية والوضع في العراق وأوضاع قوى المعارضة. وفي الفندق كنت أقيم في غرفة واحدة مع صديق ورفیق النضال الطویل جاسم الحلواني (أبو شروق). جاء العزیز عبد الرزاق الصافي (أبو مخلص) إلینا حاملاً كلمة الرفیق عزیز محمد المقترح إلقاؤها في المؤتمر. قرأنا الكلمة كل على حدا وخرجنا بانطباع غير مناسب، خاصة اللغة الدينية التي كتبت فيها الكلمة والتي كانت تعبر عن الأجواء التي سادت حينذاك، كما أنها لم تتضمن شيئاً عن الأهداف الأمريكية وضرورة انسحابها من العراق حينذاك. فاعترضنا وطالبنا معاً بتغيير الكلمة، التي لم تكن تنسجم مع تراث وتقاليد وتاريخ وخبرة الحزب الشيوعي العراقي ولا مع خطابه السياسي المناسب. وقد تقرر تغيير الكلمة إذ كانت هناك انتقادات أخرى جاءت من آخرين لتلك الكلمة التي قيل أن الدكتور غانم حمدون هو الذي قد أعدها حينذاك. ك. حبيب

وفشل الانتفاضة، وبعد أن استتب الأمر للنظام في بغداد، كما استتب الوضع في كردستان لقوى الحزبين الرئيسيين، وهما الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني. وفي هذا المؤتمر وخلف الكواليس تبلورت لأول مرة وبالارتباط مع انتفاضة الجنوب وكردستان فكرة فيدرالية الجنوب العراقي الشيعية من قبل قوى المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، رغم إنها لم تطرح في المؤتمر.

توالى في هذا المؤتمر الخطباء من مختلف القوى والأحزاب السياسية والجماعات المستقلة والشخصيات البارزة مثل الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري والفنان التشكيلي والمثقف المتميز محمود صبري. وكانت الخطب كلها حماسية ومثيرة للعواطف، كما كان بعضها يدعي له الدور في تفجيرها وقيادتها. وفي ذات الوقت تشكلت في المؤتمر مجموعة من اللجان التي ناقشت مختلف جوانب المشكلة وأحداث الانتفاضة وخرجت بتوصيات أقرها الاجتماع العام المشترك الذي حضره ما يزيد عن ٤٠٠ شخص كلهم من الرجال تقريباً. تميز الحضور بكثرة المشاركين من القوى الإسلامية السياسية الشيعية حتى بدا وكأن المؤتمر يريد تكريس دور هذه القوى، التي عقدت أكثر من مؤتمر صحفي لتوصل للمؤتمرين المعلومات عن حركة الانتفاضة في العراق وعبر أخبار كانت تردّها من طهران وعبر البصرة. وقد صدر عن هذا المؤتمر بياناً تضمن تلك التوصيات والتي يمكن إيرادها فيما يلي:

- يوصي المؤتمر بالعمل على تشكيل هيئة للإنقاذ الوطني، ومعالجة الطوارئ التي تفرزها الانتفاضة.

٢ - يوصي المؤتمر ببذل الجهود الضرورية، من أجل تجميد عضوية الحكومة العراقية الحالية في الأمم المتحدة، ووكالتها المتخصصة، والجامعة العربية، ومجموعة عدم الانحياز، والمؤتمر الإسلامي، استناداً إلى خرق هذه الحكومة لميثاق الأمم المتحدة، وقراراته ولوائحها المختلفة.

٣ - يوصي المؤتمر بتشكيل اللجان اللازمة لدعم العمل الميداني للانتفاضة، وتوفير متطلباته.



٤ - يوصي المؤتمر بالسعي الحثيث للحصول على اعتراف عربي، وإسلامي، ودولي بالمعارضة العراقية كممثل للشعب العراقي، إلى أن يتم إسقاط النظام، وإقامة حكومة انتقالية ائتلافية تلتزم بأجراء انتخابات حرة.

٥ - نظراً للأهمية الاستثنائية التي يجسدها مؤتمر المعارضة العراقية، وما توصل إليه في بيانته السياسي يوصي المؤتمر بإرسال وفود إلى مختلف دول العالم، والمنظمات الدولية، ومؤسسات الرأي العام لإبلاغها بنتائج المؤتمر، وطلب دعم الانتفاضة، ولتسهيل عمل هذه الوفود وتوفير أفضل الفرص لنجاح هذا النشاط، يوصي المؤتمر بضم الأخوة أعضاء المؤتمر القادمين من البلدان المختلفة، إلى وفد المعارضة، عند زيارة البلدان التي يقيمون فيها، والاستفادة من إمكانياتهم وتجاربهم.

٦ - يوصي المؤتمر قوى المعارضة بتخصيص صندوق لدعم الانتفاضة، ولجمع كل أشكال المساعدة المالية، وفي المقدمة منها الدعم المالي من التجمعات العراقية في المهجر، والمؤسسات الدولية العاملة في مجال حقوق الإنسان، ومن كل الداعمين لانتفاضة الشعب، للخلاص من الدكتاتورية.

٧ - يوصي المؤتمر بتشكيل لجنة لجمع المعلومات وتوضيحها، حول انتهاك النظام الصدامي لحقوق الإنسان الأساسية، ومصادرتها، مثل الاعتقال الكيفي، والمحاكمات الصورية، والتعذيب، والاختطاف والسجن والإعدامات الجماعية، والعقاب الجماعي بحق الأحياء السكنية والمدن، واستخدام الأسلحة الكيماوية، وعمليات التهجير، وحرق القرى، وسياسة الأرض المحروقة، ومصير المفقودين، وجمع كل هذه المعلومات في وثيقة، وتقديمها إلى الهيئات الدولية المختلفة، وفي المقدمة منها لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، حيث يوصي المؤتمر بإرسال وفد إليها للتحري والعمل على إطلاق سراح جميع المعتقلين والسجناء السياسيين، والطلب من السلطات العراقية تزويدها بالمعلومات الكاملة عن كل السجناء، وطبيعة الأحكام الصادرة بحقهم، كما تنص عليه لوائح الأمم المتحدة حول الحقوق المدنية، والسياسية المصادق عليها من قبل الحكومة العراقية، والضغط عليها، ومطالبتها بالكشف عن مصير المفقودين والمخطوفين.

٨ - يوصي المؤتمر بتنظيم حملة عالمية واسعة، لمنع النظام من قمع الانتفاضة الجماهيرية بالحديد والنار، وخاصة منع استخدام الأسلحة الكيماوية، ويطالب الأمم المتحدة اتخاذ القرار بإنزال العقوبات الرادعة إذا ما لجأ النظام إلى ذلك.

٩- يوصي المؤتمر بتشكيل ممثلات، ولجان للمعارضة العراقية من مختلف البلدان التي يقيم فيها العراقيون.

١٠- أخذاً بنظر الاعتبار، معانات شعبنا، نتيجة الحرب المفروضة عليه من قبل النظام، والنقص في المواد الغذائية والأدوية، والخدمات المختلفة، تعمل قوى المعارضة على تأمين المواد الغذائية والأدوية، عبر حملات المساعدة، ومطالبة هيئة الصليب الأحمر والهلال الأحمر الدولية بإرسال لجنة منها لدراسة أوضاع الشعب المعيشية ومعالجة ومساعدة ضحايا الانتفاضة، والاتصال بجميع الدول المجاورة للعراق لفتح حدودها، وتسهيل وصول المعونات الغذائية والأدوية، والمساعدة على بناء المؤسسات الخدمتية.<sup>١٤١</sup>

كما حضرت المؤتمر وفود مراقبة من عدد من الدول ومنها: لبنان، سوريا، إيران، الكويت، وممثلون عن حركات التحرر الوطني العربية وبعض المنظمات الدولية والإقليمية، إضافة إلى عدد من ممثلي الهيئات الدبلوماسية المعتمدين في بيروت، والمنظمات العاملة في مجال حقوق الإنسان وعدد كبير من الصحفيين ووسائل الإعلام العربية والأجنبية الأخرى.

انتهى المؤتمر في وقت كانت الانتفاضة ما تزال مستمرة، ولكن مؤشرات فشلها كانت واضحة للعيان. ومع ذلك سعت قوى الإسلام السياسي النفع فيها بالاتجاه الذي جعل أمر دعمها عربياً وإقليمياً ودولياً أضعف بكثير مما لو لم يكن ذلك الإعلام الشيعي قد هيمن على حرمة الانتفاضة في الداخل وعلى إعلام هذه القوى في الخارج.

رغم نجاح الذي بدا على المؤتمر، إلا أنه أوجد ثغرة جديدة بين القوى القومية العربية وبين القوى والأحزاب الأخرى، ولكنه خلق أرضية جديدة لتحالف بين الأحزاب الإسلامية والأحزاب الكردية باعتبار النظام قد سلط أكبر الإرهاب ضد الكرد وضد السكان الشيعة.

---

١٤١ الحمداني، حامد. صفحات من تاريخ العراق الحديث. مصدر ساق. ص ٤٥٩-٤٦٠.

ولم تكن هذه الحقيقة غائبة عن القوى السياسية الأخرى، إلا أن صياغتها الطائفية هي التي لم تكن مناسبة ولا تساهم في تعبئة كل الشعب ضد الدكتاتورية الحاكمة. ورغم اتجاهات العمل المشترك التي ظهرت فيما بعد، إلا أنها بقيت قائمة على هواجس جديدة تبلورت لاحقاً في أعقاب سقوط النظام والتي سنأتي عليها في حينها. لم يكن للمؤتمر تأثير إيجابي واضح على المنتفضين في الداخل، ولكنه كان له تأثير واضح باتجاهين سلبي في إطار الدول العربية وحكوماتها وشعوبها، خاصة وأن أغلب حكوماتها تقوم على أساس المذهب السني وكذلك الجماهير التي فيها والتي خشيت من الارتباط المحتمل بين العراق وإيران. وهذا الانطباع انعكس على صعيد الدول الكبرى أيضاً. والجانب الإيجابي في المؤتمر أنه حرك الموقف السياسي في المنطقة العربية وعلى الصعيدين الإقليمي والدولي بأن الوضع في العراق لم يعد يحتمل، وأن العالم يفترض أن يتدخل لمصلحة الشعب العراقي. إلا أن هذه الملاحظة المهمة التقطت من جانب الولايات المتحدة لتكرس نشاطها منذ تلك اللحظة بشكل أقوى من أي وقت مضى مع بعض قوى المعارضة العراقية وتبدأ بنشاط واسع للقوى الحليفة المباشرة لها والذي أوجدت له منبراً جديداً هو المؤتمر الوطني العراقي الذي تشكل فيما بعد في الخارج وبقيادة الدكتور أحمد الجبلي.

هل كانت حرب الخليج الثانية قدراً لا بد منه؟

لا نبتعد عن الواقع حين نقول بأن حرب الخليج الثانية لم تكن قدراً لا بد منه، بل كان بالإمكان تفادي الحرب وحل المشكلة بأساليب أخرى، إذ كان تجنب الحرب لتحرير الكويت من احتلال القوات العراقية لها واستعادة دولة الكويت لسيادتها واستقلالها ومعاقبة النظام على فعلته المريعة ليس ممكناً حسب، بل كان مهماً وضرورياً أيضاً للشعبين العراقي والكويتي ولشعوب المنطقة وتطورها وإبعاد العنف والعنف المضاد عنها، وإيقاف تفاقم الأحقاد والكراهية وتنمية العدوانية. ولكن الحرب نشبت تحت وطأة عاملين أساسيين، وهما:

العامل الأول: إصرار النظام العراقي على عدم الانسحاب خلال تلك الفترة التي سبقت الحرب والتي بلغت حوالي سبعة أشهر، رغم توفر إمكانيات وضرورات مثل ذلك الانسحاب،

ورغم الضغط الدولي والزيارات المتكررة لشخصيات ووفود دولية وعربية وإقليمية لإقناع صدام حسين بضرورة الانسحاب من الكويت. ورغم هذا العناد العدواني كانت الدلائل كلها تشير إلى وجود إمكانيات لدى المجتمع الدولي لم تستنفذ بعد قادرة على إجبار النظام العراقي على الانسحاب، لو كانت الإدارة الأمريكية قد وافقت في حينها على منح المفاوضات والوسطاء والأمم المتحدة فرصة أخرى ووقتاً أطول قليلاً لاستكمال الجهود والضغط السياسية والاقتصادية الدولية والإقليمية الأكثر عقلانية وتصميماً لفرض الانسحاب عليه، رغم مصاعب الاحتلال على أهل الكويت وحياة الناس، إلا أنها كانت اقل إيلاً وتدميراً وموتاً وتخريباً للبيئة والطبيعة والموارد لما حصل فعلياً من جراء وقوع الحرب.

العامل الثاني: قدم النظام العراقي من الناحية الواقعية كل مبررات شن الحرب ضد العراق من جانب الولايات المتحدة التي كانت قد صممت على خوض الحرب، وكانت الذريعة لشن الحرب متوفرة في جريمة غزو واحتلال الكويت وإصدار النظام قراراً بضمها إلى العراق واعتبارها المحافظة العراقية التاسعة عشر. وكانت الحرب مغطاة بقرار ملزم صادر عن مجلس الأمن الدولي برقم ٦٧٨ لسنة ١٩٩١ ومقررة تحت الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة. وكان في مقدور الولايات المتحدة تجنب الحرب لتحرير الكويت، ولكنها كانت تريد تلك الحرب مهما كان الثمن كبيراً والعواقب وخيمة على الشعب العراقي، وراغبة قاهرة وغير معقولة في خوضها لفرض قواعد جديدة من جانبها في العلاقات الدولية، باعتبارها القوة الأعظم والقطب الأوحده بعد التحولات الكبيرة التي حصلت في الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي، رغم أن عملية انهيار هذه الدولة العظيمة لم تكن قد تكاملت فيهما بعد. كما كانت الإدارة الأمريكية مصممة على ممارسة سياسية القوة من جديد من أجل تجاوز الوضع النفسي المعقد الذي نشأ لدى مواطنات ومواطني الولايات المتحدة والمحنة التي عاشوا فيها في أعقاب الهزيمة التي لحقت بالإدارة الأمريكية في حرب فيتنام، إضافة إلى أهمية منطقة الشرق الأوسط لها، والخليج على وجه أخص، إذ كانت وما تزال وستبقى، تعتبرها "منطقة المصالح الحيوية" جداً للولايات المتحدة الأمريكية. ولم تكن المفاوضات الأخيرة مع ممثلي النظام العراقي في جنيف قبل شن الحرب بفترة قصيرة سوى بذل المزيد

من الجهود الإضافية لإقناع الشعب الأمريكي بضرورة وحتمية الحرب لتحرير الكويت وحماية السعودية وضمّان مصالح الولايات المتحدة الحيوية في المنطقة وليس هناك أي سبيل آخر غير سبيل الحرب.

وإذا كانت أسباب إصرار النظام العراقي على عدم الانسحاب خلال تلك الفترة معروفة لنا تماماً، فإن إعطاء فرصة مناسبة أخرى وبذل جهود أكبر لفرض الانسحاب كانت تعتبر من جانب الولايات المتحدة مجرد مضيعة للوقت، في حين لم يكن الأمر بالضرورة كذلك، ولم تكن كل دول العالم تعتقد برأي الإدارة الأمريكية، وكذا الرأي العام العالمي، إذ أن الضغوط العالمية كان في مقدورها أن تساهم في تليين أو إضعاف موقف النظام العراقي وتجبره في المحصلة النهائية على الانسحاب من الكويت دون أن تُجبر دولة الكويت على تقديم تنازلات كان يسعى النظام العراقي إلى انتزاعها. لم يكن قرار ضم الكويت إلى العراق جدياً وقابلاً للحياة، كما أن العزة بالإثم كانت كبيرة جداً لدى صدام حسين والرهط الذي معه مما أعاق الاعتراف بالخطأ الفادح والجريمة التي ارتكبها والانسحاب السريع من الكويت. كما أن بعض القوى العربية التي هرجت وزغردت لاحتلال الكويت بذريعة البدء الفعلي بتحقيق الوحدة العربية بكل السبل الممكنة بغض النظر عن شرعيتها أو عدم شرعيتها قد دفعت بالنظام العراقي وصدام حسين إلى الحرب دفعاً، إذ أنها عززت موقف الدكتاتور المتشنج والمتعنت ومنعت عنه قدرة التفكير العقلاني والهادئ بعواقب الحرب المحتملة جداً. لقد عاش في جوف صدام حسين وحش غريب الأطوار والسلوك عجز عن استخدام غريزة الإحساس بالخطر الداهم للتخلص من الحرب بالانسحاب من الكويت، بل استمتع بالعناد وفضل قتل المزيد من البشر والتدمير الشامل للاقتصاد العراقي والبنية التحتية على التراجع عن قرار الاحتلال والانسحاب وإعادة الشرعية لشعب الكويت الشقيقتين. وهذا الوحش الداخلي هو الذي ميز كل تصرفات صدام حسين على مدى العقود التي حكم

فيها العراق أو حتى قبل ذلك حين كان صبياً وشاباً يافعاً كما يتحدث عنه أحد أصحابه المقربين منه في فترة الصبا والشباب في تكريت والعوجة<sup>١٤٢</sup>.

أما الولايات المتحدة فكانت أهدافها من الحرب واضحة لكل العاملين في الحقل السياسي وترتبط مباشرة باستراتيجياتها السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية الدولية التي نبه الكثيرون صدام حسين إليها وأكدوا له بأن الولايات المتحدة مستعدة لأن تذهب إلى نهاية الشوط، إلى شن الحرب، ما لم يرتدع النظام العراقي وينسحب من الكويت، إذ أنها أصبحت تواجه وضعاً استثنائياً جديداً مقارباً للوضع الذي نشأ في إيران في أعقاب سقوط النظام الشاهنشاهي فيها وبدأت تخشى على دورها ومصالحها وحلفائها في المنطقة. وإذا كان قد تعذر على الولايات المتحدة التدخل في إيران لأسباب ترتبط بالوضع الدولي الذي ساد في العام ١٩٧٩ حين أسقط نظام الشاه وأحتل الإيرانيون الشباب من الحرس الثوري السفارة الأمريكية واحتجزوا لفترة طويلة كل العاملين فيها، أي بسبب وجود دولة الاتحاد السوفييتي التي كانت ما تزال نداً قوياً للولايات المتحدة وتحسب الأخيرة لمواقفها ألف حساب قبل الإقدام على عمل كالذي قامت به في العراق، فأن الوضع الدولي الراهن قد تغير تماماً وأنه يعتبر وضعاً مناسباً جداً للتدخل الأمريكي وإنجاز المهمة بسرعة فائقة وغطاء دولي شرعي صادر عن مجلس الأمن بالإجماع. إن الدراسة الهادئة للموقف الأمريكي من قرار شن الحرب ضد النظام العراقي وتحرير الكويت يوصلنا إلى حقيقة أساسية مفادها أن الولايات المتحدة كانت تريد شن الحرب بأي ثمن وكانت تمارس مختلف الأساليب المشروعة وغير المشروعة لدفع صدام حسين إلى عدم الانسحاب من الكويت من جهة، ودفع الأمور إلى حد اقتناع الشعب الأمريكي بعدم إمكانية تفادي الحرب من جهة أخرى، لأنها تتعلق بمستقبل المنطقة والولايات المتحدة ومصالحة الشعب الأمريكي مباشرة. ولم تتورع الإدارة الأمريكية بتلفيق الأكاذيب ونشرها على الرأي العام الأمريكي والعالم بأمل إقناع العالم بضرورة الحرب. ويمكن العودة في هذا الصدد إلى الكتاب القيم الذي صدر في الولايات

---

١٤٢ الزبيدي، إبراهيم. دولة الإذاعة. سيرة ومشاهدات عراقية. طبعة ثانية. عمان. منشورات دار نارة

للنشر والتوزيع. ٢٠٠٦.

المتحدة في العام ١٩٩٣ وترجم على لغات عدة، ومنها اللغة الألمانية، تحت عنوان: "معركة الأكاذيب: كيف سوقت الولايات المتحدة حرب الخليج"<sup>١٤٣</sup>، بما في ذلك قصة ابنة السفير وروايتها المفبركة في واشنطن، رغم علمنا بكل الجرائم التي ارتكبتها النظام في فترة الغزو والاحتلال ضد شعب الكويت الشقيق. فما هي تلك الدوافع الفعلية أو العوامل التي جعلت الولايات المتحدة تقرر شن الحرب؟

يمكن تلخيص العوامل الدافعة لشن الحرب ضد النظام العراقي، في ما عدا قضية تحرير الكويت إذ كان ذلك ممكناً دون شن الحرب، التي شكلت الذريعة المكشوفة لتلك الحرب، في عدة نقاط جوهرية نشير إلى أبرزها فيما يلي<sup>١٤٤</sup>:

١. كان الاتحاد السوفييتي في العام ١٩٩٠/١٩٩١ يعيش أزمة الانهيار الكامل للدولة السوفييتية الواسعة الأرجاء والمتعددة القوميات والجمهوريات والمتباينة جداً في مستويات تطورها وحالة شعوبها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. كما أن المعسكر الاشتراكي ذاته كان قد انتهى بدوره وبدأت تنهار دولها الواحدة تلو الأخرى. فبعد انهيار المركز تساقطت التوابع بصورة دراماتيكية غير معهودة بدأت بجمهورية ألمانيا الديمقراطية في العام ١٩٨٩/١٩٩٠. وكان هذا الواقع الجديد قد سجل النهاية الفعلية للحرب الباردة التي بدأت في أعقاب الحرب العالمية الثانية ونشوء نظام دولي جديد يقوم على وجود معسكرين شرقي وغربي. وبدا للإدارة الأمريكية أن الوقت قد حان لإعلان نشوء نظام دولي جديد يقوم على القطبية الواحدة، قطبية الولايات المتحدة

---

143 MacArthur, John R. "Schlacht der Lügen. wie die USA den Golfkrieg verkauften". Sachbuch. München. DTV. Deutscher Taschenbuch Verlag. 1993.

١٤٤ ملاحظة: لقد تكون لدي هذا الرأي أثناء تلك الفترة حيث شكلت الولايات المتحدة تحالفها الدولي وشنّت الحرب ضد النظام العراقي ونشرت هذه الأفكار في أكثر من مقال ودراسة، كما نشرت ذلك مع الدكتور أحمد الحكيم في دراسة مشتركة ظهرت ضمن دراسات أخرى نشرت في كتاب صدر في ألمانيا باللغة الألمانية تحت عنوان "نظام دولي ما بعد الحرب أم الفوضى؟". والدراسة كانت تحت عنوان "العراق وحربي الخليج، تحليل للسياسة الاستراتيجية لحزب البعث في العراق".

Grienig Horst/Hopfmann Arndt (Hrsg). Nachkriegsordnung oder Chaos?. Sozialökonomische und sozialkulturelle Entwicklungstrends in Nah-und Mittelost. Verlag Dr. Kovas. Hamburg. Kovas, 1993. S. 126-157.

الأمريكية لا غير، وأن هذه القطبية الواحدة يمكن تكريسها من خلال خوض الحرب في منطقة الشرق الأوسط واعتبارها منطقة مصالح حيوية لها وليس لغيرها. وقد بدا هذا التوجه في الاستراتيجية الأمريكية من خلال دورها وسلوكها في الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي وفي العلاقات الدولية عموماً، إضافة إلى أن المحللين السياسيين والاقتصاديين الأمريكيين بدأوا يروجون لفكرة نهاية التاريخ وإرساء العالم على القطبية الواحدة والنظام الواحد، كما ظهر في كتاب "نهاية التاريخ" لفرنسيس فوكوياما مثلاً<sup>١٤٥</sup>. لقد أرادت الإدارة الأمريكية أن تعلن للعالم كله أنها المتحكمة برسم السياسة الدولية ولم يعد شريكاً لها في هذه العملية وأن أوروبا مرتبطة بها وتابعة لها، بل أن العالم كله تابع لها ومرتبطة بسياساتها. ورغم أن هذا التوجه كان خاطئاً، ولكنه فرض نفسه حينذاك، وبرزت بعد أكثر من عقد من السنين عواقبه السلبية حتى على الولايات المتحدة الأمريكية. لم يكن الاتحاد السوفييتي قادراً على مساعدة النظام العراقي، ولم تنفعه اتفاقية الصداقة الموقعة في نيسان/أبريل من العام ١٩٧٢، ولكن النظام الصدامي اعتقد إلى حدود بعيدة أن الاتحاد السوفييتي قادر على الأقل على منع وقوع الحرب ضده، ولم يدرك أن الاتحاد السوفييتي حينذاك كان يريد أن ينجو بجلده ولم ينفعه ذلك أيضاً. إن هذا يعني أن العالم كان يشهد نشوء ميزان قوى دولي جديد، وأن الكفة مالت بقوة لصالح الولايات المتحدة وقراراتها، إضافة إلى كون السياسة العراقية كانت في جوهرها وأسلوب تنفيذها تسمح بتوجه التأييد الدولي لمواقف الولايات المتحدة وليس للعراق الذي قام بالغزو وفرض الاحتلال على الكويت.

---

١٤٥ ملاحظة: كان البروفيسور فرنسيس فوكوياما قد كتب مقالاً في العام ١٩٨٩ حاول فيه تحليل أسباب انهيار ألمانيا الديمقراطية وإزالة جدار برلين تحت عنوان نهاية التاريخ، والتي أكد فيها أن الرأسمالية هي نهاية التاريخ وليس بعدها من نظام جديد قائم. وفي العام ١٩٩٢ أصدر كتابه الموسوم "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" الذي نشأ بفعل انهيار الاتحاد السوفييتي والمنظومة الاشتراكية المرتبطة به واعتبار ذلك نصراً نهائياً للرأسمالية. ولكن الرجل أعاد النظر في موضوعاته المتعجلة في فترة لاحقة ويعد أن اصطدم بسياسات الليبرالية الجديدة والمحافظين الجدد وسياسات الولايات المتحدة الأمريكية. ك. حبيب



٢. رغم معرفة النظام العراقي بأهمية منطقة الشرق الأوسط في السياسة الأمريكية، إلا أنه لم يقدر تماماً بأن الإدارة الأمريكية مستعدة أن تذهب في الأمر إلى آخر مداها، أي شن الحرب، دفاعاً عن مصالحها في المنطقة. ورغم معرفة النظام العراقي بأهمية النفط في الاستراتيجية السياسية والاقتصادية الأمريكية، إلا أنه قدر بأنه قادر على المشاركة في حماية مصالح الولايات المتحدة وليس تهديدها من خلال توسعه في السيطرة على نفط المنطقة. إلا أن هذا المنطق لم يكن مقبولاً من لدن الإدارة الأمريكية، فهو منطق أفلج وغير واقعي، إضافة إلى كونه مخالفة صريحة لقواعد اللعبة الدولية. فالنفط عموماً ونفط الشرق الأوسط خصوصاً يحتل موقعاً أساسياً وجوهرياً في السياسة الاقتصادية الأمريكية وفي صناعاتها وسياساتها وعلاقاتها الدولية، وبالتالي، فإن تعريض المنطقة إلى هزات وتوترات واجتياحات يمكن أن يعيق تطور اقتصاد النفط واستخراجه وتصديره في المنطقة، وبالتالي، فلا بد من حماية هذه الثروة بكل السبل من جانب الولايات المتحدة بشكل مباشر. ويرتكب من يقدر أن النفط لم يكن له الدور المعلى في قرار شن الحرب ضد النظام العراقي خطأً فادحاً ويصعب عليه تصور وتفهم أهمية النفط ودوره في الاستراتيجية الأمريكية، إذ أن العراق لم يحتل الكويت ونفطها حسب بل بدا للسعوديين والأمريكيين بأن النظام العراقي يهدد السعودية وحقول النفط فيها، وهي العقد الفريد بالنسبة للإدارة الأمريكية وشركاتها النفطية الدولية وصناعاتها. هنا يأتي قرار الحرب في كون النظام العراقي قد تجاوز على ما يسمى بـ"المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة" أولاً، ولم يعد ممكناً تقدير حسابات النظام وسياساته القادمة بعد احتلال الكويت ثانياً. وإزاء هذا الوضع فلا بد من معاقبته ليكون درساً قاسياً وحاضراً باستمرار لمن يحاول ممارسة سياسة مماثلة في المنطقة والعالم.

٣. خلال العقود المنصرمة القرن العشرين سعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى تكوين مواقع سياسية واقتصادية وعسكرية لها في منطقة الشرق الأوسط. وقد حققت في أعقاب الحرب العالمية الثانية نتائج إيجابية في هذا الصدد وكونت لها مجموعة من الدول

الحليفة لها ولسياساتها. وقد توزعت الدول الحليفة والصديقة للإدارة الأمريكية على ثلاث مستويات: احتلت إسرائيل المستوى الأول دون منازع، باعتبارها الحليف السياسي الاستراتيجي الثمين والثابت في المنطقة الذي لا يمكنها التخلي عنها بأي حال. ولا شك في أن الجمهورية التركية تحتل موقعاً مهماً في الاستراتيجية والتحالف الأمريكي بسبب كونها عضواً في الحلف الأطلسي وصلة الوصل المهمة مع جمهوريات آسيا الوسطى السوفييتية السابقة، إضافة إلى علاقتها بالدول العربية ودولة إسرائيل. ثم يأتي حلفاء المرتبة الثانية من حيث الأهمية السياسية والمرتبة الأولى من حيث الأهمية الاقتصادية، وأبرزها المملكة العربية السعودية بحقولها النفطية، بعد أن خسرت حليفها الكبير المتمثل بإيران منذ العام ١٩٧٩، إضافة إلى دول الخليج النفطية وكذلك مصر بسبب دورها السياسي الكبير في المنطقة العربية. أما الحليف في المرتبة الثالثة فتأتي المملكة الأردنية ولبنان. وأهمية هذه الدول ينشأ بسبب جبرتها لإسرائيل وتأثيرها في السياسة الفلسطينية، في حين أنهما يعانيان من مشكلات اقتصادية، بضمنهم مصر، وتكلفان الولايات المتحدة مبالغ طائلة سنوياً بما تقدمه لها من مساعدات مالية وعسكرية سنوية وبصورة مستمرة. وعلينا أن نتذكر بأن الإدارة الأمريكية شطبت كل الديون العسكرية الأمريكية التي كانت بذمة مصر حال موافقة مصر على خوض الحرب ضد النظام العراقي والتي قدرت بأكثر من سبعة مليارات دولار أمريكي. من هنا تأتي أهمية حماية هذه الدول من نظم حكم تبدو أحياناً متمردة ويمكن أن تخلق لها ولحلفائها مشكلات غير معروفة أو محسوبة العواقب. لقد كانت سياسة النظام العراقي تبدو مناهضة للوجود الإسرائيلي من خلال مراهنه حزب البعث على هذه القضية في إعلامه العام وتثقيفه، ولكنها لم تكن بالضرورة السياسة الفعلية لهذا النظام. لقد كان صدام حسين يلعب على عواطف العرب ويسعى إلى كسب الجماهير الشعبية في الدول العربية إلى جانبه من خلال سياسته الفلسطينية المتطرفة وغير العقلانية، وبالتالي كان ينشط تنظيمات حزب البعث في تلك الدول للوصول إلى السلطة وتهديد النظم القائمة فيها.

٤. تشكل منطقة الشرق الأوسط جزءاً عضوياً وأساسياً من الاستراتيجية السياسية والاقتصادية الأمريكية الدولية، وبشكل خاص في صراعها الدولي السياسي والاقتصادي ليس مع الاتحاد السوفييتي الذي كان على وشك السقوط حسب، بل ومع الصين الشعبية التي كان وما يزال مقدرًا لها أن تكون القطب الآخر والقوى جداً من النواحي الاقتصادية والعسكرية في مطلع العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين ومع اليابان والاتحاد الأوروبي.

٥. كانت الولايات المتحدة تواجه منافسة جادة من جانب الدول الأوروبية الغربية واليابان في منطقة الشرق الأوسط، ليس من حيث كونه خزيناً هائلاً للنفط الخام ولعقود قادمة حسب، بل وبسبب الموارد المالية المتأتمية من استخراج وتصدير النفط الخام والتي لا تستخدم بصورة فعالة من جانب الدول النفطية والتي يمكن استثمارها في الولايات المتحدة الأمريكية، إضافة إلى كونها سوقاً مهماً لتصريف منتجاتها وتقنياتها وأسلحتها وتجهيزاتها العسكرية الأخرى. وكانت الحرب ضد النظام العراقي تشكل الفرصة السانحة لفرض الإدارة الأمريكية نفسها في العراق ومنطقة الخليج والشرق الأوسط والتحول إلى الإمساك بمفتاح التعامل السياسي والاقتصادي والعسكري مع دول المنطقة، ولا يمكن لأي دول الولوج إليها إلا من خلالها. ويمكن الادعاء بأن هذا قد تحقق إلى حد بعيد، وه ما نلمسه في سياسة دول الاتحاد الأوروبي واليابان بشكل واضح. في حين تواجه الولايات المتحدة منافسة جادة من جانب الصين الشعبية وروسيا الاتحادية وكذلك بعض دول جنوب شرق آسيا، التي تعتبرها إعاقة لمشاريعها وخططها في المنطقة.

٦. إن الوجود الأمريكي في المنطقة لا يمنحها القدرة على التحكم بسياسات هذه الدول وباتجاهات تطورها العسكري وفرض الرقابة على هذا الجانب المهم في الصراع في المنطقة حسب، بل وفيه جانب أساسي مهم جداً في إطار الصراعات الإقليمية والدولية، وأعني به اقتراب وجود الولايات المتحدة السياسي والعسكري من نقاط التماس الحدودية مع كل من إيران وسوريا، وهما دولتان متحالفتان لهما موقف خاص من

إسرائيل يثير قلق الولايات المتحدة ويسبب لها مشكلات غير قليلة بسبب تحالفها الاستراتيجي مع إسرائيل وبسبب اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة ذاتها، إذ أن ذلك يوفر لها إمكانية الرقابة الأفضل على سياسات وتصرفات هاتين الدولتين.

كتب الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب مقالاً نشر في مجلة النيوزويك بتاريخ ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٠ حول عوامل التحشيد العسكري الأمريكي في منطقة الخليج واحتمال استخدام القوة لفرض انسحاب القوات العراقية من الكويت أشار فيه على ثلاثة أسباب، وهي: "على العالم ألا يكافئ العدوان"، "وأن أمن أمريكا معرض للخطر بسبب هذه الأزمة"، كما "لا يمكننا السماح لطاغية بممارسة الابتزاز الاقتصادي غالماً في مجال الطاقة جزء من الأمن القومي ويجب أن نكون مستعدين للتصرف على هذا الأساس"<sup>١٤٦</sup>.

نختم هذه الفقرة بما كتبه البروفيسور بيتر باولكه Peter Pawelka، رئيس قسم الشرق الأوسط في معهد العلوم السياسية بجامعة تيبينغن، في مقال تحت عنوان "الشرق الأدنى في السياسة الدولية" وبعنوان فرعي حول "اقتصاد سياسي لسياسة للولايات المتحدة الخارجية" جاء فيه ما يلي:

"إن تحليل وجهة السياسة الخارجية الأمريكية في الهيمنة على الشرق الأدنى ينطلق من واقع وجود مصالح أو أهداف تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى تحقيقها، وأنها تمارس لهذا الغرض مختلف الأدوات والسبل. وبالنسبة المصالح المركزية للولايات المتحدة يسود اتفاق عام في المصادر. فمنذ خمسين عاماً حافظت تلك المصالح على ثباتها وفي كل الأحوال فقد جرى تحديثها:

١. تأمين الموارد النفطية ذات الأهمية الاستراتيجية للدول الصناعية الغربية " يضاف إلى ذلك، وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي، جرى التوسع في المنطقة النفطية لتبدأ من الخليج إلى وسط آسيا (أذربيجان، تركمانستان، كازاخستان).

٢. تقليص تأثير النفوذ السوفييتي في الشرق الأدنى " فمنذ سنوات التسعينات بدأت عملية بناء نظام إقليمي جديد من خلال توسيع بنية اقتصادية إقليمية للشركات المتعددة الجنسية ومن ثم

---

١٤٦ مطر، فؤاد. موسوعة حرب الخليج. ص ١٩٦.

٣. ضمان استمرار وجود إسرائيل “ فمنذ السبعينيات جرى التوسع في تعزيز الهيمنة الإقليمية للدولة الصهيونية.

جرى تحقيق هذه المصالح الثلاث عبر طرق مختلفة، وبممارسة أساليب متنوعة تماماً ومن خلال تحقيق أهداف ثانوية فرست على مجالات واسعة في تعامل السياسة الخارجية، نحن نميز بين أشكال وأدوات بسيطة من بنى الرقابة وبين الرقابة المباشرة.<sup>١٤٧</sup>

منافع ومضار الحرب من وجهة نظر المصالح الأمريكية

أشرنا في الفقرة السابقة إلى الدوافع والعوامل التي دفعت الولايات المتحدة لخوض الحرب ضد النظام العراقي وتدمير حقيق للاقتصاد العراقي وتشويه متفاهم للمجتمع. ولكن يواجهنا السؤال الحيوي التالي: هل استطاعت الولايات المتحدة تحقيق تلك الأهداف؟ وهل كانت لها منافع فقط، أم كانت هناك مضار كبيرة ما تزال تلاحق السياسة الأمريكية؟

تتفرع الإجابة عن هذين السؤال المتداخلين باتجاهين:

الاتجاه الأول: ويمكن بلورت فوائده وفق منظور الإدارة الأمريكية ومصالحها في عدد من النقاط، نشير إلى أبرزها فيما يلي:

١. تحقيق تظاهرة دولية واسعة النطاق تؤكد انتهاء النظام الدولي السابق الذي نشأ في أعقاب الحرب العالمية الثانية بوجود معسكرين دوليين ونشوء نظام دولي جديد يقوم على القطبية الواحدة، قطبية الولايات المتحدة و سيطرتها الفعلية على السياسة الدولية وعلى مجلس الأمن الدولي والشرق الأوسط. ورغم أن هذا التغير في نظام العلاقات الدولية الجديدة لم يتبلور ويتكرس تماماً، إلا أنه كان البداية والذي تجلى في إحساس العالم الغربي، وخاصة لدى الإدارة الأمريكية، بأن عهداً لإمبراطورية دولية جديدة أمريكية قد بدأ ولن تكون هناك عوائق جدية تعيق السير على هذا الطريق.

---

147 Pawelka, Peter Prof. Dr. Der Vordere Orient in der Weltpolitik. Eine politische Ökonomie der US-amerikanischen Außenpolitik. Zeitschrift Der Vordere Orient an der Schwelle zum 21. Jahrhundert. Heft 3/98. Hrsg.: LpB.

٢. وعلى هذا الدرب الاحتفالي الكبير والتهليل المتواصل قد دفع بعدد غير قليل من الكتاب الأمريكيين إلى الحديث عن نهاية التاريخ، وأن الرأسمالية قد تَكَرَّست وإلى الأبد، كما ظهر بشكل صارخ في كتابات باحثين بارزين هما فرنسيس فوكوياما وصموئيل هنتنكتون. وكان هذا التهليل الذي ارتبط بالانهيارات السريعة لدول المعسكر الاشتراكي ونتائج حرب الخليج الثانية وارتفاع الصوت الأمريكية عالياً في المحافل الدولية قد أنعش الشعور العميقة لدى الولايات المتحدة وقاد تدرجياً إلى مشكلات كبيرة ظهرت لها في السنوات التالية.

٣. تحقيق الهيمنة الفعلية على منطقة الشرق الخليج وعموم الشرق الأوسط من خلال الوجود العسكري الكثيف وإقامة قواعد عسكرية جديدة وتوسيع ترسانتها العسكرية في دول خليجية أخرى وتكريس الوجود السياسي المتميز للولايات المتحدة وتأثيرها المباشر على سياسات وقرارات أغلب حكوماتها، إضافة إلى تنشيط فعلي لسياسة سباق التسلح في المنطقة.

٤. ضمان إبعاد المنافسة الأوروبية واليابانية والسوفييتية والصينية إلى حدود كبيرة ولفتره قادمة عن دور ونفوذ وتأثير الولايات المتحدة على حكومات وسياسات دول المنطقة.

٥. تدمير أكبر قوة عسكرية عربية في الشرق الأوسط التي كانت تشكل خطراً مستمراً على الدول المجاور وعلى الأمن والسلام في المنطقة.

٦. استخدام حرب الخليج الثانية بمثابة حقل تجارب فعلي وواسع للأجيال الجديدة من أسلحتها واعتمدها، إذ لم تقع أي حرب بهذه الكثافة في العالم منذ سنوات طويلة.

٧. التخلص من خزين هائل من الأسلحة التي كانت مجمدة في ترساناتها العسكرية في العالم والتي استخدمت في حرب الخليج الثانية، بما فيها بعض أنواع العتاد المخضب باليورانيوم المشع، كتلك الخراطيش المحرقة التي استخدمت في تدمير الدبابات والمدرعات والعربات العراقية الهاربة في الصحراء صوب البصرة وحرق من فيها من

البشر، أو تلك الصواريخ المخترقة للسقوف والمخابئ الكونكريتية المسلحة، كما حصل في مخبأ العامرية، أو الصواريخ الجديدة الموجهة بالليزر لضرب أهداف بعينها..الخ.

٨. الحصول على بعض الأرباح المالية من جراء تلك العمليات العسكرية بسبب تحمل الدول العربية والأوروبية واليابان، مسئولية دفع مبالغ كبيرة لتغطية نفقات الحرب. فقد قدرت الإدارة الأمريكية الأموال الضرورية لتمويل حرب الخليج بحدود ٥٠ مليار دولار أمريكي، ولكنها بلغت ٥٣,٩ مليار دولار وفق تصريح روبرت ريشور، المسئول عن قسم الموازنة في الكونغرس الأمريكي، في حين أشير إلى أن التكاليف الفعلية لم تتجاوز ٤٨ مليار دولار أمريكي. وقد شاركت بعض الدول بالمساعدات المالية التالية: ١٤٨

السعودية	١٦,٨ مليار دولار أمريكي
الكويت	١٦,٠ مليار دولار أمريكي
الإمارات	٣,٠ مليار دولار أمريكي
اليابان	١٠,٧ مليار دولار أمريكي
ألمانيا	٦,٦ مليار دولار
كوريا الجنوبية	٠,٤ مليار دولار
الإجمالي	٥٣,٥ مليار دولار

---

١٤٨ قارن: - الشاذلي، سعد الدين فريق عسكري. الحرب الصليبية الثامنة. الجزء الأول. ط ١. الدار البيضاء. مطبعة النجاح الجديدة. ١٩٩٢. ص ١٨٤.

- كرم، كمال. أية ملامح لأي عالم جديد؟ مجلة "الفرسان" تصدر في فرنسا. العدد ٦٨٤ الاثنين ١٨ آذار/مارس ١٩٩١. ص ٣٧. المجلة.

إلا أن السعودية قد قدمت مبالغ إضافية على شكل خدمات ومساعدات مالية إلى سوريا وتركيا وصل حجمها الإجمالي مع ما قدم مباشرة للإدارة الأمريكية بحوالي ٤٨ مليار دولار. ١٤٩

وعلى العموم فأن الربح الأمريكي لا يكمن في ما ورد لها من مساعدات، بل ما تحقق لها من منافع سياسية واقتصادية في أعقاب الحرب.

٩. وكانت هناك فائدة مهمة بالنسبة للولايات المتحدة وإسرائيل برزت في جانبين، وهما: أ) تفاقم التباين في مواقف الدول العربية الذي بدأ أكثر وضوحاً بعد غزو الكويت ثم تفاقم في ضوء قرار الحرب وخوضها والعواقب التي ترتبت عليها “ ب) تنامي الصراع بين حكومات الدول العربية وشعوبها والذي يضع الحكومات العربية تحت رحمة الدعم الأمريكي وحمايتها.

١٠. ورغم الصواريخ المحدود وغير المؤثرة التي سقطت على إسرائيل خلال تلك الحرب، فأن الحرب قد نبهت الولايات المتحدة وإسرائيل إلى ثلاث مسائل مهمة، وهي: أ) أهمية تعزيز الدفاعات الإسرائيلية في مواجهة الصواريخ التي يمكن أن تطلق عليها من الدول العربية، والتي تزودت بها فيما بعد إسرائيل من ألمانيا والولايات المتحدة “ ب) منع امتلاك الدول العربية أو إيران لأية أسلحة يمكن أن تكون أكثر قدرة هجومية أو دفاعية في مواجهة إسرائيل، وخاصة السلاح النووي “ ج) فرض الرقابة المشددة على اتجاهات التطور المعادية لإسرائيل في بعض الدول العربية وإيران، وخاصة بين سوريا وإيران، رغم مشاركة سوريا في الحرب لتحرير الكويت.

الاتجاه الثاني: ويمكن بلورته في نقاط ملموسة، نشير فيما يلي إلى أهمها:

١. لقد خلقت الولايات المتحدة بخوضها حرب الخليج الثانية مشاعر متناقضة لدى الشعوب العربية. فهي من جانب قد وجدت الترحيب والتقدير من جانب الشعب الكويتي وشعوب الخليج والسعودية التي قدرت أن هذه الحرب قد أنقذت المنطقة من محاولات زرع

---

١٤٩ الشاذلي، سعد الدين. الحرب الصليبية الثامنة. مصدر سابق. ص ١٨٤.



الفتنة الصدامية بين شعوبها والهيمنة عليها باسم العروبة والوحدة، وهي التي خدعت به في حربه ضد إيران، الحرب التي أطلق عليها بحرب القادسية وحرب الدفاع عن البوابة الشرقية للأمة العربية والدفاع عن الوطن العربي من "الفرس المجوس والشعوبية"! ولكن هذه الحرب لم تفهم كذلك من جانب شعوب عربية أخرى في مصر والأردن وسوريا ولبنان والسودان وليبيا ودول المغرب، إذ اعتبرت بأنها حرب لضرب القوى المعادية لأمريكا في المنطقة، إذ أنها كانت مأخوذة بالدعاية الصدامية التي سعت إلى نشر دعايتها عبر سفاراتها وتنظيماتها الحزبية في تلك الدول. أما الشعب العراقي الذي لم يرحب بغزو واحتلال الكويت، إلا من بعض القوى البعثية وبعض المهوسين بالوحدة العربية حتى عبر الغزو الحرب والعدوان، لم يرحب بالحرب خشية على عواقبها على الإنسان العراقي وعلى اقتصاد البلاد. وازداد كرهه للإدارة الأمريكية حين تخلت عن دعمه في انتفاضته ضد النظام، في وقت كانت الإدارة الأمريكية تهرج وتطبل ضد صدام حسين وتدعو إلى إسقاطه، وحين آن الوقت لذلك وتركته وحيداً يعاني مرارة القتل والتدمير على أيدي الحرس الجمهوري وأجهزة البعث القمعية الأخرى. وعلى العموم يمكن القول بأن غالبية سكان الدول العربية، من عرب وغير عرب، لم تكن ترحب بالحرب بل رفضتها.

٢. ليست الحرب وحدها هي التي أثارت الناس في العراق وغالبية الدول العربية، بل الذي أثارها ثلاث مسائل اقترنت بالحرب المذكورة، وهي: أ) القسوة والرغبة الصارخة في قتل أكبر عدد من الناس في المعارك الجارية، وخاصة تلك القوات العسكرية الهاربة من ساحات القتال والتي تركت أسلحتها ومعداتها على قارعة الطريق هرباً من جحيم النيران الكثيفة لقوات التحالف وخاصة القوات الأمريكية "ب) التدمير الهائل لمؤسسات البنية التحتية للاقتصاد العراقي وخاصة الجسور والكهرباء وخزانات مياه الشرب والمشاريع الصناعية، إذ أعادت قوات التحالف الدولي العراق إلى فترة ما قبل بدء التصنيع في العشرينات من القرن العشرين، ومثل هذا التدمير لم يكن ضرورياً وبالشدّة والشمولية التي جرت عليها "ج) وقد تجلت في هذه الحرب روح الانتقام والعداء المستحکم ضد الشعب العراقي والذي تجلّى في التصريح السيئ الذي أدلى به نورمان شوارتزكوف حين أشار إلى أنه عقوبة ضد

تأييد المدنيين العراقيين لسياسة صدام حسين في احتلال الكويت، وقد تحدثنا عنه في مكان آخر من هذا الكتاب.

٣. لقد أدركت الشعوب العربية طبيعة العوامل الكامنة وراء الحرب والدافعة لإشغالها، فالولايات المتحدة لم تكن من حيث المبدأ ضد النظام البعثي بل تعاونت معه وقدمت له كل الدعم في حربه ضد النظام الإيراني، ولكنها تحولت عنه لتعارض في المصالح التي تحدثنا عنها سابقاً. وبمعنى آخر لم تكن مصالح الشعوب العربية هي السبب وراء الحرب بل مصالح الولايات المتحدة التي تهددت بسبب سياسات النظام، رغم القناعة لدى الناس بأن هذه المصالح كان بالإمكان الحفاظ عليها دون تلك الحرب.

٤. إن هذين العاملين يعنيان بوضوح أن سمعة الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط تدهورت وأصبحت في الحضيض، وأصبح العداء للولايات المتحدة سمة صارخة ومودة تتزايد القوى والأحزاب السياسية عليها لكسب الناس إلى جانبها. وهذا الموقف ليس بدون سبب وليس بسبب الحرب ضد النظام العراقي، بل بسبب سياساتها في منطقة الشرق الأوسط والموقف من القضية الفلسطينية وإسرائيل، إضافة إلى مواقفها التساومية الشديدة مع النظم الرجعية على حساب حقوق الإنسان وحقوق القوميات المنتهكة. وتقدم صيغة الموقف من الحقوق القومية الكردية في كردستان تركيا نموذجياً إضافياً لما يجري في فلسطين المحتلة أ استمرار احتلال الجولان السوري ومزارع شبعا من قبل إسرائيل.

٥. وقد كانت لهذه الحرب عواقب وخيمة على الإنسان والبيئة والحيوانات، ومنها الطيور والأسماك، التي كانت قد وجدت في بيئة المنطقة ومياهاها مكاناً آمناً لها منذ قرون طويلة، لثلاثة أسباب، وهي: أ) إشعال النظام العراقي الحرائق بعدد كبير من آبار النفط الكويتية وهي سياسة انتقامية إجرامية ألحقت أضراراً كبيرة بالبيئة والطيور والأسماك والإنسان وكلفت خسائر مالية فادحة، إضافة إلى تكاليف إطفاء الحرائق وإعادة العمل بتلك الآبار “ ب) استخدام القوات الأمريكية لأسلحة وأعددة محرمة دولياً مثل الخراطيش المخضبة باليورانيوم أو القنابل الانشطارية والعنقودية التي أدت ليس إلى موت الكثير من البشر حسب، بل وإلى إصابة الناس بأمراض جديدة لم تكن موجودة في العراق أو بولادات مشوهة

في العائلات العراقية، وخاصة في البصرة، وفي المجندات أو نسوة المجندين الأميركيين وغيرهم “ (ج) ضرب المنشآت الكهربائية والمائية وترسانات الأسلحة والمصانع التي دمرت والتي أطلقت الكثير من الغازات والتلوث في المياه والأرض والزراعة والتي تسببت في بروز الكثير من الأمراض والعاهات التي لا يزال يعاني منها الأطفال على نحو خاص.

## الفصل الثالث

# الواقع الاقتصادي والاجتماعي في العراقي في الفترة بين غزو الكويت وسقوط النظام

### المبحث الأول:

#### الواقع الاقتصادي في ظل الدكتاتورية

حين انتهت حرب الخليج الأولى التي دامت قرابة ٨ سنوات وجد الناس أنفسهم أمام حالة غريبة حقاً، شعروا لتوهم بكارثة الحرب الحقيقية وعواقب إرهاب السلطة وأجهزتها القمعية المتعددة وسياساتها الاقتصادية والاجتماعية وتنامي دور العشيرة وتأثيرها على الحياة اليومية للإنسان العراقي وحجم الإحساس بالظلم والاضطهاد من جانب الشعب الكردي والکرد الفيلية والعرب في الوسط والجنوب، وكأنهم قد أفاقوا لتوهم من صدمة شديدة أطاحت بصوابهم وأدخلتهم في غيبوبة عن الواقع ثم الاندهاش الذي بدا على وجوههم بسبب فقدانهم أما الأب أو الأخ أو الابن أو الأخت أو الأم أو الزوجة أو الأقرباء الآخرين أو العائلات بكاملها، أما بسبب الموت على جبهات القتال، وإما عبر القصف الجوي والمدفعي، وإما في زنايات النظام أو دفنوا في قبور جماعية أحياءً وأمواتاً، التي كان الناس يعرفون بها وتتسرب أخبارها عبر أجهزة الأمن ذاتها أو عبر حفاري تلك القبور ولا يتحدثوا عنها خشية الموت المحتم، وإما بسبب هروبهم من الجيش أو من أجهزة الأمن والهجرة إلى بلدان أخرى، وإما بسبب تهجير قسري فرض عليهم نحو الخارج أو إلى مدن غير المدن التي ولدوا وعاشوا فيها. كما أحسوا بضغط البطالة والحرمان والبؤس وتراجع شديد في الخدمات وتعطل المنشآت الصناعية وتراجع شديد في المساحات المزروعة والإنتاج الزراعي. ودخل الناس في طور جديد من التفكير الأكثر هدوءاً بما أصيبوا به خلال الفترة المنصرمة والعواقب الوخيمة التي تحملها كل فرد عراقي والمجتمع بأسره ومصاعب الحياة

الاقتصادية والاجتماعية. وبدأ الناس يطمون من جديد بحياة أفضل بعد أن توقفت الحرب وقدروا أن بدأت مرحلة مداواة جراح المجتمع وخراب الاقتصاد الوطني وتدهور الأوضاع المعيشية وظروف العمل والبطالة الواسعة، وأن يبدأ الاقتصاد الوطني بالانتعاش من خلال موارد النفط المالية وإعادة بناء ما خربته الحرب الطويلة في القطاع الصناعي والخدمات والبنية التحتية والزراعة والصناعات الحرفية بعد أن بدأ النفط يتدفق بقوة وينساب بسرعة عبر موانئ التصدير أو خطوط الأنابيب إلى مختلف بقاع العالم.

وما أن بدأ الناس يعيدون التفكير بترتيب أوضاعهم لفترة ما بعد الحرب حتى بدأ النظام انتهاج سياسة جديدة لم تكن غريبة عن طبيعته العدوانية وذهنيته التوسعية واستخدام القوة في تحقيق الأهداف مهما كانت غير شرعية، فكان غزو الكويت وما نشأ عنه من حرب دموية من طرف واحد وانتهت بكارثة رهيبة للاقتصاد والمجتمع ليس بسبب الحرب، على هول الخراب والموت اللذين تسببت بهما، حسب، بل وبسبب الحصار الاقتصادي الدولي الذي قرر مجلس الأمن الدولي فرضه بعد غزو الكويت واحتلالها مباشرة وبعد رفض العراق تنفيذ قرار سحب قواته العسكرية من الكويت. فماذا حل بالاقتصاد العراقي؟ وما هي العواقب الوخيمة التي تسببت بها تلك السياسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسات الداخلية والخارجية التي مارسها النظام بالنسبة للفرد العراقي والمجتمع خلال الفترة الواقعة بين بدء الغزو وصدور قرار الحصار في العام ١٩٩٠ وبين سقوط النظام في العام ٢٠٠٣؟

كل الدلائل والمؤشرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية اشير بما لا يقبل الشك إلى أن هذه الفترة كانت أسوأ الفترات التي مر بها الشعب العراقي طيلة تاريخه الحديث الذي بدأ مع نهاية الحرب العالمية الأولى وبعد تشكيل الدولة العراقية في العام ١٩٢١. لقد كانت سنوات عجاف مريرة وقاهرة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وصحياً وثقافياً وبيئياً وعلاقات عربية وإقليمية ودولية وعربية.

لم يكن النظام العراقي مستعداً للكشف عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المزرية التي كان الشعب العراقي يعيش تحت وطأتها ولا ينشر الإحصائيات الخاصة بواقع واتجاهات تطور الاقتصاد العراقي ومستوى معيشة الأفراد، إذ كان يعتبرها سرية ويعاقب

من ينشر منها بأشد العقوبات باعتبارها كشفاً لإسرار الدولة. إلا أن تدهور الأوضاع المعيشية للسكان على نحو دراماتيكي بعد مرور عدة سنوات على فرض الحصار الاقتصادي، أجبرت النظام على الموافقة على إعداد تقرير عن الواقع الاقتصادي والمعيشي في العراق وحاجات المجتمع إلى دعم الأمم المتحدة بهدف الضغط على المجتمع الدولي لرفع الحصار عن العراق وتقديم المساعدات له. ومع ذلك يصعب الاعتماد على الأرقام الحكومية، إذ أن صدام حسين كان يلزم أجهزة الإحصاء المركزية وعبر أجهزته الخاصة بوضع معلومات تملئ على تلك الأجهزة<sup>١٥٠</sup>. وكان أول نشر واسع نسبياً للمعلومات صدر في تقرير أعدته مجموعة من الاقتصاديين العراقيين الأعضاء في جمعية الاقتصاديين العراقيين والعاملين في أجهزة الدولة الاقتصادية والمالية لصالح برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في العراق وتحت عنوان "تقرير التنمية البشرية - ١٩٩٥ -". تكشف هذه الدراسة المهمة عن عمق وشدة الاختلالات في الاقتصاد العراقي وعن مظاهر التدهور والأزمة المديدة التي آل إليها الاقتصاد والمجتمع والمشكلات المعقدة التي نشأت عنها، وخاصة خلال السنوات السبع الأخيرة.<sup>١٥١</sup> ورغم أن كاتب التقرير بذلوا جهداً كبيراً من أجل توجيه الأنظار صوب النجاحات التي يرون أنها تحققت للعراق خلال سني العقد الثامن والنصف الأول من العقد التاسع وحاولوا الحديث عن خطط التنمية الانفجارية التي صرفت فيها

---

١٥٠ من المفيد هنا ذكر حادثة تعبر عن سلوكية قادة النظام الاستبدادي إزاء العمل الإحصائي وكيف كان التصرف مع أجهزة الإحصاء في العراق. في اجتماع واسع ومنقول عبر قناة التلفزيون العراقي قال صدام حسين بأن على أجهزة الإحصاء والدولة والمجتمع أن تؤيد ما يقوله قاداته. فمثلاً قال بريجنيف مرة أن إنتاج الحنطة بلغ كذا وان الإنتاجية كذا. وكان على أجهزة الإحصاء تسجيلها وتأكيدا، رغم إنها من عندياته. وفي العراق عندما يقول صدام حسين أن سكان العراق في العام ١٩٧٧ هو ١٢ مليون، فما على أجهزة الإحصاء والتخطيط إلا أن تؤكد صحة هذا الرقم وتستخدمه في الإحصاء السمي. وهكذا كان وأهملت أرقام جهاز الإحصاء المركزية التقديرية على وفق أسلوب وطريقة خاصة في احتساب معدلات النمو السنوية بما يساعد على تجنب ارتكاب أخطاء كبيرة. ك. حبيب

١٥١ رسول، فائق على د. العراق - تقرير التنمية البشرية - ١٩٩٥ -، جمعية الاقتصاديين العراقيين.

بغداد. ١٩٩٥.

مبالغ طائلة حقا وباتجاهات تذبذبية وبذخية يصعب تصورها، فأُنهم عجزوا عن إخفاء حقائق أساسية يكشف عنها اتجاه التطور الاقتصادي والاجتماعي في العراق، واعني بذلك:

- الخسائر البشرية الهائلة التي لحقت بالعراق من جراء حربي الخليج الأولى والثانية.
- التطور المشوه والوحيد الجانب لبنية الاقتصاد والمجتمع في العراق.
- العواقب المدمرة التي نجمت عن سياسة النظام الاقتصادية والاجتماعية طيلة الفترة المنصرمة وتجلياتها في الواقع العراقي الراهن.
- العواقب المرعبة التي نجمت عن خوض حريين مدمرتين خلال عقد واحد من السنين تقريبا، إضافة إلى معارك عسكرية مستمرة طوال الفترة المنصرمة في الداخل.
- الاستنزاف غير المسؤول والفضائحي لموارد العراق المالية والنفطية في اتجاهات بذخية وتذبذبية وسياسات غير عقلانية مضرّة بمصالح العراق الآنية وذات المدى البعيد والتي تجلت في تراجع معدلات النمو الاقتصادي وتقلص شديد في حجم الإنتاج الإجمالي والدخل القومي، وإنتاجية العمل ومستوى معيشة السكان الخ..“
- الخسائر الحضارية الكبيرة التي لحقت بالشعب العراقي من جراء سياسات النظام الداخلية والعربية والدولية.

وإذا كان التقرير يتوقف عند أوضاع العراق حتى العام ١٩٩٣ وأن إعداده قد تم وانتهى في العام ١٩٩٥، فأُن الفترة التي لحقت ذلك قد تفاقمت أكثر فأكثر رغم البدء باستخدام قانون النفط مقابل الغذاء. ويمكن ملاحظة ذلك عند متابعة التدهور الذي أصاب الناتج المحلي الإجمالي بسبب انقطاع تصدير النفط الخام بشكل خاص وبسبب توقف نسبة عالية جدا من المنشآت الصناعية وخروج مساحات واسعة من الأراضي الصالحة للزراعة من دائرة الإنتاج الزراعي وتراجع الإنتاج النباتي والحيواني وخسارة المزيد من الغابات وتدهور في إمكانيات صيد الأسماك، إضافة إلى التراجع الشديد في حقول البناء والتشييد والنقل والمواصلات والصحة والتعليم والثقافة وبقية الخدمات الاجتماعية. فأرقام الإنتاج المحلي الإجمالي المتوفرة تشير إلى الواقع التالي:

## جدول رقم ١

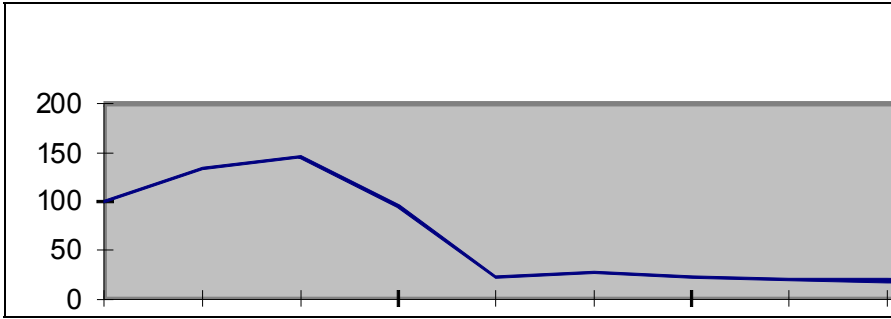
تطور النفوس والنتاج المحلي الإجمالي ومتوسط حصة الفرد الواحد منه

في السنة والرقم القياسي له في العراق بين ١٩٦٠ و١٩٩٦

السنة	النتاج المحلي الإجمالي م.د.ع.	نفوس العراق مليون نسمة	متوسط حصة الفرد الواحد من الناتج م.الإجمالي د.ع.	الرقم القياسي *١٩٦٠=١٠٠
١٩٦٠	٥٦٥	٦,٩	٨١٨٨	١٠٠,٠
١٩٧٠	١٠٣٨	٩,٥	١٠٩٢٦	١٣٣,٤
١٩٨٠	١٥٨٠٠	١٣,٢	١١٩٧٠	١٤٦,٣
١٩٩٠	١٣٨٦٣	١٧,٩	٧٧٤٥	٩٤,٦
١٩٩١	٣٥٤٨	١٨,٤	١٩٢٨	٢٣,٥
١٩٩٢	٤٠٩٤	٩,١٨	٢١٦٦	٢٦,٥
١٩٩٣	٣٥٤٤	١٩,٠	١٨١٧	٢٢,٢
١٩٩٤	٣٣٦٧	٢٠,٠	١٦٨٣	٢٠,٦
١٩٩٥	٣١٦٥	٢٠,٥	١٥٤٤	١٨,٩
١٩٩٦	**٣٠٠٧	٢٠,٥	١٤١١	١٧,٢
١٩٩٧		٢١,٣		

- المصدر: (١) النصراوي، عباس د.: الاقتصاد العراقي، دار الكنوز الأدبية- بيروت ١٩٩٥، ص ٢٥
- (٢) الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي. الحسابات القومية للبلدان العربية ١٩٧٥-١٩٨٧ وتقديرات ١٩٨٨. الجزء الثاني - الجداول التجميعية، الكويت - مايو - ١٩٨٩. ص ٧.
- (٣) التقرير الاقتصادي العربي الموحد ١٩٩١. صندوق النقد العربي. الكويت. ص ١٦٤.
- (٤) التقرير الاقتصادي العربي الموحد ١٩٩٦. صندوق النقد العربي. الكويت. ص ٢٣١.
- (\* الرقم القياسي لمتوسط حصة الفرد الواحد من الناتج المحلي الإجمالي.
- \*\* تقديرات الباحث في ضوء اتجاهات التطور خلال السنوات التي أعقبت حرب الخليج الثانية.





ومنه يتبين بوضوح ان متوسط حصة الفرد الواحد من الناتج المحلي الإجمالي كان في عام ١٩٩٠ ادنى من مستواه في عام ١٩٦٠، بنسبة قدرها ٥,٧٪. الا ان هذه الحصة تدهورت عاما بعد عام لتصل في عام ١٩٩٣، وفق الأرقام الرسمية، إلى حوالي ٢٢,٢٪ من مستواها في عام ١٩٦٠، وإلى ١٧,٢٪ وفق تقديرات عام ١٩٩٥، وبلغت ٢٢,٢٪ عام ١٩٩٦ بالمقارنة مع مستواها في عام ١٩٦٠. وهذا يعني ان متوسط حصة الفرد الواحد من الدخل القومي قد تراجعت هي الأخرى كثيرا وبنفس مستويات الناتج المحلي الإجمالي تقريبا.<sup>١٥٢</sup>

١٥٢ تأثير سياسة النظام الاقتصادية والحروب والحصار الدولي على المتوسط السنوي

لحصة الفرد الواحد من الدخل القومي في العراق (بالأسعار الثابتة لعام ١٩٨٠)

السنة	المتوسط السنوي / دولار \$
١٩٥٠	٦٥٠
١٩٦٠	١٢٦٠
١٩٧٠	١٧٥٠
١٩٧٩	٤٢٢٠
١٩٨٠	٤٠٨٠
١٩٨٩	١٤٧٠
١٩٩٠	٨٧٠
١٩٩٣	٥٠٠

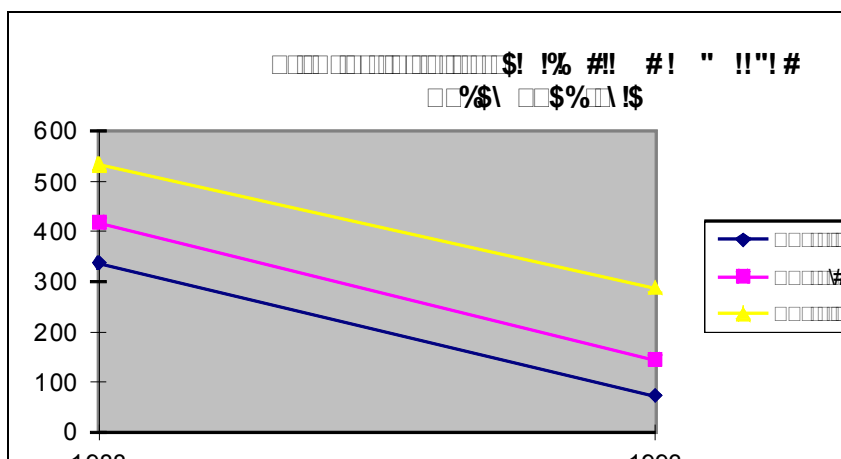
المصدر: عباس النصرأوي، محاضرة في فيينا، نظمتها الهيئة الأستشارية العراقية، في خريف ١٩٩٥

وتشير الإحصائيات الرسمية إلى ان معدلات مدخولات الأسر الشهرية قد تراجعت ليس فقط بالقياس إلى اعوام العقد الثامن وسنوات النصف الأول من العقد التاسع، حيث كانت الحرب العراقية-الإيرانية على أشدها، بل وكذلك عن مستواها في سنوات النصف الثاني من العقد التاسع، وبخاصة في العام الأخير من تلك الحرب، رغم الأرتفاع الذي حصل في مدخولات العراق من النفط الخام المصدر في عام ١٩٨٩. ويمكن للأرقام التالية ان توضح هذه الحقيقة:

جدول رقم ٢  
معدلات دخل الأسر الشهرية بالدينار العراقي

التفاصيل	١٩٨٨	نسبة الأسر إلى المجموع	١٩٩٣	نسبة الأسر إلى المجموع
الدخل دون المتوسط	٣٣٧,٤	٥٦,٠	٧٣,٩	٦٢,٠
الدخل المتوسط	٤١٧,٧	٧,٥	١٤٤,٩	٦,٣
الدخل فوق المتوسط	٥٣٣,٢	٣٦,١	٢٨٨,٥	٣١,٠

المصدر: رسول، فائق علي د. تقرير التنمية البشرية في العراق ١٩٩٥. بغداد. جمعية الاقتصاديين العراقيي. ١٩٩٥. ص ٧٤.



وكل الدلائل كانت تشير إلى ان عام ١٩٩٦ لم يكن أحسن حالا من عام ١٩٩٣ بل أسوأ من ذلك بكثير حيث أُجبرت الكثير من العائلات إلى بيع الكثير من مدخراتها العينية السابقة وسياراتها الخاصة وأثاث بيوتها أو حتى دور سكنها. وإذا كان الناس في مدينة بغداد مثلا يعرفون أماكن محددة لبيع الأثاث والملابس والحاجيات العتيقة في الفترات التي سبقت حربي الخليج الأولى والثانية، مثل سوق هرج القريب من وزارة الزراعة وعلى مقربة من ساحة الميدان حيث كان باعة متخصصون يقومون بهذه المهمة، فأن الناس بعرفون اليوم أماكن كثيرة لهذا الغرض ويمارسونه بأنفسهم حيث يعرضون حاجاتهم الخاصة للبيع في سبيل الحصول على مورد مالي إضافي لتغطية نفقاتهم اليومية. وهذه الظاهرة غير مقتصرة على بغداد فحسب، بل تشمل جميع المدن العراقية بدون استثناء. ومما يعمق من أزمة السكان المعاشية اتساع ظاهرة البطالة حتى بلغ تقدير نسبة البطالة في عام ١٩٩٦ بأكثر من ٥٥٪ من إجمالي القوى القادرة على العمل في العراق.

وتلعب التقلبات الحادة في سعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار دورا كبيرا في زيادة تعاسة الناس وتقليص قدراتهم الشرائية. وإذا كان عام ١٩٨٨ قد عرف لأول مرة تراجعاً ملموساً في سعر صرف الدينار العراقي مقابل الدولار الأمريكي فأن عام الحرب الخليجية الثانية وبعد غزو الكويت وفرض الحصار الدولي عرف تدهوراً جديداً في سعر صرفه. وتفاقم ذلك في السنوات التالية حتى نهاية عام ١٩٩٦. فعلى سبيل المثال لا الحصر بلغ سعر الصرف للدولار الواحد في كانون الثاني عام ١٩٩٠ حوالي ٣,٢ دينار واصبح في كانون الثاني من عام ١٩٩٣ حوالي ٣٧,٧ دينار وفي كانون الثاني عام ١٩٩٥ بلغ حوالي ٧٠٦ دينار وفي كانون الثاني من عام ١٩٩٦ وصل إلى حوالي ٢٩٨٧ دينار للدولار الأمريكي الواحد. وهو أدنى مستوى له خلال السنوات العشر الأخيرة. وتراوح معدل سعر الصرف للدينار العراقي في منتصف عام ١٩٩٧ بين ١٢٠٠ و ١٦٠٠ دينار، وتراجع في النصف الثاني من العام نفسه ليتراوح بين ٢٢٠٠ و ٢٦٠٠ دينار مقابل دولار أمريكي واحد. وتشير معلومات الشهر الأول من عام ١٩٩٨ إلى ان سعر الدولار الأمريكي كان يتراوح بين ١٧٠٠-١٨٠٠ دينار عراقي. ويفترض ان تشير إلى عاملين لعبا دورهما المباشر في مثل هذا التضخم

الانفجاري وهما: الواقع الموضوعي الذي ارتبط بشحة المواد الغذائية وتراجع الخدمات من جهة، والدور الذي مارسته الدولة في إصدار كميات كبيرة من العملة لتحقيق السيولة النقدية في الاقتصاد العراقي ومن أجل تأمين حصولها على العملة الصعبة لأغراض الأستيراد أو الصرف على أغراضها، إضافة إلى التأثير المباشر على القدرة الشرائية للغالبية العظمى من السكان من جهة أخرى. ويهمنا ان نذكر هنا إلى ان الراتب التقاعدي لمعلم تبلغ سنوات خدمته ٢٥ سنة لا يزيد عن عدة الاف من الدنانير لكل ثلاثة شهور مثلا، وان راتب عدد كبير من المهندسين يتراوح بين ١٠٠٠٠-١٨٠٠٠ دينار في الشهر، وان راتب المهندس العامل في الطاقة الذرية يصل إلى حدود ٢٥٠٠٠ دينار في الشهر، ولكن رواتب الغالبية العظمى من الموظفين لا تزيد عن عدة آلاف من الدنانير، أي عدة دولارات لا غير.

### جدول رقم ٣

#### تغير سعر الصرف للدينار العراقي مقابل الدولار الأمريكي

السنة	١٩٦١	١٩٦٩	١٩٧١	١٩٧٣	١٩٩٥	١٩٩٦	١٩٩٧
سعر صرف الدينار مقابل الدولار	٠,٦	٢,٦	٣	٣٧,٧	٧٠,٦	٢٠٠	١٦٠٠

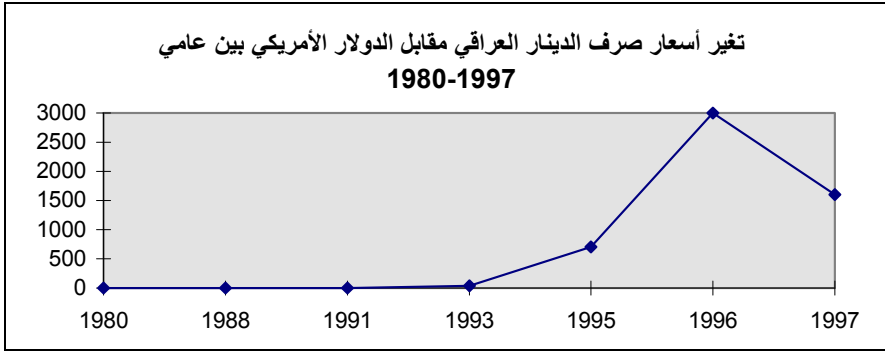
المصدر: الصحافة العراقية العلنية منها والسرية خلال الفترة موضوع البحث.

أنظر أيضا:

Peter Boone· Haris Gazdar and Athar Hussain. Sanction against Iraq: Costs of Failure. Repor prepared for the Cener of Economic and Social Rights on the impact of United Nations-imposed economic sanctionson the economic well-being of the civilian population of Iraq. 153

153 Haris Gazdar. The Economic under Sanctions. University of Exeter. Centre for Arab Gulf Studies. International Conference in Collaboration with the Iraqi Economic Forum on Frustrated Development: The Iraqi Economy in war and in peace. 9-11 July 1997. Figure 1.

للتقرير الاقتصادي العربي الموحد. سبتمبر ١٩٩٦. الكويت. ص ٢٣٩-٢٤١.



ان ما كان وما يزال يخفف نسبيا من وطأة الغلاء الفاحش على الكادحين والفقراء من أبناء الشعب تطبيق نظام التموين الحكومي بالبطاقات الذي مارسه النظام في الفترات الأخيرة من الحرب العراقية - الإيرانية بمستوى معين ثم طبق بشكل متواصل منذ فرض الحصار الاقتصادي الدولي على العراق بعد غزوه الكويت. ووفق هذا النظام التمويني شبه العسكري سعى النظام إلى ضمان ثلاث مسائل مهمة هي:

- تقنين الاستهلاك الشعبي للسلع المتوفرة في البلاد وتأمين وجود الحد الأدنى من السلع الأساسية لأطول فترة ممكنة“

- ضمان تموين السكان بالحد الأدنى الممكن والمدعم من قبل الدولة“

- توفير تلك السلع الأساسية بأسعار مناسبة ومنسجمة نسبيا مع المدخولات الشهرية للناس.

وقد تمكن النظام من السيطرة الفعلية على عملية التموين وضبطها والنجاح بتأمينها نسبيا، رغم ان إيصال المواد لإجهزة النظام الخاصة كانت تمارس بطريقة أخرى وبكميات أكبر من الحصص التموينية المقررة. وقد نجح النظام في تحقيق هذه العملية بسبب الهيمنة التي كانت قد تحققت للنظام على المجتمع من خلال أجهزة القمع في مختلف المدن والمحلات. ولا بد لنا من أدراك حقيقة التلاعب الذي يحصل في مثل هذه النظم وفي ظل الأوضاع الاستبدادية التي كانت وما تزال تسود العراق وتفشي الفساد والرشوة والمحسوبية والمنسوبية. وحسب المعلومات المتوفرة فقد تغيرت الحصص التموينية للفرد

الواحد خلال الفترة المنصرمة بشكل محدود. ويمكن للجداول التالية توضيح ذلك. وكان النظام يعتمد إلى شئ حملات تفتيشية واسعة بين فترة وأخرى ضد بعض التجار المتعاملين في السوق السوداء الذين يلجأون إلى بيع سلعهم بأسعار تفوق ما هو مقرر لها، أو إصدار أحكام بالإعدام على عدد كبير من التجار، كما حصل أكثر من مرة، من أجل بث الرعب في نفوس الناس. وكانت مثل هذه الإجراءات الإرهابية اللا إنسانية تمارس عندما تكون روائح العفونة والفساد قد عمت ولم يعد ممكنا سترها.

#### جدول رقم ٤

كميات وأسعار التموين الحكومي الشهري للفرد الواحد من السلع الأساسية

الكمية للفرد الواحد والسعر في عام ١٩٩٦		الكمية للفرد الواحد والسعر في عام ١٩٩٥		الكمية للفرد الواحد والسعر في عام ١٩٩١		المادة
السعر	الكمية	السعر/فلس	الكمية	السعر/فلس	الكمية	
٥٠٠٠	٧	٨٥٠	٧	٢٤٠	٨	الطحين (كغم)
١٢٥٠٠	١,٢٥	١٢٥٠٠	١,٢٥	٤١٠	١,٥	الرز (كغم)
٢٢٥٠٠	٠,٧٥	٥٨٠	٠,٧٥	١٠٣٠	٠,٢٥	زيت الطعام (لتر)
٤٠٠٠	٠,١	٤٠٠٠	٠,١	٢٣٧٠	٠,٢٥	شاي أسود (كغم)
٥٠٠٠	٠,٥	٥٠٠٠	٠,٥	٤٠٠	١,٥	سكر (كغم)
١٥٠٠	١,٥	٦٩٠	١,٥	-	٠	صابون (قطعة)
٤٥٠٠	٠,٢٥	٤٥٠٠	٠,٢	-	٠	مسحوق الغسيل (كغم)
٣٢٠٠	١,٨	٣٢٠٠	١	٢٢٢٠	١,٨	حليب الأطفال (كغم)

المصدر: طريق الشعب، العدد ٨ / السنة ٦١ / أواسط آذار، ص ٢١٩٩٦  
 \* شهر آب/أغسطس ١٩٩١ "شهر حزيران/يونيو ١٩٩٥" شهر آذار/مارس ١٩٩٦

ومنه يستدل بأن كمية التموين قد تقلصت بشكل ضئيل عموماً خلال الفترة بين ١٩٩١ و١٩٩٦، رغم ان تأثيرها كان كبيراً على العائلات الكادحة والفقيرة. وفي عام ١٩٩٧ اتخذ النظام قراراً بزيادة الحصاة التموينية للفرد الواحد في أعقاب البدء بتنفيذ القرار ٩٨٦ في كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٦. وقد تقرر جعل الحصاة التموينية الشهرية للفرد الواحد على النحو التالي كما في الجول رقم ٥.

#### جدول رقم ٥

الحصاة التموينية الشهرية للفرد الواحد لبعض أشهر عام ١٩٩٧ (كغم)

المادة	أذار/مارس	حزيران/يونيو	تشرين ١/اكتوبر
طحين	٩,٠	٩,٠	٩,٠
رز	١,٢٥	١,٢٥	١,٢٥
سكر	٥,٠	٥,٠	٢,٠
زيت الطعام (لتر)	٠,٧٥	١,٠	٠,٧٥
شاي	٠,١	٠,١	٠,١٥
صابون (قطعة)	١,٥	١,٥	١,٥
مساحيق الغسيل	٠,٢٥	٠,٢٥	٠,٢٥
بقوليات			٠,٤٠
ملح الطعام	—	٠,١٥	—

المصدر: طريق الشعب، العدد ٣-٤ / السنة ٦٣، أيلول/تشرين الأول ١٩٩٧، ص ٥

الا ان أوضاع السكان المعاشية والتغذية الفعلية والمواد الاستهلاكية الأخرى التي كانت وما تزال توزع على الناس، والتي تقلصت في الفترات الأخيرة بسبب توتر الأوضاع الداخلية وتساعد صور المجابهة مع الولايات المتحدة الأمريكية، فأنها لم تكن كافية الا لأيام معدودات من الشهر. وكانت العائلات مجبرة على دفع مبالغ طائلة لا طاقة لها عليها لشراء السلع الضرورية من السوق السوداء التي كانت الأسعار فيه متقلبة وفق الأوضاع السياسية وحالة السوق والعلاقة بين الأمم المتحدة والعراق. وكانت هذه الحالة المعاشية الصعبة واحدة من ابرز أسباب الهجرة الواسعة للعراقيين إلى خارج البلاد.

وفي ضوء كل ذلك يمكن تقدير القوة الشرائية المتدهورة جدا للدينار العراقي وبالتالي مقارنتها مع مستويات الدخل الشهرية والسنوية للأفراد والعائلات وبخاصة الكادحة والمتوسطة منها ثم تقدير آثارها الكارثية على الغالبية العظمى من سكان العراق. فالدخل الشهري للأسرة العراقية في عام ١٩٩٣ كان لا يكفي حتى لشراء طبقة من ثلاثين بيضة في الشهر حيث تراوح سعر البيضة الواحدة بين ٧٥ و ١٠٠ دينار. وتشير الأرقام الخاصة بأسعار بعض السلع والمواد الاستهلاكية الضرورية للسكان في سوق مدينة الموصل، التي لا تبعد كثيرا عن أسواق تصريف السلع المهربة إلى كردستان العراق من كل من تركيا وسوريا وإيران، كانت على النحو التالي في نهاية عام ١٩٩٦:



جدول رقم ٦

أسعار المفرد لبعض المواد الغذائية الأساسية في السوق السوداء في الموصل

المادة	السعر/ د.ع. لكل كغم واحد	المادة	السعر/ د.ع. لكل كغم واحد	المادة	السعر/ د.ع. لكل كغم واحد
دهن	١٨٠٠	برغل	٣٠٠	طحين صفر *	٢٥٠
سكر	٧٧٥	فلفل أخضر	١٢٥	بيضة واحدة	١٠٠
شاي	٣٠٠٠	لومي حامض	٣٢٥	لحم دجاج	١٨٠٠
طماطة	٢٥٠	خيار	٢٠٠	لحم بقر	٢٠٠٠
شجر	١٢٥	عدس	٤٠٠	لحم غنم	٢٥٠٠
بازنجان	١٥٠	رز	٥٥٠	رمان	٢٠٠
بصل	٣٠٠	طحين اسمر *	١٢٥	عنب	١٢٥

المصدر: نشرات المتابعة التي يصدرها الحزب الشيوعي العراقي للأعوام ١٩٩٥، ١٩٩٦ و ١٩٩٧ التي تكشف عن أوضاع العراق الداخلية المتدهورة من خلال إعادة نشر بعض الوثائق والمعلومات التي ترد في صحافة النظام العراقي ذاته.

\* وفق تسعيرة التموين الرسمي

ويمكن للمرء ان يقارن بين الرواتب والمدخولات الشهرية وأسعار المواد الغذائية في أسواق الموصل التي لا تختلف كثيرا عن بقية أسواق العراق، ومنها بغداد العاصمة، رغم محاولات الدولة في ان تكون أسعار بغداد أوطأ من غيرها من المدن العراقية لأسباب دعائية وسياسية ليعرف تماما مستوى المأساة العراقية التي لا تحاول بعض أطراف المعارضة العراقية المنادية باستمرار الحصار الدولي على فهمها والتعامل الواعي معها. ويمكن للجدول التالي ان يوضح ذلك بالنسبة لأسعار السوق السوداء لبعض السلع الأساسية في بغداد وتقلبها المستمر لعامي ١٩٩٥ و ١٩٩٦:

جدول رقم ٧

تقلبات أسعار السلع الأساسية في أسواق بغداد خلال عامي ١٩٩٥ و١٩٩٦

المادة	السعر بالدينار العراقي أواسط تشرين الثاني ١٩٩٥	السعر بالدينار العراقي أوائل كانون الثاني ١٩٩٦
الطحين (كغم)	٥٠٠-٤٥٠	٨٠٠-٧٥٠
الرز (كغم)	١٤٠٠	١٧٥٠
سكر (كغم)	١٣٥٠	١٧٠٠
زيت الطعام (لتر)	٢٥٠٠	٤٠٠٠
دجاج (كغم)	٣٠٠٠	٤٠٠٠
العدس (كغم)	١٠٠٠	١٧٥٠
بيضة واحدة	١٥٠	٢٢٥
قدح شاي	٥٠	٧٥
لحم بقر (كغم)	٣٥٠٠	٤٠٠٠

المصدر: طريق الشعب، العدد ٦/ السنة ٦١، أواسط كانون الثاني/يناير ١٩٩٦، ص ٥

البطالة المستفحلة

بسبب نقص الموارد المالية وأوليات السياسة الاقتصادية والعسكرية للنظام فقد تعذرت وتأخرت عملية استيراد الأدوات الاحتياطية والمواد الأولية والسلع نصف المصنعة الضرورية لإعادة بناء وترميم وتشغيل المشاريع التي دمرتها أو خربتها حرب الخليج الثانية بشكل خاص، إذ ان اغلب المشاريع الصناعية التي اقيمت في العراق في عهد البعث الصدامي اعتمدت بالأساس على المواد الأولية والسلع نصف المصنعة التي تستورد من الخارج. ولنفس الأسباب تعذرت إمكانية اقامة مشاريع اقتصادية مدنية جديدة. فالنظام العراقي أولى خلال السنوات التي اعقبت حرب الخليج الثانية اهتماما استثنائيا بإعادة

تشغيل وتطوير صناعاته العسكرية المحلية وتأمين المواد الأولية والسلع نصف المصنعة لها، إضافة إلى اهتمامه بأعادة بناء المنشآت العسكرية وقواعد الصواريخ التي خربتها الحرب. وقد تسبب ذلك وما يزال يساهم في تسريح اعداد كبيرة من العمال العراقيين، سواء العاملين منهم في منشآت الدولة أم في القطاعين الخاص والمختلط. وساهم تسريح نسبة مهمة من القوات العسكرية، وبخاصة من العاملين في الجيش والشرطة، إلى زيادة عدد العاطلين عن العمل في المدن، إذ لم يعد في مقدور الحكومة الصرف على ما يقرب من نصف مليون مجند في الجيش وقوات الشرطة الكثيرة العدد. ويجب ان لا ننسى الإشارة هنا إلى ان الدولة قد توسعت بشكل استثنائي خلال العقد الثامن بشكل خاص في توظيف واستخدام وتشغيل المزيد من المواطنين في قطاع الدولة الاقتصادي الإنتاجي والخدمي، وفي أجهزة الدولة الإدارية والأمنية والعسكرية. وبالتالي لم يكن في مقدور الدولة دفع الرواتب إلى هذه العدد الكبير جدا من الموظفين والمستخدمين والعاملين لدى الدولة بعد توقف إيرادات النفط الخام عن الأنسياب إلى خزانة الدولة. وخلال ذات الفترة قام القطاع الخاص بتسريح عدد كبير من العمال، سواء من منشأتهم القديمة أم من المنشآت التي تم شراؤها من جانب القطاع الخاص، إضافة إلى تقلص الطاقة الإنتاجية في تلك المنشآت الصناعية وغيرها بسبب نقص المواد الأولية والسلع نصف المصنعة التي تستورد من الخارج. والقطاع الوحيد الذي شهد توسعا نسبيا في التشغيل هو القطاع الزراعي الذي سنبحث فيه لاحقا.

والمعلومات المتوفرة تشير إلى ان نسبة ٢٤٪ من السكان كانت تعتبر في الفترة ١٩٩٠-١٩٩٢ ضمن القوى العاملة، وان هذه النسبة قد تراجعت فيما بعد إلى ادنى من ذلك بكثير. وإذا اعتبرنا، رغم قناعتنا بتراجع التشغيل في العراق، بأن هذه النسبة كانت سارية بالنسبة لعام ١٩٩٥ من مجموع السكان الذي قدر ب ٢٠٣٥٨ ألف نسمة للعام المذكور، فأن عدد القوى العاملة يكون قد بلغ عندها ٤٤٨٥٩٢ ألف نسمة من مجموع السكان. وعند المقارنة بين عدد القوى القادرة على العمل التي يتراوح عمر أفرادها بين ١٥-٦٥ سنة قد بلغ في العام ١٩٩٥ حوالي ١٠٨٥٠٨٠٠ نسمة وبين عدد العاملين فعلا، فأن البطالة قد شملت ٥٩٦٤٨٩٠ نسمة أي ان ٥٥٪ من مجموع القوى القادرة على العمل أو ما يعادل حوالي

٣,٢٩٪ من مجموع السكان، علماً بأن هذه الأرقام لا تشمل البطالة المقنعة أو البطالة الموسمية في العراق. وجدير بالإشارة إلى أن العاطلين عن العمل لا يتلقون أية مساعدة حكومية وبالتالي فهم يشكلون عملياً عبئاً ثقيلاً على القوى العاملة والاقتصاد الوطني.

وبلغت نسبة النساء العاملات ٢٢٪ من مجموع القوى العاملة في العراق، أي بحدود ١٠٧٤٩٠٢٤ نسمة فقط. وهذا يعني بأن القسم الأكبر من العاطلين عن العمل كان بين النساء. وجرى توزيع القوى العاملة خلال الفترة ١٩٩٠-١٩٩٢ على النحو التالي: الزراعة ١٤٪، الصناعة ١٩٪، الخدمات ٦٧٪، علماً بأن نسبة عالية من العاملين في قطاع الخدمات تعتبر ضمن القوات المسلحة وأجهزة الدولة العراقية. وبسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية المتردية في كل أنحاء العراق، إضافة إلى الأوضاع المتردية في كردستان العراق، فأن أعداداً متزايدة من السكان، وبخاصة من الأكراد، تغادر العراق للعيش في بلدان أكثر أمناً وأكثر احتراماً لكرامة وحقوق الإنسان وأكثر حظاً في الحصول على لقمة العيش.<sup>١</sup>

وحسب المعلومات المتوفرة لدينا فأن عدد العراقيات والعراقيين الذين غادروا العراق إلى ألمانيا الاتحادية، على سبيل المثال لا الحصر، وطلب اللجوء السياسي بلغ ٦٦٨٨ في عام ١٩٩٥ وارتفع إلى ١٠٨٤٢ في عام ١٩٩٦ وإلى أكثر من ضعف هذا العدد حتى نهاية الربع الثالث من عام ١٩٩٧. أي أن العدد كان يتضاعف من سنة إلى أخرى، علماً بأن المعروف لدى العراقيين بأن ألمانيا متشددة جداً في قبول اللاجئين إليها. وشكل عدد العراقيات والعراقيين من مجموع طالبي اللجوء السياسي في ألمانيا في عامي ١٩٩٥ و١٩٩٦ حوالي ٩,٥٪ و ٣,٩٪ على التوالي.<sup>١١</sup>

ويفترض أن لا ننسى تلك المشكلات التي تواجه المجتمع والمرتبطة بوجود البطالة أو التي تنشأ بسبب تفاقمها، سواء كانت تلك المشكلات نفسية واجتماعية أم اقتصادية وسياسية، بما فيها تزايد عدد الجرائم الاقتصادية والاجتماعية وتشكيل عصابات النهب والسلب والأعتداء والأغتصاب وممارسة العنف والأبتزاز والتحايل وسرقة أموال قطاع الدولة ومشكلات الرشوة والتفاهم والتسويات غير المشروعة أو التعاون بين العصابات وأفراد الشرطة والأمن... الخ وحفنة من أقطاب النظام.

وفي سبيل تكوين رؤية واقعية عن الأوضاع الاقتصادية في العراق سأحاول تناول التطورات الجارية في بعض أهم القطاعات الاقتصادية التي تؤثر بصورة مباشرة على تكوين التراكمات الوطنية وتوفير التوظيفات الضرورية للتنمية والتشغيل في العراق، تساعدنا على فهم طبيعة الحكم في العراق وطبيعة السياسة الاقتصادية والاجتماعية التي يمارسها، والنتائج الكارثية التي حلت بالعراق والتي يمكن ان تحل به لاحقا إذا استمر الحكم الراهن وتواصل الحصار الاقتصادي.

#### أولا: النفط الخام

يتسبب فرض الحصار الاقتصادي الدولي الذي ما زال قائما وحظر تصدير النفط الخام العراقي وفي إنقطاع الجزء الأكبر من ذلك المورد المالي الأساسي الذي كان يغذي أساسا الميزانية العراقية الإعتيادية وميزانية مشاريع التنمية الاقتصادية. كما كان النفط الخام يشكل نسبة عالية جدا من الناتج المحلي الإجمالي ومن صافي الدخل القومي ويعتبر المادة المركزية والرئيسية في صادرات العراق وشكل في سنوات كثيرة ما يزيد على ٩٥٪ من إجمالي قيمة صادرات العراق السنوية. فالإحصائيات المتوفرة لدينا تشير إلى اللوحة التالية لدور النفط في تكوين الناتج المحلي الإجمالي خلال سنوات العقد التاسع.

جدول رقم ٨

دور الصناعة الاستخراجية، وبخاصة النفط الخام في تكوين الناتج المحلي الإجمالي

للفترة ١٩٨٠ - ١٩٨٩ (مليون دينار عراقي)

الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة +			الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية			السنة
٢ : ١	الإجمالي **	الاستخراجية*	٢ : ١	الإجمالي **	الاستخراجية*	
٦١,٦	١٥٦٤٧,١	٩٦٤٧,٥	٦١,٦	١٥٦٤٧,١	٩٦٤٧,٥	١٩٨٠
-	١٠٣٨٥,٠	غ.م٠	٢٩,٤	١١٢١٥,٨	٣٢٩٥,٠	١٩٨١
-	١١١٠٦,١	غ.م٠	٢٣,١	١٢٧٧٢,٠	٢٩٤٥,٠	١٩٨٢
-	١١٣٧٢,٢	غ.م٠	٢٢,٢	١٢٨٩٥,٢	٢٨٦٣,٨	١٩٨٣
-	١١٠٣١,٠	غ.م٠	٢٣,٥	١٥١٤١,٠	٣٥٦٥,٥	١٩٨٤
٤٠,٦	١٠٩٢١,٠	٤٤٣٣,٠	٢٢,٥	١٥٤٨٥,٤	٣٤٨٤,٥	١٩٨٥
٤٥,٢	١٢٢٢٣,٣	٥٥٢١,١	١٤,١	١٥٤١٩,٠	٢١٨١,٢	١٩٨٦
٥٦,٦	١٥٦٨٢,٠	٨٨٧٨,٠	١٩,٣	١٨٥٨٣,٣	٣٥٩٤,٨	١٩٨٧
٥٧,٧	١٥٨٨٩,٩	٩٠٦٨,٥	١٧,٧	٢٠٥٥٥,٦	٣٦٣٩,٠	١٩٨٨
٥٤,٧	١٤١٧٨,٢	٧٧٥٩,٥	١٧,٨	٢١٨٢٠,٥	٣٨٩٤,٨	١٩٨٩

المصدر: زيني، محمد علي د. الاقتصاد العراقي في ظل نظام صدام حسين تطور أم تقهقر. ط ١.

مؤسسة الرافد للنشر والتوزيع. لندن. ١٩٩٥. ص ٢٩٠-٢٩١

+ بالأسعار الثابتة لعام ١٩٨٠. \* يشكل النفط الخام أكثر من ٩٩,٠٪ من أجمالي مشاركة الصناعة الاستخراجية.

\*\* الناتج المحلي الإجمالي بسعر التكلفة.

الأ ان هذه اللوحة قد تغيرت منذ عام ١٩٩٠ والسنوات اللاحقة وبعد فرض الحصار الاقتصادي وحظر تصدير النفط الخام. ففي الوقت الذي بلغ المعدل اليومي لإنتاج النفط الخام في عام ١٩٧٠ أكثر من ١,٥٣٨ ألف برميل وبلغ معدل صادراته في اليوم ١,٤٩٥ ألف

برميل، أرتفع معدل إنتاجه في عام ١٩٧٩ إلى أكثر من ٣,٤ مليون برميل يوميا ومعدل الصادرات منه إلى أكثر من ٣,٢ مليون برميل يوميا، وإنخفض في أول عام للحرب العراقية-الإيرانية، عام ١٩٨٠ إلى ٢,٨ مليون برميل/يوم إنتاجا و٢,٤ مليون برميل/يوم تصديرا<sup>١٥٤</sup>. وبلغ معدل إنتاج النفط الخام اليومي في أول عام بعد إنتهاء الحرب العراقية-الإيرانية، عام ١٩٨٩، أكثر من ٢,٨ مليون برميل والصادر منه حوالي ٢,٤ مليون برميل يوميا، أي عاد إلى مستوى عام ١٩٨٠. وعام غزو العراق للكويت، في عام ١٩٩٠، بلغ معدل الإنتاج اليومي ٣,٥ مليون برميل ومعدل الصادر منه أكثر من ٣,١ مليون برميل/يوم، أي ان كميات الإنتاج والتصدير تجاوزت مستواها في عام ١٩٧٩ بقليل.<sup>١٥٥</sup>

١٥٤ الجليبي، فاضل د. حظر بيع النفط العراقي: تأثيراته على السوق النفطية والأمن الخليجي والعراق. محاضرة اعدت والقيت في المعهد الملكي للدراسات الدفاعية بتاريخ ٢٠ تموز/ يوليو ١٩٩٤. نشرت في مجلة MEES في شهر آب/اغسطس ١٩٩٤. قبرص. ص ٥.

- حبيب، كاظم. ساعة الحقيقة: مستقبل العراق بين النظام والمعارضة. بيروت. ١٩٩٥. ص ٤٩-٥٢.

١٥٥ ومن المفيد ان نشير إلى ان العراق استمر في انتاج النفط الخام لأغراض التكرير والاستهلاك الداخلي من جهة، ولأغراض التصدير كنفط خام ومكرر عبر السوق السوداء من جهة أخرى. مما كان يدر عليه دخلا محدودا يتراوح سنويا بين ٤٠٠ و٧٠٠ مليون دينارا ابتداء من عام ١٩٩٣ حتى عام ١٩٩٦. وقد وردت في مجلة فوكوس الألمانية حول انتاج النفط الخام في العراق الأرقام التالية:

كمية النفط الخام المنتج	
٦٠,٣	١٩٨٤
٩٢,٧	١٩٨٦
١٣٦,٠	١٩٨٨
١٠٦,١	١٩٩٠
٢٥,٩	١٩٩٢
٢٤,٥	١٩٩٤

S. 220/221، vom 12. Feb. 1996، Nr. 7:Focus

وبعد فرض الحصار الاقتصادي على العراق أنخفض معدل الإنتاج اليومي من النفط الخام إلى ٢٧٠٠٠٠ و ٢٥٩٠٠٠٠ و ٤١٠٠٠٠ برميل في سنوات ١٩٩١ و ١٩٩٢ و ١٩٩٣ على التوالي<sup>١١١</sup>. وقد استخدمت الكمية الأكبر منه لإغراض التكرير المحلي. وتشير بعض المصادر إلى أن العراق كان يصدر ما يقرب من ٥٥٠٠٠ برميل يوميا إلى البلدان المجاورة على أساس المقايضة وتسديد الديون التي بذمته لدى تلك الدول، وبخاصة إلى كل من الأردن وتركيا دون ان يأخذ موافقات رسمية من مجلس الأمن الدولي وقبل تنفيذ قرار "النفط مقابل الغذاء". وكانت الولايات المتحدة ترى ذلك ولا توقفه لا رغبة منها بحصول العراق على بعض الموارد المالية، بل سعيا منها لحصول الأردن وتركيا على بعض الإيرادات المالية من جراء استيراد النفط وتصدير مواد أخرى إليها. وهذا الإنخفاض الكبير جدا في إستخراج وتصدير النفط الخام أدى إلى إنخفاض شديد في إيرادات العراق السنوية من النفط الخام المصدر بحيث تقلبت من (٣٠,٠٨) مليار دولار في عام ١٩٨٠ إلى (٦,١٠) مليار دولار في عام ١٩٨٥<sup>١٥٦</sup>، وإلى (١٤,٢) مليار دولار في عام ١٩٨٩، و ثم انخفضت الي حوالي (٦,٩) مليار دولار أمريكي في عام ١٩٩٠، وإلى ٣٨٠، ٣٢٦، ٣٦٤، ٣٦٥، و ٣٧٠ مليون دولار أمريكي في أعوام ١٩٩١-١٩٩٥ على التوالي<sup>١٥٧</sup>. ويعني هذا الإنخفاض في الموارد المالية النفطية، عجز العراق عن استيراد ما تحتاجه الأسواق المحلية من مواد أولية ومواد غذائية أساسية وأدوية ومعدات طبية ومنشآت صناعية... الخ، إضافة إلى عجزه عن تمويل إقامة المشاريع الاقتصادية التي تحتاج إلى عملات صعبة لاستيراد معداتها من الخارج، أي حرمان العراق من تأمين التراكمات الضرورية لتنمية الثروة الوطنية. كما أنه يعني عجز العراق عن تسديد الديون التي بذمته والفوائد السنوية التي تترتب عليها وبالتالي تنامي هذه الديون وتراكمها سنة بعد أخرى. ويقترن بهذا أيضا تزايد عدد

---

١٥٦ النصراوي، عباس د. الاقتصاد العراقي ١٩٥٠ - ٢٠١٠. ترجمة محمد سعيد عبد العزيز. بيروت. دار الكنوز الأدبية. ١٩٩٥. ص ٢٥.

١٥٧ التقرير الاقتصادي العربي الموحد ١٩٩٦. مصدر سابق. ص ٢٨٦. المبلغ الخاص بعام ١٩٩٥ هو تقدير من معدي التقرير الاقتصادي العربي الموحد.



العاطلين عن العمل وتسارع معدلات التضخم السنوية بسبب الإختلال الشديد الحاصل بين شحة العرض للسلع والخدمات من جهة، وزيادة الطلب عليها من جهة أخرى، وما يترتب على ذلك من إنخفاض في القدرة الشرائية ومستوى معيشة السكان والتي ترتبط بدورها ببقاء المدخولات الشهرية لذوي الدخل المحدود واطئة جدا وعاجزة عن ملاحقة معدلات الارتفاع في الأسعار (راجع الملحق رقم ٢).

أن أكثر التقديرات رجاحة حول خسائر العراق المالية من جراء إيقاف تصدير النفط الخام تشير إلى إنها قد بلغت خلال السنوات الست المنصرمة ما يزيد قليلا عن ١٠٢ مليار دولار، إذا اعتبرنا أن صادرات العراق النفطية خلال الفترة المنصرمة ما كان لها أن ترتفع عن المستوى الذي خططت له وزارة التخطيط العراقية في عام ١٩٨٩ كما يوضحها الجدول التالي:

#### جدول رقم ٩

النتائج المحلي الإجمالي المخطط والفعلي بملايين الدولارات الأمريكية

التفاصيل	المخطط (١)	الفعلي (٢)	الخسارة ١-٢
١٩٩٠	٢١١٥١	٧٣٠٢	١٣٨٤٩
١٩٩١	١٩٢١٣	صفر	١٩٢١٣
١٩٩٢	١٩٠٠٦	صفر	١٩٠٠٦
١٩٩٣	١٦٨٣٧	صفر	١٦٨٣٧
١٩٩٤	١٥٨٠٤	صفر	١٥٨٠٤
١٩٩٥	١٧٣٥٤	صفر	١٧٣٥٤
المجموع	١٠٩٣٦٥	٧٣٠٢	١٠٢٠٦٣

المصدر: تقرير التنمية البشرية ١٩٩٥ / جمعية الاقتصاديين العراقيين / بغداد، ١٩٩٥، ص

١٣٧/١٣٦

وبمعنى آخر فإن العراق قد تحمل خسارة مالية فادحة ناجمة عن منع تصدير نفطه الخام إلى الأسواق العالمية بلغت بين اغسطس عام ١٩٩١ حتى نهاية عام ١٩٩٥ حوالي ١٠٢,١ مليار دولار أمريكي<sup>١٥٨</sup>، أي بمعدل خسارة سنوية تزيد عن ٢٠ مليار دولار أمريكي. إن إشكالية حظر تصدير النفط الخام ومنع موارده المالية عن العراق لا تعني إعاقة عملية التنمية وتعطيل إمكانية العراق على استيراد السلع الضرورية لتغطية حاجات السوق الاستهلاكية والعجز عن تسديد الديون التي بذمته فحسب، بل وتعني عجز العراق عن الإيفاء بالالتزامات التي فرضت عليه من جراء غزوه للكويت والحرب التي تلت ذلك الغزو، والتي سعت إلى اشغالها كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وإسرائيل بكل ثمن، كما سيتعذر على العراق تسديد تلك الديون والفوائد التي تترتب عنها مستقبلا، إضافة إلى إنها تساهم أساسا في إنزال المزيد من الحرمان والعسف والإضطهاد بنات وأبناء الشعب العراقي.

نعود الآن مرة أخرى إلى دور النفط الخام في تكوين الناتج المحلي الإجمالي في العراق، إذ ان دور النفط الخام يقدم اللوحة التقليدية لاقتصادات تابعة ومتخلفة. فمن المعروف ان الاقتصاد العراقي يتميز، حاله في ذلك كحالة الغالبية العظمى من اقتصاديات بلدان العالم الثالث، بوحداية الجانب واعتماده على موارد النفط الخام في تكوين القسم الأكبر من الناتج المحلي الإجمالي. فهو بهذا المعنى اقتصاد تابع لاقتصاد النفط الاستخراجي وللتجارة الخارجية وبالتالي فهو مكشوف تماما على الخارج. ويأتي القطاع الزراعي المتخلف عموما بالدرجة الثانية في تكوين الناتج المحلي الإجمالي في حين لا يحتل القطاع الصناعي الا مرتبة ضعيفة فيه. فالجدول رقم ٩ والمعلومات الأخرى المتوفرة تشير

---

١٥٨ كما لاحظنا سابقا فإن التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ١٩٩٦ يشير إلى ان العراق قد صدر نفطا خاما بقيمة ١٨٠٥ مليون دولار امريكي في حين يسجل تقرير جمعية الاقتصاديين العراقيين إلى ان صادرات العراق من النفط صفرا لا غير. وعليه فإن مقدار الخسارة يتراجع وفق تلك الحسابات من ١٠٢,١ إلى حوالي ١٠٠ مليار دولار امريكي. ص ٢٨٦. الا ان رأي الجمعية مرفوض ولا يطابق الحقيقة.

بوضوح إلى اعتماد الناتج المحلي الإجمالي على نسبة تتراوح بين ٥٠٪ في عام ١٩٧٤ و٦١,٦٪ في عام ١٩٨٠، ثم تراجعت هذه النسبة إلى ٢٣,١٪ في عام ١٩٨٢ وإلى ١٧,٧٪ في عام توقف الحرب العراقية - الإيرانية، أي عام ١٩٨٨، ثم ارتفعت إلى ١٧,٨٪ في عام ١٩٨٩ لتراجع في عام ١٩٩٠، عام غزو الكويت، إلى ١٢٪<sup>١٥٩</sup>. أما اليوم فلا تشكل موارد النفط، قبل تطبيق قرار النفط مقابل الغذاء، سوى نسبة ضئيلة جدا من إجمالي الناتج المحلي، إذ لم تزد في عام ١٩٩٤ عن ٠,٤٢٪ من إجمالي الناتج المحلي<sup>١٦٠</sup>. وفي هذا الواقع تكمن الصدمة الأساسية للاقتصاد العراقي في أعقاب حرب الخليج الثانية.

وبعد أنقطاع القسم الأعظم من إيرادات النفط الخام أصبح القطاع الزراعي يحتل المرتبة الأولى في تكوين الناتج المحلي الإجمالي. واللوحة الجديدة للاقتصاد العراقي تؤكد بدورها على وحدانية الجانب أيضا. إلا إنها تجربة جديدة ومعقدة جدا ولكنها جديرة بالدراسة والتدقيق. إذ أن الضغط الخارجي الذي تعرض له العراق بسبب أنقطاع إيرادات النفط الخام فرض على الحكام انتهاج سياسة ذات ثلاثة أبعاد، بغض النظر عن سوء وطبيعة السياسة الاقتصادية التي تمارسها الحكومة، وهي:

- الاعتماد الواسع في تكوين وتوزيع الدخل القومي على إيرادات القطاعات الاقتصادية المحلية بسبب التراجع الدرامي لدور النفط والتجارة الخارجية في الحياة الاقتصادية العراقية“

- التقنين الواسع النطاق في السياسات الاستهلاكية الخاصة بالسكان وأجهزة الإدارة“  
- إغارة اهتمام أكبر للقطاع الزراعي بالقياس إلى بقية القطاعات الاقتصادية تحت ضغط نقص الموارد المالية. كما ازداد عدد العاملين بالزراعة بسبب نقص فرص العمل في المدينة

---

١٥٩ النصراوي. عباس د. الاقتصاد العراقي. مصدر سابق. ص ٢٥.

١٦٠ زيني، محمد علي د. الاقتصاد العراقي في ظل نظام صدام حسين تطور أم تقهقر. ط ١. لندن.

مؤسسة الرافد للنشر والتوزيع. ١٩٩٥. ص ٢٩٠/٢٩١.

التقرير الاقتصادي العربي الموحد سبتمبر/أيلول ١٩٩٦. مصدر سابق. ص ٢٢٤.

وفي القطاعات الاقتصادية الأخرى، إذ أصبح الريف ملجأ لعدد غير قليل من الناس، بعد ان كانت المدينة ملجأ لهم ومكانا للتفتيش عن عمل.

ان هذه الحقائق تطرح علينا السؤال التالي: كيف يمكن في الفترة القادمة، وبعد رفع الحصار الاقتصادي عن العراق وبعد تأمين تغيير في الأوضاع السياسية القائمة حالياً، وبعد سيادة الديمقراطية وحقوق الإنسان في البلاد، وضع وتنفيذ سياسة اقتصادية اقل اعتمادا على موارد النفط الخام وأكثر اعتمادا على الموارد الداخلية الأخرى غير النفطية؟ أي كيف يمكن وضع سياسة اقتصادية أقل انكشافا على الخارج وأقل تأثرا بالسياسات التي تنتهجها العولمة الجديدة في العالم، وبخاصة الدور الاستثنائي الذي تمارسه الولايات المتحدة الأمريكية في الهيمنة على السياسة الدولية؟ انها المسألة التي يفترض ان ندرسها الآن وفي المستقبل. ان السؤال لا يطرح بأي حال الاستغناء عن إيرادات النفط الخام، بل يفترض أساسا التحري عن علاقة عقلانية بين حاجات العراق لموارد النفط الخام وبين حاجات التنمية الوطنية الراهنة والمستقبلية، بين الحصول على موارد مالية من النفط تساهم في تنمية فعلية للقطاعات الأخرى بما يساعد على تخفيف التشوه الراهن في البنية الاقتصادية والبنية الاجتماعية في آن واحد، وبين تنشيط دور تلك القطاعات في زيادة الناتج المحلي الإجمالي وإغناء الثروة الوطنية. وعلينا ان لا ننسى في هذا الصدد بأن النظام العراقي كان قد وجه نسبة عالية جدا من إيرادات النفط الخام خلال الفترة الواقعة بين ١٩٧٥-١٩٩٠ نحو التسليح والعسكرة والتصنيع العسكري، نحو الغزو والحروب الداخلية والخارجية، نحو القمع وإسكات صوت الشعب وخنق حرياته ومصادرة حقوقه المدنية، ونحو البذخ الترفي وبناء القصور الرئاسية والقلاع العسكرية والسجون الباستيلية تحت الأرض، وكذلك بناء المساجد الكبرى التي لا تنسجم مع التواضع الذي يفترض ان يتسم به المؤمنون والدين الإسلامي وواقع البلاد الفعلي وحاجات الناس الأساسية ليوهم الناس بتدينه والتزامه بتعاليم الدين الحنيف، والتي استنزفت نسبة مهمة جدا من إيرادات النفط الخام ومن مجمل الدخل القومي العراقي. والمعلومات المتوفرة حاليا تشير إلى ان النظام يواصل بناء العديد من قصوره الإمبراطورية الجديدة حتى في فترة الحصار الاقتصادي

الدولي الجارية، إضافة إلى بناء مسجد صدام الكبير ومساجد عديدة أخرى في أنحاء مختلفة من العراق. ويبدو لي وجود علاقة خاصة بين سياسات الحكام الأكثر استبدادا وإرهابا ودموية وبين بناء المزيد والكبير من المساجد. وعلينا ان ندرس هذه العلاقة الخاصة من الناحيتين النفسية والاجتماعية لا في الوقت الحاضر وفي العراق فحسب، بل وفي تاريخنا الإسلامي وفي مختلف الأقطار العربية، وهو أمر بالغ الأهمية لمعرفة بنية تفكير وسيكولوجية وسوسولوجية هؤلاء الحكام.

### ثانيا: القطاع الصناعي التحويلي

رغم أن السياسة التصنيعية البعثية لم تستند إلى مبررات وأسس اقتصادية وأجتماعية عقلانية تساهم في تأمين القاعدة المادية لتطور صناعي يمتلك الدينامية الداخلية الضرورية والقدرة على تحفيز النمو والتطور المعجل في بقية القطاعات الاقتصادية، ورغم انها تميزت بالعفوية والفوضوية والبذخية المترفة غير المعهودة في اقتصاديات بلدان متخلفة اقتصاديا واجتماعيا يفترض فيها ان تقتصد لتأمين المزيد من الموارد المالية لاستثمارات أكثر فائدة، فإن النصف الثاني من العقد الثامن، حيث كانت الموارد النفط تتساقط كرخات المطر، شهد العراق التوقيع والبدء بتنفيذ عدد كبير من المشاريع الصناعية الكبيرة والمتوسطة والصغيرة بمبالغ طائلة قدرت بعشرات المليارات من الدولارات الأمريكية، إضافة إلى التوسع في إقامة مصافي النفط أو توسيع وتحديث القائم منها. ورغم الحرب العراقية-الإيرانية وتدمير أو توقف العمل في الكثير من تلك المشاريع، فإن سنوات النصف الأول من العقد التاسع شهدت استمرارا في تنفيذ جملة من تلك المشاريع المهمة. وفي ضوء ذلك أزداد عدد العاملين في المنشآت الصناعية التحويلية ومصافي النفط والمنتجات النفطية والصناعات الصغيرة والحرفية. وشهدت قيمة الإنتاج الإجمالي في هذا القطاع زيادة ملموسة ونموا في نسبة مشاركته في تكوين الناتج المحلي الإجمالي، إضافة إلى تحسن في نوعية الإنتاج. علما بأن كفاءة الأنتاج واستثمار الطاقات الإنتاجية المتاحة، التي عرفت تحسنا نسبيا، فأنها كانت بعيدة عن الممكن والمطلوب مسافة طويلة. وقد أمكن نشر مجموعة من المنشآت الصناعية في العديد من المدن العراقية وبخاصة في كل من

بغداد والبصرة والموصل، إلى جانب العديد من المدن الأخرى التي كانت محرومة قبل ذلك من مثل هذه المنشآت. ولعب قطاع الدولة دوراً أساسياً في عملية التنمية الصناعية بسبب موارد النفط المالية، في حين جاءت مشاركة القطاع الخاص والقطاع المختلط بالدرجة الثانية والثالثة.

ومن الجدير بالإشارة إلى أن الزيادة في عدد العاملين في الصناعات التحويلية جاء على حساب القطاع الزراعي حيث كانت الهجرة الريفية إلى المدن في تلك السنوات واسعة جداً، رغم أنها لم تستطع أن تستوعب الكثير. وقد أثر المنحدر الريفي للعاملين الجدد الذين لم يحصلوا على أي تأهيل صناعي ضروري بشكل ملموس على إنتاجية العمل وعلى عمليات الصيانة والإدامة في تلك المنشآت وعلى وقوع حوادث وإصابات كثيرة أثناء العمل وعلى زيادة العطلات في المكين وتوقفها عن الإنتاج. ويمكن لإرقام قيمة الإنتاج الصناعي التحويلي في هذه الفترة توضيح هذا التطور والتوسع في الإنتاج الصناعي.

جدول رقم ١٠

تطور مشاركة قطاع الصناعة التحويلية في قيمة الإنتاج المحلي للفترة ١٩٧٥-١٩٨٨  
(بملايين الدنانير العراقية)

السنة	الصناعة التحويلية بالأسعار الجارية	نسبتها إلى أ.ن.م.*	الصناعة التحويلية بالأسعار الثابتة	نسبتها إلى أ.ن.م.*
١٩٨٠	٧٠٩,٠	٤,٥	٧٠٩,٠	٤,٥
١٩٨١	٧١٧,١	٦,٤	٠.م.غ	٠.م.غ
١٩٨٢	٩٤٩,٨	٧,٤	٠.م.غ	٠.م.غ
١٩٨٣	٩٨٨,٦	٧,٧	٠.م.غ	٠.م.غ
١٩٨٤	١٢٥٥,٤	٨,٣	٠.م.غ	٠.م.غ
١٩٨٥	١٤٢٥,١	٩,٢	٧٦٠,٠	٦,٩
١٩٨٦	١٧٥٥,٨	١١,٤	٧٢٢,٧	٥,٩
١٩٨٧	٢٠٧١,١	١١,١	٩٤٢,٥	٦,٠
١٩٨٨	٢٦٤١,٠	١٢,٨	٩٦٢,١	٦,١
١٩٨٩	٢٦٩٤,٢	١٢,٣	٨٦١,١	٧,٣

المصدر: زيني، محمد علي د. الاقتصاد العراقي في ظل نظام صدام حسين تطور أم تقهقر.  
مؤسسة الرافد للنشر والتوزيع. لندن. ١٩٩٥. ص ٢٩٠/٢٩١.

قارن: الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي. الحسابات القومية للبلدان العربية  
١٩٧٥-١٩٨٧ وتقديرات ١٩٨٨. الجزء الأول. الجداول القطرية. الكويت مايو ١٩٨٩. ص ٤١.  
\* الناتج المحلي الإجمالي بسعر التكلفة.

ويلاحظ بوضوح ثلاث مؤشرات مهمة هي:

- الارتفاع الملوس في نسبة مشاركة الصناعة التحويلية في تكوين الناتج المحلي، رغم التقلبات التي طرأت على تلك المشاركة“

- كانت للحرب العراقية-الإيرانية تأثيرات مباشرة وغير مباشرة على تلك التقلبات، سواء في إجمالي الناتج المحلي، وبخاصة في صناعة النفط الاستخراجية، أم في الصناعات التحويلية“

- التضخم الكبير الذي شهدته أسعار تلك الفترة والتي انعكست في تلك الفترات غير الاعتيادية في قيمة ونسبة مشاركة الناتج المحلي الإجمالي بسبب اعتمادها على الأسعار الجارية. وتشير نسبة المشاركة وفق الأسعار الثابتة عن تطور معقول بهذا الصدد.

الا ان حرب الخليج الثانية بشكل خاص، وقبلها الحرب العراقية-الإيرانية، قد عطلت إلى حدود بعيدة القدرة الإنتاجية في الصناعة التحويلية. فمؤشرات السوق العراقية تؤكد، رغم شحة المعلومات والحجر الحكومي المفروض على الإحصائيات، إلى ان المؤسسات الصناعية العراقية التي لم تدمرها الحرب أو التي أعيد تشغيلها، وهي قليلة عموماً، لا تنتج بالمتوسط حالياً سوى ربع طاقتها الإنتاجية الفعلية (عدا الصناعات العسكرية التي عادت إلى إنتاج يقدر بحدود ٥٠٪ من طاقتها الفعلية)<sup>١٦١</sup>. وهي ناشئة عن النقص الشديد في المواد الأولية والسلع نصف المصنعة التي تستخدمها الصناعة العراقية وعدم توفر قطع الغيار، وعن نقص في الموارد المالية (العملات الصعبة) الضرورية لاستيرادها، وعن نقص في وسائل النقل والطاقة الكهربائية الضرورية لتشغيل المصانع، إضافة إلى هجرة الكثير من المهارات والكفاءات الفنية والعلمية إلى خارج العراق هرباً من بشاعة النظام واستبداده ويؤس الحياة المعاشية الراهنة.

---

١٦١ لقد عمل النظام على الأسراع باعادة تشغيل المصانع العسكرية الخاصة بالسلح والعتاد التي توجهت لها ضربات شديدة في فترة حرب الخليج الثانية مثل مجمعات صدام وحطين والقعقاع وغيرها للصناعات الحربية، في حين ترك المنشآت الأخرى الخاصة بالصناعات المدنية متوقفة عملياً، والكثير منها ما زال خارج دائرة الإنتاج.



وبسبب الحصار الاقتصادي الذي بدأ في عام ١٩٩٠، بالأرتباط مع غزو العراق للكويت، وما لحق الصناعة التحويلية، وبضمنها مصافي النفط والمنجات النفطية، من خراب وتدمير واسعين أثناء حرب الخليج الثاني، إضافة إلى ما دمرته الحرب العراقية-الإيرانية، تدهور الإنتاج الصناعي التحويلي في عام ١٩٩٠ كثيرا بالقياس إلى عام ١٩٨٠. إلا ان الإحصاء الرسمي يشير إلى زيادة طفيفة حيث بلغت قيمة الإنتاج في عام ١٩٩٠ حوالي ٧٢٠ مليون دينار عراقي، أي زيادة مطلقة قدرها ١١ مليون دينار عراقي أو بنسبة قدرها حوالي ١,٦٪ بالقياس إلى عام ١٩٨٠. ويعترف الأحصاء الرسمي بتدهور قيمة الإنتاج الصناعي في السنوات اللاحقة، كما هو موضح في الجدول التالي:

#### جدول رقم ١١

الناتج المحلي الإجمالي في القطاع الصناعي بملايين الدنانير العراقية

(بالأسعار الثابتة لعام ١٩٨٠)

التفاصيل / السنة	١٩٩٠	١٩٩١	١٩٩٢	١٩٩٣
الناتج المحلي الإجمالي	٧٢٠	٤٥٢	٤٠٦	٣٧٥

المصدر: تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٥ - جمعية الاقتصاديين العراقيين، مصدر سابق، ص

٧٣

واستنادا إلى هذه المؤشرات يمكن الافتراض بأن الناتج المحلي الإجمالي في القطاع الصناعي قد تراجع بالنسبة لسنوات ١٩٩٤، ١٩٩٥ و ١٩٩٦ بنسب مقاربة لنسب تراجعته في الفترة بين ١٩٩٠ - ١٩٩٣، وعليه يمكن تقدير الناتج المحلي الإجمالي للسنوات ١٩٩٤، ١٩٩٥ و ١٩٩٦ كالآتي على التوالي: ٣٤١، ٣١٠ و ٢٨٢ مليون دينار فقط وفق أسعار ١٩٨٠. واقترن هذا التراجع بتسريح المزيد من الأيدي العاملة ورميها في احضان البطالة وزيادة جيش العاطلين الكبير أساسا. والخسارة الكبيرة التي يتحملها العراق من جراء تدهور الإنتاج الصناعي التحويلي وتكرير النفط والمنتجات النفطية لا تقتصر على مجال

التشغيل، على أهميته الأساسية فحسب، بل تشمل مجالات الطاقة والاستهلاك المحلي وتمويل المنشآت الاقتصادية الأخرى بمنتجاتها<sup>١٦٢</sup>.

### ثالثا: الإنتاج الحرفي

لقد شهد اقتصاد الإنتاج الحرفي في العراق في فترة السبعينات، وبخاصة بعد عملية تأميم النفط الخام إنتعاشا كبيرا لم يسبق له مثيل في تاريخ العراق الحديث بسبب الطلب الذي تزايد على إنتاج وخدمات هذا القطاع التقليدي في الصناعة العراقية والذي ارتبط بتزايد موارد النفط الخام وتوجيه نسبة كبيرة من موارد النفط المالية سنويا لأغراض اقامة المشاريع الاقتصادية الكبيرة في انحاء مختلفة من العراق، بما فيها مشاريع الصناعات العسكرية، إضافة إلى تنامي حركة بناء عمارات خاصة للوزارات والمؤسسات والمنشآت الحكومية ودور السكن الخاصة ومشاريع عمرانية أخرى. وتضاعف خلال سنوات قليلة عدد المشاريع الحرفية وعدد العاملين في هذا القطاع أكثر من مرة، كما جرت عملية تحديث كبيرة وعفوية في وسائل وأساليب إنتاجه، وتطور مستوى العاملين فيه نوعيا ومهنيا، وتحسنت ظروف العمل، إضافة إلى تحقيق هذه الفئة الاجتماعية الدؤوبة أرباحا عالية خلال فترة وجيزة. وكانت أرباحها لا تشكل سوى جزء يسير جدا من الأرباح الخيالية التي كانت قد حققتها فئات البرجوازية المقاوله والعقارية والبرجوازية التجارية الكبيرة وبعض شرائح من البرجوازية البيروقراطية والبرجوازية الصناعية المتوسطة، وبشكل خاص خلال سني العقد الثامن والفترة الأولى من العقد التاسع. ويمكن العودة إلى تقارير وزارة التخطيط واحصائيات الجهاز المركزي للإحصاء خلال تلك الفترة (١٩٧٠-١٩٧٨) التي تشير بوضوح إلى الدفعة القوية التي حظيت بها الصناعات الصغيرة والحرفية في العراق خلال سنوات العقد الثامن والدور الذي لعبته في تأمين نسبة لا بأس بها من حاجات البناء الاقتصادي في العراق وتغطية نسبة مناسبة من حاجات الاستهلاك المحلي، إضافة إلى

---

١٦٢ زيني، محمد علي د. الاقتصاد العراقي في ظل نظام صدام حسين تطور أم تقهقر. مؤسسة الرافد

للنشر والتوزيع. لندن. ١٩٩٥. ص ٢٦٩ و ص ١٦٦-١١٧٦.

تحقيق اجور جيدة للعاملين في هذه الصناعات وأرباح عالية لإصحاب المشاريع. الا ان هذه الفترة التي اطلق عليها بالفترة الذهبية لم تستمر طويلا، إذ إنتهت بالنسبة للبرجوازية الصغيرة والبرجوازية المتوسطة مع بداية النصف الثاني من العقد التاسع واستمرار الحرب العراقية - الإيرانية ثماني سنوات عجاف. فهذه الحرب وحرب الخليج الثانية أتتا على عدد كبير من العاملين في منشآت الإنتاج الحرفي الصغير والمشاريع الصناعية والخدمية الصغيرة، أو ابعدوا عن الإنتاج والنشاط الاقتصادي بسبب اصابات الحرب حيث جند أفرادها وزجوا في اتون المعارك العسكرية أو بسبب هروبهم من الخدمة العسكرية والهجرة إلى خارج العراق. وخلال السنوات التي أعقبت حرب الخليج الثانية تراجع بشكل كبير الطلب على منتجات وخدمات هذا القطاع الاقتصادي الحيوي الذي كان يساهم بنسبة مهمة من حجم الإنتاج الوطني غير النفطي بسبب تراجع التوظيفات الحكومية في المشاريع التنموية وتقلص شديد في إمكانيات الاستيراد وتقلص شديد في نشاط القطاع الاقتصادي الخاص وغياب النشاط الاقتصادي للشركات الأجنبية في العراق. فالتراجع الكبير في الطلب على منتجاته ونشاطه من جانب قطاعات الانشاءات والتشييد والنقل والقطاع الصناعي والزراعي وقطاع النفط الخام والمصافي بسبب ندرة التوظيفات الجديدة في تلك القطاعات أدى كل ذلك وغيره إلى تفاقم ظاهرة لجوء أصحاب المشاريع الصناعية الصغيرة والحرفيين إلى سد ابواب ورشاتهم ومحلات عملهم وتصفية نشاطاتهم والانتقال إلى صفوف جيش العاطلين عن العمل أو التفتيش عن مجالات عمل أخرى. وتواجه الغالبية العظمى من العاملين في هذا القطاع مصاعب جمّة من أجل استمرار مشاريعهم الصغيرة بالإنتاج، ناهيك عن تطويرها أو زيادة حجم الإنتاج السنوي فيها أو تحسين نوعية ذلك الإنتاج. والسبب في ذلك يعود بدوره إلى صعوبات توفير الموارد المالية لاستيراد المواد الأولية والمعدات والمكائن والأدوات الإحتياطية اللازمة، رغم أن الإنتاج في هذا القطاع كان وسيبقى يعتمد بنسبة غير قليلة على المواد الأولية المحلية<sup>١٦٣</sup>. وتشير المعلومات الواردة من شهود عيان في بغداد مثلا إلى ان

---

١٦٣ تشير المعلومات التي نشرها الجانب العراقي حول اسلوب عمل لجنة مراقبة استيرادات العراق في ضوء قرار "النفط مقابل الغذاء" إلى ان هذه اللجنة، التي يلعب الأمريكيون والبريطانيون دورا

الزائر لشارع الشيخ عمر والمناطق الأخرى التي كانت مكتضة بمثل هذه الورش الحرفية، والتي كانت مليئة بالناس والحركة الصناعية، سيجد ظاهرة غريبة لم يعرفها العراق خلال الأربعين سنة الأخيرة، وهي ان عددا كبيرا من هؤلاء المنتجين يجلسون منذ الساعة التاسعة صباحا في دكاكينهم وورشات عملهم ينتظرون الزبائن دون طائل، ثم يتجمعون ليلعب بعضهم الدومينو أو النرد ويتفرج الآخرون على مجرى اللعبة. وفي المساء يعود أصحاب الورش والعمال إلى بيوتهم مبكرين وأيديهم فارغة من اي مدخول، أو يحققون مدخولا لا يسد الرمق. ان هذه الفئة الاجتماعية التي كانت تلعب دورا مهما في الاقتصاد العراقي وتساهم بحيوية في إنتاج الدخل القومي والثروة الاجتماعية والتي كانت تشكل جزءا مهما من الفئة المتوسطة في المجتمع تتراجع اليوم اقتصاديا ويتحول الكثير من أفرادها ليشكل جزءا مهما من الفئات الفقيرة في المجتمع. الا ان أهمية هذه الفئة ومشروعاتها الاقتصادية الصغيرة ستبقى قائمة وضرورية لتطور الاقتصادي العراقي حاليا وفي المستقبل.

#### رابعا: القطاع الزراعي

تعاني الزراعة العراقية من أوضاع ونتائج مماثلة لبقية القطاعات الاقتصادية. فالإنتاج الزراعي يواجه تدهورا مستمرا لإسباب تعود بالأساس إلى اتجاهات ومضمون السياسة

---

اساسيا وحاسما فيها، تقوم باستثناء عدد كبير من المواد التي يطلبها العراق والتي تنفع في تنشيط انتاجه الصناعي أو اشباع حاجة استهلاكية محلية بحجة انها تخدم تعزيز البنية التحتية للاقتصاد العراقي، وانها يمكن عند ذاك استخدامها في تعزيز القدرات العسكرية للعراق. ومثل هذا التوجه يؤثر سلبا على الصناعات الصغيرة والحرفية ايضا، ولا بد من تحرير عمل هذه اللجنة من هيمنة ورقابة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ووضعها بأيدي بلدان حيادية تسهم في تأمين الكثير من المواد الضرورية للعراق دون ان تخل بقرار منع احتمال عودة العراق لأنتاج اسلحة الأباداة الجماعية والتدمير الشامل. كما يلاحظ ان عمل اللجنة يتسم بالبطء المتعمد وفق ما ظهرت لمجلس الأمن خلال شهر كانون الأول/ديسمبر من عام ١٩٩٧ حين كان المجلس يدرس قرار تجديد فترة تنفيذ قرار "النفط مقابل الغذاء" لستة اشهر اخرى.

الزراعية الخاطئة التي مارستها وما تزال تمارسها الدولة في العراق. فهذه السياسة التي لم تحقق التوازن النسبي في التنمية الاقتصادية، رغم المبالغ الطائلة التي صرفت على القطاع الزراعي وبخاصة في مجال استصلاح الأراضي واقامة شبكات الري والبزل خلال سنوات العقد الثامن، ألحقت وما تزال تلحق أضرارا فادحة بالاقتصاد الوطني وبمصالح الفلاحين. وقادت إلى حدوث هجرة واسعة في صفوف الفلاحين الشباب الذين توجهوا صوب المدينة محاولين العثور على عمل هناك أو الالتحاق بالخدمة العسكرية أو العمل في صفوف الشرطة وشرطة السجون وأجهزة الأمن والاستخبارات العراقية والحرس الجمهوري أو القوات الخاصة بصدام حسين. وكانت حربا الخليج الأولى والثانية سببا أساسيا في إبعاد أو تعطيل عشرات الوف الفلاحين عن الزراعة، كما عطلت قدرات عشرات الوف أخرى منهم عن المشاركة في الإنتاج الزراعي. وتتجلى إشكالية الزراعة حاليا في تردي شبكات الري والبزل والعجز عن اصلاحها والنقص الكبير في توفير البذور المحسنة والأسمدة ومواد مكافحة والعلف الحيواني والتجهيزات الزراعية الأخرى، وبخاصة المكائن والمعدات الزراعية ومعدات الري والبزل وسيارات النقل، التي كانت تستورد من الخارج أو تستورد أجزاء بعض منها ويستكمل إنتاجها في الداخل. وأخيرا فهي تشير أيضا إلى الإهمال الشديد الذي تعرضت له الزراعة بسبب نقص الموارد المالية والمعدات الضرورية لعمليات البزل وتخليص الأراضي الزراعية من الملوحة وتدني خصوبتها، ثم المصاعب التي تواجه الزراعة في كردستان العراق بسبب الأوضاع الاستثنائية السائدة واقتتال الفصائل المسلحة التابعة للحزبين القوميين الكرديين. ومما زاد في الطين بلة تلك الأجتياحات العسكرية التركية المتكررة للأراضي العراقية بحجة مطاردة الفصائل المسلحة لحزب العمال الكردي في تركيا الموجودة على الأراضي العراقية. وتتم هذا الاجتياحات بعلم وموافقة وتعاون الحزب الديمقراطي الكردستاني الموحد. وفي ظل هذه الأوضاع الاستثنائية المستمرة منذ سنوات حرم العراق كله من الاستفادة من منتجات هذه المنطقة الغنية، وبخاصة بالنسبة للخضراوات والفواكه، كما حرم أبناء هذه المنطقة من التموين الضروري للعيش اليومي. ويتسبب تدخل القوات المسلحة التركية بهجرة فلاحية واسعة من تلك الأراضي الصالحة للزراعة، إضافة إلى تهديم

مئات القرى الفلاحية وتخریب المحاصيل الزراعية. وتلعب عوامل أخرى مثل تخلف طرق المواصلات والنقل ومخازن لحفظ السلع الزراعية ومشكلات الطاقة الكهربائية أو غياب الأمن والأستقرار دورها بتردي إمكانیات وعمليات التسویق الزراعي. ومع ان هذه العوامل كانت قائمة حتى قبل نشوب الحربين الخليجيتين والمعارك الدامية في كردستان فأنها قد تردت أكثر فأكثر نتيجة التدمير الواسع النطاق الذي لحق بمشاريع الهياكل الارتكازية الضرورية جدا للزراعة والاقتصاد الزراعي في سنوات ما بعد حرب الخليج الثانية.

في عام ١٩٧٠ كانت سلطة البعث قد أصدرت القانون رقم ١١٧ للإصلاح الزراعي الذي تم بموجبه تعديل القانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٩، كما اجرت تعديلات مهمة على التعديلات التي صدرت في فترة حكم عبد السلام عارف وأخيه عبد الرحمن عارف. ومن الناحية النظرية يعتبر القانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٧٠ تطورا إيجابيا للقانون الذي صدر عن قيادة ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨، ومحاولة لمعالجة الأوضاع التي كانت تسير نحو الأسوأ بالنسبة للزراعة وحياة الفلاحين وتموين الأسواق المحلية بالمنتجات الزراعية. وكان القانون الجديد قد صدر تحت ضغط وتأثير عوامل كثيرة بما فيها وضع الزراعة والريف والمطالبة الفلاحية الملحة والمنافسة مع الحزب الشيوعي العراقي وبعض القوى الوطنية الأخرى والحاحها في إتخاذ الإجراءات الكفيلة بتحسين أوضاع الريف وحياة الفلاحين وتأمين التطور المعجل للاقتصاد الوطني، إضافة إلى رغبة البعث الحاكم في كسب تأييد الفلاحين له في بداية وصوله إلى السلطة حيث كان حزب البعث حينذاك (جناح ميشيل عفلق في العراق) ما يزال ضعيفا ويفتقد إلى تأييد الجماهير الواسعة. وإذا كانت السنوات الأولى من السبعينات قد شهدت ممارسة جملة من السياسات المنشطة للقطاع الزراعي، سواء في مجال القروض والمكننة واستصلاح الأراضي الزراعية والأرشاد الزراعي وتوفير المخصبات والبذور المحسنة الخ...، الا أن مجمل السياسة الزراعية والتراجع الفعلي عن تنفيذ بنود ومضامين قانون الإصلاح الزراعي والأیغال في الاستبداد ومصادرة حتى المظاهر الشكلية للتعددية الحزبية المؤقتة، ثم الحرب التي أشعلها النظام في عام ١٩٨٠ والأحداث اللاحقة والحرب المستمرة التي شنها النظام سنوات طويلة ضد الشعب الكردي قد أدت كلها إلى حصول

إنتكاسة شديدة في اقتصاديات وحياء الريف وفي إجمالي الإنتاج الزراعي ومعدل إنتاج الغلة، وبالتالي إلى تدهور في إجمالي قيمة الإنتاج الزراعي كما يوضح الجدول التالي.

### جدول رقم ١٢

مقدار ونسبة مشاركة القطاع الزراعي في تكوين الناتج المحلي الإجمالي

السنة	الزراعة والصيد بالأسعار الجارية مليون دينار عراقي	نسبتها إلى الإجمالي %	الزراعة والصيد بالأسعار الثابتة لسنة ١٩٨٠ م.د.ع.	نسبتها إلى الإجمالي %
١٩٨٠	٧٤١,٩	٤,٧	٧٤١,٩	٧,٤
١٩٨١	٩٥٥,٥	٨,٥	غ.م.	غ.م.
١٩٨٢	١٣٠٩,٦	١٠,٣	غ.م.	غ.م.
١٩٨٣	١٤١٣,٦	١١,٠	غ.م.	غ.م.
١٩٨٤	١٩٤١,٩	١٢,٨	غ.م.	غ.م.
١٩٨٥	٢١٦٠,٣	١٤,٠	١٠٠٢,٠	٢,٩
١٩٨٦	٢١٧٣,٧	١٤,١	٩٣٧,٠	٧,٧
١٩٨٧	٢٥١٨,٧	١٣,٦	٨٦٠,٩	٥,٥
١٩٨٨	٢٨٣٤,٣	١٣,٨	٩٠٨,٢	٠,٧
١٩٨٩	٣٣٤٦,١	١٥,٣	٩٨١,٥	٩,٦

المصدر: زيني، محمد علي د. الاقتصاد العراقي في ظل نظام صدام حسين تطور أم تقهقر. مؤسسة الرافد للنشر والتوزيع. لندن. ١٩٩٥. ص ٢٩٠/٢٩١.

قارن: الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي. الحسابات القومية للبلدان العربية ١٩٧٥-١٩٨٧ وتقديرات ١٩٨٨. الجزء الأول. الجداول القطرية. الكويت مايو ١٩٨٩. ص ٤١.

\* الناتج المحلي الإجمالي بسعر التكلفة.

وفي ضوء أرقام هذا الجدول نلاحظ بأن قيمة إجمالي الإنتاج الزراعي بلغت في عام ١٩٨٠ حوالي ٧٤١,٩ مليون دينار عراقي وارتفعت في عام ١٩٨٩ إلى ٩٨١,٥ مليون دينار عراقي (بالأسعار الثابتة لعام ١٩٧٥)، أي بنسبة زيادة قدرها ٣٢,٣٪ خلال تسع سنوات، في حين إرتفع عدد سكان العراق من ١٣٢٣٨ ألف نسمة إلى ١٨٢٢٨٠ ألف نسمة خلال نفس الفترة الزمنية، أي بنسبة زيادة قدرها حوالي ٣٨٪ خلال تلك الفترة، علما بأن هذه السنوات قد عرفت الحرب العراقية - الإيرانية التي تطلبت توجيه القسم الأكبر من الإنتاج الزراعي إلى جبهات القتال. وإزاء هذا الواقع قامت الحكومة العراقية باستيراد كميات كبيرة جدا من الحبوب واللحوم والمواد الغذائية الأخرى لتغطية الحاجة المحلية التي كانت في زيادة مستمرة نتيجة الحرب ونتيجة إرتفاع الطلب على السلع الغذائية. وكانت الولايات المتحدة الأمريكية من أكبر موردي الحبوب للعراق أثناء الحرب العراقية-الإيرانية لمساعدة النظام على مواصلة حربه ضد إيران ومن أجل إجهاد البلدين اقتصاديا وعسكريا.

وتشير كل الدلائل إلى أن المشكلة الزراعية في العراق قد إزدادت تعقيدا بفعل التطورات الجديدة التي بدأت منذ منتصف الثمانينات وتنامت سنة بعد أخرى بسبب العودة، بهذا القدر أو ذاك، إلى العلاقات العشائرية في الريف وإلى إستعادة الكثير من قدامى العائلات الإقطاعية وكبار ملاكي الأراضي الزراعية لنفوذهم الاقتصادي والاجتماعي في الريف وفي عموم المجتمع، إضافة إلى بقية المشكلات التي اشير إليها سابقا. ونتيجة لذلك إزدادت الحاجة إلى الاستيراد في وقت لا تتوفر فيه الموارد المالية للاستيراد مما دفع الدولة إلى استيراد كميات معينة من السلع الزراعية وغيرها على أساس الدفع اللاحق للديون نفطا وبأسعار تفضيلية مخفضة جدا.

وتشير آخر المعلومات عن الوضع الزراعي في العراق إلى ان الدولة تفرض على الفلاحين عبر قوانين ملزمة بزراعة الحبوب في مساحات واسعة من الاراضي الزراعية بهدف توفيرها للسكان. إذ ان التوجه نحو التوسع في زراعة الأراضي بالحبوب، رغم أهميتها بأعتبارها المادة الغذائية الأساسية للغالبية العظمى من السكان، زيادة إنتاج الحبوب، قد ادى إلى تفاقم اشكاليات أخرى في القطاع الزراعي، نشير إلى بعضها فيما يلي:



- ١ - تقلص كبير في إنتاج السلع الزراعية الأخرى بما فيها الخضر“
- ٢ - تراجع شديد في خصوبة التربة نتيجة إنهاكها المستمر والتخلي عن استخدام الدورة الزراعية (أو) وبسبب نقص المخصبات“
- ٣ - بروز فئة من كبار ملاكي الأراضي الزراعية أو المستحويين عليها بطرق مختلفة تحقق لهم أرباحا عالية على حساب المجتمع. ويبدو ان جمهرة صغيرة من اغنياء الفلاحين وكبار ملاكي الأراضي الزراعية المرتبطين مباشرة بالعائلات الحاكمة تستفيد من ذلك ولكن هذه الفائدة لا تعم الفلاحين في العراق“
- ٤- ارتفاع شديد ومتواصل في أسعار الفواكه والخضر ومجمل السلع الزراعية.
- ومن يتتبع واقع الريف العراقي يستطيع أن يتيقن بأن العلاقات الإنتاجية السائدة في الريف العراقي تشكل اليوم مزيجا من العلاقات شبه الإقطاعية والعلاقات الرأسمالية النامية ببطء شديد، وأن مجموعة صغيرة من كبار ملاكي الأراضي الزراعية الجدد والقدامي هي التي تستحوذ على مساحات واسعة من اخصب الأراضي الزراعية. وعدد غير قليل من هؤلاء هم من ابناء المسؤولين في العراق من الذين تحقق لهم ذلك الأستحواذ وفق قرارات واجراءات خاصة صادرة اما عن مجلس قيادة الثورة أو عن وزارة الزراعة، ويهتم هؤلاء بأستثمار تلك الأراضي الزراعية الواسعة في إنتاج الحبوب بشكل خاص ويحققون أرباحا عالية على حساب المجتمع والدولة، إذ رغم المصاعب المالية فأن الدولة تقوم بمنح هؤلاء قروضا ومساعدات خاصة لجلب المكائن والسيارات الكبيرة من الخارج حيث تعفى من الرسوم الجمركية التي لا تمنح مثلها للفلاحين الفقراء وصغار المنتجين. والمعطيات المتوفرة تشير إلى ان الناتج المحلي الإجمالي في الزراعة قد تذبذب خلال الفترة ١٩٩٠-١٩٩٣ على النحو التالي:

جدول رقم ١٣

الناتج المحلي الإجمالي في القطاع الزراعي بملايين الدنانير العراقية

(وفق الأسعار الثابتة لعام ١٩٨٠)

التفاصيل	١٩٩٠	١٩٩١	١٩٩٢	١٩٩٣
الناتج المحلي الإجمالي	١٠٧٣	٨٠١	٩٨٢	٩٦٥

المصدر: تقرير التنمية البشرية - ١٩٩٥ -، جمعية الاقتصاديين العراقيين، بغداد ص ٧

ويستدل منه إلى ان القطاع الزراعي قد شهد انخفاضا نسبيا قدره ٢٥,٤٪، ٨,٥٪ و حوالي ١٠٪ على التوالي خلال السنوات الثلاث التالية لعام ١٩٩٠. الا ان هذا القطاع المرتبط إلى حدود غير قليلة بالمناخ والأمطار على نحو خاص قد شهد تذبذبا ملموسا خلال سنوات ١٩٩٤-١٩٩٦ أيضا وتراجعا في الإنتاج الإجمالي عجزت عن بلوغ مستواها في عام ١٩٩٠، رغم الجهود التي بذلت في هذا الصدد. فالتقرير المشار اليه سابقا يعزي كل ذلك إلى سياسة الحصار الاقتصادي الدولية، وهو في هذا على حق، ولكنه يهمل تماما العوامل الأخرى التي تسببت وما تزال تتسبب في ذلك وأهمها سياسة الدولة الاقتصادية، والتي سنتطرق اليها فيما بعد، فيقول: "ان استمرار هذا الحصار الذي اخذت تأثيراته المباشرة وغير المباشرة أبعادا اقتصادية واجتماعية وثقافية وصحية خطيرة على الشعب والاقتصاد العراقي، أدى إلى استمرار تدني النشاط الاقتصادي عند مستوياته التي بلغها بعد الحرب مباشرة في عام ١٩٩١ والحيلولة دون استعادة عافيته وذلك بسبب شحة النقد الأجنبي اللازم لتشغيل الطاقات الإنتاجية المتاحة في الاقتصاد العراقي.<sup>١٦٤</sup> ويبدو للمتبع ان هذا الأستنتاج صحيح رغم انه وحيد الجانب، إذ ان كل الدلائل تشير إلى نزوب المدخرات المحلية لدى السكان وإلى تقلص مستمر ونزوب الاحتياطي السابق من العملات

١٦٤ رسول، فائق علي د. تقرير التنمية البشرية - ١٩٩٥ - العراق: صادر عن جمعية الاقتصاديين

العراقيين. بغداد. ١٩٩٥. ص ٧٢-٧٣.

الصعبة تقريبا وإلى تراجع في الإنتاج المحلي حتى وفق الأرقام الرسمية للدولة، في ما عدا أرقام القطاع الزراعي وبصورة نسبية حيث يقل اعتماده على الخارج نسبيا.

وفي ضوء ذلك يمكن تسجيل الملاحظات التالية:

- أن القطاع الزراعي بأوضاعه الراهنة عاجز عن تأمين نسبة كبيرة من المنتجات الزراعية التي يتطلبها السوق الداخلي، سواء كان ذلك بالنسبة للاستهلاك البشري أم لتمويل المشاريع الصناعية القائمة بالمواد الأولية. وتؤثر هذه الحالة مباشرة على أسعار السلع الزراعية التي تميزت بالارتفاع الشديد خلال الأعوام القليلة المنصرمة، وكذلك أسعار السلع الصناعية التي تعتمد في إنتاجها على المواد الأولية الزراعية.

- ولعبت الصعوبات الفائقة في توفير العملة الصعبة دورا مهما في إعاقه استيراد مستلزمات الإنتاج الزراعي الضرورية وفي استمرار ضعف معدلات إنتاجية غلة الدونم الواحد وارتفاع أسعار السلع الزراعية وإلى قصور الزراعة عن تمويل السوق المحلية بحاجاته المتنامية.

- وبسبب صعوبات التشغيل في المدينة والحصول على مورد رزق مستمر لجأت كثرة من أبناء الريف السابقين إلى العودة إلى أحضان الريف ومحاولة العمل في الزراعة. وقد ساعد نقص المكننة وبقيّة المستلزمات الزراعية إلى ارتفاع في عدد العاملين في الزراعة، ولكنها تضمنت في الوقت نفسه بطالة مقنعة غير قليلة، وضغط شديد على الأجور والمداخيل وبقاء معدلات إنتاجية العمل واطئة بالنسبة للفرد الواحد.

- تفاقم حالة التمايز الطبقي في الريف، وبشكل خاص بين فئات كبار ملاكي الأراضي الزراعية وأغنياء الفلاحين من جهة وبين الفئات الفقيرة والعمال الزراعيين من جهة أخرى. وتشير المعلومات الواردة من الريف العراقي إلى أن درجة استغلال الفلاحين من جانب كبار الملاكين وأغنياء الفلاحين أخذت بالأشتداد وليس هناك من يدافع عنهم أو يسترد بعض حقوقهم، خاصة وأن جيش العاطلين كبير جدا، وإن هذه الفئات تحاول، كما يبدو، الانتقام من الفلاحين الفقراء والعمال الزراعيين بسبب تأييدهم السابق لقانوني الإصلاح الزراعي الأول والثاني.

- ورغم هذا الواقع الزراعي فأن المعلومات الواردة من العراق تشير إلى أن حالة الفلاحين، رغم بؤسها، ما تزال أفضل من حالة الكثير من العمال وأشباه البروليتاريا وفئات من البرجوازية الصغيرة في المدينة. وهي ظاهرة جديدة بالدراسة والتحليل، خاصة وأن التكافل الاجتماعي في الريف العراقي أعلى بكثير منه في المدينة.

- ان الأزمة التي يمر بها العراق حاليا تضع على عاتق القوى التي ستصل إلى السلطة على أنقاض الدولة الصدامية ان تعير انتباها كبيرا للقطاع الزراعي (الإنتاج النباتي والحيواني والغابات وصيد الأسماك) وأن تعزز دوره في تأمين الغذاء للسكان والمواد الأولية للصناعة. فعلى أهمية الصناعة في الاقتصاد الوطني تبقى الزراعة قادرة، لو استثمرت الموارد المتوفرة فيها بصورة عقلانية وحديثة، على تحقيق نتائج إيجابية في صالح التنمية الوطنية والأمن الغذائي والتشغيل الواسع نسبيا للأيدي العاملة العاطلة حاليا.

- الا ان هذا الاتجاه يستوجب إيلاء اهتمام خاص بتأمين الخدمات الزراعية والخدمات الاجتماعية، وبخاصة التعليم المهني وشبكة طرق المواصلات الريفية والمخازن والمستلزمات الزراعية الأخرى التي في مقدور الدولة والقطاع الخاص المساهمة المشتركة في تحقيقها.

#### خامسا: العلاقات الاقتصادية الدولية للعراق

استطاع النظام العراقي أن يقيم خلال فترة زمنية قصيرة شبكة واسعة من العلاقات السياسية والاقتصادية والتجارية والثقافية على المستويين الإقليمي والدولي، وبخاصة منذ النصف الثاني من العقد الثامن. ولعبت موارد النفط المالية أولا، والأجهزة السياسية والاقتصادية والفنية والأمنية التي اقامها لهذا الغرض والحركة النشيطة غير البيروقراطية والمرنة لهذه الأجهزة ثانيا، دورا كبيرا في تأمين التوسع المستمر لتلك العلاقات. وكانت أهداف هذا التوسع في العلاقات متنوعة وذات وعي وهدف مسبقين لما يريده النظام منها لاحقا. ولعبت هذه العلاقات دورا إيجابيا فعلا في تعجيل التطور الاقتصادي العراقي

وتنامي تجارته الخارجية. الا أن هذه العلاقات لعبت دورها السلبي أيضا على المجتمع وعلى التطور اللاحق للعراق، وبخاصة في موضوع الديمقراطية وحقوق الإنسان ودولة القانون والشرعية الدولية أولا وفي إثارة الفوضى في النشاط الاقتصادي ولم تساعد على تخفيف التشوه والتبعية التي بقى العراق يعاني منهما. فوجهة تلك العلاقات ومضمونها ساهمت بشكل خاص في:

- توطيد النظام السياسي الاستبدادي ومنحه "الشرعية" على النطاق الدولي والإقليمي، رغم ما كان يقوم به من تجاوزات وانتهاكات فظة على حقوق الإنسان والحريات العامة والديمقراطية

- تكريس سياساته غير العقلانية في مختلف المجالات

- التخلص من منافسيه ومعارضيه سياساته وخصومه السياسيين تدريجا بعد ان نجح في الأنفراد بكل منهم

- الإعتماد على تلك العلاقات في تنفيذ جملة من أهداف ومشاريع النظام التي لم تكن معروفة تماما حينذاك. ويمكن للمرء أن يشير إلى جملة من تلك المسائل:

\* توسيع وتطوير القوات المسلحة العراقية وأستيراد كميات هائلة من الأسلحة التقليدية الحديثة من بلدان الشرق والغرب

\* بناء صناعة عسكرية متقدمة نسبيا

\* التزود بأسلحة الإبادة الجماعية، وبخاصة الأسلحة الكيميائية والجرثومية، وإقامة منشآت لإنتاج هذين النوعين من الأسلحة، إضافة إلى أستيراد أو إنتاج الصواريخ ذات المدى القريب والمتوسط

\* توفير مستلزمات البدء في الحصول على اليورانيوم المخصب والمعدات المختبرية والصناعية الضرورية لإنتاج السلاح النووي في العراق

\* التوسع في إقامة أحدث المنشآت والثكنات العسكرية والطرق والجسور في سائر أرجاء العراق وبخاصة في كردستان العراق

- توجيه موارد مالية ضخمة لإغراض العناية بالعلاقات الدولية والإقليمية والعربية بالطريقة الصدامية التأميرية وتوسيع أجهزة السلك الدبلوماسي والملحقيات التجارية والعسكرية والثقافية والصحية ومؤسسات الخطوط الجوية العراقية في الخارج وأستخدامها جميعا لإغراض خاصة بالنظام والتي توجهت نحو شراء ذمم عدد غير قليل من الشخصيات السياسية والإجتماعية والثقافية والصحفيين وقيادات أحزاب ومنظمات سياسية ونقابية ومهنية وصحف ومجلات في العالم العربي وفي بلدان أخرى من العالم من أجل ضمان تأييدها له، إضافة إلى إن مكاتب الخطوط الجوية العراقية قد تحولت بشكل خاص إلى أوكار لإجهزة الأمن لتأمين الجواسيس وتنظيم الملاحقات والإغتيالات ضد الشخصيات المعروفة في صفوف المعارضة العراقية في الخارج، وإلى مخابئ لخرن كميات كبيرة من الأسلحة والعتاد لاستخدامها في تنفيذ خطط النظام في هذا الصدد. ومن تلك الأوكار السيئة الصيت انطلقت عمليات الملاحقة والتجسس والاغتيالات بأساليب مختلفة كما جرى تنفيذ بعض التفجيرات أو عمليات التسميم التي أودت بحياة مجموعة من العراقيين المعارضين للنظام العراقي“

- استخدام الموارد المالية لدعم الكثير من الحملات الانتخابية لمرشحي أحزاب سياسية "ديمقراطية وتقدمية" و"قومية يمينية" كانت تدعم سياسة النظام العراقي وتزكيه على الصعيدين الإقليمي والدولي وتغطي على سياساته الداخلية المعادية للديمقراطية ومصادرة حقوق الإنسان ومكافحة أحزاب المعارضة السياسية. ولم تقتصر تلك المبالغ المصروفة على الحملات الانتخابية فحسب، بل شملت دفع الرشوات لشراء ذمم موظفين ومستخدمين شملت في حينها العديد من البلدان الرأسمالية والاشتراكية“

- إقامة مشاريع اقتصادية إنتاجية وغير إنتاجية بذخية في مختلف فروع الاقتصاد الوطني غير متجانسة مع حاجات وإمكانيات العراق الفعلية ومستوى تطوره البشري والتقني، أي تفاوتها الكبير مع مستوى تطور القوى المنتجة المحلية بشكل عام“

- استيراد كميات هائلة من السلع الاستهلاكية بمبالغ طائلة وإغراق الأسواق المحلية بها والعمل المنظم والهادف إلى تأجيج النزعات الاستهلاكية في المجتمع والتي كان لها تأثير

مباشر على سلوكية الفرد العراقي وموقفه من اتجاهات التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

لقد لعبت هذه السياسات دورا كبيرا في إستنزاف نسبة عالية جدا من إيرادات النفط الخام وقلصت القدرات التراكمية المتاحة فعلا لإغراض التثمين الإنتاجي وساهمت في توفير مستلزمات ممارسة السياسات المغامرة للنظام والتي أدت إلى الانهيارات اللاحقة والتي يعاني من نتائجها الشعب كله. وعادت إيرادات النفط العراقية مرة أخرى إلى اقتصاديات تلك الدول التي إستوردت النفط الخام أساسا، وهي الدول الرأسمالية المتقدمة وبعض الدول الاشتراكية، وإذا كانت المجموعة الأولى من الدول قد جنت من جراء ذلك أرباحا عالية جدا وخيالية بالقياس لواقع وإمكانات العراق، فأن أرباح المجموعة الثانية، الإتحاد السوفييتي وبقية البلدان الاشتراكية حينذاك، لم تكن سوى فتات موائد. ومع ذلك فإن تلك الدول كانت من بين اهم المتعاملين الأساسيين مع النظام وبخاصة في مجال أستيراد وتصنيع الأسلحة والمعدات العسكرية الأخرى. وكان الشعب العراقي هو الخاسر الأكبر في موارده النفطية والمالية والبشرية من وراء كل ذلك، بما فيه ما يجري اليوم من تدمير لأسلحته الكيميائية والجرثومية والصواريخ وبعض التجهيزات الخاصة بالنشاط النووي وتحمل تكاليف ذلك التدمير وتكاليف اللجان المشرفة عليه والمنفذة له.

ويمكن للأرقام التالية أن توضح حجم التبادل التجاري العراقي خلال الفترة الواقعة بين ١٩٥٠-١٩٩٤ والتي تجسد الواقع الذي أشرت إليه في أعلاه، إضافة إلى التوسع في حجم استيرادات العراق من نظم الأسلحة التقليدية الحديثة خلال هذه الفترة أيضا.

جدول رقم ١٤

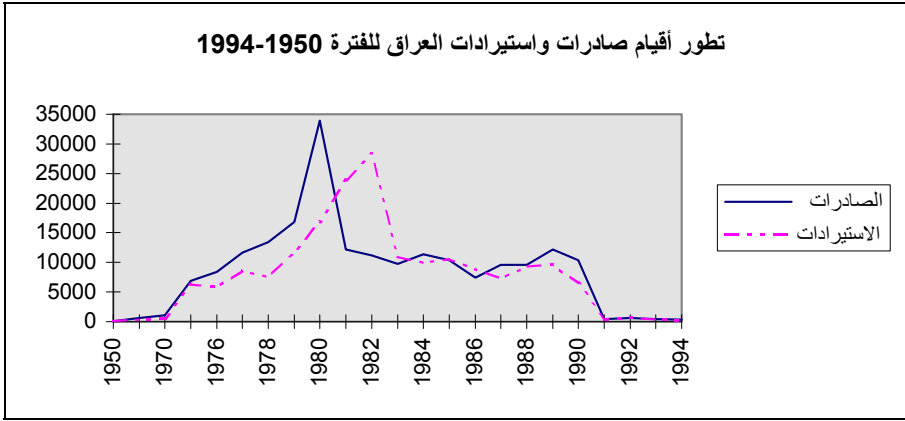
تطور صادرات واستيرادات العراق للفترة الواقعة بين ١٩٥٠-١٩٩٤

(مليون دولار أمريكي)

السنة	الصادرات	الاستيرادات	الوفرة أو العجز
١٩٥٠	١٢٢	١٠٥	٧
١٩٦٠	٦٥٤	٣٩٠	٢٦٤
١٩٧٠	١١٠٠	٥٠٩	٥٩١
١٩٨٠	٣٣٩٠٣	١٦٨٣٤	١٧٠٤٦
١٩٨١	١٢١٥٠	٢٣٩٣٤	- ١١٧٨٤
١٩٨٨	٩٦١٣	٩٢٨٧	٣٢٦
١٩٨٩	١٢١٨٥	٩٦٠٠	٢٥٨٥
١٩٩٠	١٠٣٨٣	٦٥٢٤	٣٨٥٩
١٩٩١	٤٦٨	٤٢١	٤٧
١٩٩٢	٦٠٩	٦٣٧	- ٢٨
١٩٩٣	٤٦٨	٣٦٨	١٠٠
١٩٩٤	٣٣٧	٢٧٩	٤٠

المصدر: (١) الحسابات القومية للبلدان العربية ١٩٧٥-١٩٨٧ وتقديرات ١٩٨٨ الجزء الثاني الجداول التجميعية، ص ٩٦ وص ١٠٣، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والإجتماعي، الكويت مايو/ أيار ١٩٨٩ (٢) التقرير الاقتصادي العربي الموحد ١٩٩٢، ص ٣٢٩، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والإجتماعي، الكويت (١٩٩٣) التقرير الاقتصادي العربي الموحد، سبتمبر ١٩٩٦، ص ٣٢١





ويستدل من الجدول رقم (١٤) ما يلي:

- أن النظام العراقي قد خصص القسم الأكبر من إيرادات النفط الخام لصالح تنمية استيراداته السنوية المختلفة. ورغم تلك الزيادة في قيمة استيراداته واصل ميزانه التجاري تسجيل وفرة متطورة من سنة إلى أخرى خلال الفترة الواقعة بين ١٩٧٥ - ١٩٨٠ بسبب ضخامة كميات النفط المصدرة سنويا والتعديل الذي حصل على أسعار النفط حينذاك حيث سجلت أسعاره إرتفاعا كبيرا لصالح البلدان المنتجة والمصدرة للنفط
- وأن أول عجز ظهر في ميزانه التجاري قد اقترن بالحرب العراقية-الإيرانية
- ويعتبر عام ١٩٨١ بداية لمديونية العراق الخارجية، سواء تلك التي يدفع عنها فوائد عالية ومتراكمة سنة بعد أخرى أم تلك الديون التي منحت له من الدول العربية التي كانت لها مصلحة مباشرة بالحرب ضد إيران والتي ساهم بعضها بتزويده بالأموال لمواصلة وتطوير أبحاثه النووية. ويعتبر النظام العراقي، وهو على حق في هذا، أن هذه الديون غير قابلة للتسديد وتعتبر ميتة.
- ومنذ عام ١٩٨٦ بدأ الميزان التجاري العراقي يسجل مرة أخرى وفرة ولكنها لم تكن كافية يأي حال لتغطية حاجات العراق لمواصلة الحرب أو فيما بعد لإعادة تعمير ما خربته تلك الحرب، والتي كانت بداية التحرش بالكويت وضمن أسباب غزوها وفرض الأحتلال عليها واعتبارها المحافظة العراقية رقم ١٩.

وبسبب ضعف الأهتمام بالتنمية الصناعية والزراعية من جهة وتنامي موارد استخراج وتصدير النفط الخام من جهة أخرى اعتمد العراق على استيراد كميات متزايدة من السلع الغذائية من سنة إلى أخرى لتلبية حاجات الاستهلاك المحلي التي كانت تنمو باضطراد وكانت تكلف العراق المليارات من الدولارات النفطية. الا ان الفترة التي اعقبت حرب الخليج الثانية وبسبب الحصار الاقتصادي وتقلص الموارد المالية لم يتراجع الإنتاج المحلي للسلع الغذائية فحسب، بل تراجعت أيضا استيرادات العراق من السلع الغذائية. ويمكن للأرقام التالية ان تؤكد هذه الحقيقة التي وجدت تأثيرها المباشر على السوق المحلية وعلى شحة المواد الغذائية وارتفاع أسعارها ونقص التغذية لدى الغالبية العظمى من السكان وبخاصة بين الأطفال والشيوخ والنساء الحوامل. كما تقلصت صادرات العراق من المواد الغذائية إلى أسواق البلدان المجاورة، وبخاصة إمارات الخليج العربي، التي كان العراق يسعى من ناحيتين السياسية والاقتصادية على الاحتفاظ بعلاقات اقتصادية واسعة معها واستمرار تموينها بالمواد الغذائية.

#### جدول رقم ١٥

اقيام استيرادات المواد الغذائية بملايين الدولارات الأمريكية بالأسعار الجارية

التفاصيل	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨١	١٩٨٦	١٩٩١	١٩٩٦	١٩٩٣
قيمة الصادرات	٣٢,٩	٤٤,٦	٧٠,٨	٨٠,٢	٤٠,٣	٧,٧	٥,٥
قيمة الاستيرادات	٩٠,٢	٧٣٦,٥	٣٠٣٨,٤	٣٠٧٦,٣٨	٥,٣٨٧١	٣,٨٠٧	١٠٣٧,٩
الموازنة*	-٥٧,٣	-٦٩١,٩	-٢٣٧٧,٦	-٢١٨٨٨	-٥,٣٧٨١	-٧٩٦,٥	-١٠٣٢,٤

المصدر:

\* الموازنة أي العجز والوفرة في مجال المواد الغذائية فقط.

وتشير الأوضاع الجارية في العراق إلى ان الأعوام التالية لعام ١٩٩٣ حتى الوقت الحاضر شهدت تدهورا أكبر عن الأعوام التي سبقتها، كما تقلصت إمكانيات الأستيراد من الخارج وانعكس ذلك على حالة السوق المحلية وأوضاع السكان الغذائية، حتى بعد البدء بالتنفيذ البطيء والمراقب لقرار "النفط مقابل الغذاء". ان النمو الكبير في استيراد المواد الغذائية في الثمانيات بمقاييس غير معقولة وبنسب عالية جدا ارتبط بتمويل جبهة الحرب التي خاضها العراق ضد إيران ودامت ثماني سنوات واشباع حاجات الاستهلاك المحلي خاصة، وبخروج مساحات كبيرة من الاراضي الزراعية في الجنوب والوسط وفي شمال العراق، بما فيها بعض مناطق كردستان، من دائرة الإنتاج الزراعي بسبب العمليات العسكرية فيها أو على مقربة منها. ويستطيع المرء ان يقدر مدى الضغط الذي تعرضت له موارد النفط المالية بسبب استيرادات الغذاء من جهة واستيرادات التجهيزات والمعدات والأسلحة العسكرية قبل الحرب العراقية-الإيرانية وخلالها وبعد إيقافها حيث وجه العراق موارد مالية كبيرة جدا لصالح إقامة أكبر ترسانة للأسلحة التقليدية الحديثة في المنطقة بعد إسرائيل ولصالح إقامة وتطوير الصناعات العسكرية في العراق. وتشير المعلومات المتوفرة إلى ان العراق خلال الفترة الواقعة بين ١٩٧٦-١٩٩٠، أي بعد ان بدأت إيرادات النفط الخام المالية السنوية بالارتفاع حتى سنة اجتياح الكويت واحتلالها، قد صرف المبالغ التالية للإغراض العسكرية، وبضمنها استيرادات الأسلحة التقليدية الحديثة.

جدول رقم ١٦

تطور المبالغ السنوية المصروفة للأغراض العسكرية

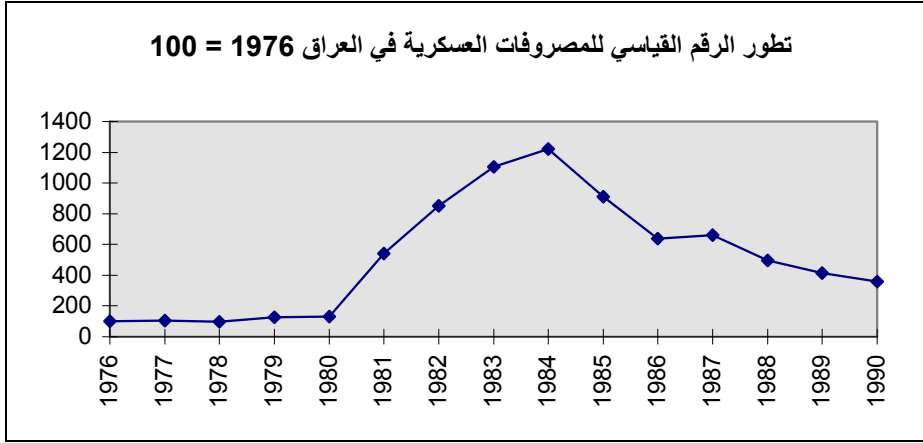
في العراق خلال الفترة ١٩٧٦-١٩٩٠

السنة	المصروفات مليون دولار أمريكي	١٩٩٦ = ١٠٠
١٩٧٦	٢٥٨٤	١٠٠,٠
١٩٧٧	٢٧٠٠	١٠٤,٥
١٩٧٨	٢٥٥٦	٩٨,٩
١٩٧٩	٣٢٣٥	١٢٥,٢
١٩٨٠	٣٣٥٣	١٢٩,٨
١٩٨١	١٤٠٠٧	٥٤٢,١
١٩٨٢	٢١٩٥٢	٨٤٩,٥
١٩٨٣	٢٨٥٩٦	١١٠٦,٦
١٩٨٤	٣١٥٩٠	١٢٢٢,٥
١٩٨٥	٢٣٥٠٦	٩٠٩,٧
١٩٨٦	١٦٥٣١	٦٣٩,٧
١٩٨٧	١٧٠٧٣	٦٦٠,٧
١٩٨٨	١٢٨٦٨	٤٩٨,٠
١٩٨٩	١٠٧٢٠	٤١٤,٩
١٩٩٠	٩٢٦٨	٣٥٨,٧
الإجمالي *	٢٠٠٥٣٩	-
المتوسط السنوي	١٣٣٦٩	-

المصدر: التقارير السنوية لمعهد ستوكهولم لبحوث السلام للفترة ١٩٨١-١٩٩١

(\* يضاف إلى هذا المبلغ ٥٠ مليار دولار أمريكي وجهت لأغراض استيراد وإنتاج

## أسلحة الدمار الشامل في العراق حسب احصائيات سبيري.



وتشير دراسات هذا المعهد إلى أن العراق قد صرف مبلغا قدره ٥٠ مليار دولار أمريكي لإغراض إنتاج الأسلحة الكيميائية والجرثومية والأسلحة النووية. فإذا أضيف هذا الرقم إلى الرقم الأول الخاص بإجمالي مصروفات العراق العسكرية فسيرتفع المبلغ إلى ٢٥٠,٦ مليار دولار تقريبا. وشكل هذا المبلغ ما يقرب من ٣٩,٢٪ من الناتج المحلي الإجمالي للعراق خلال الفترة ١٩٧٦-١٩٩٠ حيث بلغ الناتج المحلي الإجمالي لهذه السنوات مجتمعة حوالي ٦٤٠,١ مليار دولار أمريكي وفق الأسعار الجارية<sup>١٦٥</sup> وهذا يعني أن متوسط الصرف السنوي بلغ ١٦,٩ مليار دولار سنويا من متوسط سنوي للناتج المحلي الإجمالي لذات الفترة مقداره ٤٢,٧ مليار دولار تقريبا بالأسعار الجارية، أو ما يعادل ٣٩,٦٪ تقريبا. ويستطيع المرء أن يقدر مدى التطور الذي كان في مقدور العراق تحقيقه لو وجه النظام تلك المبالغ الكبيرة لصالح التنمية الاقتصادية والبشرية، ومدى نمو الثروة الوطنية بدلا من

١٦٥ (١) الصندوق العربي للأمناء الاقتصادي والاجتماعي. الحسابات القومية للبلدان العربية ١٩٧٥ -

١٩٨٧ وتقديرات ١٩٨٨. - الجداول التجميعية، الكويت - مايو - ١٩٨٩. الجزء الثاني. ص ٧.

(٢) التقرير الاقتصادي العربي الموحد ١٩٩١. صندوق النقد العربي. الكويت. ١٩٩١. ص ١٦٤.

(٣) التقرير الاقتصادي العربي الموحد ١٩٩٦. صندوق النقد العربي. الكويت. ١٩٩٢. ص ٢٣١.

حصول ذلك الدمار الهائل الذي يعاني منه العراق بسبب تلك السياسات العدوانية المعادية للشعب ومصالحه الأساسية التي مارستها السلطة في العراق، إضافة إلى الديون الثقيلة التي تراكمت بذمة البلاد والتعويضات التي يراد استقطاعها من موارده السنوية والتي يمكن ان تستنزف جزءاً مهماً من احتياطي النفط العراقي والتي قدرها البعض بحدود ٤٠٪/ ولسنوات طويلة.<sup>١٦٦</sup> وكانت تلك السياسة عدوانية وتوسعية موجهة ضد الشعوب المجاورة ومصالح شعوب المنطقة بأسرها. وجدير بالإشارة إلى أن فرنسا وألمانيا وبريطانيا وإيطاليا واسبانيا ويوغسلافيا وغيرها من الدول الأوروبية، إضافة إلى الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية، قد جنت كلها أرباحاً قصوى من عقد وتنفيذ صفقات السلاح ومن اتجاهات التنمية الاقتصادية في العراق ومن سياساته العدوانية في المنطقة.

#### سادسا: قطاع الدولة والقطاع الخاص

كان الموقف من قطاع الدولة ودوره وسعة نشاطه يشكل واحداً من أبرز الصراعات الاقتصادية والاجتماعية بين القوى السياسية والاجتماعية المختلفة في العراق منذ اربعينات هذا القرن، ثم اتخذ إبعادا جديدة بسبب تطور قدرات الدولة المالية التي ارتبطت بوجود النفط واستخراجه وتصديره من جانب الشركات الأجنبية وهيمنة الأخيرة على القسم الأعظم من تلك الثروة نفطاً ومالاً، والحد الفعلي الكبير من قدرة العراق على استخدام النفط وموارده المالية في التنمية الوطنية وفي إغناء الثروة الاجتماعية وفي تعزيز الأستقلال والسيادة الوطنية. وأخذ هذا الصراع إبعادا جديدة في أعقاب ثورة تموز عام ١٩٥٨ وفي الأقطابات السياسية التي اعقبتها. واعتبر الموقف المساند لزيادة دور ونشاط قطاع الدولة في مختلف فروع الاقتصاد الوطني، إضافة إلى موضوع التصنيع وحل المسألة الزراعية والموقف من شركات النفط الأجنبية ومن الرأسمال الأجنبي ونشاطه في اقتصاديات

---

<sup>١٦٦</sup> الشبيبي، سنان د. ورقة عمل قدمها إلى ندوة فيينا حول الاقتصاد العراقي التي نظمتها الهيئة الاستشارية العراقية في خريف عام ١٩٩٢، إضافة إلى أوراق عمل أخرى ومدخلات مجموعة من الاقتصاديين العراقيين.

البلاد، واحدا من أكثر المعايير أساسية في تقييم السياسة الوطنية والقومية لهذا الحزب أو تلك الجماعة السياسية، بغض النظر عن مستوى الإداء في هذا القطاع وعن النتائج المترتبة عن نشاطه ودوره والفئات الاجتماعية التي يخدمها أو مدى مساهمته في إغناء الثروة الاجتماعية أو بالأساس طبيعة السلطة وسياساتها الاقتصادية والاجتماعية والمصالح التي تمثلها وتدافع عنها. ولم يشذ عن هذه القاعدة حكم البعث بعد وصوله إلى السلطة بانقلاب عسكري في عام ١٩٦٨ ضد السلطة التي كانت تمثل بهذا القدر أو ذاك الاتجاه القومي الناصري في العراق، إذ كان هذا الاتجاه قد ابدى اهتماما خاصا بقطاع الدولة الاقتصادي التزاما بنهج عبد الناصر وتماثلا مع اتجاه التطور في مصر حينذاك والقناعات الخاصة لبعض المشاركين في الحكم أو المساندين له. وقد بادرت القوى القومية الحاكمة حينذاك إلى إصدار تشريع التأميمات في تموز/ يوليو من عام ١٩٦٤ التي شملت جميع القطاعات الاقتصادية الأساسية في الاقتصاد العراقي وبخاصة القطاع الصناعي والمصارف والتأمين والنقل والتجارة. وكانت الضربة الأساسية قد توجهت في حينها إلى البرجوازية الوطنية المتوسطة التي كانت تتعاطف مع حكم عبد الكريم قاسم والتي اتخذت مواقف سلبية من الحكم ومن النشاط الاقتصادي<sup>١٦٧</sup>. ومع ذلك فلم يكن الوضع الاقتصادي يتحمل حينذاك مثل هذه الإجراءات وأثرت بشكل شديد على مواقف ونشاط البرجوازية الوطنية عكوما. وكانت تلك الإجراءات لا تبتعد كثيرا عن محاولة التماثل مع الإجراءات التأميمية الواسعة

---

١٦٧ حبيب، كاظم. ملاحظات حول القطاع العام والتخطيط الاقتصادي في العراق. مجلة دراسات عربية.

العدد ٩/ تموز ١٩٦٩، بيروت.

حبيب، كاظم. اجراءات التأميم في البلدان النامية - ضرورتها واهميتها. مجلة دراسات عربية. العدد

٢/ كانون الأول ١٩٦٨. بيروت.

حبيب، كاظم. تحليل المواقف المتباينة للطبقات والفئات الاجتماعية أزاء اجراءات التأميم في البلدان

النامية. مجلة دراسات عربية. العدد ٤/ شباط ١٩٦٨. بيروت.

التي بدأ بها جمال عبد الناصر في عام ١٩٦١ وواصلها حتى عام ١٩٦٥ وتوجهت ضد أغلب فئات البرجوازية المصرية وبخاصة الكبيرة والمتوسطة<sup>١٦٨</sup>.

ولعبت التغيرات التي وقعت على قطاع النفط الخام في النصف الأول من العقد الثامن، وبشكل خاص موجة التأميمات في الأقطار العربية واستخدام التأمين كسلاح في النضال ضد الهيمنة الأجنبية وفي سبيل تحقيق المصالح العربية وتعديل أسعاره وزيادة حجم الإنتاج والتصدير في العراق، دورها في تأمين ارتفاع كبير في موارده السنوية وإلى زيادة دوره وتوسيع قاعدة قطاع الدولة موضوعيا. وساهمت عوامل كثيرة في دفع النظام في العراق، بما فيها الصراع ضد القوميين والشيوعيين وقيادة قطر العراق لحزب البعث العربي الاشتراكي والرغبة في الهيمنة على الاقتصاد العراقي من جانب القوى الحاكمة من خلال تعزيز دور قطاع الدولة الاقتصادي، وفي توسيع قاعدة قطاع الدولة وتزايد نشاطه حتى احتل المركز الأول في مجالات كثيرة حتى أوائل العقد التاسع. وبلغت أهمية قطاع الدولة

---

١٦٨ كانت رسالة الدكتوراة التي دافعت عنها في صيف عام ١٩٦٨ قد حملت العنوان التالي "طبيعة إجراءات التأمين في الجمهورية العربية المتحدة". وقمت في حينها بويارتين إلى مصر لا لجنح المعلومات والوثائق فحسب، بل والدخول بحوارات مع أربعة مستويات مختلفة هي:

– المسؤولين في الوزارات المعنية لمعرفة وجهة نظرهم بشأن هذه التأميمات وتصوراتهم عن دور المنشآت والمؤسسات المؤممة في العملية التنموية اللاحقة. والتقيت في حينها بعدد كبير من المسؤولين ومنهم على سبيل المثال لا الحصر د. عبد الرازق حسن ود. سلطان أبو علي“

– المسؤولين في الاتحاد الاشتراكي وفي المعهد الاشتراكي، الذي كان يشرف عليه حينذاك الدكتور أبراهيم سعد الدين، ومعهد التخطيط الاقتصادي وكان يشرف عليه الدكتور أسماعيل صبري عبد الله“

– المستوى الحزبي والإعلامي لقوى سياسية من غير الاتحاد الاشتراكي مثل الدكتور فؤاد مرسي، ميشيل كامل، ولطفي الخولي أبو سيف يوسف وبقية المجموعة العاملة في مجلة الطليعة“

– على المستوى الأكاديمي مثل د. محمد دويدار.

وقد كانت المناقشات مغنية وواسعة ومفيدة لدراسة الدكتوراه وللكتاب الذي أعدته فيما بعد للنشر وكتب مقدمته الصديق والرفيق الدكتور فؤاد مرسي والذي لم ير النور حتى الآن. وقد نشرت في حينها خلاصة مكثفة لبعض جوانب الرسالة في مجلة الطليعة المصرية في عدد منيها في عام ١٩٦٨.



النسبية ٨١,٤٪ في العام ١٩٨٠، و٥٩٪ في قطاع الدولة التجاري و٥٩٪ بالنسبة للعاملين في قطاع الدولة<sup>١٦٩</sup>. ومع ذلك بقي القطاع الخاص يحتل مكانة مهمة في الاقتصاد الوطني باستثناء القطاع النفطي الاستخراجي، كما احتل قطاع الدولة المركز الأول في تحقيق رأس المال الثابت الإجمالي بسبب موارد النفط المالية العائدة للدولة. يشير الدكتور عباس النصراوي إلى ذلك فيقول: "فعلى الرغم من تمكن القطاع الخاص عام ١٩٨١ تحقيق ما نسبته ٢٠٪ من تكوين رأس المال الثابت الإجمالي، ٣/١ الناتج المحلي الإجمالي، ١٥٪ من إجمالي الاستيرادات، فقد تباينت مساهمة هذا القطاع بشكل ملحوظ. ففي عام ١٩٨١ على سبيل المثال ساهم القطاع الخاص بما يقارب ٤٩٪ من الناتج المحلي المتولد في القطاع الزراعي، ٤٥٪ بقطاع الصناعة التحويلية، ٤٤٪ بالتجارة الداخلية، ٧٢٪ بقطاع النقل والمواصلات<sup>١٧٠</sup>. كما كانت مشاركة القطاع الخاص بقطاع التشييد ٩٥,٣٪، وبالقطاع الاستخراجي ١,٣٪ فقط<sup>١٧١</sup>.

الا ان دور قطاع الدولة الاقتصادي بدأ بالتراجع المتسارع لعوامل كثيرة بما فيها الهيمنة الكاملة على السلطة السياسية في البلاد من جانب حزب البعث وصدام حسين والأنهاء الكامل للوجود النسبي العلني لبعض الأحزاب السياسية والحرب العراقية-الإيرانية وتفاقم المشكلات الاقتصادية في البلاد نتيجة السياسة الاقتصادية والاجتماعية للدولة والحرب حينذاك وتعاظم تأثير الاتجاه الداعي إلى الخصخصة في العالم العربي وفي العراق أيضا، وزيادة دور وتأثير سياسات البنك الدولي الخ... وعمدت الدولة ليس إلى تقليص دور قطاع الدولة الاقتصادي فحسب، بل وإلى بيع مجموعة كبيرة من مشاريعه إلى القطاع الخاص بأبخس الأثمان، وبخاصة إلى الفئات الاجتماعية الجديدة القريبة جدا من السلطة والتي نمت

---

١٦٩ السيد علي، عبد المنعم د. وفتح الله، سعد حسين د. التنمية المستقلة: المفهوم - الإستراتيجيات، المؤشرات، النتائج - دراسة مقارنة في اقطار مختارة. مجلة الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية. العدد الثالث خريف ١٩٩٤. القاهرة. ص ٦٨.

١٧٠ النصراوي عباس د. الاقتصاد العراقي ١٩٥٠ - ٢٠١٠. مصدر سابق. ص ١٣٠.

١٧١ المصدر السابق نفسه. ص ١٣٠.

في ظل السلطة الصدامية، ابتداء من العام ١٩٨٧ بصورة رسمية<sup>١٧٢</sup>. وفي ضوء هذه الإجراءات والأوضاع تراجع دور قطاع الدولة وتقلصت قاعدته الاقتصادية وانخفضت أهميته النسبية إلى ٦٣٪ في العام ١٩٨٩ ولقطاع الدولة التجاري إلى ٣،٠٪ وللعاملين في قطاع الدولة إلى ٢١،٤٪<sup>١٧٣</sup>. وارتفعت عمليا الأهمية النسبية للقطاع الخاص في مختلف المجالات وعلى حساب تقلص مكانة ودور قطاع الدولة الاقتصادي.

وتواصلت عملية الخصخصة في قطاع الدولة الاقتصادي بأعتبارها سياسة دولة رسمية اكدها صدام حسين في خطبه مرارا ابتداء من العام ١٩٨٧ واصبحت "سياسة لا مناص منها" بعد اجتياح الكويت واحتلاله والحرب التي نجمت عنهما والحصار الاقتصادي الذي فرض على العراق، وبخاصة في مجال تصدير النفط الخام، باعتباره المورد الأساس والرئيس للدخل القومي ولتوظيفات قطاع الدولة في العراق. وعاد القطاع الخاص يحتل الدور الأول والمكانة الأولى في الاقتصاد العراقي في ظل انحباس شبه كامل لموارد النفط المالية بشكل خاص.

ان التجارب الغنية التي مرت بها شعوب بلدان العالم الثالث، ومنها العراق، وشعوب البلدان الاشتراكية تطرح على العاملين في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مسؤولية إيلاء أهتمام خاص بالعلاقة بين قطاع الدولة والقطاع الخاص أولا، وللعلاقة بين القطاعين الحكومي والخاص المحليين والقطاع الخاص الأجنبي ثانيا. ويهمني في هذا الصدد الجانب الأول من هذه العلاقة، إذ أن الأختلال في هذه العلاقة وفي دور كل منهما في العملية الاقتصادية يقود إلى بروز اختلالات أخرى لا في المجال الاقتصادي فحسب، بل وبشكل خاص في المجالات الاجتماعية والسياسية، وبشكل خاص في مجال التحالفات الوطنية بين الأحزاب التي تعبر في برامجها بهذا القدر أو ذاك عن مصالح مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية. والملاحظة تستهدف التنبيه إلى ضرورة الأخذ بالاعتبار مواقف

---

١٧٢ المصدر السابق نفسه. ص ١٢٩.

١٧٣ راجع: السيد علي، عبد المنعم د. وفتح الله، سعد حسين. التنمية المستقلة: المفهوم - الإستراتيجيات، المؤشرات، النتائج - دراسة مقارنة في اقطار مختارة. مصدر سابق. ص ٦٨.

مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية والأحزاب السياسية القائمة إزاء مهمات المرحلة ومشكلات التنمية والتقدم الاقتصادي والاجتماعي والمصالح المتباينة لها والتحري عن قاسم مشترك أعظم في مراحل معينة وبعيدا عن إيجاد أرضية غير صالحة للتعاون أو الدخول في صراعات تقود إلى التقاطع.

ان المرحلة التي كان وما يزال يمر بها العراق كانت وما تزال تستوجب وضع معادلة مناسبة تأخذ بالاعتبار واقع البلاد ومستوى التطور الاقتصادي والاجتماعي والوعي السياسي والاجتماعي لدى الغالبية العظمى من السكان وليس لدى نخبة صغيرة من المثقفين والسياسيين أولا، وتعبر عن الفهم الواقعي لمهمات المرحلة وللدور الذي يمكن ويفترض ان يلعبه قطاع الدولة والقطاع الخاص وكذلك القطاع المختلط في العملة التنموية دون اللجوء إلى القسر أو فرض التصورات والرغبات المسبقة على الواقع القائم والضرورة المطلوبة. أن مستوى التطور في العراق يحتاج إلى الأمكانيات المالية والفنية والأدارية للقطاع الحكومي والقطاعين الخاص والمختلط ويستوعبها جميعا دون اثاره الصراع بينهما، ومحاولة حل الخلافات والاختلافات في وجهات النظر بطريق التفاوض السلمي والديمقراطي بما يخدم مصالح تطور الاقتصاد الوطني والمجتمع ويساعد على تنمية هذه القطاعات يفني الثروة الوطنية ويحسن من مستوى معيشة السكان.

### الوضع البشري في العراق

والآن ما هو الجديد في الوضع البشري في العراق في المرحلة الراهنة؟

وفق التقرير الذي أعدته جمعية الاقتصاديين العراقيين يمكننا متابعة بعض جوانب تطور الموارد البشرية في العراق التي ترتبط عضويا بالسياسة الاقتصادية والاجتماعية للدولة من جهة وبالحصار الاقتصادي المفروض على العراق من جهة أخرى.

فمعلومات الأمم المتحدة تصنف العراق في مجال التنمية البشرية في العام ١٩٩٥ في المرتبة ١٤٣ من مجموع ١٧٤ دولة بعد ان صنف في نهاية الثمانينات وحتى عام ١٩٩٠ في المرتبة ٩٦. والمعايير التي تعتمدها الأمم المتحدة في هذا التصنيف تشتمل على: متوسط

العمر، والتعليم، والرعاية الصحية، والدخل والعمالة بشكل خاص<sup>١٧</sup>. وهذه المرتبة التي تراجع إليها العراق تجسد مستوى التخلف والتراجع عما تحقق سابقا في مجال التنمية البشرية. وخلال السنوات المنصرمة برزت الظواهر السلبية التالية:

- تراجع في معدلات النمو السكانية من ٣,٢٪ في الستينات والسبعينات إلى ٢,٦٪ في الثمانينات و٢,٤٪ في أوائل التسعينات و٢,٣٪ ابتداء من عام ١٩٩٣ حتى الوقت الحاضر<sup>١٧٤</sup>

- وبالإضافة إلى قلة الولادات أرتفع عدد الوفيات بين الأطفال الرضع والأطفال دون سن الخامسة وبين الشيوخ، إذ أرتفع عدد الوفيات بين الأطفال الرضع من ٥,٩١ وفاة لكل ١٠٠ ولادة حية في عام ١٩٩٠ إلى ١١١ وفاة في عام ١٩٩٤. كما أرتفع عدد الوفيات الشهرية بين الأطفال دون سن الخامسة من ٥٢ وفاة لكل ١٠٠ طفل إلى ١٤٠ وفاة في عام ١٩٩٤. وتشير الإحصائيات المتوفرة إلى ان متوسط عدد الوفيات الشهرية بين الأطفال دون سن الخامسة قد أرتفع من ٥٩٣ وفاة في عام ١٩٨٩ إلى ٤٤٠٩ وفاة في عام ١٩٩٤، أي بزيادة شهرية قدرها ٧٤٣,٥٪ أو ما يزيد على سبعة أضعاف عام ١٩٨٩<sup>١٧٥</sup>

- بروز ظواهر تشوه كثيرة في الولادات الجديدة، وبخاصة في أعقاب حرب الخليج الثانية من جراء استخدام المواد المشعة وبعض أسلحة الإبادة الجماعية بصورة مباشرة أو غير مباشرة<sup>١٧٦</sup>

- تزايد حجم الهجرة السنوية من العراق إلى البلدان الأخرى والتي اتخذت مستويات عالية جدا في فترة الحرب العراقية-الإيرانية وبعد فشل حركة الأنتفاضة الشعبية في أعقاب حرب الخليج الثانية. واليوم تتسع هجرة المواطنين الأكراد من كردستان العراق إلى الخارج بشكل

---

١٧٤ التقرير الإقتصادي العربي الموحد سبتمبر/أيلول ١٩٩٦. مصدر سابق. ص ٢٣٨.

١٧٥ رسول، فائق علي د. تقرير التنمية البشرية ١٩٩٥، مصدر سابق.

176 Siegwart-Horst Guenther.: Uran-Geschosse: Schwergeschaedigte Soldaten, missgebildete Neugeborene, Sterbende Kinder. Tony Benn. Margarita Papanderou & Freimut Seidel. Ahriman-Verlag, 1996 .  
Siegwar-Horst Guenther. Stumme Zeugen eines Krieges - Eine Dokumentation von S.-H. Guenther. 1990-1993, St. Peter-Ording. 1995.

خاص إلى جانب استمرار هجرة العراقيين من مناطق العراق الأخرى<sup>١٧٧</sup>. ويقدر عدد العراقيين الذين تركوا العراق قسرا بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية وكذلك المواطنين والمواطنين الذين هجروا قسرا لأسباب قومية ودينية وطائفية منذ مجئ البعث إلى الحكم حتى الوقت الحاضر بحوالي ٢ مليون نسمة، في ما عدا الذين تركوا العراق قبل ذلك لأسباب سياسية وغير سياسية. ويقدر عدد العراقيين في الشتات في الوقت الحاضر بأكثر من ٢,٥ مليون نسمة. وهذه الملايين لا تدخل ضمن تقديرات النفوس في العراق، إذ ان النظام لا يعترف بحقيقة وجود هذه الأعداد الغفيرة من العراقيات والعراقيين في الخارج، رغم دوره الأول والأخير في فرض الهجرة على هذه النسبة المهمة من السكان

- تراجع في متوسط عمر الإنسان في العراق بمقدار ١,٥ سنة<sup>١٧٨</sup>

- ارتفاع في عدد النساء إلى مجموع السكان بالقياس إلى الرجال وبالمقارنة مع السنوات التي سبقت الحروب المعروفة<sup>١٧٩</sup>

- انخفاض في نسبة السكان الذين تقل أعمارهم عن ١٥ سنة من ٤٧٪ في عام ١٩٨٧ إلى ٤٤٪ في عام ١٩٩٤<sup>١٨٠</sup>. وجدير بالإشارة إلى ان عددا كبيرا من الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ - ٤٥ سنة قد أودت الحرب بحياتهم أو حولتهم إلى معوقين

- انخفاض شديد في عدد العاملين في الاقتصاد العراقي، وبخاصة بين الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و ٢٠ سنة والذين تزيد أعمارهم عن ٤٠ سنة وتتخذ صفة شاملة تقريبا عندما تتجاوز سن ال ٥٠ سنة فما فوق. ويقدر عدد العاطلين في عام ١٩٩٦ بما يقرب من ٦ مليون نسمة وبخاصة بين النساء القادرات على العمل<sup>١٨١</sup>.

---

١٧٧ المصدر السابق نفسه

١٧٨ المصدر السابق نفسه

١٧٩ المصدر السابق نفسه

١٨٠ المصدر السابق نفسه

١٨١ المصدر السابق نفسه.

- وبسبب الإشكاليات التي رافقت الحرب ومصاعب الحصول على المواد الغذائية والعمل كلما ابتعد الإنسان عن العاصمة أو المدن الرئيسية فأن المعلومات المتوفرة تشير إلى تركيز شديد في العاصمة بغداد وفي كل من نينوى وذي قار. اما البصرة التي تعرضت لحربين مدمرتين فقد تقلص نفوسها من ٨,٤٪ في عام ١٩٧٧ إلى ٥,٤٪ في عام ١٩٨٧ وإلى حدود ٣,٥٪ في عام ١٩٩٢/١٩٩٣.<sup>١٨٢</sup>

وهذه الظواهر كانت وما تزال نتيجة منطقية للحرب العراقية-الإيرانية وحرب الخليج الثانية التي أودت بحياة مئات الألوف من شباب العراق ومن القادرين على العمل وبخاصة بين ١٨-٤٥ سنة من جهة، وبالحصار الاقتصادي الذي تسبب بسوء التغذية ونقص الموارد لتنمية الخدمات الاجتماعية ونقص الأدوية والرعاية الصحية من جهة أخرى، وكلاهما حصيلة السياسة الداخلية والخارجية للدولة العراقية خلال العقود الثلاثة المنصرمة.

والمعلومات المتوفرة تشير إلى ان الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتدهورة قد أثرت بشكل حاد على مستوى التعليم وتناوجه. فعلى الرغم من ارتفاع عدد التلاميذ والطلاب في مختلف المراحل الدراسية فأن النتائج كانت سلبية. ويمكن للمقارنة التالية تأكيد هذا الاستنتاج:

---

١٨٢ المصدر السابق نفسه

جدول رقم ١٧

عدد التلاميذ والطلاب الدارسين في مختلف المراحل التعليمية

في العراق للأعوام ١٩٦٩/١٩٧٠ و ١٩٩٤/١٩٩٥

مراحل التعليم	١٩٧٠/١٩٦٩	١٩٩٥/١٩٩٤	مقدار الزيادة	١٩٧٠/٦٩ = ١٠٠
عدد سكان العراق	٩٤٩٨٣٦٢	٢٠٥٠٠٠٠٠	١١٠٠١٦٣٨	٢١٥,٨
التعليم الابتدائي	١٠٤٠٩٧٠	٣٢٥١٠٠٠	٢٢١٠٠٣٠	٣١٢,٣
التعليم المتوسط والأعدادي	٣٠٣٠٥٠	١١٠٣٠٠٠	٧٩٩٩٥٠	٣٦٤,٠
التعليم المهني	١٠٠٥٣	١٢٢٠٠٠	١١١٩٤٧	١٢١,٤
معاهد المعلمين	٣٦٢٨	٣١٠٠٠	٢٧٣٧٢	٨٥٤,٥
التعليم الجامعي	٣٧٢٩٠	٢٠٣٠٠٠	١٦٥٧١٠	٥٤٤,٤
التعليم الموازي	—	١٩٠٠٠	١٩٠٠٠	—
إجمالي عدد التلاميذ والطلبة	١٣٩٤٩٩١	٤٧٢٩٠٠٠	٣٣٣٤٠٠٩	٣٣٩,٠

المصدر: تقرير التنمية البشرية ١٩٩٥، العراق، جمعية الاقتصاديين العراقيين، بغداد، ١٩٩٦

ويبدو من الجدول بوضوح ان الزيادة في عدد التلاميذ والطلاب كانت أعلى بكثير من الزيادة التي حصلت خلال تلك الفترة في عدد السكان، علما بان هذه القضية ترتبط بدورها بنتائج الحربين والحرب الداخلية ضد الأكراد التي أودت كلها بحياة مئات الألوف من البشر بسبب تأثيرها المباشر على المؤشرات السكانية. ومن المفيد ان نشير إلى ان مجموع التلاميذ والطلاب قد تراجع بحدود قليلة في عام ١٩٩٤/١٩٩٥ بالقياس إلى العام الدراسي

١٩٩٠/١٩٩١ حيث أنخفض إلى ٤٧٧٨ ألف طالب وطالبة في مختلف مراحل الدراسة بعد ان كان ٤٧٩٠ ألف طالب وطالبة، اي بنسبة انخفاض قدرها ٢٥,٠٪.  
 وجدير بالملاحظة ان عدد التلاميذ والطلاب كان في هاتين السننتين يفوق عدد التلميذات والطالبات، كما في الأرقام التالية:

### جدول رقم ١٨

مجموع الطلبة في مختلف المراحل وتوزيعهما بين الأناث والذكور

السنة	الأناث بالآلاف	الذكور بالآلاف	المجموع بالآلاف
١٩٩١/١٩٩٠	٢٠٤٤	٢٧٤٦	٤٧٩٠
١٩٩٥/١٩٩٤	٢٠٠١	٢٧٧٧	٤٧٧٨
معدل النمو٪	- ٢,١	١,١	- ٠,٣

المصدر: تقرير التنمية البشرية ١٩٩٥، جمعية الاقتصاديين العراقيين، بغداد، ١٩٩٦

الا ان الرسوب والتسرب كانا في الفترات السابقة اقل بكثير مما حصل في الفترات اللاحقة، وبخاصة في أعقاب حرب الخليج الثانية. ومن المؤسف ان لا تتوفر احصائيات عن الرسوب والتسرب خلال ذات السنوات، ولكن توجد لسنوات قريبة منها بحيث يمكنها ان تقدم نموذجا مقاربا جدا للسننتين المشار اليهما في الجدول السابق. ويمكن للأرقام التالية توضيح ذلك:



جدول رقم ١٩

النسب المئوية للرسوب والتسرب في مراحل التعليم خلال المدة

١٩٩٣/١٩٩٢ - ١٩٧١/١٩٧٠

الجامعي	الأعدادي الفني	الأعدادي المهني	الأعدادي	المتوسط	الأبتدائي	
						:١٩٧١/١٩٧٠
١٠,٠	-	٧,٩	٢١,٤	٣٣,٦	٢٣,٠	الرسوب
١,٣	-	١,٩	٣,٥	٦,٨	٧,٤	التسرب
						:١٩٩٢/١٩٩١
٢١,١	٣١,٥	٣٣,٣	٤٢,١	٣٥,٨	١٦,٦	الرسوب
٦,١	٩,٢	٢,٥	١,٦	٦,٢	٣,٢	التسرب

المصدر: تقرير التنمية البشرية ١٩٩٥، جمعية الاقتصاديين العراقيين، بغداد، ١٩٩٦، ص ٤٦

وهذا يعني ان نسبة مجموع الراسبين والمتسربين بالنسبة إلى مختلف المراحل الدراسية تتراوح بين ١٩-٢٠٪ من إجمالي المقيدون في عام ١٩٩٢/١٩٩١. وهكذا هو الحال، كما يبدو، بالنسبة للسنوات التالية.

ولكن ما هي العوامل الكامنة وراء هذا التسرب الواسع للتلاميذ والطلبة وكذلك الرسوب؟ يبدو لي بأن الأجابة عن هذا السؤال تتلخص في الملاحظات التالية:

- تقلص إمكانيات العائلات على ارسال الأبناء إلى المدارس والجامعات ومحاولة الاستفادة منهم في تأمين العيش للعائلة“

- اضطرار عدد كبير من الصبية والطلاب إلى ممارسة الكثير من الأعمال غير المنتجة التي لا توفر لهم سوى القليل من المبالغ لسد جزئي في لقمة العيش لعائلاتهم، انها أعمال لا

تساهم في التنمية أو في خلق الثروة، بل تساهم في خسارة نسبة عالية من وقت هؤلاء التلاميذ والطلبة، ولكنها كما يبدو ضرورية جدا للعائلات الكادحة والفقيرة“

- تراجع مستوى التعليم والرقابة من جانب الإدارات المدرسة والمعلمين والعائلات في آن واحد“

- تدهور في نظم التعليم والمناهج والفعاليات التي تفرض على التلاميذ والطلبة من جانب النظام التي لا تشكل جزءا من الموضوعات الدراسية“

- تدهور في مستوى المعلمين والمعلمات والجهاز التعليمي عموما، إضافة إلى تقلص ساعات الدراسة بسبب قلة المدارس ومشاركة أكثر من مدرسة في بناية واحد. ومن المؤسف ان نشير إلى انتشار ظاهرة الرشوة في مختلف مراحل الدراسة لتأمين النجاح أو حتى لترسيب من لا يدفع أو من لا يجري وراء الحزب الحاكم.

وتشير المعلومات الواردة من العراق إلى ان عددا كبيرا من الصبية والطلبة يقومون بأعمال بائسة مثل بيع السجائر وعلب الكبريت في الشوارع أو بيع المأكولات في الأزقة أو جمع أعقاب السجائر أو التفتيش في النفايات بهدف العثور على اشياء مفيدة لهم ولعائلاتهم. كما ان عددا متزايدا من تلاميذ وطلبة المدارس يشاركون في أعمال السرقة اليومية من المحلات والبيوت أو في الباصات والمحلات المزدهمة. ويشكلون مادة دسمة للعصابات التي تحولهم إلى لصوص محترفين ومحتالين.

وخلال فترة الحرب العراقية-الإيرانية وحرب الخليج الثانية تراجع نشاط مكافحة الأمية بالنسبة إلى الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥-٤٥ سنة. فبعد ان تقلصت نسبة الأمية لتصل في عام ١٩٧٧ إلى حوالي ٤٨,٤٪، وإلى ١٩,٩٪ في عام ١٩٨٧، فأنها لم تتقلص في عام ١٩٩٣ الا إلى ١٩,٢٪ فقط.

ان القصف الذي تعرضت له المرافق المدنية العراقية في حرب الخليج الثانية بشكل خاص قد أدى إلى تدمير عدد غير قليل من المستشفيات والمراكز الصحية، كما ان نقص الموارد المالية قد اعاق إمكانية إقامة مستشفيات ومستوصفات ومراكز صحية جديدة وبالتالي أدى ذلك إلى زيادة الضغط على المتوفر منها من جانب المرضى. فقد ارتفع

متوسط حصة المستشفى من ٦٦ ألف نسمة في عام ١٩٨٠ إلى ٩٦ ألف نسمة في عام ١٩٩٣، وارتفع متوسط حصة المركز الصحي الواحد من ٧ آلاف نسمة إلى ١٤ ألف نسمة، وفي المتوسط من ٥٢٦ نسمة إلى ٦٢١ نسمة لكل سرير في المستشفى الواحدة. ومما زاد الطين بلة قلة الأدوية والمعدات الطبية الضرورية لأجراء العمليات الجراحية، إضافة إلى مشكلات نقص المياه الصالحة للشرب. وكانت النتيجة كارثية. يشير التقرير السنوي الرابع الصادر عن الهيئة الاستشارية العراقية الخاص بأحوال العراق إلى ان عجز الحكومة عن إعادة العمل بمشاريع المياه والصرف الصحي في مختلف انحاء العراق، بسبب نقص الموارد المالية وقطع الغيار، قد تسبب بحدوث حالات كثيرة من الامراض السارية بما فيها التيفوئيد والتهاب الكبد الحاد وانتشار الاسهال في اشهر الصيف مصحوبة بسوء التغذية<sup>١٨٣</sup>. وتشير معلومات مكتب الاحصاء الحكومي إلى ان عدد حالات حمى التيفوئيد ازداد من ١٨١٩ حالة عام ١٩٨٩ إلى ٢٤٤٣٦ حالة عام ١٩٩٤، وإن لم تسجل أية حالة كوليرا عام ١٩٨٩ تم تسجيل ١٣٤٥ حالة عام ١٩٩٤. ويتابع التقرير في مكان آخر فيشير إلى ازدياد انتشار الامراض السارية والطفيلية كالمalaria والكالازار والتهاب السحايا والتدرن والامراض التي يمكن تجنبها عن طريق برامج التحصين الموسع، التي كانت مستخدمة قبل حرب الخليج الثانية في العراق (الحصبة والسعال الديكي والخنق والكزاز وشلل الاطفال والتهاب الكبد). يذكر تقرير جمعية الاقصاديين العراقيين إلى "ان الحالة الصحية قد تدهورت بشكل كبير جدا بعد عام ١٩٩٠ بسبب الحصار المفروض على العراق حيث بلغ معدل الوفيات الخام ٣١,٧ وفاة لكل ألف في عام ١٩٩٣<sup>١٨٤</sup>، بعد ان انخفض من ١٨ وفاة في الفترة ١٩٥٧-١٩٧٥ إلى ٥,٩ وفاة خلال الفترة ١٩٨٧-١٩٩٢<sup>١٨٥</sup>.

١٨٣ الهيئة الاستشارية العراقية. أحوال العراق (٤). الأمن الوطني العراقي والمستقبل. فيينا. ١٩٩٦.

ص ١٧-٢٦.

١٨٤ المصدر السابق نفسه. ص ٨٥.

١٨٥ المصدر السابق نفسه.

وأعلن البرنامج الغذائي العالمي إلى أنه خلال العام ١٩٩٤ قد ركز في مساعداته على ٣،١ مليون عراقي من أشد المحتاجين، ولكن نظرا إلى تراجع المخزون الغذائي لم يعد في مقدوره تقديم المساعدات سوى لمليون شخص من أكثر الفئات فقرا ومنهم بشكل خاص المهجرين واللاجئين والمعوقين والمسنين والأيتام والمحتاجين. وتجدر هنا الإشارة إلى ان مشكلات سوء التغذية وتخلف العناية الصحية ستترك آثارها السلبية على وضع المواليد الجدد حاليا ومستقبلا. "لقد أظهر الاستقصاء عن حالة التغذية والوفيات بين الاطفال تحت الخمس سنوات من العمر في بغداد والذي تم في آب/أغسطس ١٩٩٥ بالتعاون مع فريق منظمة الاغذية والزراعة الدولية (FAO) ومعهد بحوث التغذية التابع لوزارة الصحة العراقية، ان معدلات سوء التغذية (Malnutrition) في مناطق بغداد الحضرية بلغت ٢٨٪ بقياس نقص الطول و٢٩٪ لنقص الوزن و١٢٪ للهزال. كما لوحظ سوء التغذية البسيط في ٥٦٪ لنقص الطول و٦٥٪ لنقص الوزن و٣٩٪ بقياس الوزن بالمقارنة مع الطول". وجاء في تصريح لمديرة برنامج الأغذية العالمية ما يلي: " أن هناك ٤ ملايين عراقي يواجهون المجاعة من بينهم مليونين و٣٠٠ ألف طفل تحت سن الخامسة وحوالي ٦٠٠ ألف امرأة فقيرة دون معيل" ١٨٦.

ان هذه الأوضاع قد أثرت بشكل واضح على مستوى توقع الحياة عند الولادة وإلى التراجع الكبير في هذا المؤشر. فتقرير جمعية الاقتصاديين العراقيين يشير إلى "ان الزمن المقتطع المقدر من فرص التقدم بحدود ١٨ سنة إضافة إلى الآثار الأخرى التي لا تقاس بزمن" ١٨٧ حتى عام ١٩٩٣ بالأرتباط مع مستوى توقع الحياة عند الولادة، وان استمرار الحصار كل سنة إضافية يضيف إلى الزمن المقتطع ثلاث سنوات أخرى. وعلى هذا الأساس فأن الزمن المقتطع يرتفع في عام ١٩٩٦ وفق هذا التقدير وبالأستناد إلى تراجع

---

١٨٦ الهيئة الاستشارية العراقية. أحوال العراق (٤)، الأمن الوطني العراقي والمستقبل. فيينا. ص ١٧-٢٦.

١٨٧ رسول، فائق علي د. تقرير التنمية البشرية - ١٩٩٥ - العراق. جمعية الاقتصاديين العراقيين - مصدر سابق. المقدمة. ص XIX.

أكبر في تقدير مستوى توقع الحياة ليصل إلى حدود ٢٦ سنة تقريبا، إذ يصل بذلك إلى مستواه في عام ١٩٧٠ تقريبا والذي بلغ حينذاك حوالي ٥٩ عاما. وسيحتاج العراق حوالي ١٥ سنة لاحقة ليعود إلى مستوى توقع الحياة في عام ١٩٩٦ والذي بلغ بين ٥٩,٣ عاما بعد ان كان ٦٠,٣ سنة في عام ١٩٧٥ و٦٠,٣ سنة في عام ١٩٩٣ أيضا.

### الواقع الاجتماعي في العراق

يشكل التمايز الطبقي والتفاوت الحاد في مستويات الدخل والمعيشة واحدا من أكثر الظواهر حدة ووضوحا في المجتمع العراقي منذ ان بدأت الفورة النفطية في العراق وارتفعت إيرادات الدولة المالية بنسب زيادة خيالية لم يكن يحلم بها العراق قبل ذلك، وبخاصة بعد ان اقترن كل ذلك بسياسة التنمية الانفجارية لحزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم والإنتفاخ الواسع أمام نشاط الشركات الإحتكارية المتعددة الجنسية واختفاء المعايير الاقتصادية والاجتماعية في تحديد وجهة ومشاريع التنمية، وبخاصة مضمون إقامة اقتصاد وطني دينامي متوازن ومستقل وظهور فئات واسعة من المقاولين الطفيليين والموظفين التكنو-بيروقراطيين والسماسرة العقاريين وكبار التجار المرتبطين مباشرة بالفئة الحاكمة، أو بتعبير أدق بالفئة الحزبية القيادية المهيمنة على الحكم. وتفاقت حالة التفاوت الطبقي بين فئة قليلة من كبار الأغنياء والغالبية العظمى من بنات وأبناء الشعب العراقي خلال الفترة الواقعة بين الحرب العراقية - الإيرانية وغزو الكويت ومن ثم حرب الخليج الثانية، ولكن بشكل خاص في أعقاب الحرب الأخيرة التي حولت القسم الأعظم من ابناء الشعب في مختلف اقاليمه إلى فقراء ومعدمين ينتظرون العون والمساعدة من الداخل والخارج. فألى جانب الغنى الفاحش لمجموعة صغيرة جدا من أصحاب المليارات والملايين، من القطط السمان، التي اغتنت حديثا خلال العقدين الأخيرين على حساب قطاع الدولة ومصالح الاقتصاد الوطني والشعب، توجد نسبة ضئيلة جدا من السكان تعيش في بحوثة اقتصادية، وهي ترتبط مباشرة بالنشاط الاقتصادي التجاري والعقاري والأسواق المالية وبعض قادة الحرس الجمهوري ومديرية الأمن العامة بشكل خاص. ولكن الأكثرية العظمى التي تصل نسبتها إلى أكثر من ٩٥٪ من السكان تعيش في أوضاع مالية بائسة يتراوح

متوسط دخل الأسرة الشهري بين ١٩٣٠-٧٥٣٢ دينار عراقي. فحوالي ٦٢,٧٪ من هذه العائلات بلغ متوسط دخلها السنوي ٢٠ دولارا، و٦,٣٪ من العائلات بلغ حوالي ٣٨ دولارا، وأكثر من ٢٧٪ من العائلات لم يزد دخلها عن ٧٥ دولارا تقريبا وفق سعر الدينار العراقي في السوق السوداء في عام ١٩٩٥<sup>١٨٨</sup>. وتشير المعلومات المدققة الواردة من العراق إلى مجموعة من الظواهر السلبية ذات المضمون الاقتصادي والاجتماعي التي تميز الوضع في العراق وتكشف عن طبيعة النظام الحاكم وتؤشر حقيقة ان مثل هذا الوضع لا يمكن ان يستمر طويلا، إذ ستكون عواقبه أكثر تدميرا للأجيال القادمة من بنات وأبناء الشعب. ويمكن بلورة تلك الظواهر فيما يلي:

- ان عددا محدودا من ابناء الحكام البارزين يهيمنون على قطاعات الاقتصاد العراقي الصناعي التحويلي والزراعي والتجاري والنقل والأنشاءات وعلى مزيد من العمارات. ويتعاون أبناء الحكام مع مجموعة من العاملين في هذه القطاعات التي تكونت ثروتها في فترة الفورة النفطية في أعقاب تأميم منشآت النفط الخام في العراق، والتي اطلق عليها صدام حسين في احدى خطبه اثناء الحرب العراقية - الإيرانية، بعد ان ترددت هذه المجموعة في تقديم الدعم المالي بالمقدار الذي كان ينتظر النظام منها دفعه لتمويل حربه المشؤومة، بقوله عنهم: هؤلاء الحفاة أو أصحاب النعل الممزقة. ويقوم أبناء المتنفذين من الحكام بمنح اجازات أستيراد وتصدير للمقربين منهم مقابل نسبة كبيرة من الأرباح العالية التي يحققها العاملون في قطاع التجارة الخارجية والداخلية، أو يتسلمون حصتهم من الأرباح على شكل قومسيون محرم رسميا في العراق يتم دفعه على أرقام حسابات في الخارج أو يدفع بالداخل وبالعملة الصعبة. فأفراد من آل طبرة الذين يعملون في قطاع التجارة الخارجية والداخلية مثلا لا يستطيعون الحصول على إجازات استيراد دون موافقة ودعم من أبناء سعدون حمادي وأبناء طارق عزيز، الذين يرتبطون مباشرة بعدي صدام حسين وبمافيا عائلة صدام حسين، ويعملون في مجال الاقتصاد حاليا ومن المتنفذين الأساسيين.

---

١٨٨ المصدر السابق نفسه. ص ٧٤.

وترتبط تلك الموافقات بتقديم مبالغ وهدايا كبيرة ترضي وتغني هؤلاء الأبناء، ولكنها في الوقت نفسه ترهق كاهل الغالبية العظمى من سكان العراق.

- وفي الوقت الذي تشنّد عند الناس الضائقة السكنية والعجز عن تأجير شقة أو دار للسكن وتتسع حالات بيع دور السكن بسبب عجزهم عن اشباع حاجاتهم المعيشية اليومية، فإن عددا مهما من أصحاب المليارات والملايين يقومون بشراء تلك الدور والمتاجرة بها، وبيناء المزيد من القصور الفخمة التي لم يشهد العراق مثيلا لها، وفي المقدمة منها قصور صدام حسين وأفراد عائلته وحاشيته والمقربين اليه، وبشراء الكثير من دور المحتاجين المضطرين إلى بيعها. وأثناء الأزمة الأخيرة بين النظام والولايات المتحدة الأمريكية ومجلس الأمن الدولي تبين ان صدام حسين يملك قصورا ودورا وفيلات كثيرة جدا موزعة في جميع انحاء الجمهورية والتي يطلق عليها بالقصور الرئاسية! ويصعب اليوم تقدير المبالغ الطائلة التي صرفها النظام من الخزينة العراقية لإقامة وتأثيث وتأمين الحماية التقنية والطرق التحتية لهذه القصور، وبخاصة في الفترة التي اعقبت الأجهزة على احمد حسن البكر وتولي صدام حسين السلطة مباشرة ودون منازع. وتؤكد الكثير من المعلومات إلى ان الطاغية والمستبد بأمره كان حتى الفترة الأخيرة، أي في أعقاب حرب الخليج الثانية، يقوم بتشديد القصور له، رغم الضائقة المالية التي تعاني منها خزينة الدولة العراقية ورغم البؤس والفاقة التي يعاني منها الشعب العراقي.

وتهيمن مجموعة صغيرة من أتباع الحكم على عمليات شراء وبيع أو تأجير الدور في بغداد وفي مختلف المدن العراقية محققة بذلك أرباحا خيالية على حساب الفقراء والمعدمين من بنات وأبناء الشعب. والناس في العراق، وبخاصة في بغداد، يتحدثون صراحة عن مافيا العقارات التي تستولي على دور الناس عندما تريد ذلك ولا تعدم حيلة في تحقيق ما تريده، بما في ذلك استخدام الأمن الداخلي لأرغام ساكني الدور على تخليتها وبيعها لمافيا العقارات أو لشخص متنفذ في الحكم مقابل سعر تفرضه المافيا أو الشخص المتنفذ.

- تشير كل الدلائل إلى انتشار الفساد الوظيفي في كل أجهزة الدولة، بما في ذلك أجهزة الأمن والشرطة العراقية، بصورة يصعب وصفها وتنفذ عما كان الناس يتحدثون عنه في

العهد العثماني البغيض في العراق. فالرشوة أصبحت قاعدة وظاهرة عامة إذ لا يمكن انجاز أي معاملة دون دفع مبلغ يتزايد باستمرار مع صعود وهبوط سعر الدينار العراقي مقابل الدولار الأمريكي. وفي المحاكم العراقية يجبر الطرفان المتنازعان، أيا كانت طبيعة الدعوى المقامة، على دفع مبالغ مالية مقررة سلفا للعاملين في المحكمة، حتى التنازل عن الدعوة أصبح مقترنا بتقديم مبلغ للموافقة على قبول اغلاق الدعوى.<sup>١٨٩</sup> ان هذه الظاهرة التي لم

---

١٨٩ كان العراقيون يتناقلون النكتة الشهيرة التالية ليعبروا عن سخريتهم وشجبهم لعدالة محاكم نظام العهد الملكي في العراق:

يقال ان شخصين قد تخاصما على قطعة ارض واقاما دعوى متبادلة لدى احدى المحاكم العراقية في بغداد ووكلا لهما اثنين من محامي الدفاع. قدم احد المحامين في الليلة التي سبقت المحاكمة رشوة دسمة مكونة من مجموعة من البط والوز والدجاج إلى الحاكم الذي وعده خيرا. وعندما بدأت المرافعة في اليوم التالي لاحظ محامي الدفاع الثاني بأن الحاكم يدفع بالقضية لصالح محامي الدفاع الأول وادرك بحسه المجرب ان الحاكم قد تسلم رشوة دسمة وعليه ان يتصرف ايضا. واثناء المرافعة نهض محامي الدفاع الثاني متجها صوب الحاكم ووضع امامه على المنصة ملفا صغيرا لم يكشف عنه وعاد إلى مكانه. القى الحاكم نظرة على محتوى الملف وظهرت ابتسامة عريضة على شفثيه وهز رأسه بأرتياح وكأنه اطلع على سر جديد بصدد المرافعة. وبعد فترة وجيزة بدأ الحاكم يدفع بالقضية لصالح محامي الدفاع الثاني. فأحتج محامي الدفاع الأول عن التغيير الحاصل في سير المرافعة اكمة ضد موكله. وعندما الح في احتجائه قاطعه الحاكم قائلا: اسمع سيدنه، قررة وزه ما تنفع، صاحبك حجية ذهب (كلامه من ذهب) مؤشرا على الملف الصغير الذي كان بين يديه، إذ كان محامي الدفاع الثاني قد وضع ليرات ذهب صفراء في الملف الصغير الذي قدمه إلى الحاكم فاقت في قيمتها البط والوز المقدم من المحامي الأول. وكانت النتيجة بطبيعة الحال لصالح دافع الذهب. لا يمكن لكل منصف ان يدعي بأن حكام المحاكم العراقية غير السياسية على نحو خاص، كانوا كلهم في العهد الملكي على هذه الشاكلة، إذ ان هذا يجافي الواقع حينذاك. فقد كانت هناك عموما بعض القيم وبعض الشرعية وبعض الحكام الذين تميزوا بالنزاهة والعدل وتحكيم الضمير أولا وقبل كل شيء. ومن هنا نلاحظ في هذه الأيام محاولات المقارنة بين العهد الملكي والعهد الجمهوري الصدامي وترحم الناس على محاكم ذلك الزمان وعلى حكم ذاك الزمان، وهم في بعض جوانب الأمر غير مخطئين.

<sup>١٨٩</sup> تحدث لي صديق أمين في معلوماته ولا يرقى الشك إلى كلامه عن حادثة وقعت خلال العام المنصرم بأن احد الضباط البارزين المتقاعدين تعرضت داره إلى السرقة الكاملة، وكان الضابط المتقاعد



يسبق لها مثل في اتساعها في تاريخ العراق القديم والحديث تعتبر واحدة من اهم وابرز العوامل التي تساهم في اضعاف النظام وفي تهديم نسيج جهاز الدولة الداخلي الذي اعتمد عليه خلال العقدين المنصرمين على الأقل، إضافة إلى تفاقم ظواهر النهب والسلب للمتبعي من موارد قطاع الدولة في مختلف فروع الاقتصاد الوطني.

- غياب الامتيازات التي كان أفراد الجيش العراقي والشرطة يتمتعون بها وبخاصة الضباط منهم، أذ أصبح هؤلاء يواجهون أوضاعا اقتصادية متردية وبدأ البعض منهم يواجه مصاعب مالية، وبخاصة النزهاء منهم. وتسعى أوساط في الجيش والشرطة للحصول على مبالغ كبيرة في مقابل انجاز معاملات الناس. ويتعرض صاحب الشكوى والمتهم إلى ابتزاز الشرطة والعاملين في أجهزة التحقيق والقضاء. ومجموعة صغيرة من ضباط القصر الجمهوري والأجهزة الخاصة وبعض ضباط الأمن الداخلي هي التي ما تزال تتمتع بجملة من الامتيازات ولكنها لا ترقى إلى تلك التي كانت تتمتع بها قبل اجتياح الكويت وحرب الخليج الثانية، ولكن هذا لا يغير من حقيقة الحياة المرفهة التي تتمتع بها بالقياس إلى بؤس وفاقه الغالبية العظمى من السكان. وهذه المجموعة من أصحاب الامتيازات والحائزين على "عطايا القائد بأمر الله صدام حسين" لا تكتفي بذلك، بل تسعى إلى الحصول على المزيد من السحت الحرام من خلال ابتزاز المواطنين بسبل شتى. ويواجه المقيم في العراق يوميا عشرات الجنود الفقراء التي تستجدي في مواقع وقوف السيارات وغيرها وهي ترتدي ملابسها العسكرية<sup>١٩٠</sup>.

---

موجودا في البيت ويمتلك سلاحا مناسباً كان في مقدوره استخدامه ولكنه لم يجرواً على استخدامه. وعندما سألته الشرطة عن سبب عدم استخدامه للسلاح الذي كان في حوزته اجابهم قائلاً: لقد كان اللصوص مدججين بالسلاح أولاً، وكان عددهم ستة اشخاص ثانياً، وكانوا قادمين بسيارات كبيرة للنقل، وكان يبدو عليهم وكأنهم واثقون من عملهم لا يخشون احداً أو شيئاً (كان وكأنه يريد ان يقول لهم تلميحا لا تصرحاً بأن مجموعة الحرامية تحوز على حماية معينة أو انهم من جهة معينة)، كما كان في البيت بناتي الشابا إذ كنت اخشى عليهن من الأغتصاب أو القتل ان ابدت اي مقاومة لهم.

١٩٠ روى لي شخص، يثق المرء بكلامه، قادم من العراق في أوائل هذا العام (١٩٩٧) سلسلة من الأحداث الجارية في العراق وقصصا يصعب تصورها. ومن بين ما رواه لي وجود عدد غير قليل من الضباط

- انتشار واسع النطاق لظواهر الاستجداء في الشوارع وقرب المساجد ودور السينما والمحلات العامة، أو محاولات التعيش بطرق بائسة وذليلة جدا من أجل ان تجلب لصاحبها لقمة العيش. ان هذه الحالة تفرز دون ادنى ريب الكثير من الأمراض النفسية وانكسار معنويات الإنسان وشعوره بالأحباط الداخلي وبالخط من كرامته وأدميته.

- ارتفاع عدد العصابات والمشاركين بعمليات السرقة والسطو وقطاع الطرق في جميع ارجاء العراق وفي وضح النهار. ويقال بأن كل عائلة في العراق تملك اليوم، وبالرغم من سريان مفعول منع امتلاك السلاح في العراق الا لأتباع النظام، سلاحا في بيتها لتدافع عن نفسها في حالات معينة، رغم انه لا ينفعها في حالات كثيرة، إذ ان اللصوص يدخلون إلى

---

العسكريين ممن اضطر إلى بيع أبواب غرف داره الداخلية من اجل تغطية نفقات حاجات ابنائه وبناته اليومية، بعد ان كان قد باع قبل ذاك السجاد والكثير من قطع الأثاث التي كانت في حوزته. كما ان بعض هؤلاء الضباط يتعرض لسرقة داره. ورغم توفر السلاح الشخصي لديه يبدو عاجزا عن مواجهة عصابات السطو بسبب تسليحها الحديث وعدد القائمين بالسطو وشراستهم التي لا تعرف الحدود، إضافة إلى خشيته على افراد عائلته من مجزرة محتملة ان حاول المقاومة بالسلاح أو الأنتقام من عائلته فيما بعد. ان الحكايات التي رواها تبدو اقرب إلى الخيال المريض منها إلى الواقع. انها اغرب من حكايات الف ليلة وليلة، ولكنها مع ذلك تتحدث عن واقع العراق الراهن، عن بلد ألف ليلة وليلة. وتعددت المصادر التي تشير إلى هذه الأوضاع المريعة.

<sup>١٩٠</sup> تحدث لي صديق أمين في معلوماته ولا يرقى الشك إلى كلامه عن حادثة وقعت خلال العام المنصرم بأن احد الضباط البارزين المتقاعدين تعرضت داره إلى السرقة الكاملة، وكان الضابط المتقاعد موجودا في البيت ويمتلك سلاحا مناسباً كان في مقدوره استخدامه ولكنه لم يجروا على استخدامه. وعندما سألته الشرطة عن سبب عدم استخدامه للسلاح الذي كان في حوزته اجابهم قائلاً: لقد كان اللصوص مدججين بالسلاح أولاً، وكان عددهم ستة اشخاص ثانياً، وكانوا قادمين بسيارات كبيرة للنقل، وكان يبدو عليهم وكأنهم واثقون من عملهم لا يخشون احداً أو شيئاً (كان وكأنه يريد ان يقول لهم تلميحا لا تصرحوا بأن مجموعة الحرامية تحوز على حماية معينة أو انهم من جهة معينة)، كما كان في البيت بناتي الشابات إذ كنت اخشى عليهن من الأغتصاب أو القتل ان ابدت اي مقاومة لهم.

بعض الدور ويقدمون انفسهم احيانا كثيرة بأسم جهاز الأمن أو شرطة النجدة وما إلى ذلك<sup>١٩١</sup>.

- انتشار ممارسة البغاء بين النساء والرجال في سبيل الحصول على لقمة العيش أو استكمال الدراسة أو في سبيل شراء الأدوية لمرضاهم. وتشير جملة من الأخبار الواردة من العراق إلى ان عمليات واسعة تقوم بها عصابات منظمة لها علاقات معينة بأقطاب من النظام تمارس تجارة النساء والصبيان للأغراض الجنسية. ومن المؤسف ان يشير المرء إلى المعلومات التي ترد من الأردن ومن بعض الدول الأخرى التي تشير إلى انتشار استخدام النساء العراقيات في سوق البغاء في بعض الدول المجاورة. ولم يعد خافيا على احد ممارسات أجهزة الأمن العراقية في هذا الصدد، إذ أنها عملت لسنوات طويلة في كردستان العراق أو في مناطق أخرى من العراق وعمدت إلى إقامة دور خاصة للبغاء من أجل اصطلياد المشتبه بهم أو الحصول على معلومات لها عبر هذا الطريق أيضا. كما ان النظام استخدم الكثير من النسوة كأفراد في الأمن أو مخبرات يعملن في مجال الدعارة.

ونتيجة لكل ما مر على العراقيات والعراقيين من أحداث خلال العقود الأخيرة فأن عددا متزايدا من بنات وأبناء الشعب يشكو اليوم من جملة من الأمراض العصبية والنفسية والأحلام المرعبة التي لم تكن سوى حالات قليلة ونادرة سابقا، كما ان نسبة عالية تعيش في اغتراب وغربة حقيقية وهي في وطنها المستباح من قبل الدكتاتورية. وتشير كل الدلائل

---

١٩١ تحدث لي صديق أمين في معلوماته ولا يرقى الشك إلى كلامه عن حادثة وقعت خلال العام المنصرم بأن احد الضباط البارزين المتقاعدین تعرضت داره إلى السرقة الكاملة، وكان الضابط المتقاعد موجودا في البيت ويمتلك سلاحا مناسباً كان في مقدوره استخدامه ولكنه لم يجروا على استخدامه. وعندما سألته الشرطة عن سبب عدم استخدامه للسلاح الذي كان في حوزته اجابهم قائلاً: لقد كان اللصوص مدججين بالسلاح أولاً، وكان عددهم ستة اشخاص ثانياً، وكانوا قادمين بسيارات كبيرة للنقل، وكان يبدو عليهم وكأنهم واثقون من عملهم لا يخشون احداً أو شيئاً (كان وكأنه يريد ان يقول لهم تلميحا لا تصرحوا بأن مجموعة الحرامية تحوز على حماية معينة أو انهم من جهة معينة)، كما كان في البيت بناتي الشابات إذ كنت اخشى عليهن من الأغتصاب أو القتل ان ابدت اي مقاومة لهم.

إلى ان الأجيال القادمة من العراقيين ستعاني من امراض جديدة وخطيرة ومن عاهات نفسية وجسدية وعصبية غير قليلة تستوجب منذ الآن التفكير في البحث فيها ومواجهتها مستقبلا. تنشأ عند الباحث صعوبة غير قليلة في تحليل اللوحة الطبقيّة في العراق بسبب غياب الإحصائيات الضرورية لمثل هذا المسألة الحساسة. وإذا اعتمدنا على ما هو متوفر لدينا من أرقام، فإن جمهرة العمال الصناعيين والفلاحين في العراق وصل عددهم في سنوات النصف الأول من التسعينات إلى حدود ٣٣٪ من القوى العاملة، أي حوالي ١٦١٢ ألف نسمة، إضافة إلى عدد مقارب من مجموع العاطلين عن العمل، أي بحدود ٣ مليون نسمة. وان نسبة الفئات الكادحة من العمال والبرجوازية الصغيرة في قطاع الخدمات والإنتاج الحرفي وفي الجيش والشرطة... الخ تصل إلى حدود ٦٠٪ من مجموع القوى العاملة في قطاع الخدمات، أي بحدود ٣ مليون نسمة يضاف إليهم عددا مقاربا من العاطلين عن العمل من نفس الفئات بحيث يصل مجموع أفراد هذه الفئة بحدود ٦ مليون نسمة. وهذا يعني ان أفراد الطبقة العاملة والفلاحين ومختلف فئات البرجوازية الصغيرة واشباه البروليتاريا يصل عددهم التقريبي إلى حدود ٩ مليون نسمة من القوى القادرة على العمل، سواء كان هؤلاء من القوى العاملة فعلا أو من القوى العاطلة عن العمل ممن تتراوح أعمارهم بين ١٥- ٦٥ سنة، أي بحدود ٤٥٪ من السكان. وإذا اضيف إلى هؤلاء نسبة مماثلة من السكان ضمن الأطفال الذين تبلغ أعمارهم اقل من ١٥ سنة والشيوخ الذين تتجاوز أعمارهم ٦٥ سنة فإن إجمالي العدد يصل إلى أكثر من ١٨ مليون نسمة أو ما يعادل ٩٠٪ من السكان. والنسبة المتبقية يمكن ان تحسب ضمن البرجوازية الوطنية في القطاعات الصناعية والزراعية والتجارية والنقل، إضافة إلى البرجوازية البيروقراطية والتكنوقراطية وكذلك كبار ملاكي الاراضي الزراعية ومجموعة من الأقطاعيين وأصحاب العقارات والبرجوازية التجارية الكومبرادورية.

ويمكن الادعاء بأن نسبة عالية من ابناء الفئات الاجتماعية الكادحة ونسبة أخرى مهمة من أفراد الفئات التي تقع ضمن حدود الـ ١٠٪ تتخذ من حيث المبدأ موقفا مناهضا لصدام حسين ونظامه السياسي، وانها ستكون مستعدة بهذا الشكل أو ذاك للمشاركة الواعية في

النضال ضدهما. الا ان هذا يحتاج إلى جهود استثنائية لتأمين المصادقية للقوى التي تريد كسبها وتعبئتها للنضال ضد النظام. ويبدو لي ان الفقر الراهن الذي يلف الغالبية العظمى من السكان يعطل إلى حدود غير قليلة عملية الفرز الطبقي ولكنه في الوقت نفسه يكشف عن الفجوة المتسعة بين غنى القلة القليلة من السكان وبين املاق الكثرة الكاثرة منهم. وفي ظل غياب أو ضعف النشاط السياسي المطلوب للقوى المناهضة للنظام في الداخل يمكن ان تلجأ نسبة عالية من الكادحين إلى الفوص في الغيبيات وانتظار الفرج، والصبر على المصائب والمحن بانتظار الأجر بالآخرة!، والأمعان في جلد الذات على اعتبار ان الواقع الراهن لا يمكن ان يكون سوى نتاج الذنوب والمعصيات التي ارتكبتها الإنسان في العراق خلال الفترات المنصرمة... والتي يعاقبه الله عليها بهذه الصورة المريعة! ويبدو ان النظام يشجع على التوجه صوب هذا التفسير ويستفيد منه. ان الفئات الاجتماعية التي تساند النظام، رغم انها من حيث المبدأ تتوزع على الفئات الأخيرة وبخاصة قوى من البرجوازية البيروقراطية والتكنوقراطية والعقارية وكبار ملاكي الأراضي والأقطاعيين، إضافة إلى الفئة الجديدة من أصحاب رؤوس الأموال وأصحاب النعمة الحديثة من مجموعة العائلة الحاكمة والمحيطين بها التي هيمنت على منشآت قطاع الدولة في الصناعة والزراعة والتجارة والنقل، الا انها لا تقتصر على هؤلاء فحسب، بل تجد لها مؤيدين بين فئات المجتمع الأخرى، وبخاصة في صفوف البرجوازية الصغيرة. ويبدو لي مفيدا الإشارة في معرض الحديث عن الطبقات والفئات الاجتماعية إلى ان الواقع الاجتماعي في العراق يشير، بسبب الأوضاع الاقتصادية الصعبة وتدهور المستوى المعيشي للسكان وارتفاع عدد العاطلين عن العمل واغلاق المزيد من المشروعات الاقتصادية الصغيرة والمتوسطة، إلى تراجع كبير في عدد أفراد الفئات المتوسطة وانحدار الكثير منهم عمليا إلى صفوف الكادحين والفئات الاجتماعية الفقيرة. وإلى هذا الواقع يستند الباحث في تقديره إلى تنامي الفجوة الطبقيّة بين حفنة صغيرة من الأغنياء والمتخمين وكثرة من الكادحين والفقراء الذين يعانون من وطأة الحرمان والجوع والمرض.

## الملاحق

### الملحق رقم ١

نص مذكرة طارق عزيز إلى الشاذلي القليبي أمين الجامعة العربية في ١٥-٧-١٩٩٠

الأخ الشاذلي القليبي... الأمين العام للجامعة العربية

ان العراق يؤمن بان العرب في كل اقطارهم امة واحده ويفترض ان يعم خيرهم الجميع وان يستفيدوا منه، واذا ما اصاب احدهم ضرر اواسى فان هذا الضرر والاسى يلحق بهم جميعا ان العراق ينظر إلى ثروات الامه على اساس هذه المبادئ وقد تصرف في ثروته منطلقا من هذه المبادئ.

ان الوطن العربي ورغم انقسامه إلى دول وطن واحد، وان شبرا من هذا الوطن هنا او هناك في ارض هذا القطر او ذاك ينبغي ان ينظر اليه اولا في ضوء الاعتبارات القومية وخاصة اعتبارات الامن القومي العربي المشترك كما ينبغي ان ينظر اليه اولا في ضوء الاعتبارات القومية وخاصة اعتبارات الامن القومي العربي المشترك كما ينبغي تجنب الوقوع في مهاوي النظرة الضيقة والانانية في التعامل مع المصالح والحقوق لهذا القطر او ذاك.

ان المسؤولين في حكومة الكويت تعمدوا وباسلوب مخطط ومدبر ومتواصل إلى التجاوز على العراق والاضرار به، وتعمدوا اضعافه بعد الحرب الطاحنه التي استمرت ثمانى سنوات بل وقامت الكويت بتشبيد المنشآت العسكريه والمخافر الحدوديه والنشآت النفطيه والمزارع على ارض العراق وقد سكتنا على كل ذلك واكتفينا بالتلميح والاشارات.

وتباطأ الكويتيون عندما طلبنا منهم في قمة الجزائر عام ١٩٨٨ حل موضوع الحدود في اطار علاقات الاخوه والمصلحة القومية العليا بل وأثاروا تعقيدات مصطنعه مع الاستمرار في التجاوز واقامة المنشآت النفطيه والعسكريه والمزارع على الاراضي العراقيه.

لقد قامت الامارات والكويت باغراق سوق النفط بمزيد من الانتاج خارج حصتهما المقرره في الاوبك علما بان معدل انتاج الدول العربية من النفط يبلغ (١٤) مليون برميل يوميا وان تدهور الاسعار في الفتره ١٩٨١-١٩٩٠ ادى إلى خسارة للدول العربية بلغت (٥٥٠) بليون دولار وانه اذا اعتمدنا الحد الادنى للاسعار كما قررته الاوبك عام ١٩٨٧ وهو (١٨) دولار للبرميل الواحد فان خسارة الدول العربية للفترة من ٨٧-١٩٩٠ بسبب تدهور هذا السعر تبلغ حوالي ٢٥ بليون دولار ومن المعروف ان السعر قد انخفض هذه السنه دولارات عدة عن سعر ١٨ دولار بسبب نفقات الدفاع الشرعي عن ارضه وامنه ومقدساته وعن ارض العرب ومقدساتهم. وان تدهور اسعار منتجات النفط اصاب كل الدول العربية الشقيقة الاخرى التي كانت تتلقى المساعدات من الدول العربية المنتجة للنفط، وان الكويت نصبت منذ عام ١٩٨٠ منشآت نفطيه على الجزء الجنوبي من حقل الرميله العراقي وصارت تسحب النفط منه وتبلغ قيمة النفط العراقي الذي سحبتة الكويت من هذا الحقل فقط وفقا للاسعار المتحققه بين ٨٠-١٩٩٠ (٢٤٠٠) مليون دولار.

ان العراق يرى ان هذه السياسه جزء من المخطط الإمبريالي الصهيوني ضد العراق وضد الامه العربية خاصة في التوقيت الذي جاءت فيه وهو ظروف التهديد الخطير الذي يتعرض له الوطن العربي عامة والعراق خاصة من جانب اسرائيل والإمبريالية الأمريكية وان هذه الرسالة المريبة لاسرائيل والإمبريالية تؤدي إلى اضعاف قدرة هذه الدول العربية على مواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الخطيره التي تعانيتها وهي مشكلات ذات طبيعته مصريه .

ان اعتداء حكومة الكويت على العراق هو اعتداء مزدوج فمن ناحيه تعتدي عليه وعلى حقوقه...ومن ناحية اخرى تتعمد حكومة الكويت تحقيق انهيار في الاقتصاد العراقي في هذه المرحلة التي يتعرض فيها للتهديد الإمبريالي -الصهيوني الشرس وهو عدوان لا يقل في تأثيره عن العدوان العسكري...ونحن نطالب بوضع حد لهذا العدوان المتمعد...

لو تضامنت كل الدول العربية المنتجة وغير المنتجة للنفط تضامنا سياسيا متينا واتفقت على العمل على رفع سعر النفط إلى ما يزيد على ٢٥ دولار ثم اقامت صندوقا للمعونه والتنميه العربية على غرار مااتفق عليه في قمة عمان على ان يمول هذا الصندوق بدولار واحد عن كل برميل نفط تبعية الدول العربية المنتجة باكثر من ١٥ دولار فان المبلغ الذي سيتحقق لهذا الصندوق هو (٥) بلايين دولار سنويا في الوقت الذي تتحقق فيه زيادات كبيره في مداخيل الدول المصدره للنفط.... لان التضامن العربي الجماعي يحقق هذا السعر المنصف يزيد من دخولنا الماليه ويحمينا من المحاولات العدائيه التي تستهدف اضعاف القوة العربية من خلال اضعاف القوة العربية باضعاف مواردها من الثروة.

ان العراق يطرح هذا المقترح للدراسه الجاده وقد يكون مؤتمر القمه العربية المقبل في القاهرة ((كان العراق قد اقترح خلال قمة بغداد في مايس ١٩٩٠ عقد قمة عربيه اخرى في القاهره في تشرين اول ١٩٩٠ الا ان الاحداث التي جرت بعد ذلك حالت دون انعقادها)) مناسبة للبحث في هذا المقترح واقاراه....

لقد خاض العراق حربه دفاعا عن البوابه الشرقيه للوطن العربي والقسم الاساسي من المساعدات التي تلقاها العراق من الدول الخليجيّه كانت على شكل قروض وانقطعت هذه المساعدات منذ عام ١٩٨٨ علما بان قيمة التجهيزات العسكريه التي اشتراها العراق بالعمله الصعبه واستخدمت في الحرب بلغت (١٠٠) بليون دولار.

ان العراق كان منتجا رئيسيا للنفط قبل الحرب وكان ينتج نحو (٢,٦) مليون برميل يوميا وعند قيام الحرب توقف انتاجه كليا لاشهر عده ثم صار يصدر كميّه قليله عبر تركيا ثم عبر سوريا إلى ان توقف هذا الانبوب عام ١٩٨٢ وتوقف تصدير العراق من النفط في الجنوب منذ ايلول ١٩٨٠ لحين بدء تشغيل الخط المار عبر السعوديه في ايلول ١٩٨٥ وقد خسر العراق من جراء هذا الانخفاض الكبير في صادراته مبالغ هائله تقدر بنحو (١٠٦) بلايين من الدولارات.



وبحساب بسيط نجد ان ديون الامارات والكويت المسجله على العراق لم تكن كلها من  
خزيتها وانما كانت كلها من حصص الزيادات التي تحققت في عوائدها من جراء انخفاض  
صادرات العراق من النفط عبر سنوات الحرب

الملحق رقم ٢

نص مذكر طارق عزيز نائب رئيس الوزراء

وزير خارجية الجمهورية العراقية

بغداد في ١٥/تموز/١٩٩٠

نص الرد الكويتي على رسالة السيد طارق عزيز في ١٨-٧-١٩٩٠

السيد الشاذلي القليبي الامين العام لجامعة الدول العربية.

ان الكويت تؤكد انها كانت ولا تزال تتعامل مع شقيقاتها الدول العربية من دافع التزامها بالمبادئ والقيم التي وردت في ميثاق جامعة الدول العربية وهنا تاتي المذكرة العراقية في الوقت الذي تبذل فيه الكويت جهودها الخيره على كل المستويات لتعزيز الامن والاستقرار في المنطقة.

وبمناسبة ما ورد في المذكرة العراقية من ان الكويت قامت بنصب منشآت نفطيه منذ عام ١٩٨٠ على الجزء الجنوبي من حقل الرميله فان الكويت تؤكد انها بدأت عمليات الاستكشاف والتنقيب داخل اراضيها منذ عام ١٩٦٣ ثم توقفت تلك العمليات لأسباب يعرفها العراق جيدا. واستأنفت الكويت بعد ذلك عمليات الحفر عام ١٩٧٦ لتكتمل جميع العمليات ويبدأ الانتاج في اواخر السبعينات. اما بشأن ما ادعته المذكرة العراقية من سحب الكويت للنقط من الجزء الجنوبي من حقل الرميله فانه لا بد من التاكيد ان هذا الجزء من الحقل يقع ضمن الأراضي الكويتيه وعليه قامت الكويت باستخراج النفط من ابار تقع ضمن اراضيها جنوب خط الحدود العراقية الكويتيه وعلى مساحة كافيه من الحدود الدوليه وفقا للمقاييس العالميه.

ولقد تكررت ولا تزال محاولات يقوم بها العراق بحفر ابار داخل الاراضي الكويتيه مما يلحق الضرر البالغ في مخزون الحقل الخاص بالجزء الواقع ضمن الاراضي الكويتيه ولم تشأ الكويت اثاره هذه المشاكل على الساحة العربية بل اكتفت بالاتصالات الثنائيه بين البلدين.

صباح الاحمد الجابر

نائب رئيس الوزراء ووزير

الملحق رقم ٣

الخارجيه لدولة الكويت

١٨-٧-١٩٩٠

نص رد وزير الخارجية العراقي طارق عزيز على مذكرة الكويت

سيادة الأخ الشاذلي القليبي،

الأمين العام لجامعة الدول العربية

تحية أخوية .

أطلعنا على مذكرة الحكومة الكويتية، المؤرخة في ٢٦ ذي الحجة ١٤١٠ هجرية، الموافق ١٨ تموز (يوليه) ١٩٩٠م. وفي البداية، أودّ أن أعلق على ما ورد في مقدمة المذكرة، من تعابير الدهشة والاستغراب لما جاء في رسالتي، المؤرخة في ١٥ تموز (يوليه) ١٩٩٠“ وهذا التعبير، في حدّ ذاته، يعكس حقائق مؤلمة، كانت هي الدافع لكتابة رسالتنا .

فالمسؤولون في الحكومة الكويتية، الذين عمدوا إلحاق الأذى بالعراق، واتبعوا نهجاً مخططاً، طيلة سنوات، للزحف التدريجي باتجاه أرض العراق، وسرقة ثروة أبنائه، طيلة فترة انشغال العراق في الحرب، وهو يدافع عن سيادة الأمة العربية وكرامتها، وعن ثروة دول الخليج - يندهشون، اليوم، لأننا نكشف تصرفاتهم، أمام الأمة العربية، بعد أن فشلت كل محاولاتنا الأخوية معهم، في ثنيهم عنها. يندهشون لأنهم اعتادوا على استغلال سكوتنا وصبرنا، طيلة سنوات وسنوات، ونحن نكتم الجراح، حرصاً منّا على الحفاظ على علاقات الأخوة، التي لم يحترموها، وعلى المصالح القومية العليا، التي استهتروا بها، عمداً .

إن رسالة الحكومة الكويتية مليئة بالمغالطات، التي يسهل كشفها. وهي تلتف على الحقائق، المبيّنة، بكل وضوح، في رسالتنا. وتسعى إلى تحويل الأنظار عنها، باستخدام لغة عامة، غايتها التهرب من تناول الأذى والظلم، الذي ألحقته الحكومة الكويتية بالعراق. وفي

ما يلي بعض الملاحظات على ما ورد في رسالة الحكومة الكويتية :

١. ورد في رسالة الحكومة الكويتية: "ومما يضاعف استغراب الكويت، أن تأتي هذه

المذكرة في الوقت الذي يتواصل فيه التنسيق بين البلدين، في المجالات المختلفة."

وإننا لنسأل الحكومة الكويتية، ما هي خطوات التنسيق، التي قامت بها إزاء العراق؟ إن الحقيقة، التي ينبغي أن يعرفها كل العرب هي أن المسؤولين الكويتيين، كانوا يتهبون ويماطلون، عمداً، في إجراء أي تنسيق جدي بين البلدين.

ومن الأمثلة على ذلك، التأخير والمماطلة في التجاوب مع العرض، الذي قدمه العراق لحكومة الكويت، بتزويد الكويت بالماء من شط العرب، في إطار الشعور الأخوي تجاه شعب الكويت الشقيق.

وهناك مسألة الممر الجوي المباشر، بين العراق والكويت. ففي أثناء الحرب، اضطر العراق إلى عدم استخدام الممر المذكور. وفي شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٩، فاتح العراق الحكومة الكويتية، برسالة من وزير النقل والمواصلات العراقي، إلى زميله الكويتي، طالباً إعادة فتح هذا الممر. ولكن الحكومة الكويتية، تملصت من ذلك. وفي شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٩٠، أرسل وزير النقل والمواصلات العراقي، رسالة أخرى إلى زميله الكويتي، ولم يحصل على جواب. وفي شهر شباط (فبراير) ١٩٩٠، فاتحت أنا شخصياً وزير خارجية الكويت، ورجوته حل الموضوع، فلم نحصل على جواب. ويعني تصرف الحكومة الكويتية، عدم تمكين مطار البصرة الدولي من العمل، كمطار دولي.

ويحدث ذلك، بعد أن انتهت الحرب، وفي الوقت الذي استأنفت فيه الكويت تشغيل الممر الجوي بينها وبين إيران. فهل يقع مثل هذا السلوك، في إطار الحرص على التنسيق مع الأشقاء، كما تدعي الحكومة الكويتية؟

وتؤكد الوقائع، بأنه خلال الفترة الواقعة بين أيلول (سبتمبر) ١٩٨٠، وحتى هذا اليوم، كان العراق هو المبادر الأول في الزيارات، التي قام بها للكويت، لغرض التنسيق في كل المسائل المشتركة، ومنها المسائل التي تناولتها رسالتنا، في ١٥ تموز (يوليه) ١٩٩٠ وإذا حسبنا عدد الزيارات، التي قام بها المسؤولون العراقيون للكويت، لوجدنا أنها تزيد

عن الزيارات، التي قام بها المسؤولون الكويتيون للعراق. وهذه حقيقة أخرى، تضاف إلى الحقائق عن الطرف، الذي يحرص، فعلاً، على التنسيق.

٢. لقد أصابت المذكرة الكويتية، عندما قالت: "إن العراق، (كان في مقدمة الأشقاء الداعين إلى تحقيق الوفاق في العلاقات العربية، والنأي بتلك العلاقات عما يعكر صفوها، ويحقق لها التوازن، بما يخدم العمل العربي المشترك."

٣. إن العراق كان وما يزال وسيبقى دائماً، يتصف بهذه الصفة. غير أن المسؤولين في حكومة الكويت، هم الذين أساءوا إلى هذه المبادئ، عندما تعمدوا، بأسلوب مخطط، ومبرمج، طيلة سنوات الحرب وبعدها، إلحاق الأذى بالعراق، والتجاوز على أرضه وحقوقه. ولو أنهم احترموا هذه المبادئ، وطبقوها في علاقتهم مع العراق، الذي حفظ لهم الود، وتحمل منهم الإساءات، سنوات عديدة - لما اضطررنا إلى ما اضطررنا إليه، مكرهين.

وقد عبر السيد الرئيس صدام حسين، في خطابه، يوم ١٧ تموز (يوليه) ١٩٩٠، عن الألم العميق، لاضطرارنا إلى كشف الأذى الذي لحق بنا، عندما قال: "عندما نضطر إلى هذا القول، فإننا نشعر بالتمزق من داخلنا، ونعايش الحزن إلى أقصى معانيه" إذ إننا لم نكن نتمنى أن نتحدث عن حقوق مغتصبة، والمغتصب فيها بعض العرب. وإنما كنا نتمنى أن نركز، في حديثنا، كما هو شأننا دائماً، على الحقوق، التي اغتصبها الأجنبي فحسب. ولكن أصحاب السوء، هم الذين يتحملون، وحدهم، أمام الله، وأمام الأمة، نتائج سيئاتهم، التي أظهروا من مخزونها ما لم نعرفه عنهم، من قبل، أو كنا نمني النفس بما هو غير هذا ."

٤. وتشير حكومة الكويت إلى ما تحملته، من اعتداءات على أراضيها، ومنشأتها النفطية، وناقلات نفطها، ومصالحها التجارية، إبّان الحرب. وهي في ذلك، تتجاهل حقائق السياسة والجغرافيا، في الصراع الذي جرى بين عام ١٩٨٠، وقبّله وبين عام ١٩٨٨. لقد قلنا في مذكرتنا: "إن كل رؤساء دول الخليج، ومعهم كل الأمة العربية، أكدوا بأن المعركة، لم تكن عراقية وحسب" إنما كانت دفاعاً عن الخليج وأمنه وسيادته . "والكويت هي أقرب

الساحات إلى ميدان المعركة. وكان التهديد لها، من الخارج ومن الداخل، مباشراً، وبعض ما ذكرته المذكرة الكويتية يؤكد ذلك. وإذا كانت قد وقفت مواقف عبّرنا عن تقديرنا لها، كما جاء في رسالتنا في ١٥ تموز (يوليه)، فإنها، في الواقع، تصرفت، في جانب كبير من ذلك، من زاوية درء الخطر عن النفس. وإذا كانت الكويت، قد تكبدت من الخسائر المادية، فإننا سفحنا الدم الغالي، فضلاً عن تكبدنا الخسائر الهائلة. ومع ذلك، فقد كانت نظرتنا وما تزال إلى أن المسألة قومية. ولكننا أثّرنا في رسالتنا تساؤلات، لم تجب عليها المذكرة الكويتية!! ولم تتطرق إلى الزيادات في الإنتاج، التي تحققت لدول معينة في الخليج، أثناء غياب التصدير العراقي، والثروات التي جمعتها، إبّان الحرب، مع أننا قدمنا أرقاماً وبراهيناً على ذلك .

٥. أما ما ورد في مذكرة الحكومة الكويتية، من أن للعراق سجلاً حافلاً، في تجاوزاته على الأراضي الكويتية، فإنه كذب، وقلب للوقائع رأساً على عقب. فالعراق كان منشغلاً في الحرب، طيلة ثماني سنوات، ولم يكن له، في المناطق المذكورة، جندي أو شرطي أو حارس حدود، فكلهم كانوا في الجبهة، يقاتلون دفاعاً عن شرف الأمة وسيادتها" في الوقت الذي كان فيه الشغل الشاغل للمسؤولين في حكومة الكويت، هو تدبير الزحف التدريجي على أراضي العراق، وبناء المخافر، وإنشاء المزارع والمنشآت العسكرية والنفطية فيها. ولم يلتفت العراق إلى ذلك، لأنه كان يخوض معركة مصير له وللعرب جميعاً، ولأن نظرتة إلى الأرض العربية، والعلاقات العربية، معروفة .

٦. تقول المذكرة: "إن العراق كان يرفض ترسيم الحدود بينه وبين الكويت". وهذه مغالطة، تدحضها الحقائق والوثائق والوقائع. أولاً، إن المسألة بين العراق والكويت، وكما جاء في رسالة نائب رئيس الوزراء، الدكتور سعدون حمادي، الموجهة إلى وزير خارجية الكويت، بتاريخ ٣٠ نيسان (أبريل) ١٩٩٠، (التي نرفق نسخة منها، طياً) - ليست مسألة "ترسيم"، كما تدعي المذكرة الكويتية. إن وضع الحدود، كما جاء في الرسالة، هو، في

الواقع، وضع بلدَيْن متجاورَيْن، تجمعهما أوامر القربى الوثيقة، لم يتوصلا، حتى الآن، إلى اتفاق حول "تحديد" حدودهما، في البر والبحر.

وقد تجاهلت المذكرة الكويتية مبادرتنا، التي أشرنا إليها في رسالتنا، في ١٥ تموز (يوليه) ١٩٩٠، ففي أثناء حضورنا قمة الجزائر، في آيار (مايو) ١٩٨٨، أبلغت أنا شخصياً وزير خارجية الكويت، برغبة السيد الرئيس صدام حسين في حسم مسألة الحدود بين البلدين. غير أن الجانب الكويتي، وبعد عدد من الاتصالات، التي جرت حول الموضوع، تهرب من الأمر. وأبلغنا بأن ظروفه، لا تسمح ببحث هذه المسألة، وطلب منا تأجيل بحثها. كما أن مسؤولين كويتيين، اتصلوا بنا، وأبلغونا عن رغبتهم في تحويل ملف الحدود من مسؤول كويتي إلى آخر. وإن السيد الرئيس صدام حسين، هو الذي اقترح، ثانية، على سمو أمير الكويت، أثناء زيارته إلى العراق، في شهر أيلول (سبتمبر) ١٩٨٩، معاودة البحث في الموضوع، وحله بأسلوب أخوي.

أما ما ورد في المذكرة الكويتية، من إشارة إلى حل مشاكل حدودية معلقة، مع السعودية والأردن، فهي صحيحة. والواقع، أنه لم تكن بيننا وبين السعودية والأردن مشكلة حدود، كما هي الحال مع الكويت، وإنما كان هناك مشاكل حدودية معلقة، وهي محدودة. وقد عالجناها في إطار نظرة قومية، لا تتنازع على الأشبار بين الأقطار الشقيقة. وحبذا لو تصرفت حكومة الكويت، في هذه المسألة، كما تصرفنا نحن، وتصرف الإخوة في الأردن والسعودية .

٧. أما عن إشارة مذكرة الحكومة الكويتية، إلى الميثاق القومي، الذي اقترحه السيد الرئيس صدام حسين، في شباط (فبراير) ١٩٨٠، وما ورد في تلك الإشارة، من ربط مصطنع بين الميثاق واقترح ورد في المذكرة - فنقول: إن الميثاق القومي كل لا يتجزأ. ولا يمكن لطرف ما، أن يتناول ما يحلو له منه، ثم يطعن، في الصميم، المبادئ والأسس الأخرى، التي جاءت فيه "لأن العلاقة العربية، التي اقترحها الميثاق، علاقة شمولية، ومترابطة. ثم إذا كانت حكومة الكويت مؤمنة، حقاً، بالميثاق القومي، الذي أعلن قبل عشر سنوات، فلماذا لم تقل ذلك، من قبل؟ ولماذا تملصت من توقيع الاتفاقيات، التي عرضناها عليها،

والتي وقّعنا مثلها مع حكومة المملكة العربية السعودية وغيرها من دول المنطقة؟ ولماذا غضبت من مقترحات قدمناها - كما تشير إلى ذلك رسالة الدكتور سعدون حمادي، في ٣٠ نيسان (أبريل) ١٩٩٠، والتي تقع في إطار المبادئ، التي وردت في الميثاق، وفي ميثاق الجامعة العربية؟ إن المنهج الانتقائي، لا يمكن أن يكون منهجاً صالحاً في العلاقات العربية. وإن المنهج المطلوب، هو المنهج الشمولي، الذي يستند على مبادئ قومية ثابتة، وعلى ضرورات ومتطلبات الأمن القومي العربي.

٨. لقد مرت مذكرة الحكومة الكويتية، بسرعة، على ما أثرناه، حول سياستها النفطية، التي تعمدت الإضرار بالعراق. ولم تردّ على الحقائق، التي جاءت فيها. وهي حقائق، يعرفها كل الأشقاء في المنطقة، لأننا شكونا إليهم سياسة الكويت، فأيدوا شكوانا وشكواهم، من جانبهم، وأكدوا أنهم هم، أيضاً، يتضررون من هذه السياسة المتعمدة، التي تهدف إلى زعزعة سوق النفط، وإلحاق الخسائر بالدول التي تصدر النفط، وهي ثماني دول عربية، عدا الكويت والإمارات. إن هذا يؤكد صحة ما أوردناه في رسالتنا.

٩. أما عن ادعاءات حكومة الكويت في حقل الرميلة العراقي، فإننا نؤكد، أن هذا الحقل هو حقل عراقي، بالاسم والأرض. وأن ما سحبتة حكومة الكويت، عمداً، في ظروف انشغال العراق في الحرب، وهو مثال واحد من أمثلة تجاوزات حكومة الكويت على نفطنا، التي لا تنحصر في هذا الحقل فحسب - هو سرقة، لا بدّ لحكومة الكويت من ردّها إلى شعب العراق المجاهد .

١٠. ومما يلفت النظر، أن الحكومة الكويتية، لم تكتفِ بالرد على رسالتنا، في مذكرة موجهة إلى الجامعة العربية“ وإنما أبلغت، يوم الخميس، ١٩ تموز (يوليه) ١٩٩٠، رسالة حول الموضوع، إلى رئيس مجلس الأمن، والأمين العام للأمم المتحدة. فهل تقصد حكومة الكويت تدويل هذه المسألة، في الوقت الذي ملأت فيه مذكرتها بالكلمات الإنشائية الطنانة، عن الجامعة العربية وميثاقها، وعن العلاقات بين العرب؟



إن السلوك الفعلي، يكشف الحقائق .ولعل مما يزيد من إلقاء الضوء على المسألة، ويؤكد ما أثبتناه في خطاب السيد الرئيس صدام حسين، في ١٧ تموز (يوليه)، وفي رسالتنا، في ١٥ تموز (يوليه) ١٩٩٠، من أن السياسة التي اتبعتها حكومة الكويت، إنما كانت سياسة أمريكية - هي التصريحات الأمريكية الأخيرة، التي تقول، بصراحة: إن باستطاعة حكومة الكويت، أن تستظل بالقوة الأمريكية. وهذا تشجيع، لا لبس فيه، لحكومة الكويت، لكي تمضي في سياستها، التي تتعمد العدوان على العراق والأمة العربية. فأين موضع العرب والعروبة والجامعة العربية من ذلك، يا حكومة الكويت؟ وحول هذه المسألة، نقول لحكومة الكويت، إن الذي يتأمر على الأمة العربية، ويهدد مصالحها الجوهرية، في الصميم - لن يحميه الأجنبي " فالشعب العربي، سبق له أن تعامل مع حالات من هذا النوع، وكان مصيرها معروفاً.

أرجو سيادة الأمين العام، توزيع هذه الرسالة على الدول العربية.

مع أطيب التحيات والتمنيات.

طارق عزيز

نائب رئيس الوزراء

وزير خارجية الجمهورية العراقية

بغداد، في ٢٩ ذي الحجة ١٤١٠ هـ

الموافق ٢١ يوليه ١٩٩٠م

## الملحق رقم ٤

### وثائق الغزل متبادل مبكر بين صدام ولندن و واشنطن

كشفت وثائق سرية اميركية وبريطانية رفع الحظر عنها مؤخرا واطلعت عليها جريدة الشرق الاوسط عن عمق العلاقة بين الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين منذ شبابه وبين بريطانيا واميركا، وحتى بعد استخدامه للأسلحة الكيميائية في الحرب الايرانية - العراقية ثم ضد الاكراد فيما بعد. وتوضح الوثائق صلته بشركة بكتل للمقاولات وهي اكبر الشركات الاميركية التي ساهمت في بناء مصنع بتروكيميائي ابان تلك الفترة. وتوضح الوثائق الجديدة كيف ان الولايات المتحدة اتخذت سياسة حيادية في العلن من الحرب العراقية الايرانية في حين تفاضت بل وشجعت استخدام الاسلحة الكيميائية ضد ايران في السر، كما قدمت بعض الاسلحة لصدام حسين.

وفي الوقت الذي كان فيه العراق يخوض حربا طويلة مع ايران، فان الولايات المتحدة اعتبرت نظام صدام حليفا هاما ضد الثورة الايرانية عام ١٩٧٩. وكانت واشنطن قلقة من ان النموذج الايراني الاسلامي ربما ينتشر الى بقية دول المنطقة الغنية بالنفط الضروري للاقتصاد الاميركي. وقد حافظت الولايات المتحدة، علنا، على حيادتها خلال الحرب العراقية الايرانية التي بدأت العام ١٩٨٠ واستمرت لمدة ٨ سنوات غير انها وثقت علاقتها بصدام بدون الاعلان عن ذلك.

\* صدام يمكن العمل معه

\* فوفق احدي الوثائق السرية التي تم رفع الحظر عنها والتي كشفت عنها هيئة «ارشيف الامن القومي» التابعة لجامعة جورج واشنطن وحصلت عليها «الشرق الأوسط» طبقا لقانون حرية المعلومات الاميركي، تقول السفارة البريطانية في بغداد ان صدام حسين احد الاشخاص الذين يمكن التعامل معهم وتصفه بأنه «شخص ذو ابتسامة جذابة». وتضيف الوثيقة «اذا امكن رؤيته بشكل اكثر فانه يمكن العمل معه». وتصفه بأنه «رجل يحسن

تقديم نفسه».

ويعود تاريخ هذه الوثيقة الى ١٥ نوفمبر ١٩٦٩ وترسم فيها السفارة البريطانية تحليلاً وصفياً لشخصية صدام حسين لترى ما اذا كان يمكن الدفع به للترقي في سلك القيادات في العراق وتقييم مدى استعداده للتعامل مع بريطانيا. وتعدد الوثيقة صلاته بالقيادة العراقية وقتذاك ومدى نفوذه في الحزب البعثي.

وفي وثيقة اخرى بتاريخ ٢٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٩ يكتب السفير البريطاني بلفور بول في برقية سرية الى وزارة الخارجية وشؤون الكومنويلث في لندن واصفا صدام حسين بالقول «يبدو انه الخليفة المرشح لتولي العرش» وله «صعود في دائرة الضوء». ويضيف السفير في وثيقته بأن صدام «يتحدث بحرارة تبدو مخلصاً» حول الكثير من الموضوعات. وفي الوثيقة يصف السفير قول صدام ان العلاقة بين العراق والاتحاد السوفيتي فرضت على حزب البعث نتيجة مناصرة الاتحاد السوفيتي العلنية للقضية الفلسطينية ولا تمثل توجهها اصيلاً من قبل الحزب. وينقل السفير البريطاني قول صدام انه لا يريد علاقات حميمة في العلن «خشية ان يمسكها منتقدو العراق وحزب البعث ضدهم». وفي الحديث يعبر صدام عن رغبة «حقيقية» في التعامل مع بريطانيا بل ومع الولايات المتحدة الاميركية، ويصف السفير صدام بأنه «رجل له رأيه الخاص وشخص لا يستهان به وعضو متصلب الرأي في سلك قيادة حزب البعث». وقال صدام مدافعاً عن مدى علاقته بالاتحاد السوفيتي قائلاً: «ليس الامر بهذا السوء». وقال السفير انه قابل صدام حسين «الصغير السن» في «مكتب صدام المتواضع» وكانت المحادثة باللغة العربية التي كان يجيدها السفير.

\* تحسن الامور مع واشنطن

\* وفي وثيقة اخرى من وزارة الخارجية الاميركية يعود تاريخها الى ٢٨ ابريل (نيسان) ١٩٧٥ تبرز حواراً بين وزير الخارجية آنذاك هنري كيسنجر ومستشاريه في وزارة الخارجية حول ما وصف بأنه «النشاط الدبلوماسي» الآتي من بغداد. وفي نص الحوار يذكر نائب وزير الخارجية الاميركي لشؤون الشرق الأدنى الفريد إيثرتون أن هناك محاولات وليدة من قبل بغداد «لتحسين الأمور» مع جيرانها. ويقول كيسنجر ان هذا النشاط شيء متوقع

وخصوصا بعد أن تم توقيع إتفاق مبدئي في مارس ١٩٧٥ بين العراق وإيران - والتي كانت حليفة كبيرة لأميركا وقتها تحت حكم الشاه رضا بهلوي - لحل الخلاف الحدودي بينهما على حساب الاكراد والذي قامت إيران وأميركا بعده بإيقاف دعمهما لهم. ويصف إيترتون صدام حسين بأنه «شخص جدير بالاهتمام... إنه يدير الأمور هناك غير أنه قاسى جدا... وعملي وذكي». وفي وثيقة أخرى بها نص حوار بين هنري كيسنجر ووزير الخارجية العراقي سعدون حمادي في ١٧ ديسمبر ١٩٧٥ تسرد المذكرة أول لقاء وجهها لوجه بين وزيرى خارجية البلدين منذ سنوات والتي كان قد دعا إليها كيسنجر لاستبيان وسائل تطبيع العلاقات مع العراق كجزء من حملة أكبر لتحسين العلاقات مع العالم العربي وخصوصا بعد أزمة النفط المصاحبة لحرب ١٩٧٣ بين العرب وإسرائيل. وفيها يقول كيسنجر لسعدون حمادي «لا أظن أن هناك أي إصطدام أساسي في المصالح القومية بين العراق والولايات المتحدة الأمريكية». وعندما يرد حمادي ان الخلاف يبقى اسرائيل، يقول كيسنجر أنه لا مساومة على وجود إسرائيل ويقول «أما إذا كانت القضية (بين العرب وإسرائيل) هي مسألة حدود فإننا يمكن أن نتعاون في ذلك». وفي اللقاء يتفق الوزيران أنه لا عوائق أمام العلاقات «الاقتصادية والثقافية».

\* الملك حسين كان يقرب بين واشنطن وبغداد

\* وفي وثيقة أخرى تم الكشف عنها من السفارة الأمريكية في عمان بالأردن في ١٩ مارس ١٩٨٥ يتضح أن الملك حسين عاهل الاردن السابق كان من أهم الوسطاء بين بغداد والعراق وذلك قبل اعلان العلاقات رسميا بين واشنطن وبغداد في نوفمبر ١٩٨٤ وفي هذه البرقية تظهر محاولات الملك حسين لجمع الزعماء العرب ضد إيران ودعوته للرئيس حسني مبارك للانضمام الى صدام حسين في لقاء. ويقول الملك للسفير الأميركي في عمان ان العراقيين «مسرورون للغاية» من الدعم الدبلوماسي الأميركي وكذلك «من التعاون الإجمالي مع الولايات المتحدة الأمريكية» اثناء الحرب مع ايران.

وفي برقية أخرى، توضح رضا أميركا غير المعلن عن استخدام العراق للأسلحة الكيماوية، من قسم رعاية المصالح الأمريكية في العراق في ٧ مارس ١٩٨٤ يقول عصمت كتاني نائب

وزير الخارجية العراقي وقتها معلقا على الانتقادات الاميركية العلنية لاستخدام العراق للأسلحة الكيماوية ضد إيران انها لم تكن مناسبة من حيث «التوقيت... والاسلوب». ويقول ان الأهم من كل ذلك هو ألا تعيق هذه الحادثة بين إقامة علاقات ثنائية بين البلدين وهو ما تحقق فعليا فيما بعد حينما أعلنت الولايات المتحدة الأميركية إقامة علاقات رسمية مع نظام صدام حسين في نوفمبر ١٩٨٤.

\* بكتل تعمل في العراق رغم استخدام الاسلحة الكيمائية ضد الاكراد

\* وفي وثيقة مؤرخة في سبتمبر ١٩٨٨ تذكر السفارة الاميركية في بغداد ابريل غلاسبي - والتي يظن في كثير من الدوائر انها اعطت الاشارة الخضراء للعراق بغزو الكويت في اغسطس ١٩٩٠ - تقول ان شركة بكتل للمقاولات قالت انها لن تحترم حظرا كان الكونغرس قد فرضه علنا على قيام شركات اميركية بالعمل في العراق بعد ان قام صدام حسين باستخدام الغارات الكيمائية ضد الاكراد في مارس من العام ذاته في حلبجة.

وتبين الوثيقة موافقة الدبلوماسيين الاميركيين على قيام بكتل بذلك على الرغم من حظر الكونغرس المعلن وذلك عن طريق استخدام مقاولين غير اميركيين او شركات تابعة لها مقيدة في السجلات في دول اخرى على انها غير اميركية على الرغم من انها مملوكة لشركات اميركية.

وتقول غلاسبي «لقد قال ممثلو بكتل (في العراق) انه اذا تحول الحظر الى قانون فانهم سيلجأون الى استخدام موردين غير اميركيين» لكي يحتفظوا بعقد كبير في العراق كانت بكتل مع شركات اميركية اخرى قد فازت به لاقامة الجزء الثاني من مصنع بتروكيميائي في العراق تبلغ كلفته ملياري دولار كان نصيب الشركات الاميركية منه ٣٠٠ مليون دولار. وقال جيم فاليت من مركز الطاقة الدائمة في واشنطن لـ«الشرق الاوسط» ان الشركة الاميركية «بدعم من الدبلوماسيين الاميركيين ازادت العمل في العراق على الرغم من علمها يقينا ان صدام حسين استخدم اسلحة كيمائية ضد الاكراد وضد ايران». وازدادت الشركة كسب المال فقط، ولم يكن يعنىها ما يمكن ان يحدث للاكراد جراء بعض منتجات المصنع». ومن المعروف ان موظفي بكتل كانوا من ضمن الرهائن الغربيين الذين

احتجزهم صدام حسين بعد غزوه للكويت كورقة ضد تهديدات الولايات المتحدة بضربه عسكريا اذا لم ينسحب من الكويت. وقد اطلق صدام حسين سراهم لاحقا بعد وساطة بريطانية.

وقال توم بلانتون، المدير التنفيذي لارشيف الامن القومي، وهو مركز ابحاث مقره واشنطن، لـ«الشرق الاوسط» «ان هدفنا من الكشف عن هذه الوثائق هو اعطاء البعد التاريخي للحرب على العراق وللقرارات الاقتصادية - بما فيها اعطاء عقود لشركات هناك». وقال بلانتون «ان الاحتلال للعراق يوصف بانه حرب اخلاقية جلية ضد الشر. وترسم الامور لنا في لونين ابيض واسود. غير ان حقيقة التاريخ وحقيقة العلاقة بين الولايات المتحدة والعراق ترينا ان العلاقة كانت مظلمة وليست كلها لونين فقط. لقد كانت العلاقة سياسية للغاية وان القلق الاميركي من اسلحة الدمار الشامل ما هو الا زهرة تفتحت قريبا جدا فقط».

اللقاء بين غلاسبي وصدام حسين

وفي ٢٥ تموز استدعى صدام ابريل غلاسبي السفيرة الأميركية. ولما كانت قد أبلغت بموعد المقابلة قبل ذلك بساعة فقط فإنه لم يكن لديها الوقت الكافي لإبلاغ وزارة الخارجية بواشنطن والتزود بتعليماتها. وأدخلت السفيرة على الرئيس العراقي في الساعة الواحدة بعد الظهر. وبدا عليها التوتر وهي تهم بإجراء مقابلتها الخاصة الأولى معه. وجاء الحديث الذي جرى بينهما مفاجئاً وحتى مزعجاً. واستطاعت شبكة " إي بي سي " الحصول على تسجيل للحديث الذي يعتبر وثيقة كبرى بالنظر إلى ما يشتمل عليه من دلالات بعضها غير عفوي ولكن تستحق أن نوردها \*

حضر المقابلة طارق عزيز. واستهلها صدام بالترحيب بغلاسبي ودعاها إلى الجلوس قائلاً: " لقد استدعيتك لإجراء حوار سياسي شامل معك، وفيه رسالة موجهة إلى بوش ". قال صدام:

" تعلمين انه لم يكن هناك علاقات بيننا وبين الولايات المتحدة إلى عام ١٩٨٤. كما أنك تعرفين الظروف والأسباب التي أدت إلى قطع العلاقات. على أن قرار استئناف العلاقات اتخذ عام ١٩٨٠ أي خلال الشهرين اللذين سبقا حربنا مع إيران. وعندما بدأت الحرب ولتجنب أي سوء تفسير أجّلنا إقامة العلاقات على أمل أن تنتهي الحرب في الحال.

" فلما تبين أن الحرب ستطول، وللتأكيد على أننا دولة غير منحازة، كان من المهم أن نعيد إقامة علاقاتنا بالولايات المتحدة. وكان هذا في عام ١٩٨٤.

" ومن الطبيعي القول بأن الولايات المتحدة ليست كبريطانيا مثلا. ذات العلاقات التاريخية مع الشرق الأوسط، بما فيه العراق. ثم إنه لم تكن هناك علاقات بين العراق والولايات المتحدة بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٨٤. ويمكن للمرء أن يستنتج أنه من الصعب على الولايات المتحدة أن تتوصل إلى تفاهم تام مع العراق حول كثرة من الأمور. على أنه عندما جرى استئناف العلاقات كنا نأمل في تفهم أفضل وفي تعاون أفضل لأننا أيضا لا نفهم خلفيات كثيرة من القرارات الأميركية.

" وتعامل أحدنا مع الآخر خلال الحرب وعلى مستويات مختلفة أهمها مستوى وزير الخارجية. وكنا نأمل في تفاهم مشترك أفضل وفي فرصة أكبر للتعاون وذلك لفائدة شعبينا وباقي الأمم العربية. لكن هذه العلاقات أصيبت بشروخ. ووقع الأسوأ منها في عام ١٩٨٦ وبعد سنتين فقط من إرساء تلك العلاقات خلال ما يعرف " بإيران غيت " التي وقعت سنة احتلال إيران لشبه جزيرة الفاو.

" ومن الطبيعي القول بأن قدم العلاقات وتعقد المصالح المتبادلة قد يمتصان الأخطاء. لكن عندما تكون المصالح محدودة والعلاقات حديثة العهد فإن التفاهم يصبح سطحيا وقد تؤدي الأخطاء إلى نتائج سلبية. وقد يحدث أحيانا أن يكون تأثير الخطأ أكثر خطورة من الخطأ ذاته.

" وبالرغم من ذلك فإننا قبلنا اعتذار الرئيس الأميركي عبر موفده عن " إيران غيت " وأزلنا جميع الشوائب. وينبغي علينا أن لا نستعيد الماضي إلا عندما لا تكون الأخطاء الماضية وليدة الصدفة.

" وتزايدت شكوكننا بعد تحرير الفاو. فقد أخذت وسائل الإعلام الأميركية تدس أنفها في سياسة بلادنا. ودفعتنا الشكوك إلى التساؤل عما إذ كانت نتيجة الحرب وتحريرنا لبلادنا قد أقلقا الولايات المتحدة.

" وكان من الواضح لنا أن تحريرنا لبلادنا لم يرقُ لبعض الجهات في الولايات المتحدة. ولست أشير بهذا إلى الرئيس الأميركي نفسه بل إلى جهات معينة على صلة بدوائر الاستخبارات ووزارة الخارجية باستثناء وزير الخارجية. وبدأت بعض الجهات تعد دراسات بعنوان " من سيخلف صدام حسين؟ " وأخذت تتصل بدول الخليج وتثير مخاوفها من العراق وتقنعها بعدم تقديم المساعدات الاقتصادية له. ولدينا شواهد على نشاطها هذا. " لقد خرج العراق من الحرب وعليه دين قدره ٤٠ مليار دولار. ولا يشمل هذا المبلغ المساعدات التي قدمتها الدول العربية. ومما يذكر أن بينها دول لا تعتبر المساعدات ديناً مع أنها تعلم كما تعلمون أنتم أنه لولا العراق لما كانت لديها تلك المبالغ، ولما كان مصير المنطقة على النحو الذي نراه.

" وبدأنا نواجه سياسة تخفيض أسعار النفط. ثم رأينا الولايات المتحدة التي تتحدث دائماً عن الديمقراطية لا تعير وجهة نظر غيرها أي اهتمام. ثم بدأ الإعلام الرسمي الأميركي حملته على صدام حسين. واعتقدت الولايات المتحدة أن الوضع في العراق كالوضع في بولندا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا. لقد أثارت هذه الحملة قلقنا ولكننا لم نبادر إلى الرد لأننا كنا نأمل أن تتاح الفرصة لصانعي القرار في أميركا للوقوف على الحقائق ومعرفة ما إذا كان للحملة الإعلامية أي تأثير على شعب العراق. كنا نأمل في أن تبادر السلطات الأميركية إلى اتخاذ القرار الصحيح بشأن علاقاتها مع العراق. فالعلاقات الجيدة تساعد على تجاوز الخلافات.

" لكن عندما تقضي السياسة المرسومة بتخفيض سعر النفط بدون سبب تجاري معقول، فإن ذلك يعني شن حرب أخرى على العراق. فالحرب العسكرية تقتل الناس بإسالة دمائهم، والحرب الاقتصادية تدمر إنسانيتهم بحرمانهم من فرصة التمتع بمستوى حياتي لائق. وإننا كما تعلمون نرّفنا انهاراً من الدم في الحرب التي دامت ثماني سنوات لكننا لم نفقد



إنسانيتنا. وللعراقيين الحق في العيش بكرامة ولا نسمح لأحد بأن ينال من كرامتهم أو من حقهم في الاستمتاع بمستوى حياتي عال.

" لقد كانت الكويت والإمارات على رأس واضعي هذه السياسة التي استهدفت النيل من مكانة العراق وحرمان شعبها من المستويات الحياتية العالية. وأنتم تعلمون أن علاقاتنا مع الإمارات والكويت كانت قبل ذلك جيدة. وفوق هذا كله وبينما كنا غارقين في الحرب أخذت الكويت تتسع على حساب أرضنا "

\*\*\*

وهنا أخذ صدام يشير بوضوح إلى الكويت بوصفها هدفه الرئيسي. قال: " قد تقولون بأن هذا مجرد دعاية. لكنني الفت نظركم إلى الوثيقة التي تحدد خط الدوريات العسكرية الذي يشكل الحدود التي صدقت عليها جامعة الدول العربية عام ١٩٦١. لقد نصت الوثيقة على أنه لا يجوز اختراقها.

" اذهبي وشاهدي بنفسك ما يجري. سترين دوريات الحدود والمزارع والمنشآت النفطية الكويتية قائمة في أقرب نقطة من الحدود وذلك لإثبات أن تلك الأراضي كويتية. " ومنذ عام ١٩٦١ والحكومة الكويتية مستقرة، في حين أن الحكومة العراقية تعرضت لتعديات كثيرة. وحتى بعد عام ١٩٦٨ (الذي استولي فيه البعث على الحكم) وطيلة عشر سنوات كنا غارقين في مشكلاتنا مثل مشكلة الأكراد في الشمال ومشكلة حرب أكتوبر وغيرهما.

" إننا نعتقد أنه ينبغي على الولايات المتحدة أن تفهم أن الشعب الذي يعيش في رخاء وأمن اقتصادي يمكنه أن يتوصل إلى تفاهم معها حول المصالح المشتركة المشروعة لكن الشعب الجائع والمحروم اقتصاديا لا يستطيع ذلك.

" إننا لا نقبل تهديدا من أحد لأننا لا نهدهم أحداً. ونقول بوضوح بأننا نأمل في أن لا تكثر الولايات المتحدة من الأوهام وأن تسعى إلى كسب الأصدقاء لا إلى زيادة أعدائها.

## الجزء الثاني

" لقد قرأت تصريحات أميركية عديدة عن أصدقائها في المنطقة. وبالطبع من حق الجميع ان يختاروا أصدقاءهم ولا اعتراض لدينا على ذلك. ولكنكم تعرفون جيداً انكم لستم الذين حميتهم هؤلاء الاصدقاء خلال الحرب مع إيران. وأستطيع التأكيد لكم أنه لو اكتسح الإيرانيون المنطقة لما كان في استطاعة القوات الأميركية وقفهم إلا باستخدام الأسلحة النووية.

" ما اقله لا يهدف إلى التقليل من شأنكم وانما انا أخذ بعين الاعتبار العوامل الجغرافية وطبيعة المجتمع الأميركي التي ترفض التضحية بأكثر من عشرة آلاف قتيل في المعركة الواحدة.

" تعلمون أن إيران قبلت بوقف اطلاق النار. ولكن لم يحصل ذلك بسبب قصف الولايات المتحدة لمنشأة نفطية إيرانية واحدة، وانما حصل بعد تحرير الفاو. وهكذا يكافأ العراق لأنه ساهم في تأمين استقرار المنطقة وقام بحمايتها من مدٍّ لا مثيل له؟ " ثم ماذا تعني أميركا عندما تقول الآن بأنها ستحمي أصدقاءها؟ ليس لذلك معنى سوى التحامل على العراق.

" أقول لكم بوضوح إننا سوف نحصل على كل حق من الحقوق الواردة في المذكرة. وقد لا يحدث هذا الآن أو خلال شهر أو بعد سنة لكننا سنحصل عليها كلها. لسنا بالشعب الذي يتخلى عن حقوقه. فليس هناك حق تاريخي أو حاجة تبرر قيام الإمارات والكويت بحرماننا من حقوقنا. وإذا كانت هاتان الدولتان في حاجة إلى ذلك فنحن أحوج منهما إليه. " ينبغي أن يكون لدى الولايات المتحدة تفهم أفضل للوضع. وعليها أن تذكر اولئك الذين تريد أن تقيم معهم علاقات وأن تقول من هم أعداؤها. وعليها أن لا تعتبر أحدا عدوا لا لسبب إلا لأنه يختلف معها في الرأي حول النزاع العربي الإسرائيلي.

" إننا نفهم بوضوح قول أميركا بأنها تريد تأمين تدفق سهل للنفط. ونفهم أميركا عندما تقول بأنها تسعى إلى صداقة دول المنطقة، وترغب في تعزيز المصالح المشتركة. لكن ما لا نفهمه هو أن تقوم أميركا بتشجيع بعض الجهات على الحاق الضرر بمصالح العراق.

" إن الولايات المتحدة تريد أن تضمن تدفق النفط. هذا مفهوم. لكن ينبغي عليها أن لا تستخدم أساليب ثم تنكرها. إن ذلك من قبيل لي العضلات والضغط. فإذا استخدمتم الضغط فسوف نستخدم الضغط والقوة.

" إننا نعلم أنه باستطاعتكم إلحاق الضرر بنا حتى ولو لم نهددكم. لكن باستطاعتنا أيضا أن نلحق الضرر بكم ففي وسع كل شخص أن يسبب ضررا يتناسب مع قوته وحجمه. ليس باستطاعتنا أن نزحف على بلادكم لكن باستطاعة الأفراد من العرب الوصول إليكم.

\*\*\*

وهنا ضرب صدام حسين بالمجاملات الدبلوماسية عرض الحائط وأخذ يهدد الولايات المتحدة بموجة من الهجمات الارهابية. ولكي يجعل الأمور أكثر وضوحا قال: " في استطاعتكم المجيء إلى العراق ومعكم الصواريخ والطائرات لكن لا تدفعونا إلى الحد الذي لا نعود عنده نهتم بما يحدث. وعندما نشعر بأنكم تريدون جرح كرامتنا وحرمان العراق من فرصة تحقيق مستوى حياتي أفضل فإننا لن نأبه لشيء وسيكون خيارنا الموت. ولن نخاف عندئذ إذا أطلقتم مئة قذيفة مقابل كل قذيفة من قذائفنا. فالحياة بلا كرامة لا قيمة لها.

\*\*\*

وكان هذا تهديداً للرئيس بوش بأن صدام حسين مستعد لمحاربة أميركا بالرغم من أنه كان يعلم أنه يرجح أن يخسر المعركة. وأضاف يقول:

" ليس من المعقول أن يُطلب من الشعب العراقي نزع أنهار من الدم خلال الاعوام الثمانية الماضية ثم يُقال له: عليك الآن أن تقبل بعدوان الكويت والإمارات العربية والولايات المتحدة وإسرائيل. نحن لا نضع جميع هذه البلدان في سلة واحدة. ومما يؤذينا ويزعجنا أن تكون هناك خلافات بيننا وبين الكويت والإمارات. لكن ينبغي أن يكون الحل في الإطار العربي وعبر العلاقات الثنائية المباشرة. نحن لا نضع الولايات المتحدة أيضا في خانة الأعداء. نحن نضعها في الموقع الذي نريده لاصدقائنا ونبذل الجهد كي تكون في عداد

أصدقائها. ولكن تصريحاتكم المتكررة في العام الماضي تظهر جليا ان أميركا لا تعتبرنا أصدقاء لها، حسنا، فهم أحرار فيما يفعلون.

" وعندما نبحث نحن عن الصداقة فإننا نطلب الشرف والحرية وحق الاختيار. وكما نريد التعامل مع غيرنا على مستوانا، نتعامل مع الآخرين على مستواهم. نحن نأخذ مصالحنا ومصالح الآخرين بعين الاعتبار ونطلب من الغير مقابلتنا بالمثل. ماذا يعني استدعاء وزير الدفاع الصهيوني، هذه الأيام، إلى الولايات المتحدة الأميركية؟ وما هو معنى التصريحات النارية لإسرائيل مؤخراً؟ وماذا يعني تكاثر الحديث عن الحرب إلى درجة لا مثيل لها؟ "

\*\*\*

يبدو واضحا أن الرئيس صدام كان لا يزال يعاني من صدمة ضرب مفاعل اوزيراك النووي. فلم يتردد عن الإفصاح عن مخاوفه من هجوم إسرائيلي وشيك وربما بمساعدة الولايات المتحدة الأميركية وقال:

" نحن لا نريد الحرب لأننا نعرف ما تعنيه. لكن لا تدفعونا إلى اعتبارها الحل الوحيد للعيش في كرامة وعلى مستوى حياتي لائق.

" نحن نعلم أن الولايات المتحدة الأميركية تمتلك السلاح النووي. ولكننا مصممون على العيش بكرامة أو الموت حتى آخر فرد فينا. ولا نعتقد أنه يوجد شخص واحد في العالم لا يفهم ما أعنيه. نحن لا نطلب منكم حل مشاكلنا. لقد قلت إن المشاكل العربية تحل بين العرب وإنما المطلوب منكم عدم تشجيع أحد على فعل لا يقوى على تحمل عواقبه. ولا أعتقد بأن صداقة العراق تؤذي أحدا. وفي رأبي أن الرئيس بوش لم يقترف أخطاء مع العرب، مع اعتقادي بخطأ تجميد الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية. ويبدو أنه اتخذ هذا القرار لتهدئة اللوبي الصهيوني أو أنه كان جزءا من استراتيجية ترمي إلى استيعاب الغضب الصهيوني قبل إعادة الحوار من جديد مع منظمة التحرير. وأتمنى ان يكون الاستنتاج الثاني هو الصائب. على أننا سنظل نعتبره قرارا خاطئا. ترى متى سيأتي الوقت الذي تمتدحون العرب فيه مرة واحدة مقابل كل ثلاثة تصريحات تصدرونها لإرضاء الصهيونية. ومتى ستسعى البشرية إلى حل أميركي يقيم التوازن بين حقوق منتي مليون من البشر وبين حقوق ثلاثة ملايين يهودي.

" نحن ننشد الصداقة ولكننا لا نجري وراء أحد من أجلها، وكذلك فإننا نرفض العدوان المسلح أيا كان مصدره. وإذا جوبهنا بالعدوان فإننا سنقاوم. وهذا حقنا سواء أ جاء العدوان من أميركا أم من الإمارات أو الكويت أو إسرائيل. لكنني لا أضع هذه الدول على مستوى واحد. فإسرائيل اغتصبت الأرض العربية بمساعدة الولايات المتحدة. ثم ان الكويت والإمارات لا تؤيدان إسرائيل، وعلى أي حال فإنهما تظلان عربيتين. لكن عندما تحاولان إضعاف العراق فإنهما انما تساعدان بذلك الأعداء وللعراق الحق عندئذ في الدفاع عن نفسه "

\*\*\*

وهنا ولكي يزيد من كلامه أعاد إلى الذاكرة حدثين سابقين من شأنهما أن يساعدوا الولايات المتحدة على التفكير، فقال:

" التقيت في عام ١٩٧٤ بإدريس ابن الزعيم الكردي الراحل الملا مصطفى البرازاني. وجلس عندئذ على الكنبه ذاتها التي تجلسين عليها الآن. جاء عندئذ ليطلب مني تأجيل تطبيق الحكم الذاتي في كردستان العراقية الذي اتفق عليه في ١١ مارس ١٩٧٠. وكان جوابي له: "إننا مصممون على الوفاء بالتزاماتنا. وعليكم انتم أيضا أن تلتزموا بالاتفاق. " وعندما أحسستُ بأن لديه نوايا عدوانية قلت له: " بلغ تحياتي لأبيك وقل له بأن صدام حسين يقول ما يلي. " ثم أطلعتة على ميزان القوى مدعما بالإحصائيات تماما كما فعلت مع الإيرانيين في رسائلي المفتوحة لهم خلال الحرب وختمت حديثي معه بتلخيص العواقب بجملة واحدة وهي " إذا حاربنا فإننا سننتصر " أتعرفين لماذا؟ شرحت له جميع الأسباب بما فيها السبب السياسي. فالأكراد (في عام ١٩٧٤) كانوا يعلقون الآمال على خلافاتنا مع شاه إيران. وكان سبب النزاع مع إيران هو مطالبها في شط العرب. ولم نكن على استعداد للقيام بتنازلات. لكن لو أجبرنا على الاختيار بين نصف شط العرب وبين العراق كله فإننا نتنازل عن شط العرب للحفاظ على العراق كما نريده.

" ونحن نأمل أن لا تدفعوا الأحداث إلى الحد الذي نجد فيه أنفسنا مضطرين إلى تذكر الاختيار الذي اضطررنا له في علاقاتنا مع إيران. وبعد اجتماعنا مع ابن البرازاني تنازلنا

عن نصف شط العرب (بموجب اتفاق الجزائر عام ١٩٧٥). وتوفي البرازاني ودفن خارج العراق وخسر الحرب.

\*\*\*

ثم توجه صدام بحديثه إلى السفارة وقال:

" نأمل في أن لا ندفع إلى هذا. فكل ما يقف في طريق علاقاتنا مع إيران هو شط العرب. فإذا كان علينا أن نختار بين شط العرب والعيش بكرامة فإننا سنفاوض معتمدين على الحكمة التي أظهرناها عام ١٩٧٥. وكما أن البرازاني أضع الفرصة التاريخية فسوف يضيع الآخرون فرصتهم.

\*\*\*

وختم صدام هذا السرد التاريخي بقوله بدون مجاملة:

" وفيما يختص بالرئيس بوش أمل أن يقرأ هذا بنفسه وأن لا يترك في أيدي إحدى عصابات وزارة الخارجية التي استثنى منها وزير الخارجية وكيلي لأنني أعرفه وتبادلت الرأي معه.

\*\*\*

وأخيرا استطاعت غلاسي أن تجيب فقالت:

" أشكرك أيها السيد الرئيس، إنه يسر أي دبلوماسي أن يجتمع بك ويتحدث معك. إنني أفهم رسالتك بوضوح. لقد درسنا التاريخ وعلمونا أن نقول: " الحرية أو الموت ". أعتقد أنك تعلم جيداً أننا شعب كانت لنا تجربتنا مع المستعمرين.

" يا سيدي الرئيس، ذكرت خلال هذا الاجتماع أشياء كثيرة لا أستطيع التعليق عليها نيابة عن حكومتي. لكن إذا سمحت فسوف أعلق على نقطتين. لقد تحدثت عن الصداقة، وأعتقد أنه اتضح من الرسائل التي بعثها رئيسنا أنه بمناسبة اليوم الوطني يؤكد ...

\*\*\*

وهنا قاطعها الرئيس قائلاً: " لقد كان لطيفا وظفرت كلماته بتقديرنا واحترمنا. " فقالت غلاسي: " كما تعلمون فإنه طلب من الادارة الأميركية رفض اقتراح تطبيق العقوبات

التجارية." فقال صدام وهو يبتسم: " لم بعد في أميركا ما يمكننا شراؤه سوى القمح. فكلما أردنا شراء شيء آخر قالوا لنا إن بيعه محظور عليهم. وأخشى أن تقولوا لي يوما: " إنكم ستصنعون البارود من القمح ". وهنا سارعت غلاسبي إلى طمأنته بقولها: لدي تعليمات مباشرة من الرئيس الأميركي تقضي بالسعي إلى إقامة علاقات أفضل مع العراق. " وهنا تساءل صدام حسين: " لكن كيف؟ ونحن أيضا راغبون في ذلك لكن الأمور تجري على نحو يناقض رغبتنا. " فأجابت غلاسبي بقولها:

" كلما واصلنا المحادثات كلما قل احتمال حدوث ذلك. فمثلا أشرتم إلى قضية المقال الذي نشرته وكالة الإعلام الأميركية. لقد كان الأمر محزنا وقد م لكم اعتذار رسمي بشأنه ".

وهنا مال صدام نحوها بطريقة ساحرة وقال: " كان موقفكم كريما. ونحن عرب يكفينا أن يقول لنا أحدهم: (أسف. لقد أخطأت) وتعود الأمور إلى مجاريها. لكن الحملة الإعلامية استمرت وحفلت بكثرة من القصص. ولو كانت هذه القصص صحيحة لما أغضبت أحدا. لكن ما نستخلصه من استمرارها هو أن هناك تصميم على (إفساد علاقاتنا). ووافقت غلاسبي على ما قاله ومضت تقول:

" لقد شاهدت بنفسى برنامج ديان سواير على قناة (أي بي سي) وما حدث فيه رديء ويفتقر إلى الموضوعية. إنه صورة حقيقية لما يحدث في الاعلام الأميركي حتى السياسيين الأميركيين أنفسهم. تلك هي أساليب الإعلام الغربي. ويسرني انكم تضمون صوتكم إلى أصوات الدبلوماسيين الذين يواجهون وسائل الإعلام بشجاعة. إن ظهوركم ولو لدقائق قليلة في وسائل الاعلام يساعد على فهم الشعب الأميركي للعراق، ويعزز التفاهم المتبادل ولو كان الرئيس الأميركي يملك رقابة على الاعلام لكان عمله أسهل.

" إن الرئيس بوش يا سيدي لا يريد إقامة علاقات أفضل وأعمق معكم فحسب، بل وإسهامكم في السلام والرخاء في الشرق الأوسط. والرئيس بوش رجل ذكي. ولن يقوم بإعلان حرب اقتصادية على العراق.

" ما تقوله صحيح. وأنت مصيب في قولك إننا لا نريد أسعارا أعلى للنفط. لكنني اطلب منك أن تنظر في إمكان عدم تقاضي أسعار باهظة للنفط ".

فقال الرئيس صدام بلهجة ودية:

" نحن لا نريد أسعارا عالية جدا. ودعيني أذكرك بأنني في عام ١٩٧٤ أوحيت لطارق عزيز بفكرة المقال الذي كتبه منتقدا سياسة الأبقاء على أسعار النفط المرتفعة. وكان أول مقال عربي يعبر عن ذلك الرأي ".

وتدخل طارق عزيز لأول مرة وقال: " إن سياستنا في منظمة الأوبك تعارض في القفز المفاجئ للأسعار ". فقال الرئيس:

" إن ٢٥ دولار للبرميل ليس بالسعر المرتفع ". فقالت السفارة:

" لدينا كثرة من الأميركيين الذين يريدون سعرا أعلى لأنهم من المناطق التي تنتج النفط ". وكان هذا هو الضوء الأخضر الثاني الذي جعل صدام حسين يعتقد أن السفارة، ومن خلالها الرئيس بوش، يوافقان على طلبه رفع الأسعار. فقال صدام: ((كان السعر في إحدى المراحل ١٢ دولارا للبرميل الواحد. وتخفيض الميزانية العراقية بمقدار ٦ - ٧ كارثة)) فأجابت السفارة:

((أعتقد أنني أفهم هذا. لقد عشت هنا سنوات. وأنا معجبة بجهودكم الخارقة لبناء بلادكم. أعرف أنكم بحاجة إلى الاموال. إننا نفهم ذلك. ورأينا هو أنه ينبغي إتاحة الفرصة لكم لاعادة بناء بلادكم. لكن ليس لنا رأي في نزاعات العرب فيما بينهم مثل نزاعكم مع الكويت حول الحدود.

" لقد كنت في السفارة الأميركية بالكويت في أواخر الستينات. وكانت تعليماتي تقضي بعدم إبداء الرأي في هذه القضية التي لا شأن لنا فيها. لقد أصدر جيمس بيكر أمرا إلى الناطق الرسمي للتأكيد على ذلك. إننا نأمل في أن تحلوا القضية بالوسائل المناسبة عبر القلبي أو الرئيس مبارك. وكل ما نرجوه هو حلول سريعة لهذه القضايا ".

(وهذا ضوء أخضر آخر فيما يتعلق بالخلافات حول الحدود مع الكويت).

وأضافت غلاسي:



" هل لي ياسيادة الرئيس أن أتحدث عن صورة هذا كله في أذهاننا؟ " في تقديري - بعد خمس وعشرين سنة من الخدمة في هذه المنطقة - أنه ينبغي أن تظفر أهدافكم بتأييد اخوانكم العرب. وأنا الآن أتحدث عن النفط. لكنك يا سيادة الرئيس خضت حربا مريرة مؤلمة. وأقول بصراحة إنني الآن لا أرى سوى قواتكم المحتشدة في الجنوب. وذلك في الاحوال العادية ليس من شأننا. لكن عندما يحدث هذا في إطار ما قلته في عيدكم الوطني، وعندما نقرأ التفصيلات الواردة في رسالتين من الإمارات والكويت هي بعد التحليل الدقيق بمثابة عدوان عسكري على العراق - عندما نقرأ هذا لا بد وأن يساورنا القلق. ولهذا السبب تلقيت تعليمات تطلب مني أن أسألكم بروح من الصداقة لا بروح من المواجهة عن نواياكم. " إنني في هذا لا أعدو وصف قلق حكومتي. ولا أعني أن الوضع سهل لكن قلقنا مجرد قلق "

فقال الرئيس صدام: " نحن لا نطلب من الناس أن لا يشعروا بالقلق عندما يكون السلام على المحك. فذلك شعور إنساني نبيل نشعر جميعا به. ومن الطبيعي أنكم بوصفكم قوة كبرى أن تشعروا بذلك. لكن ما نطلبه هو أن لا تعبروا عن قلقكم على نحو يمكن أن يحمل المعتدي على الاعتقاد بأن عدوانه يظفر بالتأييد. " نريد التوصل إلى حل يضمن لنا حقوقنا ولا يحرم الآخرين من حقوقهم. وفي الوقت ذاته نريد من الآخرين أن يعلموا أن لصبرنا حدودا فيما يتعلق بأعمالهم التي تضر بحليب أطفالنا ومعاشات الأرامل اللواتي فقدن أزواجهن خلال الحرب، ومعاشات اليتامى الذين فقدوا والديهم. " نحن كدولة لنا الحق في الازدهار. لقد أضعنا فرصا كثيرة بسبب الحرب، وعلى الآخرين أن يقدروا دورنا في حمايتهم. وحتى هذا العراقي (وأشار صدام إلى المترجم) يشعر بالمرارة كسائر العراقيين. لسنا معتدين ولا نقبل العدوان. لقد ارسلنا مبعوثين ورسائل مكتوبة. وفعلنا كل ما بوسعنا عمله فطلبنا من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد أن يعقد مؤتمر رباعية. لكن الملك اقترح اجتماعا لوزراء البترول. وقبلنا. وجرى الاجتماع في جدة كما تعلمين. وتوصل المجتمعون إلى قرارات لا تعبر عما اردناه. ومع ذلك قبلناها.

" ويعد الاجتماع بيومين فقط أصدر وزير النفط الكويتي تصريحاً يناقض الاتفاق. وبحثنا المسألة خلال قمة بغداد. وأخبرت الملوك والرؤساء بأن بين اخواننا من يشنون علينا حرباً اقتصادية وأن بعض الحروب لا تستخدم فيها الأسلحة وأننا نعتبر هذا النوع من الحرب عملاً عسكرياً موجهاً ضدنا. فإذا ضعفت قدرة جيشنا، وإذا عادت إيران إلى الحرب فإنها قد تحقق الأهداف التي عجزت عن تحقيقها في الماضي. ثم إن ضعف قدراتنا الدفاعية قد يشجع إسرائيل على مهاجمتنا. قلت هذا أمام الملك والرؤساء العرب ولم أذكر اسمي الإمارات والكويت لأنهما كانا في ضيافتنا.

" وكنت قبل ذلك قد أرسلت مبعوثين لتذكيرهم بأن حربنا ضد إيران اشتملت على الدفاع عنهم. وعليه فإنه ينبغي عليهم أن لا يعتبروا الأموال التي قدموها لنا ديوناً. لقد فعلنا أكثر مما كانت الولايات المتحدة ستفعله مع من يهاجم مصالحها. " وتحدثت عن هذه المسألة مع عدد من الدول العربية الأخرى وشرحت الوضع لأخي الملك فهد عدة مرات عبر المبعوثين والهاتف. وتحدثت مع أخي الملك حسين ومع الشيخ زايد بعد مؤتمر القمة. ورافقت الشيخ زايد إلى الطائرة عندما كان في الموصل، فقال لي: " انتظر حتى أصل إلى بلادي ". لكن ما حدث بعد وصوله هو صدور تصريحات في غاية السوء لا عنه وإنما عن وزير نفطه. " وبعد اتفاق جدة بلغنا أنهم يتحدثون عن الالتزام بالاتفاق لمدة شهرين فقط يقومون بعدها بتغيير سياستهم. والآن قلبي لنا: ماذا كان سيفعل الرئيس الأميركي لو وجد نفسه في موقف كهذا. لقد ذكرت أنه كان من الصعب على أن اتحدث عن هذه القضايا علناً. لكن علينا أن نخبر الشعب العراقي الذي يواجه المصاعب الاقتصادية عن المسؤول عن ذلك. " وإزاء هذه الكلمات القاسية فضلت غلاسي تغيير الموضوع فقالت: " لقد قضيت أربعة أيام في مصر. " فقال صدام: " الشعب المصري لطيف وطيب وعريق. ويفترض في دول النفط أن تساعدك لكنهم لؤماء إلى حد لا يتصوره المرء. ومن المؤلم الاعتراف بذلك. والعرب يكرهون بعضهم بسبب جشعهم. " فقالت السفيرة: " إنك تساعدنا يا سيدي الرئيس لو شرحت لنا تقديرك للجهود التي بذلها إخوانك العرب وما حققته ". فقال الرئيس " " فيما يتعلق بهذا الموضوع اتفقنا مع الرئيس مبارك على

قيام رئيس وزراء الكويت بالاجتماع مع نائب رئيس مجلس قيادة الثورة في السعودية لأن السعوديين بادروا إلى الاتصال بنا بفضل جهود الرئيس مبارك. وقد اتصل مبارك بي قبل قليل وأبلغني موافقة الكويتيين على الاقتراح. " فقالت السفيرة بارتياح " تهانينا ! " فواصل صدام كلامه قائلاً: " سوف يعقد اجتماع بروتوكولي في السعودية، ثم ينتقل المجتمعون إلى بغداد لإجراء مناقشات أعمق بين الكويت والعراق مباشرة. ونأمل في أن يتغلب بعد النظر والحرص على المصالح الحقيقية على جشع الكويتيين. " فسألته السفيرة: " هل لي أن أسألك متى تتوقع أن يصل الشيخ سعد إلى بغداد؟ " فأجاب الرئيس: " أعتقد أنه سيصل يوم السبت أو الاثنين على أبعد تقدير (٢٨ أو ٣٠) تموز وقد أبلغت الأخ مبارك أن الاتفاق سيتم في بغداد يوم السبت أو الاحد. وأنت تعرفين أن زيارات مبارك كانت دائماً تبشر بالخير " فقالت السفيرة " هذه أخبار جيدة، تهانينا " وهنا توقف صدام حسين عن اللعب بأوراقه وقال: " ابلغني أخي مبارك أنهم (الكويتيين) في خوف شديد. وقالوا إن القوات العسكرية على بعد عشرين كيلو مترا فقط من خط الجامعة العربية (الحدود). فقلت للرئيس المصري إنه بغض النظر عن هناك وسواء، أكانوا من البوليس أم حرس الحدود أم الجيش، وبغض النظر عن عددهم وعمما يفعلونه يمكنك أن تطمئن الكويتيين وأن تعدهم بالنيابة عنا بأننا لن نفعل شيئاً إلى أن نجتمع بهم. فإذا وجدنا عندما نجتمع بهم أن هناك أملاً فلن يحدث شيئاً. ولكن إذا تعذر التوصل إلى حل فسيكون من الطبيعي أن لا يقبل العراق بالموت حتى ولو كانت الحكمة فوق كل شيء وهذه أخبار جيدة " فقال طارق عزيز: هذا للصحافة وحدها.

على أن كل ما بقي في ذهن غلاسي من المقابلة هو هذه الخاتمة المتفائلة ونسيت التهديدات والانذارات التي أطلقها صدام حسين خلال حديثه. واستأذنت السفيرة بعد أن طمأنت الرئيس العراقي مرة أخرى إلى أن رسالته ستصل إلى الشخص الموجهة إليه. قالت: " أعتزم الذهاب إلى الولايات المتحدة يوم الاثنين القادم (٣٠ تموز). وأمل أن اجتمع مع الرئيس بوش في واشنطن خلال الاسبوع القادم. وقد خطر ببالي أن أوجل سفري بسبب المصاعب التي تواجهنا. وعليه فإنني سأسافر يوم الاثنين.

وأخيرا تبادلته هي وصادم التحيات والتمنيات.

<http://www.iraq4all.dk/Book/Mofkra/F-4.htm>

ويحلول ٣٠ تموز صار بمقدور وكالة الاستخبارات المركزية تكوين صورة تقديرية واضحة للحشود العراقية قرب الحدود الكويتية: ١٠٠,٠٠٠ (مئة ألف) جندي عراقي بينهم قوات النخبة التابعة للحرس الجمهوري، ٣٠٠ دبابة و ٣٠٠ مدفع ثقيل. وكانت واشنطن لا تزال تلتزم الصمت. ولم يقطع حبل الصمت إلا عندما دخل جون كيلى في اليوم التالي مبنى الكابيتول ليديلي بشهادته أمام لجنة الشرق الأوسط الفرعية التابعة لمجلس النواب. وبعد أن أدلى بها أجاب بهدوء على الأسئلة التي وجهت إليه وخصوصاً أسئلة النائب لي هاملتون الذي قال:

" ورد في الصحف تصريح لوزير الدفاع ريتشارد تشيني يقول فيه إن الولايات المتحدة ملتزمة بالدفاع عن الكويت إذا هوجمت. فهل هذا هو ما صرح به؟ هل يفضل السيد كيلى بتوضيح هذا الأمر؟ " فرد كيلى بقوله:

" لا أعرف التصريح الذي تشير إليه. ولكنني واثق من موقف الحكومة من هذه القضية. ليست هناك معاهدة بيننا وبين دول الخليج. هذا واضح. ونحن ندعم استقلال وأمن جميع الدول الصديقة في المنطقة. ولنا قوات بحرية في المنطقة منذ عهد ادارة ترومان وذلك لأن استقرارها يخدم مصالحنا. ونحن ندعو إلى حل سلمي لجميع النزاعات ونعتقد بوجود احترام سيادة كل دولة في الخليج ". فقال لي هاملتون:

" وماذا سيكون موقفنا من استخدام القوات الأميركية إذا تجاوز العراق مثلاً الحدود الكويتية؟ فرد كيلى بقوله:

" هذا سؤال افتراضي لا أستطيع التعرض له. واكتفي بالقول بأن هذا سيكون موضع اهتمامنا الشديد ولكني لا أستطيع الخوض في ميادين الافتراض ". فسأله لي هاملتون:  
" لكن إذا حدث شيء من هذا فهل يكون موقفنا صحيحاً إذا قلنا بأنه لا توجد معاهدة أو التزام يوجب استخدام القوات الأميركية؟ " فأجاب كيلى:

" هذا صحيح تماما "

وأذاعت محطة الاذاعة البريطانية (بي بي سي) تصريحات كيللي وُسُمت في بغداد. وعليه ففي هذا الوقت الحرج وعندما السلم والحرب في الميزان أرسل كيللي إشارة إلى صدام يمكن اعتبارها تعهدا بعدم تدخل الولايات المتحدة.

ولا يوجد في تاريخ الدبلوماسية الأمريكية الحديث سوى خطأ واحد في الحسابات مثل هذا وذلك عندما قال دين أتشيسون وزير الخارجية للكونجرس عام ١٩٥٠ بأن " كوريا الجنوبية ليست في مجال الدفاع الأمريكي. " وفي اعقاب ذلك قامت كرويا الشمالية بغزو كوريا الجنوبية.

## الملحق رقم ٥

رسالة الرئيس القائد صدام حسين إلى أبناء الشعب في الكويت ٢٠٠٢/١٢/٧

وجه السيد الرئيس صدام حسين رسالة مهمة إلى أبناء الشعب في الكويت.. في ما يلي نصها

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة أبناء الشعب في الكويت..

السلام عليكم..

كلما أمعن في السوء من أساء إليكم وإلى إخوانكم في العراق، من أولئك الذين ابتليتكم بهم، وجاءتنا بعدكم أو معكم آثار البلوى منهم شررا وحرائق مستمرة، لم تنطفئ خلال الأعوام والسنين الماضية، ونظنها سوف تستمر للزمن اللاحق، إلا إذا أذن رب العباد القادر العظيم بما يعتبرهينا على قدرته، فيحل ما هو معقد ويلغي ما هو مؤذ ويضع الأمور في نصابها، بما يسرّ قلوب قوم مؤمنين.. نقول كلما أمعن السوء بالأذى ضد إخوانكم في العراق بمشاركة الأجنبي بمخططاته التدميرية وما أصابهم في حياتهم منه، بما في ذلك الموت المستمر، ليس بالحصار فحسب وإنما بكل ما أوتي الأجنبي المعتدي من قدرة تدميرية وجدنا من الواجب أن نوضح لكم ما ينبغي على طرفي الحال، ونذكركم بما يقتضي، تاركين لكم ولأبناء أمتنا وكل الخيرين في العالم أن يحاكموا بموجبها ما هو قديم، بالإضافة إلى ما يقع على شعب العراق في يومنا هذا، وما يمتد به السوء إلى المستقبل..

فلقد وجدنا أنا ورفاقي في القيادة تحت القول: عسى ولعل، لنتجنب في العراق ونجنب إخواننا في الكويت التشويش وخلق الذرائع لإيغال السيئين في سوئهم، وفي ربط مصيرهم بصورة نهائية بالأجنبي ومخططاته، بحيث يغدو الأمل في إنقاذ المعنيين من أنفسهم الأمانة بالسوء وإنقاذ الآخرين من سوئهم شبه مستحيل، إن لم يكن مستحيلا استحالة كاملة، هو ومصيرهم الأظلم وعاقبة السوء، بعد أن ظلموا أنفسهم وغيرهم، نقول وجدنا أنفسنا نترث في قول ما ينبغي حتى الآن.. ودافعنا الأساسي في ما نريد قوله هو أن نذكر

الحقائق قد يعينكم على مزيد من الوضوح في تفسير المواقف والأحداث الآن، وبأثر رجعي للأحداث والمواقف منذ الثاني من أغسطس/ آب ١٩٩٠.. وكنا وما زلنا نعتمد دائما على ذكائكم ووعيكم، وطيش الطاغوت وغباء الأغبياء في إظهار سوئهم مثلما هو من الذين ارتموا في أحضانه بصورة مكشوفة وعلنية ومخزية، لتعرفوا الحقيقة واضحة مثلما هي، وتقفوا الموقف المنصف لكل وطني وقومي غيور ومؤمن يحب الله ويحبه ربه، لتخفيف الأذى عليكم وعلى إخوانكم في العراق.. ولكن موقفنا هذا والمبادئ القومية المؤمنة التي اعتمدنا عليها في هذا الموقف، وبالذات بعد مؤتمر بيروت وما التزمنا به من قراراته التي أعلن المسؤولون في الكويت أنهم التزموا بها وخالفوها بعد حين فحسب، قد أوهم من سد باب رحمة الله عنه بتصرفه وجوده بأن موقفنا هذا إنما هو نتيجة ضعف وليس قرارا أردناه مستجيبين لدواعي ما ذكرنا ورغبة من كانت رغبته صادقة وأمينة من العرب.

أيها الإخوة..

لعلكم تتذكرون أننا ما إن حقق الله لنا النصر في القادسية الثانية المجيدة على من أوجع تلك الحرب، حتى فاتحنا المسؤولين في الكويت عن جاهزيتنا لنعطي كل الوقت اللازم لحل الأمور العالقة بيننا، ولشدة ما كانت دهشتنا كبيرة عندما واجهنا المسؤولون عندكم بعدم الاكتراث بدعوتنا تلك، ولم نكن في وقتها قد وصلنا إلى تفسير مقنع لذلك الموقف، إلا عندما بدأت التمارين العسكرية المشتركة بلعبة حرب في تشرين الأول من عام ١٩٨٩ في الكويت بإشراف الأميركيان، تلتها شهادة الجنرال نورمان شوارسكوف أمام الكونغرس الأميركي في شباط ١٩٩٠، التي قال فيها نصا "إن هناك حاجة لزيادة الوجود العسكري الأميركي في منطقة الخليج، محذرا من قدرة العراق على إزعاج جيرانه"، حسب زعمه في وقت لم يكن هنالك ما يلوح في الأفق غير بداية ملامح بسيطة للمؤامرة الاقتصادية على إخوانكم في العراق، وحفر الآبار النفطية بشكل مائل عند خط الدوريات الذي وضعته الجامعة العربية بحيث يؤثر هذا التصرف سلبيًا على حقولنا النفطية في الجنوب، ثم جاء بعده اعتبار المعونة المالية اليسيرة التي قدمها المسؤولون في الكويت في القادسية ديونا حية واجبة الدفع.. وتخفيض أسعار النفط إلى سبعة دولارات للبرميل بدلا من ٢١ دولارا

أنداك، بعد أن أغرق المعنيون في الكويت السوق النفطية بإنتاج خارج استحقاقهم المقرر من أوبك، رغم كل التنبيهات التي أطلقت في حينها.

لقد سار دفع المؤامرة تحت كل هذه العناوين والمسميات بصورة متسارعة، وصار ما هو أظهر وأخطر فيها التمارين العسكرية المشتركة التي أجريت تحت إشراف الجنرال شوارسكوف الذي قاد بنفسه في ما بعد جيوش التحالف العدواني ضد عراقكم وبغدادكم بغداد العرب والمسلمين، ولقد وقعت في أيدينا مصورة في ما بعد تلك الخطط والفعاليات العسكرية التي أعد لها الأميركيان والمسؤولون في الكويت.. وعندها أصبح الدور الذي رسمه الأميركيون للكويت بالتخطيط المشترك مع حكماها واضحا.. فتسارعت الأحداث وما رافقها من خطر داهم واستفزات مستمرة لا تنبئ بأمل حل الأمور بالطرق السياسية وتحت حساسية وأهمية الدفاع عن النفس وحماية كل ما هو عزيز، وقعت أحداث الثاني من أغسطس/ آب ١٩٩٠.

لقد ظلمتكم وظلمتنا ظروف تسارع الأحداث وعدم إتاحة الفرصة لكم لتعرفوا ما عرفناه وما لم نعرفه في حينه، فلم تتبينوا، وزاد في الطين بلة من أساء إلينا قبل أن تكون الإساءة واقعة عليكم ممن كانت طويته ونيته على خط واحد ومشارك مع الذين كانوا يعدون لصفحة الغدر والخيانة التي وقعت علينا في العراق، كواحدة من صفحات العدوان على العراق بتخطيط من الأميركيان، وتعاون من تعاون معهم، يردف ذلك من أساء تحت ضغط عوامل غير أصيلة، وقلة وعي منه فوقتتم الموقف الذي نحن آسفون على كل ما وقع عليكم بسببه، وصار سببا لدفعكم لأن تقفوا الموقف وتتصوروا ما تصورتموه، حتى اختلطت لديكم ولدى غيركم الألوان والدوافع، وتداخلت الصفوف.

أيها الإخوة..

إننا نقول قولنا هذا ليس ضعفا منا أو تكتيكا لغاية غير مشروعة، بل لتوضيح الحقائق وفق ما نرى، ومثلما لكم اجتهدكم الذي نحترمه ولا نزعل منه حتى لو أصابنا منه أذى فإننا نقول اجتهدنا هذا على وفق دوافعه المشروعة أيضا.. إن تصوركم واجتهدكم حتى لو لم يهتد إلى الصواب كما ينبغي في السابق.. فإننا واثقون من أنكم ستهتدون إليه الآن أو



في المستقبل، والأساس الذي يغضبنا فقط ونعتقد أنه يغضبكم أيضا، هو الموقف والعمل الذي يغضب الله أو يقع موقع خدمة الأجنبي ويكون ضمن خططه، وهو الذي يتربص بأمتنا، ومنها نحن وأنتم، ولا يضر لنا ولكم ولأمتنا إلا السوء والأذى.

وعلى هذا الأساس فإننا نعتذر إلى الله عن أي فعل يغضبه سبحانه إن كان قد وقع في الماضي مما لا نعرف به ويحسب على مسؤوليتنا ونعتذر لكم على هذا الأساس أيضا.  
أيها الإخوة..

إن ما نتمناه لكم هو مثلما نعمل عليه لإخوانكم في العراق، وهو أن تعيشوا أحرارا لا يسيطر أجنبي على مصيركم وإرادتكم وقراركم وثروتكم.. وحاضركم ومستقبلكم، وأن تجتهدوا أحرارا مؤمنين بما يخدم شعبكم وأمتكم وليس احتواءكم بالباطل أو احتلالكم بالقوة الغاشمة.

إنكم تعرفون أن عراقكم غني بمبادئه وتاريخه وقيمه وإيمانه وإنسانيته، ومع غناه هذا الذي يسبق أي شيء مادي ليعتد به، وفق معاني وقيم العرب المؤمنين، فإنه غني بثروته المادية والاقتصادية أيضا.. وإذا كان النفط هو أساس الثروة وما يملك أصحابها في الكويت فإن النفط ليس إلا جزءا من الثروة في بلدكم العراق.. وإذا نضب النفط عندكم، أو تحول الناس عنه كمصدر أساسي من مصادر الطاقة فإن عناصر الثروة في العراق ذات طابع مستديم إلى ما شاء الله.

أما ضعف حال الاقتدار في شعب صغير عندما ينعزل عن أمته فقد جربتموه في الكويت وجربه غيركم، بعد أن عزل المسؤولون في بلادكم الشعب عن أمته.. حتى صارت الثروة، بما فيها الثروة الشخصية للمسؤولين المودعة في البنوك الأجنبية تحت سيطرة الأجنبي.. بل ما هو أمر وأكثر خطورة هو أن الأجنبي، مثلما ترون، يحتل بلادكم احتلالا عسكريا مباشرا، وإنكم تعرفون أن الأجنبي عندما يحتل البلاد لا يدنس تراب الأوطان فحسب، وإنما يدنس الروح والدين والعقول ويمسح النفوس إلا نفس من يحمل عليه السلاح ويقاومه.. فتحية منا ومن شعب العراق لأولئك الفتية المؤمنات الذين يحملون على الأجنبي

المحتل بالسلاح، أو تنظر إليه نفوس من يؤمنون بأنه عار يقتضي تطهير الأرض والشعب منه بالنار والوسائل الأخرى.

تحية لأولئك الميامين الأبرار الأحياء منهم والشهداء، لأنهم رفعوا بيرق الحق بوجه الباطل والعار وأبعدوا ما يمكن أن يوجه إليكم من تهمة عار لو قبلتم بالاحتلال بعد أن أراده حكامكم، بل خفف عنا وعن غيرنا من العرب الغياري ثقل المسؤولية تجاه احتلال الأجنبي للكويت، وهي جزء من الوطن العربي الكبير.  
أيها الإخوة..

قد يقول قائل منكم إن احتلال الكويت ما كان ليحصل لولا دخول جيش العراق إلى الكويت وخروجه منها.

ونود أن نذكركم بأن الأميركيان كانوا في الكويت يعدون التمارين العدوانية على العراق قبل دخول جيش العراق إليها، وأن نفس الأهداف التي يعلن الأميركيان عنها ويضمرون القسم الأساسي منها، وهو نهب ثروتكم، وتحويلكم إلى عاملين تحت إشرافهم فحسب وتحويل المسؤولين عندكم إلى مدراء محليين لشركة أميركية لإنتاج البترول وتحديد كميته وأسعاره ولمن يباع من قبل مدير الشركة الأصلي الأميركي في واشنطن أو نيويورك، وأن ما يخططون له إنما هو لكل دول الخليج العربي ومنها العراق، وإذا كان دخول جيش العراق سببا لهذا بالنسبة للكويت فما السبب الذي يجعلهم ينشرون جيوشهم الآن في منطقة الخليج العربي بما يشبه الاحتلال من الناحية الواقعية ويسعون -خابوا وخسئوا- لاحتلال العراق؟! .

ومن كان يمنعهم من احتلال الكويت قبل الثاني من آب عام ١٩٩٠ غير جيش العراق نفسه وشعب العراق، وبالتالي تضامن الشعب العربي ومنه الشعب في الكويت مع جيش العراق وشعب العراق، لو حصل هذا آنذاك واصطدم بالأجنبي الذي يحتل الكويت؟.

إن أساس المؤامرة على العراق، بما في ذلك العدوان عليه عام ١٩٩١، واستمرار العدوان حتى الآن إنما هو لأنهم يدركون أن القيادة في العراق وشعبكم وجيشكم في العراق لا يقفون مكتوفي الأيدي أمام احتلال أجنبي لأي أرض عربية، ومنها الكويت واحتلال الصهيونية

لفلسطين العربية.. ولو كانوا صادقين بأنهم جاؤوا ليحرروا الكويت من جيش العراق مثلما أعلنوا لانسحبوا من الكويت، وقالوا إنهم سيعودون للدفاع عنها لو حاول العراق دخولها مرة أخرى.. ولكنهم احتلوا الكويت ونشروا جيوشهم في دول خليجية أخرى وزادوا ذلك ومعه نفوذهم فيها مع الزمن، ويحاولون -خسئوا- احتلال العراق الآن.

إننا لا نشك بوعيكم أيها الإخوة، ولكن واجبنا يدفعنا لنقول هذا القول الصريح لكم، ومع أنه ليس كل ما نرغب في أن نقوله فإنه مناسب، وفق ما رأينا لأن نقوله لكم الآن، بعد أن اطلعتم على الكثير من نوايا المسؤولين في الكويت ونوايا الأجنبي المحتل.. أما مناسبة توقيت هذا القول فهو الحديث العلني للمسؤولين في الكويت، وتخطيطهم يدا بيد مع جيوش الأجنبي لإيذاء العراق وتسهيل دخول جيوش الأجنبي إليه محتلا -خسئوا وخاب ما يفعلون- مثلما احتل الكويت، ولأن الطائرات الأميركية والبريطانية استمرت تغير من أراضي الكويت وعبر أجوائها على ممتلكات العراقيين وتدمرها وتزهق أرواحهم، وكأن الاثني عشر عاما التي سبقت مؤتمر بيروت وقرارات العرب فيه -والتي تنصل المسؤولون في الكويت عنها- لم تشف غليل حقدهم، بل ذهب بهم التجاسر لإرضاء أسيادهم وحماية خيانتهم بخيانة أخرى للعملاء الذين يحملون الجنسية العراقية أو يدعون بأنهم يحملونها، وشرف المعاني لموجباتها بريء منهم، فصاروا يصرحون علنا أنهم يلتقون معهم.. وفي الوقت الذي يصرح أولئك العملاء بأسباب اللقاء وما جرى الاتفاق عليه مع المسؤولين في الكويت، وأن المسؤولين سيبعثون من يمثلهم ليحضر مؤتمر الخيانة والتآمر الخائب على العراق في لندن يصرح المسؤولون في الكويت أنهم يلتقون معهم للتشاور.. فأبي تشاور هذا غير التآمر على العراق والتدخل في شؤونه الداخلية بإشراف الأجنبي!؟.

فهل تتابعون هذا أيها الإخوة؟ وهل ما زال يجب عنكم التفسير الصحيح لما سبق الثاني من أب وما أعقبه وما أصاب العراق من أذى ودوافعه!؟ ثم ألا يحق لأي من العراقيين أو أي من الشعب في الكويت أن يقول: طالما التأم العملاء على بعضهم تحت إرادة وتوجيه الأجنبي لإيذاء العراق والأمة، فلماذا لا يلتزم المؤمنون والمخلصون والمجاهدون في الكويت مع أقرانهم في العراق تحت خيمة بارئهم، بدلا من خيمة لندن أو

واشنطن وريديفهما الكيان الصهيوني، ويبحثوا أمرهم، وفي المقدمة من هذا الجهاد ضد جيوش الكفر المحتلة، لغسل العار الذي يصيب الأمة والأذى الذي يصيب الشعب في الكويت أو في العراق!؟.

وإذا سأل المسؤولون الكويتيون أو غيرهم: لماذا!؟ يقول لهم من يقول إننا نتشاور وتشاور الأحرار ضد تشاور العبيد، وتشاور المجاهدين مقابل تشاور العملاء، وتشاور المؤمنين مقابل تشاور من خانوا ربهم، بعد أن خانوا أمتهم.. تشاور هذه صفته وليس تدخلًا في الشؤون الداخلية لأحد.

(ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم).

والله أكبر..

الله أكبر..

وليخسأ الخاسئون..

صدام حسين في الثالث من شوال / ١٤٢٣ للهجرة

الموافق للسابع من كانون الأول / ٢٠٠٢ للميلاد

موقع المعرفة الأربعاء ١٨/٤/١٤٢٧ هـ - الموافق ١٧/٥/٢٠٠٦ م (آخر تحديث) الساعة ١٤:١٦ (مكة المكرمة)، ١٣:١٤ (غرينتش)

## الملحق رقم ٦

جزء من الحوار بين بيكر وطارق عزيز

وبعد ذلك تحدث طارق عزيز، موجهاً كلامه إلى بيكر قائلاً:

( لقد ظننت أننا جئنا هنا لنتحدث، وليس لنتخانق ) .

ورد بيكر قائلاً:

( نعم جئنا لنتحدث، ولكن على أساس )، ثم سأل بيكر طارق عزيز عما إذا كان يريد هو

أن يتحدث أولاً، أجابه طارق عزيز بأنه يريد أن يسمع منه كل شيء .

وتحدث بيكر قائلاً:

(إننا جئنا هنا ليس للتفاوض، وإنما جئنا لنحث العراق، ك محاولة أخيرة للانسحاب من الكويت، وتنفيذ قرارات مجلس الأمن، وإن أمامكم مهلة أقصاها يوم ١٥ كانون الثاني (أي بعد ٦ أيام فقط) وهي بالتأكيد مدة قصيرة، ولكن هذا ليس ذنبنا بل ذنبكم انتم، فقد منحكم مجلس الأمن ٤٥ يوماً، ولم تحاولوا تنفيذ تلك القرارات واقترحنا أن تقوم بزيارة واشنطن وتلتقي بالرئيس بوش، وأن أقوم أنا بزيارة بغداد، والتقي بالرئيس صدام حسين، وخيرتكم في موعد زيارتي خلال ١٨ يوماً، إلا أن رئيسكم أعتذر عن مقابلتي بحجة انشغاله وارتباطاته بمواعيد مسبقة، في حين كان رئيسكم يقابل شخصيات من السياسيين السابقين، كادوارد هيث، وولي برانت، وناكاسوني، وحتى الملاكم العالمي السابق محمد علي كلاي، ومع احترامي لأولئك الساسة، إلا إنني أقول انهم ليسوا في مراكز المسؤولية في حين كنت أمثل بلدي، الولايات المتحدة، الطرف الرئيسي في الأزمة، وفي فترة من أخطر الفترات التي يمكن أن تقرر مصير السلم أو الحرب، وهو تصرف لا يمكن قبوله. ثم وجه بيكر إنذاره للعراق من أن انتهاء المدة الممنوحة للعراق دون أن ينسحب من الكويت سيجعل قوات التحالف مطلقة اليد لطرد قواته من الكويت، وعليكم أن تعرفوا أنكم أمام تحالف عسكري قوي يضم ٢٨ دولة، بما فيها عدد من الدول العربية، ذات التأثير الكبير في العالم العربي، كمصر والسعودية وسوريا والمغرب.

وبدأ بيكر يتحدث عن قوة التحالف الدولي ضد العراق، وما يملكه من أسلحة ومعدات،  
قائلاً:

(إن ٦ حاملات طائرات، وعلى ظهرها مئات الطائرات، في منطقة الخليج والبحر الأحمر،  
مع مجموعة كبيرة من القطع البحرية الأخرى المجهزة بصواريخ وتوماهوك، هذا بالإضافة إلى  
أن العراق محاط بمجموعة من القواعد التي تتمركز فيها أكثر من ٢٠٠٠ طائرة، وليس المهم  
عدد الطائرات، وإنما المهم نوع التكنولوجيا التي سوف تستعملها قيادة التحالف في تنفيذ  
ما أوكل لها.

ثم تحدث بيكر عن القوات العسكرية البرية للدول الحليفة، والتي تجاوزت ٣٥٠ ألفاً، وعن  
نوعية سلاحها، وقوة نيرانها، والتي لم يسبق استعمالها من قبل في أية حرب).

ثم أنتقل بيكر بعد ذلك إلى النقطة الحساسة في الحديث قائلاً:

(إننا ندرك أن لديكم مخزوناً من الأسلحة الكيماوية، ونحن ننصحكم، وكما نصح الرئيس  
بوش في رسالته، أن لا تحاولوا استخدام هذه الأسلحة، في أي مرحلة من مراحل الحرب،  
وإذا ما أقدمتم على ذلك، فسيكون رد الولايات المتحدة حازماً وقوياً، وبالأسلحة غير  
التقليدية)، وكان بذلك يشير إلى استعداد الولايات المتحدة لاستخدام الأسلحة الذرية  
والكيماوية ضد العراق. (٤)

لقد أسهب بيكر في الحديث عما تملكه قوات التحالف من أسلحة ومعدات متطورة للغاية  
ومستعرضاً ما سوف تؤدي الحرب بالعراق من خراب ودمار لم يعرف له مثيل من قبل،  
مهدياً بإعادة العراق إلى عصر ما قبل الثورة الصناعية. وعندما انتهى بيكر من حديثه،  
التفت إلى طارق عزيز قائلاً:

(الآن تستطيع أن اسمع ما عندك).

في تلك اللحظة كانت الأنظار متجهة إلى طارق عزيز، سواء من قبل أعضاء الوفد  
الأمريكي أو الوفد العراقي، ليسمعوا ماذا سيقول طارق عزيز، بعد كل الذي سمعه من  
بيكر.

وتحدث عزيز قائلاً:

(إن الصورة التي رسمتها الآن لقوات التحالف ليست جديدة علينا، وليست مفاجئة لنا، فنحن نعرفها من قبل، ونفهم ما تعنيه).

ثم راح طارق عزيز يذكر بيكر بالدور الذي قام به العراق، لما أسماه بحماية أمن الخليج، ودفع ثمن عمله ذاك ثمناً باهضاً، سواء في الأرواح أو الأموال، بالإضافة إلى ما سببته تلك الحرب ضد إيران، من تدهور الاقتصاد العراقي، ثم انتقل إلى جذور الأزمة الكويتية، وأدعا أن العراق بذل جهوداً كبيرة لتجاوز الأزمة مع الحكومة الكويتية، إلا أن الحكام الكويتيين أصروا على موقفهم، مدفوعين بموقف الولايات المتحدة التي حاولت سد كل باب للتفاهم.

ورد بيكر على عزيز قائلاً: (إن صدام حسين قد خدع الرئيس مبارك عندما قال له بأنه سوف لن يستعمل القوة ضد الكويت، ولكنه فاجأ الجميع بالهجوم، واحتلال الكويت).

وحاول طارق عزيز أن يوضح لبيكر أن صدام لم يقل هذا الكلام بالضبط لمبارك، وإنما قال له، سوف لن يلجأ إلى القوة إلا بعد لقاء مؤتمر جدة وما سيسفر عنه من نتائج.

ثم أنتقل بيكر إلى تهديدات صدام حسين لحرق نصف إسرائيل، ورد عليه عزيز بأن الحديث الذي نقل عن الرئيس صدام حسين مبتور، فقد قال في خطابه، إثر تهديد إسرائيل بضرب العراق بالقنابل النووية بأنه سوف يحرق نصف إسرائيل بالكيماوي المزدوج، إذا ما اعتدت على العراق بالسلاح النووي. ورغم أن لقاء بيكر مع عزيز أستغرق ٣ جلسات، خلال ذلك اليوم، إلا أن ما تحدث عنه بيكر خلال ٤٥ دقيقة في بدء الاجتماع، كان هو جوهر اللقاء، فكل ما أراده بيكر، وسيده بوش هو تحذير صدام حسين من استخدام الأسلحة الكيماوية والبيولوجية ضد القوات الأمريكية والحليفة مهددا العراق باستخدام الأسلحة النووية. أما أي حديث عن حل للأزمة، فقد فات أوانه، فقد اتخذت الولايات المتحدة قرارها بضرب العراق منذُ بداية الأزمة.

وفي نهاية الجلسة الثالثة، أُعلن عن أن بيكر وعزيز سوف يعقدون مؤتمراً صحفياً في الساعة السابعة حسب توقيت جنيف، بقاعة المؤتمرات بالفندق الذي جرى فيه اللقاء، وفي الموعد المحدد، تحدث بيكر أولاً قائلاً: (لقد تحدثت مع طارق عزيز حول ضرورة تطبيق العراق لقرارات مجلس الأمن، أبلغته أن تنفيذ القرارات غير قابل للتفاوض، وإنني لأسف أن

أقول لكم أيها السيدات والسادة، إنني لم اسمع اليوم شيئاً يدل على مرونة في موقف العراق، ولا على استعداده للامتثال لقرارات مجلس الأمن، وقد قمت في نهاية اللقاء بالاتصال بالرئيس بوش، أبلغته بكل ما دار في اللقاء).

ويعد أن أجاب بيكر على أسئلة الصحفيين، تحدث طارق عزيز فقال:

(لقد جئنا إلى هذا الاجتماع بقلب وعقل مفتوحين، وبنية صادقة، وكنت أتمنى أن يقع هذا الاتصال المباشر بين العراق والولايات المتحدة في مرحلة مبكرة من الأزمة، فأن كل الفرص التي كانت متاحة قد أهدرت، فرصة بعد فرصة، حتى التقينا هنا في هذه اللحظات الأخيرة، وإني أود أن أشير إلى أن الولايات المتحدة تصرف منذ اللحظة الأولى في الأزمة، بطريقة لا تدع مجالاً للشك في نواياها الحقيقية. لقد حدثناهم طويلاً عن قضايانا العادلة، وكان ردهم أنهم يشكون فينا، وقلنا لهم لماذا لا تجربوا؟ لكنهم لم يكن لديهم الاستعداد).

ثم انتقل طارق عزيز إلى رسالة بوش وما حوته من تهديد ووعيد، بقوله:

(إذا ما قررت الولايات المتحدة الاعتداء على العراق، فإن العراق لا يستغرب ذلك، فنحن نسمع التهديدات كل يوم، وقد قلت للوزير بيكر بأننا سندافع عن بلادنا بكل قوة، وإن الشعب العراقي شعب شجاع، وأن الأمة العربية لن تقبل إخضاع شعبها في العراق، وكسر إرادته، لأن إرادته جزء من إرادتها).

وبعد نهاية الحديث، وجه إليه أحد الصحفيين سؤالاً عما إذا كان العراق ينوي مهاجمة إسرائيل إذا قامت الحرب؟ وكان جواب عزيز (نعم).

وهكذا انتهى اللقاء إلى لا شيء، وبدأ العد العكسي لقيام الحرب التي أصبحت لا مفر منها، فصدام ركب رأسه، واقتترف خطأً تلو الخطأ، لا بل جريمة تلو الجريمة، حتى تراكمت أخطائه وجرائمه، وأوصلت الأزمة إلى هذا الحد الذي باتت فيه الحرب أمراً محتملاً.

أما الجانب الأمريكي فقد نصب الفخ لصدام، ليغزو الكويت، لكي تجد الولايات المتحدة المبرر المطلوب لتوجيه الضربة الكبرى للعراق، وعملت بكل الوسائل والسبل لسد الطريق للحل السلمي للأزمة، من أجل إكمال السيناريو الذي أعده بوش للعراق وشعبه، حفاظاً على المصالح الإمبريالية في الخليج، من أي تهديد من جانب العراق مستقبلاً، وليكون درساً لكل



من تسول له نفسه تهديد المصالح الغربية في هذه المنطقة الهامة من العالم، التي تنتج أكثر من نصف الإنتاج العالمي من النفط، وتحتوي على أعظم احتياطيّات النفط في العالم اجمع. أما مصير رسالة بوش لصدام حسين، فقد رفض طارق عزيز استلامها، كما رفض بيكر استعادتها وتُركت الرسالة على طاولة المباحثات، عندما غادر الوفدان القاعة، وأُودعت في خزانه فندق الكونتنانتل.

## الملحق رقم ٨:

### الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة

فيما يتخذ من الأعمال في حالات تهديد السلم والإخلال به ووقوع العدوان

#### المادة ٣٩

يقرر مجلس الأمن ما إذا كان قد وقع تهديد للسلم أو إخلال به أو كان ما وقع عملاً من أعمال العدوان، ويقدم في ذلك توصياته أو يقرر ما يجب اتخاذه من التدابير طبقاً لأحكام المادتين ٤١ و٤٢ لحفظ السلم والأمن الدولي أو إعادته إلى نصابه.

#### المادة ٤٠

منعاً لتفاقم الموقف، لمجلس الأمن، قبل أن يقوم توصياته أو يتخذ التدابير المنصوص عليها في المادة ٣٩، أن يدعو المتنازعين للأخذ بما يراه ضرورياً أو مستحسنًا من تدابير مؤقتة، ولا تخل هذه التدابير المؤقتة بحقوق المتنازعين ومطالبهم أو بمركزهم، وعلى مجلس الأمن أن يحسب لعدم أخذ المتنازعين بهذه التدابير المؤقتة حسابه.

#### المادة ٤١

لمجلس الأمن أن يقرر ما يجب اتخاذه من التدابير التي لا تتطلب استخدام القوات المسلحة لتنفيذ قراراته، وله أن يطلب إلى أعضاء "الأمم المتحدة" تطبيق هذه التدابير، ويجوز أن يكون من بينها وقف الصلات الاقتصادية والمواصلات الحديدية والبحرية والجوية والبريدية والبرقية واللاسلكية وغيرها من وسائل المواصلات وقفا جزئياً أو كلياً وقطع العلاقات الدبلوماسية.

#### المادة ٤٢

إذا رأى مجلس الأمن أن التدابير المنصوص عليها في المادة ٤١ لا تفي بالغرض أو ثبت أنها لم تف به، جاز له أن يتخذ بطريق القوات الجوية والبحرية والبرية من الأعمال ما يلزم لحفظ السلم والأمن الدولي أو لإعادته إلى نصابه. ويجوز أن تتناول هذه الأعمال المظاهرات والحصار والعمليات الأخرى بطريق القوات الجوية أو البحرية أو البرية التابعة لأعضاء "الأمم المتحدة".

#### المادة ٤٣

١. يتعهد جميع أعضاء "الأمم المتحدة" في سبيل المساهمة في حفظ السلم والأمن الدولي، أن يضعوا تحت تصرف مجلس الأمن بناء على طلبه وطبقاً لاتفاق أو اتفاقات خاصة ما يلزم من القوات المسلحة والمساعدات والتسهيلات الضرورية لحفظ السلم والأمن الدولي ومن ذلك حق المرور.

٢. يجب أن يحدد ذلك الاتفاق أو تلك الاتفاقات عدد هذه القوات وأنواعها ومدى استعدادها وأماكنها عموماً ونوع التسهيلات والمساعدات التي تقدم.

٣. تجرى المفاوضة في الاتفاق أو الاتفاقات المذكورة بأسرع ما يمكن بناءً على طلب مجلس الأمن، وتبرم بين مجلس الأمن وبين أعضاء "الأمم المتحدة" أو بينه وبين مجموعات من أعضاء "الأمم المتحدة"، وتصدق عليها الدول الموقعة وفق مقتضيات أوضاعها الدستورية.

#### المادة ٤٤

إذا قرر مجلس الأمن استخدام القوة، فإنه قبل أن يطلب من عضو غير ممثل فيه تقديم القوات المسلحة وفاءً بالالتزامات المنصوص عليها في المادة ٤٣، ينبغي له أن يدعو هذا العضو إلى أن يشترك إذا شاء في القرارات التي يصدرها فيما يختص باستخدام وحدات من قوات هذا العضو المسلحة.

#### المادة ٤٥

رغبة في تمكين الأمم المتحدة من اتخاذ التدابير الحربية العاجلة يكون لدى الأعضاء وحدات جوية أهلية يمكن استخدامها فوراً لأعمال القمع الدولية المشتركة. ويحدد مجلس الأمن قوى هذه الوحدات ومدى استعدادها والخطط لأعمالها المشتركة، وذلك بمساعدة لجنة أركان الحرب وفي الحدود الواردة في الاتفاق أو الاتفاقات الخاصة المشار إليها في المادة ٤٣.

#### المادة ٤٦

الخطط اللازمة لاستخدام القوة المسلحة يضعها مجلس الأمن بمساعدة لجنة أركان الحرب.

#### المادة ٤٧

١. تشكل لجنة من أركان الحرب تكون مهمتها أن تسدي المشورة والمعونة إلى مجلس الأمن وتعاونونه في جميع المسائل المتصلة بما يلزمه من حاجات حربية لحفظ السلم والأمن الدولي ولاستخدام القوات الموضوعه تحت تصرفه وقيادتها ولتنظيم التسليح ونزع السلاح بالقدر المستطاع.
٢. تشكل لجنة أركان الحرب من رؤساء أركان حرب الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن أو من يقوم مقامهم، وعلى اللجنة أن تدعو أي عضو في "الأمم المتحدة" من الأعضاء غير الممثلين فيها بصفة دائمة للإشراف في عملها إذا اقتضى حسن قيام اللجنة بمسؤولياتها أن يساهم هذا العضو في عملها.
٣. لجنة أركان الحرب مسؤولة تحت إشراف مجلس الأمن عن التوجيه الاستراتيجي لأيه قوات مسلحة موضوعه تحت تصرف المجلس. أما المسائل المرتبطة بقيادة هذه القوات فستبحث فيما بعد.

٤. للجنة أركان الحرب أن تنشئ لجاناً فرعية إقليمية إذا خولها ذلك مجلس الأمن وبعد التشاور مع الوكالات الإقليمية صاحبة الشأن.

#### المادة ٤٨

١. الأعمال اللازمة لتنفيذ قرارات مجلس الأمن لحفظ السلم والأمن الدولي يقوم بها جميع أعضاء "الأمم المتحدة" أو بعض هؤلاء الأعضاء وذلك حسبما يقرره المجلس.

٢. يقوم أعضاء "الأمم المتحدة" بتنفيذ القرارات المتقدمة مباشرة وبطريق العمل في الوكالات الدولية المتخصصة التي يكونون أعضاء فيها.

#### المادة ٤٩

يتضافر أعضاء "الأمم المتحدة" على تقديم المعونة المتبادلة لتنفيذ التدابير التي قررها مجلس الأمن.

#### المادة ٥٠

إذا اتخذ مجلس الأمن ضد أية دولة تدابير منع أو قمع فإن لكل دولة أخرى - سواء أكانت من أعضاء "الأمم المتحدة" أم لم تكن - تواجه مشاكل اقتصادية خاصة تنشأ عن تنفيذ هذه التدابير، الحق في أن تتذاكر مع مجلس الأمن بصدد حل هذه المشاكل.

#### المادة ٥١

ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينتقص الحق الطبيعي للدول، فرادى أو جماعات، في الدفاع عن أنفسهم إذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء "الأمم المتحدة" وذلك إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي، والتدابير التي اتخذها الأعضاء استعمالاً لحق الدفاع عن النفس تبلغ إلى المجلس فوراً، ولا تؤثر تلك التدابير بأي

حال فيما للمجلس - بمقتضى سلطته ومسؤولياته المستمرة من أحكام هذا الميثاق -  
من الحق في أن يتخذ في أي وقت ما يرى ضرورة لاتخاذها من الأعمال لحفظ السلم والأمن.

## المصادر

### المصادر العربية

- اسكندر، أمير د. صدام حسين مناظلاً ومفكراً وإنساناً. باريس. هاشيت. ١٩٨٠.
- البزاز، سعد. حرب تلد أخرى. الأردن. عمان. الأهلية للنشر والتوزيع. ط ٢. ١٩٩٢.
- الحمداني، حامد. كتاب صفحات من تاريخ العراق الحديث. الكتاب الثاني ١٩٥٨-١٩٩٦. ط ١. فيويون ميديا مرونوبيرغ. السويد. ٢٠٠٥
- رسول، فائق على د. العراق - تقرير التنمية البشرية - ١٩٩٥ -، جمعية الاقتصاديين العراقيين. بغداد. ١٩٩٥.
- الزبيدي، إبراهيم. دولة الإذاعة. سيرة ومشاهدات عراقية. طبعة ثانية. عمان. منشورات دار نارة للنشر والتوزيع. ٢٠٠٦.
- زيني، محمد علي د. الاقتصاد العراقي. لندن. مؤسسة الرافد. ط ٢. ٢٠٠٣.
- زيني، محمد علي د. الاقتصاد العراقي في ظل نظام صدام حسين تطور أم تقهقر. ط ١. لندن. مؤسسة الرافد للنشر والتوزيع. ١٩٩٥.
- الساري، مشعل عواد. هل انتهت حب الكويت ١٩٩٠-١٩٩١؟ الأردن. دون ذكر دار النشر. رقم الإيداع ١/٤٩/١٩٩٨.
- ساليانجر، بيار ولوران، أريك. حرب الخليج. الملف السري. بيروت. دار أزال للتوزيع والنشر. طبعة أولى. ١٩٩١. ص ٢٥٢/٢٥١.
- شعبان، عبد الحسين د. بانوراما حرب الخليج. وثيقة وخبر. دراسة ونصوص قرارات مجلس الأمن الدولي ١٩٩٠-١٩٩٤. دار البراق-لندن. ١٩٩٤
- الشمراي، علي د. صراع الأضداد المعارضة العراقية بعد حرب الخليج. لندن. دار الحكمة. ط ١. ٢٠٠٣.
- شوارتزكوف، نورمان. مذكرات شوارتزكوف، الأمر لا يحتاج إلى بطل. وثائق وأسرار خطيرة. ترجمة د. نورالدين صدوق ود. غلاب الجابري. دمشق - القاهرة. دار الكتاب العربي. ط ٢. ١٩٩٥.

- الصالحي، نجيب. الزلزال. لندن. مطبعة الرافد. ١٩٩٨.
- الصباح، ميمونة خليفة العذبي د. العدوان العراقي على دولة الكويت بين الممارسات والادعاءات. الكويت. مؤسسة الكويت للتقدم العلمي. إدارة التأليف والترجمة والنشر. سلسلة الكتب المتخصصة. الطبعة الأولى. ١٩٩٥ م.
- الصندوق العربي للأمناء الاقتصادي والاجتماعي. الحسابات القومية للبلدان العربية ١٩٧٥ - ١٩٨٧ وتقديرات ١٩٨٨. - الجداول التجميعية، الكويت - مايو - ١٩٨٩. الجزء الثاني.
- عبود، سلام ثقافة العنف في العراق. كولون. منشورات الجمل. ٢٠٠٢. ص ٢١٦.
- قدوري، فخري د. هكذا عرفت البكر وصدام رحلة ٣٥ عاماً في حزب البعث. لندن. دار الحكمة. ط ٢٠٠٦. ١.
- مطر، فؤاد. مع فريق من الباحثين والموثقين بإشرافه. موسوعة حرب الخليج. بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. لندن. مركز فؤاد مطر للإعلام والتوثيق والاستشارات والدراسات. ط ١٩٩٤. ١.
- المطير، جاسم. الكارثة قصة تشكيل الحكومة الكويتية المؤقتة ١٩٩٠/٨/٢. لندن. دار الحكمة. طبعة أولى. ٢٠٠٠.
- موقع ويكيبيديا الإلكترونية، الموسوعة الحرة. حرب الخليج الثانية، أخذ المقتطف بتاريخ ٢٠٠٧/١١/١٢.
- النجار، محمد رجب د. حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي. سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت. رقم ٤٥. مطابع الأنباء - الكويت. سبتمبر (أيلول) ١٩٨١.
- النصراوي، عباس د. الاقتصاد العراقي ١٩٥٠ - ٢٠١٠. ترجمة محمد سعيد عبد العزيز. بيروت. دار الكنوز الأدبية. ١٩٩٥.
- هتler، أدولف. كفاحي. (دون ذكر مكان الطبع) بيسان. ترجمة لويس الحاج. ط ٢. ١٩٩٥.
- هيكل، محمد حسنين. حرب الخليج أوهاام القوة والنصر. القاهرة. مركز الأهرام للترجمة والنشر. ط ١. ١٩٩٢.
- الهيئة الاستشارية العراقية. أحوال العراق (٤). الأمن الوطني العراقي والمستقبل. فيينا. ١٩٩٦.
- كوكبورن، أندرو. كوكبورن، باتريك. الخارج من تحت الرماد، ولادة صدام حسين من جديد. ترجمة علي عباس. القاهرة. مكتبة المدبولي. بيروت. دار المنتظر. طبعة أولى. ٢٠٠٠.



- الشاذلي، سعد الدين فريق عسكري. الحرب الصليبية الثامنة. الجزء الأول. ط ١. الدار البيضاء. مطبعة النجاح الجديدة. ١٩٩٢. كرم، كمال. أية ملامح لأي عالم جديد؟ مجلة "الفرسان" تصدر في فرنسا. العدد ٦٨٤ الاثنين ١٨ آذار/مارس ١٩٩١.

#### التقارير

- التقرير الاقتصادي العربي الموحد ١٩٩٣، صادر عن الصندوق العربي للأمناء الاقتصادي والاجتماعي، وصندوق النقد العربي، ومنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترو. الكويت ١٩٩٣.
- التقرير الاقتصادي العربي الموحد ١٩٩٦، صادر عن الجهات المشار إليها في اعلاه زائدا الأمانة العامة لجامعة الدول العربية. سبتمبر/أيلول ١٩٩٦..
- التقرير الاقتصادي العربي الموحد ١٩٩٦. مصدر سابق. ص ٢٨٦. المبلغ الخاص بعام ١٩٩٥ هو تقدير من معدي التقرير الاقتصادي العربي الموحد.
- تقرير صادر عن وكالة أصوات العراق نشر في موقع الجيران بتاريخ ٢٠٠٦/٨/١ تحت عنوان "الذكرى المؤلمة لـ ٢٠ آب: غزو الكويت.. المقدمات.. تسلسل الأحداث.. الضحايا.. التبعات الاقتصادية.

#### مجلات وجرائد

- البيان الإماراتية، جريدة. الخولي، محمد. "إسرائيل" وعقليات الحصار. صحيفة البيان في ٢٠٠٣/١١/٢٠.
- الثقافة الجديدة، مجلة. الوزيري، هوشنك. قراءة في محضر اجتماع طارق عزيز مع بيكر.. العدد ٢٤٩. السنة ٣٩. أيلول/سبتمبر ١٩٩٢.
- دراسات عربية، مجلة حبيب، كاظم. تحليل المواقف المتباينة للطبقات والفئات الاجتماعية أزاء اجراءات التأميم في البلدان النامية. العدد ٤/ شباط ١٩٦٨. بيروت.
- دراسات عربية، مجلة. حبيب، كاظم. اجراءات التأميم في البلدان النامية - ضرورتها واهميتها. العدد ٢/ كانون الأول ١٩٦٨. بيروت.
- دراسات عربية، مجلة. حبيب، كاظم. ملاحظات حول القطاع العام والتخطيط الاقتصادي في العراق. العدد ٩/ تموز ١٩٦٩، بيروت.
- الصباح، جريدة. عليوي، هادي حسن د. من معارضة السلطة إلى المشاركة فيها ١٩٦٨ - ٢٠٠٥. الموقع الإلكتروني للجريدة. أخذ المقتطف بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/٢١.

- الصوت الآخر، مجلة. البوتاني، عبد الفتاح علي د. في ذكرى ال(١٥) لانتفاضة آذار المجيدة الموصل أيام انتفاضة آذار ١٩٩١. أربيل.. العدد ٨٩ بتاريخ ٢٩/٣/٢٠٠٦.
- الفرسان، مجلة. زهير، كامل. بعد العاصفة. العدد ٦٨٤. الاثنى ١٨ آذار/مارس ١٩٩١. باريس.
- المدى، جريدة. المراتي، توفيق د. الحرب وآثارها على تدهور الاقتصاد العراقي (الجريمة الاقتصادية الثانية) ١ - ٤. العدد ١٩٣. في ٤/٩/٢٠٠٤.
- سوراقيا. مجلة اسبوعية تصدر في المملكة المتحدة. العدد ٣٩٣. السنة الثامنة. الاثنى ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٩١.
- البحوث الاقتصادية، مجلة الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية. السيد علي، عبد المنعم د. وفتح الله، سعد حسين د. التنمية المستقلة: المفهوم - الإستراتيجيات، المؤشرات، النتائج - دراسة مقارنة في اقطار مختارة.. العدد الثالث خريف ١٩٩٤. القاهرة.

#### مواقع إلكترونية

<http://www.iraq4all.dk/Book/book.htm> ٢٠٠٧/١٠/٥.

- إسلام أون لاين. موقع إلكتروني. عاشور، مصطفى. الحرب العراقية الإيرانية.. شعبية بشكل جديد (في ذكرى نشوبها: ١٣ ذي القعدة ١٤٠٠هـ). على:
- إيلاف، موقع إلكتروني. العطار، رياض. الذكرى ١٥ لغزو الكويت ودور الأمم المتحدة في تحريرها. نشر المقال في بتاريخ ٢ آب/أغسطس ٢٠٠٥.
- جزيرة نت. الفضائية. ملجأ العامرية. ندوة إدارة عباس ناؤوط. الاثنى المصادف ١٠/١/٢٠٠٥ م.
- الحجيري، محمد. شعراء صدام والبعث. موقع أدب وفن. وجريدة. An-nahar paper. أخذ المقطع الشعري من الموقع بتاريخ ١٦/١/٢٠٠٨.
- حسين، زكريا لواء أ.ح. د. الملف العراقي. "إلغاء القوات المسلحة العراقية وتصاعد المقاومة ضد سلطة الاحتلال الأنجلو/أمريكي". موقع البيان الإلكتروني على الإنترنت. أخذ المقطع بتاريخ ١٦/١/٢٠٠٨.
- حسين، صدام. خطاب صدام حسين في الجلسة الختامية لمؤتمر قمة بغداد الاستثنائية يوم ٣٠/٥/١٩٩٠. شبكة البصرة نقل عنها بتاريخ ٢/١٠/٢٠٠٧.
- الحكومة الكردستانية. موقع إلكتروني في إقليم كردستان في ٢٢/٢/٢٠٠٦

الحوار المتمدن. عبود، سلام. جيش الوشاة.. شعراء السيد القائد.. شعراء السيد العريف. العدد ١٧٤٥ بتاريخ ٢٥/١١/٢٠٠٦.

دار بابل. العبيدي، حامد د. الحوار هو الخطوة الأولى نحو الخلاص الوطني من مأزق الاحتلال. موقع. ١٧/١٢/٢٠٠٧.

راجع: مطر، فؤاد. موسوعة حرب الخليج.

ساحات الطيران العربية، موقع إلكتروني. الفهداوي. مصطفى. الحرب العراقية الإيرانية.

سعد البزاز. الهوية والتأثر.. وقرار تأخر ستة عشر عاماً، بلاد بلا نشيد.. موقع سعد البزاز.

٢٩/٩/٢٠٠٧.

سوالف الكويت، موقع الكتروني. تقرير لجنة تقصي الحقائق الكويتية حول أسباب الغزو العراقي

حقائق مهمة للجيل الجديد . ٢٠/٨/٢٠٠٧.

شبكة البصرة الإلكترونية، موقع إلكتروني. التميمي، محمد سعيد بيوض. احتلال العراق والإطاحة

بصدام حسين، لماذا؟ ٢٠/١/٢٠٠٧.

شبكة البصرة، موقع إلكتروني. عبد الله ابن العراق. "تفاصيل اجتماع جدة بين عزة إبراهيم وسعد

الصباح" نشر بتاريخ ٢٥ تموز/يوليو ٢٠٠٤.

الفضل، منذر د. أحد عشر سنة على خيمة صفوان.. والتنازل عن السيادة الوطنية - غدر بالجار وهدم

للديار - على الموقع الإلكتروني:

ليبيا المستقبل، موقع. أبو مطر، أحمد. محنة الفلسطينيين في العراق... إلى متى؟

مجالس حائل الثقافية. موقع إلكتروني. مقال تحت عنوان "هل تعرف أسباب غزو الكويت. نقل

المقتطف بتاريخ ٢٦/٩/٢٠٠٧.

مركز العاصي للتحكيم التجاري الدولي، موقع إلكتروني. القماش، علاء. مات البطل صدام واخذ

معه كل الأسرار.. المركز الرئيسي. نقاش عام. موقع إلكتروني. نشر بتاريخ ١/٧/٢٠٠٧.

مصر الحرة، موقع إلكتروني الأنصاري، محمد. المخطط الأمريكي لضرب العراق (١٤) الثلاثاء، بتاريخ

٢٦ سبتمبر، ٢٠٠٦.

منتدى الجمهور العرباوي. موقع إلكتروني. (الموسوي) الحكاية الكاملة للغزو العراقي للكويت. Arab

club. net نشر المقال بتاريخ ١٧/٦/٢٠٠٧، ونقل المقتطف بتاريخ ٥/٩/٢٠٠٧.

منتدى الرياض، موقع على الإنترنت. -http://www.116.com/vb/archive/index.php/t-

1281.html، ٢٠/٨/٢٠٠٧.

منتدى شبابيك للتاريخ. موقع إلكتروني. الطائي، محمد حسن جواد. الانتفاضة الشعبية المباركة ١٩٩١. تاريخ العراق الحديث. أخذ المقطع في شهر تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٧.

المنتديات العامة، موقع إلكتروني. الموسوي. منتدى الجمهور العرباوي.. ديرتي الكويت. الحكاية الكاملة للغزو العراقي للكويت.

المنجد في الإعلام. عاريا. لبنان. المطبعة الكاثوليكية. ط ٢٦. حزيران ١٩٨٢. ص ١٢٠.

موقع Herodote.net. أو مقال الكاتب John H. Haaren (John Henry) عن أشهر رجال القرون الوسطى. Presented by Public Domain Books Authorama.

الموقع الإلكتروني <http://www.iraq4all.dk/Book/book.htm> أخذ المقطع بتاريخ ٢٠٠٧/١٠/٥.

الموقع الإلكتروني <http://www.iraq4all.dk/Book/Mofkra/F-4.htm> بتاريخ ٢٠٠٧/١٠/٥.

الموقع الإلكتروني للهيئة العامة لتقدير التعويضات عن خسائر العدوان العراقي.

موقع جريدة الصباح على الإنترنت بتاريخ ٢٠٠٧/٩/١٢.

النهج الديمقراطي، موقع إلكتروني. الصحاري، إبراهيم. العراق: حرب من أجل الهيمنة والنفط.. أخذ النص بتاريخ ٢٠٠٧/١١/٢٠.

ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. موقع إلكتروني. حرب الخليج الثانية.. بتاريخ ٢٠٠٧/١١/١٥.

ويكيبيديا، الموقع الإلكتروني الموسوعة الحرة. حرب الخليج الأولى. المقال خال من ذكر الكاتب. أخذ المقطع في ٢٠٠٧/١٠/١.

الموسوعة الحرة. موقع إلكتروني ["http://ar.wikipedia.org/w/index.php?title](http://ar.wikipedia.org/w/index.php?title)

HYPERLINK

[iraq4all.dk/Book/Fa'9el/11year.htm](http://www.iraq4all.dk/Book/Fa'9el/11year.htm) ٢٠٠٧/٩/١٠.

مصادر باللغة الألمانية

GrienigHorst/Hopfmann Arndt (Hrsg). Nachkriegsordnung oder Chaos?. Sozialkonomie und sozialkulturelle Entwicklungstrends in Nah-und Mittelost. Verlag Dr. Kovas. Hamburg. Kovas 1993. S. 126-157.

Günther, Siegart-Horst Prof. Dr. Stumme Zeugen eines Krieges. Eine Dokumentation 1990-1993. Richar Mack GmbH. Mellricstadt. 1995.

Günther, Siegart-Horst Prof. Dr. Uran-Geschosse: Schwer beschädigte Soldaten, mißgebildete Neugeborene, sterbende Kinder. Ahriman -Verlag. Vreiburg. 2. Auflage 2000.

MacArthur, John R. Die Schlacht der Lügen. Wie die USA den Golfkrieg verkauften. sachbuch). Verlag: DTV Deutscher Taschenbuch. 1993.

McArthur. New York-Oxford. Oxford University Press. 1993,

Neugeborene. Sterbende Kinder. Tony Benn. Margarita Papanderou & Freimut Seidel. Ahriman-Verlag, 1996.

Pawelka, Peter Prof. Dr. Der Vordere Orient in der Weltpolitik. Eine politische konomie der US-amerikanischen Auenpolitik. Zeitschrift Der Vordere Orient an der Schwelle zum 21. Jahrhundert. Heft 3/98. Hrsg.: LpB.

Siegwar-Horst Guenther. Stumme Zeugen eines Krieges - Eine Dokumentation

Siegwart-Horst Guenther.: Uran-Geschosse: Schwergeschaedigte Soldaten. missgebildete

United Nations-UNDP: Human Development Report 1993, Development Programme (UNDP), von S.-H. Guenther. 1990-1993, St. Peter-Ording. 1995.

Sachbuch. München. DTV. Deutscher Taschenbuch Verlag. 1993.





